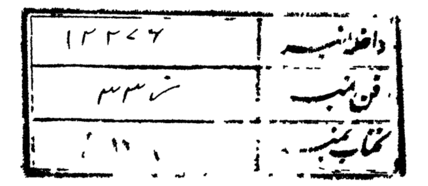
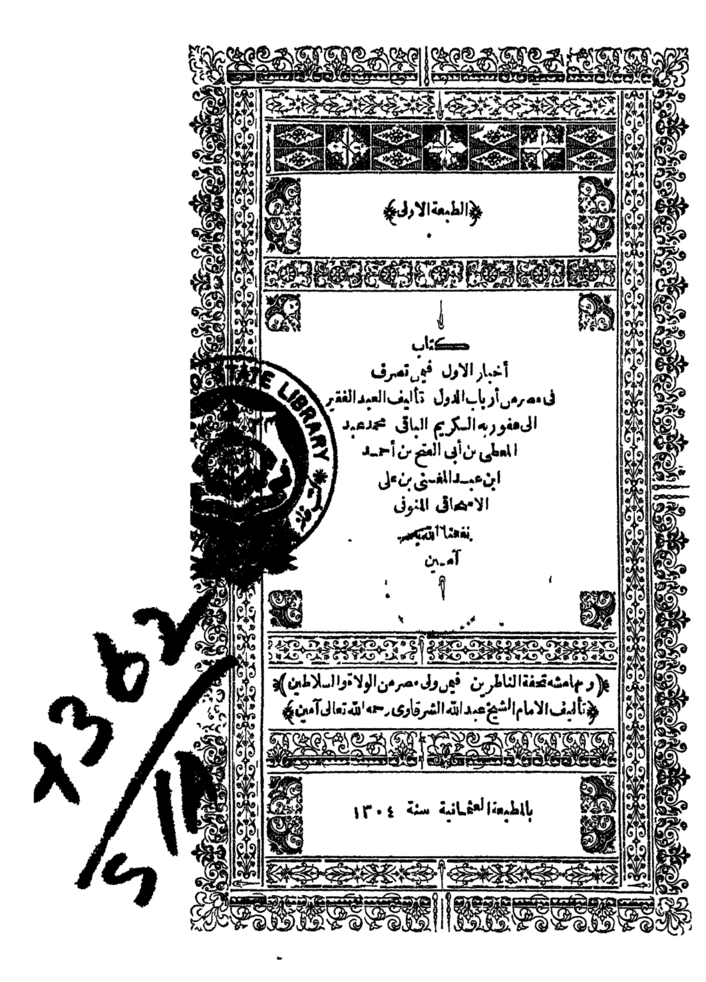
فهرست تاريخ الاسحاقي

صحيفة

صحيفة

(تمت الفهرست)





الطبعة الاولى

كتاب

أخبار الاول فيمن تصرف

في مصر من أرباب الدول تأليف العبد الفقير

الى عفو ربه الكريم الباقي محمد عبد

المعطي بن أبي الفتح بن أحمد

ابن عبد الغني بن علي

الاسحاقي المنوفي

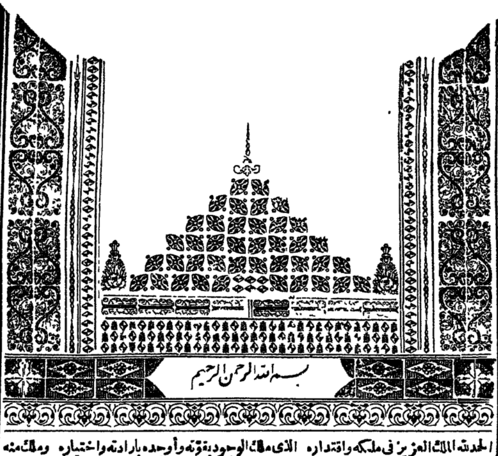
نفعنا الله به

آمين

وبهامشه تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين

تأليف الامام الشيخ عبد الله الشرقاوي رحمه الله تعالى آمين

بالمطبعة العثمانية سنة ١٣٠٤



الحمد لله الملك العزيز فى ملكه واقتداره الذى ملك الوجود بقوته وأوجده بارادته واختياره وملك منه ماشاء لمن شاء مع علمه بسره على سريره قبل اختباره فاوت بين مراتب الملوك وأمد بالملكة كل خاشع نسوك ونظمه فى سلك ابراره ووعد من رعى رعاياه ان يظله فى ظل عرشه يوم يلقاه ويتلقاه برحمته وابراره فسبحان من أراد فأدار الافلاك بالحكمه وانفذ فى براياه قضاياه وحكمه وسلم من سلم اليه الامر من الاسواء والمكاره * أحمده سبحانه وتعالى لا أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه سائلا منه ان يجعل ظل الخلافة مستمدا من حضرات قدسه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ندخل بها مع السابقين أوسع جنه وتكون لنا من النيران أنفع جنه وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله أول شارع لسنة السماحه والحماسه وشارح الصدور بالقول الشارح قضايا الشرع والسياسه وشارط النصح على العمال أهل الولايات والسياسه القائل وقوله لا سبيل الى رده ولا لرفضه مصر كنانة الله فى أرضه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الركع السجود وخاصة الاتباع والاشياع والجنود الذين عادتهم الدين فى مقام الاعظام والتمييز وشادوا قواعده فهى من عروق النقص والنقض فى حرز حريز ولا يزال ان شاء الله تعالى الى يوم القيامة بكل قائم منهم وهو عزيز * وبعد * فانه لا يخفى على كل ذى ذوق سليم وفهم رائق مستقيم ان فن التاريخ من فاكهة المفاكهة بالغاية القصوى ونهاية الشان فى الطلاوة والجدوى لانه توقيع وقائع الزمان وتدوين الحوادث الدائر بها الدوران ألف نفائس كتب الالبا وألف مطالعته من رق طبعا وراق لبا يطلع الشاهد على ما كان فى الغائب مخبا ويودع السمع أسماء اعمار كان لرؤية اهلها محبا كما قال من حاول المعنى وأنبا

فاتنى أن ارى الديار بعينى * فلعلى أرى الديار بسمعى

فكم صدر فى الصدر الاول من عجائب يتوقف منه عليها وغرائب أحوال تمتد بسطور الطروس اليها ومابرح المؤرخون يتناولون المقبول من المنقول عن الدول والمناصب فمن متقن منتق ومن جامع مكثر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المبدئ المعيد القديم الباقى المجيد الذى أتقن العالم بحكمته وأبرزه بقدرته فوجد على أحسن مثال وأتم منوال وأظهر كل نوع منه على حسب ماتقتضيه طبيعته وأفاض عليه ماسبق فى علمه وتعلقت به ارادته وأيد من شاء من عباده بتنفيذ الاحكام وأودع فيه خصوصية لا توجد فى غيره من بقية الانام والصلاة والسلام على أول مظهر للذات العليه وأفضل من أفيضت عليه الاسرار الالهيه وجمع فيه ماتفرق من الكمالات الانسانيه ودعا الناس الى التوحيد وترك العناد

والناس فى الفنون مراتب كما قيل

لقد غرسوا حتى أكلنا وانّنا * لنغرس حتى تأكل الناس بعدنا

فعنّ لى ان أجمع ما يليق بالجمع واسطر ما يروق بالسمع من حكايات باهره واذكر من ولى مصر القاهره ذاهبا مذهب الايجاز والتهذيب آخذا من النقل المبرأ من التكذيب مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت مع ايراد ما شاهدته فى الزمن عيانا وحققت من معنى نوادره البديعة بيانا فكان كتابا حسنا فى بابه ممتعا لمن تعلق باسبابه انيسا تجل مؤانسته وجليسا لا تمل مجالسته تستروح اليه النفوس وتجد فى مطالعته ما تجده فى معاطاة الكؤس كما قيل

لم يبق شئ من الدنيا تسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

فجاء بحمد الله فى حاشية نسجه الرفيع وطرة نسخه البديع فى دولة رافع عماد المملكة الشريفه مجدد نظام الدولة العثمانية المنيفه شامل الرعايا بظل معدلته الوريفه مجمل التخت الشريف بعز حضرته اللطيفه المختص بما استحق أن يكون على الخليقة الخليفة القائم من الالتفات الى الصلاح والاصلاح بأرفع وظيفه الراقى مراتب العز لما كر طالع سعدا وشرفا الماحى بصوارمه من بغى فى الارض بغيا وسرفا من اقتدى بابيه وجده فى عدله وجده واقتفى سرير الملك مولانا السلطان مصطفى لا برحت ألوية ولايته فى الخافقين خافقه والسنة الاقلام مدى الايام بمدحه ناطقه ولا برحت الكواكب تقبل سدته العلية والثريا اللائحة فى العلا لاثقه كما غدت ريح الصبا الثرى أعتابه ناشقه والآفاق بفائق مجده وحدائق أنسه باسقه ﴿وسميته لطائف أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول﴾ وقد رأيت ان اقسم هذا الكتاب الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمه * المقدمة فى فضائل مصر وذكرها فى كتاب الله المبين وما ورد فيها من أحاديث سيد المرسلين ومن كان بها من الانبياء والصديقين وغير ذلك على ما يأتى بيانه مفصلا ان شاء الله تعالى والله تعالى اسأل ان يحسن ختامه كالاول * الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن بن على بن أبى طالب * الباب الثانى فى دولة بنى أمية الباب الثالث فى الدولة العباسية * الباب الرابع فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى أمية والعباسية وما داخلها من تغلب بنى طولون والاخشيدية * الباب الخامس فى دولة الفواطم * الباب السادس فى دولة الايوبية السنية * الباب السابع فى الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية * الباب الثامن فى دولة الجراكسة * الباب التاسع فى ظهور ملوك آل عثمان وهى دولة اقرت العيون وسرت الاعيان انجابت منقادة لشرع سيد ولد عدنان أدام الله تعالى بقاءها ما دام الفرقدان * الباب العاشر فيمن تصرف بمصر من نواب آل عثمان المكرمين وأخصاء الوزراء المعظمين وايراد أخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية وأحكامهم * الخاتمة فى مواعظ ونصائح وسلوك وآداب للسلاطين والملوك *(المقدمة)* أقول وبالله المستعان أما مصر حرسها الله تعالى فان الله عز وجل ذكرها فى كتابه العزيز فى ثمانية وعشرين موضعا منها ما هو صريح ومنها ما دلت عليها القرائن وكتب التفسير قال الله تعالى مخبرا عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى قال ابن الجوزى يفتخر فرعون بنهر ما الله أجراه ما أجراه وقال تعالى ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم الى وأورثناها بنى اسرائيل وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى وأورثناها قوما آخرين يعنى قوم فرعون فان بنى اسرائيل ورثوا مصر بعدهم وقال بعض المفسرين المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس وقيل هى كريمة لانه مجلس الملوك قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقالا هى المنابر وقال تعالى وآويناهما الى ربوة قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم هى مصر والربى لا تكون الا بمصر وقال تعالى اهبطوا مصرا وقال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى ونمكن لهم فى الارض وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة وقال تعالى لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك

وجاهد فى الله حق جهاده وبلغت دعوته سائر البلاد وعلى من ورث حاله من الآل والاصحاب ومن تبعهم الى يوم التناد آمين ﴿أما بعد﴾ فيقول كثير المساوى عبد الله بن حجازى الشهير بالشرقاوى انه لما حل ركاب الصدر الاعظم والوزير الافخم والدستور الاكرم حضرة مولانا الوزير يوسف باشا بلغه الله تعالى من المرادات ما شا بمدينة بلبيس فى شهر رمضان المعظم سنة أربع وعشرة ومائتين بعد حصول الصلح بينه وبين طائفة الفرنساوية فى قلعة العريش وذهبت مع بعض علماء مصر لملاقاته طلب منى بعض الاخوان من أتباع ذلك الصدر الاعظم أن أجمع كتابا متضمنا لواقعة الحال المذكورة فأجبته الى ذلك مستعينا بعون القادر

الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال تعالى اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وقال تعالى اجعلنى على خزائن الارض وقال تعالى ولقد مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء وقال تعالى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا وقال تعالى وقدر فيها أقواتها وقال تعالى ارم ذات العماد قال محمد بن كعب القرظى هى الاسكندرية وقال تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض وقال تعالى وجاء من أقصى المدينة قال بعض المفسرين هى منف وقال تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال تعالى فلن ابرح الارض وقال تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض قال ابن عباس سميت مصر بالارض كلها فى عشرة مواضع (ومن السنة) قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال له أبو بكر رضى الله عنه لم يارسول الله قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة وفى حديث ستفتح عليكم بعدى مدينة يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فقالوا ما رحمهم وذمتهم قال أما رحمهم فام اسمعيل عليه السلام وأما ذمتهم فام ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ويقال هاجر من قرية يقال لها ام دنين وقيل أصلها من مدينة عين شمس التى تسمى الآن بالمطرية ومارية من قرية يقال لها حفن وقيل من أهل كورة انصنا واسم ابيها شمعون وتوفيت فى المحرم سنة خمس عشرة من الهجرة ودفنت بالمدينة وقوله صلى الله عليه وسلم فى أهل مصر ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته وقال عليه أفضل الصلاة والسلام مصر اطيب الارض ترابا وعجمها أطيب العجم وقال عليه أفضل الصلاة والسلام قسمت البركة عشرة اجزاء تسعة بمصر وجزء بالامصار كلها وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام مصر خزائن الله والجيزة غيضة من غياض الجنة وقد روى الحافظ أبو بكر بن ثابت من حديث نبيط بن ربط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله فى أرضه ذكر ذلك المقريزى فى خططه عند ذكر الجيزة قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها وأنهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر وأرضها ذات نهر جار ومادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة ورأى جبلا من جبالها مكسوا بالنور لا يخلو من نظر الحق اليه فى سفحه أشجار مثمرة فروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام للنيل بالبركة ودعا لارضها بالرحمة والبر والتقوى وبارك فى سهلها وجبلها سبع مرات فقال أيها الجبل المرحوم سفحك جنة وتربتك مسكة لا تخلك يا مصر من بركة ولا زال فيك ملك وعز فيك الخبايا والكنوز سال نهرك عسلا كثر الله زرعك وأدر ضرعك وزكى نباتك وعظم بركتك *(فائدة)* النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والابدال أربعون والاخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشأم والاخيار سياحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا حدث للعامة أمر ابتهل النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسئلته حتى تجاب دعوته وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان لنوح عليه أفضل الصلاة والسلام أربعة من الولد حام وسام ويافث ويحطون وان نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة فى ولده وذريته حتى يعاملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فلم يجبه الا ابناه سام وارفخشذ فانطلقا معه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرفخشذ وسأل الله عز وجل ان يبارك فى سام وان يجعل الملك والنبوة فى ولده أرفخشذ ثم نادى حاما فتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده اذلاء وأن يجعلهم عبيد الولد سام وكان مصر بن بيصر بن حام نائما الى جنب جده حام فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال يا جدى قد أجبتك ولم يجبك أبى ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة

المالك وذكرت فيه ما يتعلق بمصر وحكامها من أول الزمان الى وقتنا هذا (وسميته) تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب *(المقدمة)* فى فضائل مصر وما ورد فيها من الآيات والاخبار ومن كان فيها من الانبياء والصديقين وغير ذلك (الباب الاول) فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن ابن على وفى دولة بنى أمية والدولة العباسية ومن ولى مصر من نواب الخلفاء والدولتين المذكورتين ومن دخل فى ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية (الباب الثانى) فى دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية ودولة الجراكسة *(الباب

من دعائك ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الارض المباركة الطيبة التى هى أم البلاد وغوث العباد قال الشاعر

من شاهد الارض واقطارها * والناس أنواعا وأجناسا
ولا رأى مصرا ولا أهلها * فما رأى الدنيا ولا الناسا

(وقال آخر)

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هى الجنة العليا لمن يتفكر
وأولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

(وقال آخر)

اذا كنت فى مصر ولم تك ساكنا * على نيلها الجارى فما أنت فى مصر
وان كنت فى مصر بشاطئ نيلها * وما لك من شئ فما أنت فى مصر
وان كنت ذا شئ ولم تك صاحبا * لالف له لطف فما أنت فى مصر
وان كنت ذا الف ولم تك مالكا * لكيس حوى ألفا فما أنت فى مصر
وان حزت ما قلناه ولم تك هائما * غيدا لمن تهوى فما أنت فى مصر

وكان بمصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم الخليل واسمعيل ويعقوب واثنا عشر سبطا من أولاد يعقوب وولد بها من الانبياء ادريس وموسى وهرون ويوشع بن نون ودانيال وأرميا ولقمان وعيسى ابن مريم ولد باهناس ثم سار الى الشام قال الجلال السيوطى رحمه الله ناظما لمن حصل بمصر من الانبياء بوفاق وخلاف ومن جاتهم الازر بم نسوة المختلف فى نبوتهن

قد حل فى مصر فيما قدروواز من * من النبيين زادوا مصر تأنيسا
فهاك يوسف والاسباط مع أبهم * وحافدا وخليل الله ادريسا
لوطا وأيوب ذا القرنين خضر سليـ * ـمان أرميا يوشعا هرون مع موسى
وامه سارة لقمان آسية * ودانيالا وشعيا مريم عيسى
شيثا ونوحا واسمعيل قد ذكروا * لازال من أجلهم ذا المصر محروسا

وكان بها من الصديقين مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وكان بها وزراء فرعون الذين وصفهم الله بالعقل ونضلهم على قوم نمروذ حين قالوا ارجئه وأخاه وقال وزراء نمروذ اقتلوه أو حرقوه قال البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى ان اشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يتحمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى أموره ومنه الموازرة وقيل أصله أزير من الازر بمعنى القوة كالعشير والجليس وكان بها من السحرة الذين أحضرهم فرعون لموسى اثنا عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر عشرون عريفا تحت يد كل عريف ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتى ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين وخمسين ساحرا بالرؤساء والعرفاء فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقاوم أمر الله فآمنوا جميعا فى ساعة واحدة ولم يعلم أن جماعة أسلموا فى ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط قال المهدوى فى تفسيره ان السحرة الذين حشرهم فرعون من سبع مدائن وهى شطا وبوصير وبنها وطنان وأرمنت وأسيوط وانصنا ومع ذلك لم يغن عنهم عددهم ولا كثرة عددهم بل لما ألقى موسى عصاه باذن الرب الاله خروا له ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين قيل انه لما ألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين أى حية صفراء فاتحة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وقيل انها ارتفعت من الارض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة فكها الاسفل فى الارض والاعلى على سطح القصر الذى فيه فرعون فوثب فرعون هاربا وأحدث قيل أخذته البطنة فى ذلك اليوم أربعمائة مرة وحملت على الناس فانهزموا ومات منهم خلق كثير ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة الاعراف عند قوله تعالى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين لما انهزم الناس مزدحمين مات منهم خمسة وعشرون ألفا وذكر ان فرعون صاح وقال خذها يا موسى وانا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها فعادت عصا فلم يؤمن فرعون بل كفر وعصى وكان بمصر من الصديقات آسية امرأة فرعون التى سألت ربها

الثالث)* فى دولة آل عثمان المؤيدة بالنصر فى كل وقت وأوان أدام الله بقاءها ما دام الفرقدان بجاه سيد ولد عدنان وفيمن تصرف فى مصر من نوابهم وايراد أخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية وأحكامهم *(المقدمة فى فضائل مصر وما ورد فيها الى آخر ما سبق)* اعلم ان مصر قد ذكرت فى القرآن العزيز فى أكثر من ثلاثين موضعا كما قاله السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية قال تعالى اهبطوا مصرا أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال الذى اشتراه من مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين أليس لى ملك مصر وقال نسوة فى المدينة ودخل

عز وجل أن يبنى لها عنده بيتا فى الجنة وأن ينجيها من فرعون وعمله فاستجيب لها بصبرها على محنة فرعون قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شممت فى الجنة ليلة الاسراء رائحة ما شممت أطيب منها فقلت يا جبريل ما هذه فقال رائحة آسية امرأة فرعون وصاهر أهل مصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم الخليل تسرى بهاجر ام اسمعيل وتزوج يوسف الصديق ببنت عين شمس وتزوج أيضا زليخا بعد أن عجزت وعميت فدعا الله تعالى فرد عليها بصرها وجمالها ورزق منها الولد وتسرى نبينا صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر فولدت من النبى صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه السلام ومات رضيعا ودفن بالبقيع ظاهر طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ولدته فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ومات فى ربيع الاول سنة عشر وكان عمره ستة عشر شهرا وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال ألحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون رضى الله عنه وقال عليه أفضل الصلاة والسلام ان له ظئرا أى مرضعا يتم رضاعه فى الجنة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام لو عاش ابراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطى وحزن عليه صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا حتى دمعت عيناه الشريفتان وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون قال أبو بكر البرقى جميع أولاد النبى صلى الله عليه وسلم سبعة القاسم وعبد الله وابراهيم وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة كلهم من خديجة الا ابراهيم ولما مات القاسم ثم ابراهيم ثم عبد الله قال العاص بن وائل السهمى قد انقطع ولده فهو أبتر فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر ولم تزل مصر دار العلماء والحكماء فمنهم الاسكندر ذو القرنين صاحب السد الذى ذكره الله فى كتابه العزيز فى سورة الكهف فانه على اختلاف الاقوال ملك الارض كلها وبلغ مغرب الشمس ومشرقها وبنى الاسكندرية المشهورة واسكندرية أخرى ببلاد الجون واسكندرية أخرى ببلاد الروم وبنى سمرقند والمناظر والابراج ذكر الدماميني فى كتابه عين الحياة أن محمد بن الربيع الجيزى روى فى مسنده عمن دخل مصر من الصحابة عن عقبة بن عامر رضى الله عنه انه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخدمه فاذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت اليه صلى الله عليه وسلم وأخبرته بمكانهم فقال صلى الله عليه وسلم مالى ولهم يسئلونى عما لا أدرى انما أنا عبد ولا أعلم الا ما علمنى ربى تعالى ثم قال أبغى وضوأ فتوضأ ثم قام الى مسجد فى بيته ثم ركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرف السرور فى وجهه والبشر ثم انصرف فقال اذهب فأدخلهم ومن وجدته معهم بالباب من أصحابى فأدخله قال فأدخلتهم فلما رفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان شئتم سألتم وان شئتم أخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قبل أن نتكلم قال جئتم تسئلونى عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه عندكم مكتوبا انه أول أمره غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى جاء ساحل أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه ثم قال انظر ماذا تحتك فقال أرى مدينتى وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال اختلطت مدينتى مع المدائن فلم أعرفها ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينة واحدة لا أرى غيرها فقال له الملك انما تلك الارض كلها والذى ترى محيطا بها هو البحر وانما أراد ربك عز وجل ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا وسوف تعلم الجاهل وتثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى الى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شئ فبنى السد ثم جازيأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منهم الصخرة العظيمة ثم أفضى الى البحر المحيط بالارض فقالوا نشهد أن أمره كان هكذا كما ذكرت وانا نجده هكذا فى كتبنا وكان بعصره من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلوم الرصد والحساب والمساحات عدة منهم أفلاطون وبطليموس وسقراط وأرسطاطاليس وجالينوس وكان فى الازمنة الاول تسير الى مصر أرباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم

المدينة على حين غفلة من أهلها فأصبح فى المدينة خائفا يترقب وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وهى مصر لان الربى لا تكون الا بها قال اجعلنى على خزائن الارض وكذلك مكنا ليوسف فى الارض فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ان فرعون علا فى الارض ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونمكن لهم فى الارض الا أن تكون جبارا فى الارض يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض أو أن يظهر فى الارض الفساد أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف

على الزيادة وقوة الذكاء وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان واختلاف سكانها فقال ان الله لما خلق الاشياء جعل كل شئ لشئ فقال العقل أنا لاحق بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الخصب وأنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أشياء الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر أنا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغنى أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر انا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال المكر عشرة أجزاء تسعة منها فى القبط وواحد فى سائر الناس ويقال ان الغدر عشرة أجزاء تسعة فى اليهود وواحد فى سائر الناس والحمق عشرة أجزاء تسعة فى المغاربة وواحد فى سائر الناس والقسوة عشرة أجزاء تسعة فى الترك وواحد فى سائر الناس والشجاعة عشرة أجزاء تسعة فى العرب وواحد فى سائر الناس والبلم عشرة أجزاء تسعة فى العبيد وواحد فى سائر الناس وقد ملك مصر سبعة من الكهنا ولهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الكاهن الاول) اسمه صيلم وهو أول من اتخذ مقياس الزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وأنثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين فان كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثانى) اسمه اعشامش من أعماله العجيبة انه عمل ميزانا فى هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها فصوصا فاذا حضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما فى كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم ﴿الكاهن الثالث﴾ عمل مرآة من المعادن فينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب فيها وما أجدب وما حدث من الحوادث وعمل فى وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كأنها ترضعه فأى امرأة أصابها وجع فى جسمها مسحت ذلك الموضع فى جسد تلك الصورة فتبرأ من ساعتها (الكاهن الرابع) عمل شجرة لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه وعمل صنما من كدان أسود وسماه عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت فى مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سبع سنين ﴿الكاهن الخامس﴾ عمل شجرة من نحاس فكل وحش وصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس فى أيامه لحما وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن شماله فاذا دخل أحد ان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر بكى الصنم الذى عن يسار الباب ﴿الكاهن السادس﴾ عمل درهما اذا اشترى صاحبه شيأ اشترط ان يزن له بزنته من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ما وجد من الصنف الذى يريد شراءه لم يعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية (الكاهن السابع) كان يعمل أعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم فأقام مدة ثم غاب فأقاموا بلا ملك الى أن رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فأخبرهم انه لا يعود اليهم وان يولوا ولدا نابعده * ومن فضائل مصر أنها تمير أهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر يحمل خيرها الى ما سواها وأهلها يستغنون بها عن كل بلدة حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى أهلها بها عن سائر البلاد ومن محاسن مصر انه يوجد فيها فى كل شهر من شهور القبط صنف من المأكول والمشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه وخروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى ومن محاسن مصر أيضا ماروى عن محبر الغفارى انه سمع ابن العاص يقول فى خطبته اعلموا يا أهل مصر انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى دياركم فان دياركم معدن الزرع والمال

تعملون وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها يريد أن يخرجكم من أرضكم فى الموضعين ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قيل المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس التى تجلس فيها الملوك كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق كمثل جنة بربوة ادخلوا الارض المقدسة قيل هى مصر اولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو وجعل الشام بدوا وسمى مصر مصرا ومدينة وقد اشتهر على ألسنة كثير من الناس فى قوله تعالى سأريكم دار

والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن الاشعري أنه قدم من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له عبد الله ما أقدمك بلادنا فقال كنت حدثني ان مصر أسرع الارض خرابا ثم أراك قد اتخذت فيها القصور واطمأننت فيها فقال ان مصر قد أوفت خرابها حطمها بختنصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي اليوم أطيب الارض ترابا وأبعدها خرابا ولا تزال فيها بركة ما دام في شيء من الارض بركة ويقال ان مصر متوسطة في الدنيا سلمت من حر الاقليم الاول ومن برد الاقليم السادس والسابع ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواؤها وضعف حرها وخف بردها وسلم أهلها من مشاتي الاهواز ومصايف عمان وصواعق تهامة ودماميل الجزيرة وجرب اليمن وطواعين الشام وبرسام العراق وطحال البحرين وعقارب عسكر مكرم وحمى خيبر وأمنوا من غارات الترك وهجوم العرب ومكايد الديلم ونزف الانهار وقحط الامطار وقال عبد الله بن عمر خلقت الدنيا على صورة طائر برأسه وصدره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشام ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق وخلف ذلك أمم لا يعلمها الا الله تعالى والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند أمة يقال لها ناسك وخلف ناسك أمة يقال لها منسك وخلف ذلك أمم لا يعلمها الا الله تعالى والذنب من ذات الحمام الى المغرب وشر ما في الطير الذنب وقد ملك مصر أربعة وثلاثون فرعونا أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم أعتى ولا أشر من فرعون موسى قال وهب بن منبه كان فرعون موسى قصيرا وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع قال قتادة الفراعنة ثلاثة أولهم سنان بن الاشل صاحب سارة كان في زمن الخليل بمصر الثاني الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف الثالث الوليد بن مصعب ملك مصر وهو فرعون موسى وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة ❊فائدة❊ لا بأس بذكرها روى أبو الحاكم قال أبو عبد الله وهب بن منبه ابن كامل ابن سيج الصنعاني ويقال الزماري والزمارة قرية من قرى صنعاء على مرحلتين منها ولد سنة أربع وثلاثين في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لقي عبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وأبا هريرة وعبد الله ابن الزبير وأنس بن مالك والنعمان بن بشير وأبا سعيد الخدري وعن أحمد بن عطاء قال سمعت سلمة ابن همام بن منبه يذكر عن أبيه ان وهبا أصله من خراسان من بلد هراة ومنبه من أهل هراة خرج فوقع الى فارس أيام كسرى وكسرى أخرجه من هراة ثم أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن هو وأولاده باليمن وقد روى عن ابي زرعة أنه قال وهب بن منبه يماني ثقة وفي رواية لغير أبي زرعة ان وهب ابن منبه تابعي ثقة توفي بصنعاء سنة ست عشرة ومائة وقيل سنة أربع عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة روى عن مثنى بن الصباح انه قال رأيت وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيأ فيه روح ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوأ قال وهب بن منبه لقد قرأت ثلاثين كتابا نزلوا على ثلاثين نبيا وفي رواية لمسلم بن خالد قال لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش وقال وهب بن منبه لقد قرأت نيفا وسبعين كتابا في الكنائس ونيفا وعشرين كتابا لا يعلمها الا قليل من الناس وجدت فيها كلها ان من وكل نفسه الى شيء من المشيئة فقد كفر ومن كلام وهب بن منبه ثلاث من كن فيه أصاب البر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام وقال أيضا اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك وقيل جاء رجل الى وهب بن منبه فقال له ان فلانا شتمك فقال له أما وجد الشيطان بريدا غيرك وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في امتي رجلان أحدهما يقال له وهب بن منبه يؤتيه الله الحكمة والآخر يقال له غيلان هو على أمتي اشد من ابليس ❊رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر فرعون موسى قيل ان فرعون موسى ملك مصر خمسمائة سنة لم يصبه ألم ولا نصب ولم يزل مخولا في نعم الله تعالى الى أن أخذه الله نكال الآخرة والاولى قال ابن عباس رضي الله عنهما الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري والاخرى قوله أنا ربكم الاعلى قال

الفاسقين قال مصيرهم فصفت بمصيرهم (وقد ورد) في مصر عدة أخبار منها ما روي عن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما (وفي صحيح مسلم) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصرا فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال أبو بكر ولم يا رسول الله قال لانهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة (وأما حديث) ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها دارا فانه يساق اليها أقل الناس أعمارا

فعذبه

نعذبه الله فى أول النهار بالماء وفى آخره بالنار ولم يكن فرعون من أولاد الملوك وانما كان عطارا بأصبهان أفلس وركبته الديون فخرج هاربا فأتى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها مشتغلا بلهوه فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر وسمى نفسه عامل الاموات وصار يأخذ من كل ميت جعلا حتى بلغ الملك خبره وكلمه فأعجبه عقله ومعرفته فاستوزره ثم قتل الوزير فسار فى الناس سيرة حسنة وكان عدلا مرضيا يقضى بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفى الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق فبطر وتجبر وبغى وقال أنا ربكم الاعلى فاستخف قومه فأطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون يحدك مائتى سنة فكيف أمهلته فأوحى الله تعالى الى موسى انه عمر بلادى وأحسن الى عبادى فلما أراد الله تعالى هلاك فرعون خرج فى طلب موسى عليه الصلاة والسلام وفى طلب بنى اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان فى عسكره ذلك اليوم سبعون ألف أدهم وقيل مائتا ألف حصان من الدهم فلما انتهى موسى ومن معه من بنى اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر أمامنا فقال موسى عليه الصلاة والسلام الى ههنا فخاض يوشع الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت فقال ههنا فكبح حزقيل فرسه أى نخسها بلجامها حتى طار الزبد من شدقيها ثم أدخلها البحر فارتسبت فى الماء أى غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه أفضل الصلاة والسلام لا يدرى كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب به فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينهما مسالك فدخل كل سبط من بنى اسرائيل مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه فى أثرهم فلما استقروا جميعا أطبق الله البحر عليهم فأغرق فرعون ومن معه جميعا كما قال الله تعالى فى كتابه المبين وانجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين وممن غلب على مصر من الفراعنة بختنصر وهو من قرية من قرى بابل يقال لها هور لم يعرف له أب واختلف فى ايمانه حتى انه شبه بايمان سحرة فرعون وذلك بعد ان خرب بيت المقدس وملك مصر واستولى عليها وأخذها من أيدى القبط وبقيت مصر خرابا أربعين سنة ليس بها أحد ثم ردهم بختنصر فعمروها وملك عليهم رجلا من جهته ومن ذلك الوقت بقيت مصر معمورة قال صاحب الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ان أرمياء النبى عليه أفضل الصلاة والسلام رأى بختنصر قديما وهو صبى أقرع يأكل خبزا ويتغوط ويقتل قملا فقال له ماهذا فقال أذى يخرج ومنفعة تدخل وعدو يقتل فقال له سيكون لك شأن وكانت ولاية بختنصر قبل الهجرة الشريفة بألف وثلاثمائة وتسع وتسعين سنة ومائة وسبعة عشر يوما وقد أهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل ولم يبق ببابل أحد قيل سئل وهب بن منبه عن بختنصر أمات مسلما فقال وجدت أهل الكتاب مختلفين فيه فقال بعضهم آمن قبل أن يموت وقال بعضهم قتل الانبياء وخرب بيت المقدس فلم تقبل منه توبة ﴿فائدة﴾ من الانس الجليل أول من بنى الاقصى الملائكة ثم جدده آدم ثم سام بن نوح ثم يعقوب بن اسحق ثم داود وسليمان عليهم الصلاة والسلام وروى ان مفتاح بيت المقدس كان عند سيدنا سليمان بن داود لا يأمن عليه أحدا فقام ليلة ليفتحه فتعسر عليه ثم استعان بالانس فتعسر عليهم ثم استعان بالجن فتعسر عليهم ثم جلس كئيبا حزينا فظن ان ربه قد منعه منه فبينما هو كذلك اذ أقبل عليه شيخ يتوكأ على عصاه وقد طعن فى السن وكان من جلساء داود عليه السلام فقال يانبى الله أراك حزينا فقال قمت لهذا الباب أفتحه فتعسر على فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ الا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف الله عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت

فهو حديث منكر جدا وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات (ومن الآثار الموثوقة فى فضل مصر) ما أخرجه ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر قال قبط مصر أكرم الاعاجم كلها وأسمحهم يدا وأفضلهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن أراد ان ينظر الفردوس أو ينظر الى مثلها فى الدنيا فلينظر الى أرض مصر حين تخضر زروعها وتنمو ثمارها (واخرج ابن عبد الحكم) عن الى ابى رهم السماعى الصحابى رضى الله عنه قال كانت مصر قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لى

وأمسيت ذنوبي بين يديك استغفرك وأتوب اليك باحنان يامنان فلما قالها افتتح ثم ظهرت الروم وفارس على سائر البلاد وقاتلت أهل مصر ثلاث سنوات براوبحرا الى أن صالحوهم على شئ يدفعونه اليهم في كل عام فرضيت الروم وفارس بذلك وجعلوا نصف مال مصر لكسرى والنصف لهرقل وأقاموا على ذلك تسع سنين ثم غلبت الروم فارس فأخرجوهم وصار صلح مصر كله للروم وذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية والحديبية بئر قريب من مكة المشرفة على طريق جدة في ذى القعدة سنة ست من الهجرة وفيها كانت بيعة الرضوان التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم قريشا تحت الشجرة وهم العشرة المقطوع لهم بالجنة قال العلامة ابن حجر الهيتمي ناظما

لقد بشر الهادى من الصحب زمرة * بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر * أبو بكر عثمان ابن عوف على عمر

وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وولاه خراجها وخراجها وكانت فارس قد بدأت بعمارة الحصن المعروف بقصر الشمع ثم تممت الروم بناءه ولم يزالوا فيه الى حين الفتح ولما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى سائر الانام ليظهر الاسلام ويبين لهم الاحكام أقام صلى الله عليه وسلم بمكة قبل البعثة وبعدها ثلاثا وخمسين سنة وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين في ثاني عشر ربيع الاول لعشرى نيسان عام الفيل في عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة وأقام في بني سعد خمس سنين وتوفيت أمه وهو ابن ست وكفله جده عبد المطلب الى أن توفي وهو ابن ثمان فكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن اثنتى عشرة سنة ثم خرج في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفي عمه أبو طالب وهو ابن سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فأقام بها شهرا ثم رجع الى مكة في جوار المطعم بن عدى ولما تمت له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين وأسلموا ولما تمت له احدى وخمسون سنة أسرى به وعاش ثلاثا وستين سنة ونحر في حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة واعتق ثلاثا وستين رقبة صلى الله عليه وسلم وكان الفيل في العام الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم والمشهور عند الاكثرين انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما وقيل بشهرين وقيل بأربعين يوما وقال الكلبي كان مولده قبل الفيل بعشرين سنة وقال مقاتل بأربعين سنة وقال الدماميني في عين الحياة ان أبرهة بن الاشرم ملك الحبشة حضر الى الكعبة يريد هدمها في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر الثاني الملقب بذى القرنين المتقدم ذكره ومبدؤه من السنة التي خرج فيها من مقدونية وطاف الارض وهى السنة السابعة من ملكه وطريق معرفة سنيه أن تزيد على سني القبط التامة خمسمائة وتسعين سنة يحصل سنو الروم المطلوبة وبينه وبين السنة التي هاجر فيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة وخمسة وخمسون يوما وأيل سني الروم تشرين الاول ومدخله في رابع بابه تشرين الثاني أوله خامس هاتور كانون الاول أوله خامس كيهك كانون الثاني أوله سادس طوبه شباط أوله سابع امشير آذار أوله خامس برمهات نيسان أوله سادس برموده أيار أوله سادس بشنس حزيران أوله سابع بؤنه تموز أوله سابع أبيب آب أوله ثامن مسرى أيلول أوله رابع توت وكان النبي صلى الله عليه وسلم حملا في بطن أمه وفي المسند عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين رجعنا الى قصة الفيل وذلك ان أبرهة بن الاشرم المذكور بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد صرف الحجاج عن الكعبة اليها ثم ان جماعة من قريش خرجوا في تجارة حتى جاؤا قريبا من تلك الكنيسة فاضرموا نارا ثم ارتحلوا فهبت ريح فاحرقت الكنيسة فغضب النجاشي فقال له أبرهة لا تحزن

مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ولم يكن في الارض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى آخره من الجانبين جميعا ما بين أسوان الى رشيد وسبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شئ والزرع ما بين الجبلين من أول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من اسكندرية الى أسوان بلا زاد في ظل وأشجار وفواكه الى أن يصل الى مدينة أسوان وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال لما خلق الله تعالى آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها سهلها وجبلها وأنهارها وبحارها

فغضب

فحص تهدم الكعبة فطلب أبرهة من النجاشي فيله المعروف بمحمود ومعه عشرة من الفيلة وقيل اثنا عشر وقيل ألف فيل ولما قرب أبرهة من مكة أمر بالغارة على أهل الحرم فأخذ لعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم مائة بعير وانفذ أبرهة رسولا الى عبد المطلب يقول له لم آت لقتال وانما أتيت لهدم هذه البنية فجاء الرسول الى عبد المطلب وبلغه الرسالة فقال عبد المطلب هذا بيت الله وبيت ابراهيم خليله ونحن مالنا يدان نقاتل هذا الملك وتوجه مع الرسول الى أبرهة ودخل عليه بعد ما عرفوه بشرفه فأكرمه أبرهة وعظمه ونزل عن سريره وأجلسه معه على البساط وقال لترجمانه قل له يسأل عن حاجته فقال يرد الملك على الاباعر التي أخذها فقال أبرهة قل له قد زهدت فيك حين أنا جئت لهدم بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم فلم تكلمني فيه وتسألني عن رد مائتي بعير فقال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب يحميه و يمنعه فقال ابرهة ما كان ليمنعني منه فقال دونك فرد عليه ابله فعاد عبد المطلب الى مكة وأمر قومه ان يتفرقوا في رؤس الجبال وأتى الى البيت وحده وأصبح أبرهة بجيشه يقدمهم فيله محمود فبعثه الى نحو الحرم فلم ينبعث فضربوه بالمعول في رأسه فأبى وبرك فوجهوه نحو اليمن فقام وهرول وقد روى ان عبد المطلب أخذ بحلقة باب الكعبة وقال

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت قد عاداك * امنعهم وان يخربوا قراكا

وان عبد المطلب لم يزل آخذا بحلقة باب الكعبة حتى نشأت من قبل اليمن من البحر طير فقال عبد المطلب أرى طيرا ما أعرفها ما هي نجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية اشباه اليعاسيب قد أقبلت يكسع بعضها بعضا امام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت الى الجيش وألقت على رأس كل واحد حصاة فكان الحجر يقع على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل أو الدابة ويغيب في الارض من شدة وقعه وكان يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وأما أبرهة فصارت اعضاؤه تتساقط مثل الأنملة ويتبعها مدة ودم وقيح حتى وصل صنعاء وطائره فوق رأسه وهو لا يشعر حتى أتى النجاشي فقص عليه القصة فلما انتهى ألقى الطائر عليه الحجر فمات بين يدي النجاشي واختلف في قوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل فقال سعيد بن جبير هي طير تعيش بين السماء والارض وتفرخ لها خراطيم الطير وأكف الكلاب وعن عكرمة هي طير خضر خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي كالبلسان وعن عائشة رضي الله عنها هي أشبه شئ بالخطاطيف وقيل السنونو الذي يأوي المسجد الحرام والسنونو بضم السين والنونين نوع من الخطاطيف (فائدة) اذا دخل أحد على من يخاف شره فليقرأ كهيعص حمعسق ويعقد لكل حرف من هذه الحروف العشرة أصبعا من أصابع يديه يبدأ بابهام يده اليمنى ويختم بابهام اليسرى فاذا فرغ من عقد جميع الاصابع قرأ في نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح في كل مرة أصبعا من الاصابع المعقودة فاذا فعل ذلك أمن من شره وهو مجرب عجيب وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر أربعين سنة ويوما بعثه الله رسولا الى سائر الامم من عرب ومن عجم فكان بعد ذلك لا يمر على شجر ولا مدر الا وقال السلام عليك يارسول الله وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل النبوة قال القاضي عياض هو الحجر الاسود وروى عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى الاسلام من أول ما نزل عليه الوحي ثلاث سنين مستخفيا ثم أمر باظهار الدعوة قال صاحب المواهب اللدنية ان مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة من حين النبوة الى حين خروجه منها بضع عشرة سنة ويدل على ذلك قول صرمة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه في الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهي أرض سبخة ذات نخل

وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر رأى أرضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة ورأى جبلا من جبالها مكسوا أنوارا لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة في سفحه أشجار مثمرة فروعها في الجنة تسقى بالرحمة فدعا آدم للنيل بالبركة ودعا لارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في سهلها وجبلها سبع مرات (وعن عبد الله بن سلام) قال مصر أم البركات تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحي الى نيلها في كل عام مرتين عند جريانه يوحي اليه ان الله يأمرك ان تجري فيجري كما يؤمر ثم يوحي اليه ثانيا ان الله يأمرك ان تغيض حميدا

بين لابنين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور فقال قد أخبرت بدار هجرتكم الا وهي يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويترافقون فكان اول من دخل المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة الاسدي ثم قدم بعده عامر بن ربيعة معه زوجته ليلى وهي أول ظعينة قدمت الى المدينة ثم صار القوم يرحلون من مكة أرلا باول ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى رضي الله عنهما ثم اجتمعت قريش ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي امرا الا فيها ويتشاورون ماذا يصنعون في أمره عليه الصلاة والسلام فاجتمع أمرهم على قتله وتفرقوا على ذلك فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد اخضر فخرج صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره احد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال لقد خيبكم الله والله ان محمدا قد خرج عليكم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب وفي رواية أبي حاتم كما صححه الحاكم من حديث ابن عباس ما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي ذلك نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فجهزناهما أحسن جهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة ووقف على المروة ونظر الى بيت الله الحرام وقال والله انك لاحب ارض الله الي ولولا اهلك اخرجوني ما خرجت منك ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها واسفلها فلم يجدوه فشق على قريش خروجه وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در البوصيري حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض * ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه ووده الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

وروى أن أبا بكر رضي الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار جعل طورا يمشي أمامه وطورا يمشي خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ما هذا يا أبا بكر فقال يارسول الله أذكر الرصد فاحب ان أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك احفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر ان الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حافيا فحفي فحمله أبو بكر رضي الله عنه على كاهله حتى انتهى الى الغار فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار قال أبو بكر والذي بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخل فأسبره قبلك فدخل أبو بكر رضي الله عنه فجعل يلتمس بيده الغار في ظلمة الليل مخافة أن يكون فيه شيء يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم ير فيه شيئا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وباتا فيه وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار ولله در القائل

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شيء
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وروى عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه أفضل الصلاة والسلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وفي تاريخ أبي القاسم بن عساكر

فيغيض وان مصر بلدة معافاة واهلها أهل عافية وهي آمنة ممن يقصدها بسوء من أرادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة وكفى بالعسل طعاما وشرابا (وعن كعب) قال في التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من أرادها بسوء قصمه الله (وعن عقبة بن مسلم) يرفعه ان الله يقول يوم القيامة لساكني مصر يعدد عليهم النعم أما أسكنتكم مصر فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها (وقال أبو الربيع السائح) نعم البلد مصر يحج منها بدينارين ويغزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى الاسكندرية وسائر سواحل مصر (وقيل ان يوسف عليه السلام) لما دخل مصر وأقام بها قال اللهم اني غريب

ان العنكبوت نسجت ايضا على عورة زيد بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم لما صلب مر بالسنة احدى وعشرين ومائة وأقام مصلوبا أربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته الى القبلة فأحرقوا الخشبة وجسده وقال ابن خلكان في ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقي انه وقف بالقاهرة على البيتين المشهورين لجماعة من الشعراء وهما

القوفي لظى فان غيرتني * عنك يوما فلست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فقال ابن صابر في جوابهما

أيها المدعي الفخار دع الفخر * لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغار * وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمندفي لهب النار * مزيل فضيلة الياقوت

ومن خواص العنكبوت انه اذا جعل نسجها على الجراحة الطرية في ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم واذا لكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها والعنكبوت الذي ينسج على الكنيف اذا علق على المحموم يبرأ باذن الله وان الله سبحانه وتعالى أمر اليمام فنبتت على فم الغار وحمامتين فعششتا وباضتا وأقبل فتيان قريش بعصيهم وسيوفهم ومعهم كرز بن علقمة القصاص فقص الاثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم الى هنا انتهى الاثر فما أدري بعد ذلك أصعد الى السماء أم غاص في الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف ما تنظرون الى الغار وان عليه لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين وفي الصحيحين عن أنس قال قال أبو بكر نظرت الى أقدام المشركين من الغار على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار والى هذا يشير صاحب البردة رضى الله تعالى عنه بقوله

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق في الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر في الغار ثلاث ليال واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر عبد الله بن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا لبنا أو لحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك فقال أتأذنى لي أن احلبها قالت نعم بأبي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فسمحت وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فحلب فسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب مرة أخرى وبقية قصة أم معبد مذكورة في المواهب اللدنية فمن اراد الاطلاع عليها فليراجعها ثم تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضى الله عنه سراقة بن مالك المدلجي وعلم انهما اللذان جعلت فيهما قريش ما جعلت لمن أتى بهما فركب فرسه وتبعهما ليأخذهما فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله أتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه فطلب الامان وقال

لحبيبها الى كل غريب فضت دعوته فليس يدخلها غريب الا أحب المقام بها وكان بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة (منهم افلاطون) وبطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس (وكان) في الازمنة الاول يذهب الى مصر أرباب العلوم والحكم لتكون أذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء (وولد) بها عدة من الانبياء وهم موسى وأخوه هرون ويوشع ابن نون (ودخل اليها) عيسى وتوجه الى الصعيد ثم أقام بقرية هناك تسمى اهناس (ودخلها أيضا) ابراهيم الخليل ويعقوب ويوسف والاسباط وأرميا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام (ودفن) بها من الصحابة والتابعين جماعة

أعلم ان قدده وتعاملى فادعوالى ولكمان أرد الناس عنكما ولا أضركا فقال سراقة فوقفالى ثم ركبت فرسى حتى جئتهما قال فوقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهما اخبار يد الناس منهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا واجتاز صلى الله عليه وسلم فى طريقه بعد ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شأنه من طريق البيهقى عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير ان هنا شاة حملت عام أول وما بقى لها لبن قال فادع بها فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا الله حتى أنزلت وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك فقال وأراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال أنا محمد رسول الله قال فأشهد أنك نبى وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبى وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فأتنا ولما بلغ المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يغدون كل يوم الى الحرة ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا الانتظار فلما أووا الى بيوتهم وافى رجل من اليهود على اطم من آطامهم لأمر ينتظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى نفسه فنادى بأعلى صوته يابنى قيلة هذا جدكم أى حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف وعن سعيد انه قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين لهلال ربيع الاول وأقام على رضى الله عنه بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين وأقام صلى الله عليه وسلم بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجد قباء على التقوى من أول يوم ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة فى بطن وادى رانوناء براء مهملة ونونين ممدودا وركب راحلته يوم الجمعة متوجها الى المدينة وكان عليه أفضل الصلاة والسلام كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يقولون يارسول الله هلم الى القوة والمنعة أين قول الانصار رضى الله عنهم من قول أهل مكة وقسوتهم واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وهى بلده ومسقط رأسه ولقد أنصف من قال

لاتنكرون لاهل مكة قسوة * والبيت فيها والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى حمته أهل طيبة منهم

لان أهل مكة كانوا يؤذونه فى نفسه ويقصدون نكايته فى أهله فقتلوا أعمامه وعذبوا أصحابه وأخرجوه من أحب البقاع اليه ولما يسر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة ودخلها بغير حدهم وظهرت كلمته فيها على رغمهم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما منحه من الظفر ثم قال لهم لا أقول لكم الا كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ذكر عبد الرحمن بن رجب الحنبلى فى كتابه لطائف المعارف لو قام المذنبون فى الاسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا البرز لهم التوقيع عليها لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يايعقوب الهجر هب ريح يوسف الوصل فلو استنشقت لعدت بعد العمى بصيرا ولوجدت ما كنت لفقده فقيرا نقل الغزى نزيل مكة فى كتابه قال الشيخ مظفر الدين الامشاطى أهل مكة عندهم أنفة وتعاظم وكبر وحسد والكذب فاش بينهم والنميمة والخداع والطمع فيما فى أيدى الناس وبغض الغريب الا أن يكون مع الغريب شئ من الدنيا فهم عبيد له يسلبون ما معه ثم يرمونه بالسوء ويسلقونه بألسنة حداد وأما أهل المدينة فيغلب على أهلها الترحم وحب الغرباء ومواساتهم والاحسان اليهم وفى طبعهم الجود والكرم

كثيرة وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذى اثنى عليه الله فى كتابه وكذا آسية امرأت فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا فى ساعة واحدة مع كثرتهم (وقال المسعودى) ان كل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة على انفرادها (وقال القضاعى) لم يكن فى الارض أعظم من ملك مصر فانها الوزرعت جميعا لوفت بخراج الدنيا بأمرها ويوجد فى مصر فى كل شهر نوع من المأكول أو المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبة ورميس أى خروف أمشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى (والسبع زهرات) التى تجتمع فى أواخر الشتاء فى وقت واحد ولا تجتمع فى

وبعبون

ويحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار خلوا سبيل الناقة فانها مأمورة وقد أرخى زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الانصاري ثم سارت وبركت في مبركها الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غيران تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم اخوال عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر أن بيت أبي ايوب بناه التبع الاول للنبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالمدينة وترك فيها أربعمائة عالم وترك كتابا له صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم فتداوله أصحاب الدور الى أن صار الى أبي أيوب وهو ولد ذلك العالم قال وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من أولاد اولئك العلماء فعلى هذا انما نزل في منزل نفسه لا منزل غيره وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرت به القلوب قال انس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا
مادعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وروى البيهقي عن أنس لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار * ياحبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتحببونني قلن نعم يارسول الله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ان قلبي يحبكم ووعك أبو بكر وبلال بالمدينة فقال بلال اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها ومدها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة وقال صلى الله عليه وسلم ان المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وبهذا تمسك مالك رضي الله عنه في تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث ولم يركب مالك رضي الله عنه ظهر دابة بالمدينة قط ويقول استحي أن أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهري رحمه الله على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبي الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وأقام صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب سبعة أشهر ولما أراد عليه الصلاة والسلام بناء المسجد الشريف قال يابني النجار ثامنوني بحائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعه صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير اداها من مال أبي بكر قال أنس وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فأمر بالقبور فنبشت والخرب فسويت والنخل فقطعت وأمر باتخاذها فاتخذت وبني المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده من خشب النخل وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة على جذع في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وحنين الجذع في السنة الثامنة من الهجرة وجزم ابن سعد بانه عمل في السنة السابعة قال الشيخ بن عبد الله بن النعمان حديث حنين الجذع الذي يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم حنين العشار متواتر رواه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمع الكثير والجم الغفير قال جابر فصاح الجذع صياح الصغير فضمه اليه وفي بعض الروايات والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا

غيرها من البلاد وهي الترمس والبنفسج والورد النصيبي والهليون وزهر النارنج والياسمين والنسرين وأن أهل مصر الغالب عليهم الافراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحالات وفي أخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملق ومكر وخداع ولا ينظرون في عواقب الامور وعندهم قلة الصبر في الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالامور المستقبلة قبل أن تقع ويقال مصر باقوالها ذكر ذلك في جواهر البحور (وأول من سكن مصر شيث بن آدم عليهما السلام) وذلك ان أباه آدم أوصى له فكان فيه وفي بنيه النبوة والدين وأنزل الله عليه تسعا وعشرين صحيفة وجاء الى أرض مصر

حدث بهذا الحديث بكى وقال ياعباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه ونظم بعضهم ذلك فقال

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا

فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ما تعودا

وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود أكثرها يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الآية قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وعن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبى وقاص يقول صلى صلى الله عليه وسلم بعدما قدم المدينة ستة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم حول بعد ذلك الى المسجد الحرام قبل بدر بشهرين قال الزهرى صرفت القبلة نحو المسجد الحرام لرجب على رأس ستة عشر شهرا من مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها أى ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فأنزل الله فى جوابهم قل لله المشرق والمغرب أى الحكم والتصرف كله لله فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة فى امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم الى جهات متعددة فنحن عبيده وفى تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا وقيل قالت اليهود اشتاق الى بلد أبيه وهو يريد أن يرضى قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبى الذى ننتظر أن يأتى فانزل الله تعالى وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعنى اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهكم اليها بما فى كتبهم عن أنبيائهم (فائدة) فى ذكر نزول جبريل عليه السلام على الرسل عليهم الصلاة والسلام نزل على آدم اثنى عشرة مرة ونزل على ادريس أربع مرات ونزل على نوح خمس مرات ونزل على ابراهيم اثنتين وأربعين مرة مرتين فى صغره ونزل على موسى أربع عشرة مرة ونزل على عيسى عشر مرات ثلاثا فى صغره ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة ذكر ذلك ابن عادل فى تفسيره فى سورة النحل عند قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره وروى ان جبريل عليه السلام نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرض موته فقال يا جبريل هل تنزل من بعدى فقال نعم يارسول الله أنزل عشر مرات ارفع العشر جواهر من الارض قال يا جبريل وما ترفع منها قال الاول أرفع البركة من الارض الثانى أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الاقارب الرابع أرفع العدل من الامراء الخامس أرفع الحياء من النساء السادس أرفع الصبر من الفقراء السابع أرفع الورع والزهد من العلماء الثامن أرفع السخاء من الاغنياء التاسع أرفع القرآن العاشر أرفع الايمان وقيل ان عدة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر نبيا مرسلا والمذكور منهم فى القرآن باسمه العلم ثمانية وعشرون ومنهم من لم يكن مرسلا وبعضهم كان يوحى اليه فى المنام وبعضهم كان يسمع الصوت من الملك من غير ان يرى شخصه (نبذة فى أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام) روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم طوله ستون ذراعا وأنزل عليه تحريم الميتة والدم وحروف المعجم فى احدى وعشرين صحيفة وفيها ألف لغة وعلمه ألف حرفة وخلق حواء من ضلع آدم فى آخر النهار من يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض وأنزل معه الحجر الاسود وعصا موسى وكانت من آس الجنة وعاش ألف عام ومرض أحد عشر يوما وقبض يوم الجمعة وصلى عليه شيث وفى رواية كان طوله ستين ذراعا فى عرض سبعة أذرع وأنزل الله عليه الكلمات الوجودية والعدمية وعلمه سبعين ألف باب من العلم ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلف فى موضع قبره فقال أبو الشيخ دفن فى مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة فى غار أبى قبيس وهو غار يقال له غار الكنز وقال

وكانت تدعى بأيلون فنزلها هو وأولاد أخيه قابيل فسكن شيث فوق الجبل وسكن أولاد أخيه قابيل اسفل الوادى (واستخلف شيث) ولده أنوش (واستخلف أنوش) ابنه قينان (واستخلف قينان) ابنه مهلاييل (واستخلف مهلاييل) ابنه يزد ودفع الوصية اليه وعلمه جميع العلوم وأخبره بما يحدث فى العالم ونظر فى النجوم وفى الكتاب الذى نزل على آدم (وولد ليزد) اخنوخ وهو هرمس أى ادريس عليه السلام (وكان) الملك فى ذلك الوقت تبليل ونبئ ادريس عليه السلام وهو ابن أربعين سنة وأراده الملك بسوء فعصمه الله وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ودفع اليه أبوه وصية جده والعلوم التى عنده وولد بمصر وخرج منها وطاف الارض كلها

ابن عباس دفن ببلاد الهند فى موضع يقال له بوزيا فلما كان أيام الطوفان حمله نوح عليه السلام ودفنه
ببيت المقدس وقال عروة لما مات آدم عليه السلام وضع بباب الكعبة وصلى عليه جبريل والملائكة
ودفن فى مسجد الخيف وقد روى ان الله تعالى أتحف آدم بثلاث تحف على يد جبريل عليه السلام
بالعقل والحياء والدين وقيل له يا آدم اختر أيتهن شئت فألهمه الله ان اختار العقل فقيل للحياء والدين
ارتفعا فقالا أمرنا أن لا نفارق العقل وقد روى ان الله تعالى لما خلق آدم قال له من أنت قال أنت أعلم
يارب فقال أنت انسان فقال وما الانسانية يارب قال اطلاق الوجه وحلاوة اللسان وبسط اليدين والخلق
الحسن قال صاحب البردة رحمه الله يشير الى النبى صلى الله عليه وسلم بالخلق الحسن

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

وفى الحديث ان حسن الخلق معلق بسلسلة فى باب الجنة مربوطة بصاحبه يذهب صاحبه كل مذهب فلا
تزال به حتى ترده الى الجنة وان سوء الخلق معلق بسلسلة فى باب جهنم مربوطة بصاحبه فلا تزال به حتى
تدخله النار فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا روى
الحسن عن أبى الحسن عن جد الحسن انه قال ان أحسن الحسن الخلق الحسن (شيث عليه السلام) نبى
مرسل وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وهو أول من بنى الكعبة بالطين والحجر وعاش سبعمائة سنة وعنه
أخذت الشريعة * ادريس عليه السلام نبى مرسل أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ولد بمصر وهو أول من خط
بالقلم وأول من خاط الثياب وأول من بنى الهيا كل ومجد الله فيها وفى عصره انتهت اليه الرياسة فى علم
النباتات واسرار الحروف وغير ذلك من الحقائق الحكمية والادوار الفلكية وهو أول من رتب الناس
على ثلاث طبقات كهنة وملوك ورعية ورفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة سنة وعشرين سنة * نوح عليه
السلام ابن لامك بن متوشلخ بن ادريس نبى بعث بعد ادريس وهو ابن خمسين سنة أو أربعين سنة وهو أول
من قسم الارض بين أولاده فاما سام فأعطاه بلاد الحجاز واليمن والشام وهو أبو العرب والفرس والروم
وأما حام فأعطاه بلاد المغرب وهو أبو السودان والبربر والقبط وأما يافث فأعطاه بلاد المشرق وهو أبو
يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما وكان طول السفينة ثلثمائة
ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وجعل لها ثلاث طبقات فجعل فى أسفلها الدواب
والوحش وفى وسطها الانس وفى أعلاها الطير وروى انه كان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا
أراد ان ترسو قال بسم الله فرست وعاش بعد الغرق خمسين سنة * هود عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى
عاد بن صفوان بن سام وبعثه الى ثمود فكذبوه فأهلكهم الله بالصواعق والزلزلة وعاش ثمانمائة وخمسين
سنة * حنظلة بن صفوان عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى أصحاب الرس فقتلوه وأحرقوه بالنار فمسخهم
الله حجارة * ابراهيم الخليل عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى نمرود بن كنعان فأهلكه الله ببعوضة
قال أبو الحسن الماوردى ابراهيم بالسريانية أب رحيم وأنزل عليه عشر صحائف وهو أول من قاتل
بالسيف وأول من اختتن وأول من لبس السراويل وأول من جز شاربه وأول من قص أظافيره وأول من
رأى الشيب وأول من أضاف الضيوف وأول من ثرد الثريد وعاش مائة وخمسا وسبعين سنة ودفن عند
قبر سارة بمزرعة حبرون بالحاء المهملة * ذو القرنين كان فى زمن ابراهيم عليه السلام قال عكرمة كان
ذو القرنين نبيا وقال على بن أبى طالب كان عبدا صالحا وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان له مربع مائة
فى مائة موضوع على لوائه وبه افتتح أقاليم البلاد وقال المفسرون ملك الدنيا مؤمنان ذو القرنين وسليمان
وكافران بختنصر ونمرود بن كنعان (توضيح) الاسكندر اثنان رومى وهو صاحب الخضر ويونانى وهو
صاحب ارسطو وأيضا دانيال اثنان الاكبر وهو الذى حفر الدجلة والفرات وكان أنفه ذراعا وهو بعد
نوح عليه السلام ودانيال الاصغر وهو بعد سليمان ولقمان اثنان العادى وهو فى زمن ذى الحكم
ولقمان الثانى وهو فى زمن داود عليه السلام روى انه لما هلكت عاد بقى لقمان بالحرم فقال يارب
أعطنى عمر سبعة أنسر وكان يعيش النسر ثمانين سنة فلما مات النسر السابع مات لقمان وموسى اثنان

ورجع ودعا الخلق الى الله
تعالى فاجابوه وأطاعه
ملك مصر وآمن به فنظر فى
تدبير أمرها وكان النيل
يأتيهم سيحا فينحازون
عن مسيله الى أعالى الجبال
والاراضى العالية حتى
ينقص فينزلون ويزرعون
حيثما وجدوا فى الارض
تربة وكان يأتى فى وقت
الزراعة وفى غير وقتها فلما
جاء ادريس جمع أهل
مصر وصعد بهم الى أول
مسيل اليها ودبر وزن
الارض ووزن الماء على
الارض وأمرهم باصلاح
ما أراد من خفض المرتفع
ورفع المنخفض وغير ذلك مما
رأى فى علم النجوم والهندسة
والهيئة وكان أول من تكلم
فى هذه العلوم وأخرجها
من القوة الى الفعل ووضع
فيها الكتب ورسم فيها
التعليم ثم سار الى بلاد
الحبشة والنوبة وغيرها
وجمع أهلها وزاد فى مسافة

موسى بن ميشا و موسى بن عمران وهو صاحب فرعون ❊ لوط عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى اهل سدوم فكذبوه فأهلكهم الله بحجارة من سجيل وعاش ثمانين سنة ❊ اسماعيل عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى العمالقة وهو أول من ركب الخيل ومن ولده قيدار وعاش مائة وثمانين سنة ❊ اسحق عليه السلام نبي مرسل ولد بعد اسماعيل عليه السلام بثلاث عشرة سنة وولد اسحق العيص ويعقوب وهو ابن ستين سنة فاما العيص فانه تزوج بنت عمه اسمعيل عليه السلام فولدت الروم وصار وا ملوك الارض واليونان من ولده وعاش مائة وثمانين سنة وتوفى بفلسطين ودفن عند قبر أبيه بمزرعة حبرون ❊ يعقوب عليه السلام نبي مرسل وهو اسرائيل الله وعاش مائة وسبعة وعشرين سنة ❊ يوسف عليه السلام نبي مرسل وهو أول من صنع القرطاس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وعاش مائة وعشرين سنة بمصر ❊ أيوب عليه السلام نبي مرسل وكان روميا من أولاد عيص بن اسحق استنبأه الله سبحانه وتعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثمان عشرة سنة أو ثلاث عشرة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات روى ان امرأته قالت له يوما لو دعوت الله سبحانه وتعالى ان يشفيك فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله سبحانه وتعالى ان أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وعاش ثلاثا وتسعين سنة وكان في ضيافته أربعون ألف وكيل ❊ شعيب عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أهل مدينته فكذبوه فأهلكهم الله بالصيحة وهو خطيب الانبياء عاش مائة وأربعين سنة وقبره بالمسجد الحرام قبالة الحجر الاسود ❊ موسى عليه السلام نبي مرسل أرسله الله تعالى وأخاه هرون عليهما السلام الى فرعون فكذبهما فاغرقه الله وجنوده في اليم وأنزل على موسى عشر صحائف التوراة في ألواح الزمرد وهي ألف سورة في كل سورة ألف آية روى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كلم الله موسى مائة ألف وعشرين ألفا وثلثمائة وثلاث عشرة كلمة وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة وقبره عند الكثيب الاحمر بفلسطين وعاش هرون مائة وعشرين سنة ومات قبل موسى بثلاثين سنة في التيه ❊ الخضر عليه السلام قيل انه نبي من الانبياء وقيل انه ولي من أولياء الله تعالى ❊ يوشع بن نون عليه السلام نبي مرسل بعثه الله بعد موسى عليه السلام ورد الله له الشمس في قتال الجبارين على مدينة أريحاء وهو الذي أرسل الله تعالى على قومه ظلة فمات منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا وعاش مائة وعشرين سنة ❊ كالب بن يوقنا عليه السلام قيل انه نبي وقيل انه ولي ❊ حزقيل عليه السلام قيل انه نبي بعثه الله الى بني اسرائيل وهو حزقيل بن بورى الذي أحيا الله القوم الذين خرجوا من ديارهم بعد موتهم بدعائه ولاجله قال عطاء الخراساني كانوا اربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو مالك ثمانين ألفا وقال ابن جرير أربعين ألفا وقال ابن أبي رباح سبعين ألفا ❊ الياس عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى بني اسرائيل وأعطاه الله قوة سبعين نبيا وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا ❊ اليسع بن عدى بن سوار بن افرائم ابن يوسف الصديق بعثه الله بعد الياس عليه السلام الى بني اسرائيل وعاش خمسا وسبعين سنة ❊ ذوالكفل عليه السلام بعثه الله بالشام وهو من أولاد أيوب عليه السلام قال أبو موسى الاشعرى ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا وقيل هو الياس وقيل هو زكريا ❊ شمويل عليه السلام ابن بالى بن علقمة بن حام أرسله الله الى بني اسرائيل ومعناه بالعبرانية اسمعيل وهو الذى أقام لطالوت الملك ❊ داود عليه السلام نبي مرسل أنزل الله عليه الزبور بالعبرانية وهي مائة وخمسون سورة وألان له الحديد ولم يعط أحد من الخلق مثل صوته وكان لا يأكل الامن عمل يده وهو أول من قال أما بعد قال ابن عباس رضى الله عنهما كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثون ألفا وكان عمر داود مائة سنة وشيع جنازته أربعون ألف راهب وكان الانس والجن يستمعون لحسن قراءته اذا قرأ الزبور وكذلك

جرى النيل ومات ادريس بمصر كذلك في حسن المحاضرة وقيل رفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة وعشرين وقيل وستين سنة وقد ملك مصر بعده أربعة وثلاثون فرعونا أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم أعتى ولا أشر من فرعون موسى ❊ قال وهب ابن منبه كان فرعون موسى قصيرا قيل كان طوله ستة أشبار وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع (وقال قتادة) الفراعنة ثلاثة أولهم سنان بن الاشل صاحب سارة كان في زمن الخليل بمصر (الثاني) الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف (الثالث) الوليد بن مصعب فرعون موسى وهو مات وتك عات فرعون والعتاة الفراعنة انتهى وكان من جملة الفراعنة الذين ملكوا

الوحوش والطيور يستمعون وكان يحمل من مجلسه فى بعض الاوقات أربعمائة جنازة ممن قد مات فى مجلسه من لذة سماع صوته وحسن قراءته * سليمان عليه السلام نبي مرسل قال كعب بن محمد القرظى كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ وخمسة وعشرين فرسخا الانس ومثلها الجن ومثلها الوحوش ومثلها الطير وهو أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأول من دخل الحمام وأول من صنع له النورة وكان حرس سليمان ستمائة ألف وكان له ألف بيت من قوارير على خشب فيها ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فى مطبخ سليمان مائة ألف رحل وكان يذبح له كل يوم ألف شاة وثلاثون ألف بقرة وكان يأكل الشعير ويلبس الصوف وعاش ثلاثا وخمسين سنة فبينما هو متكئ على عصاه فمات فدفن على ساحل بحيرة طبرية * لقمان الحكيم ابن باعور ابن أخت أيوب عاش خمسمائة وخمسين سنة واختلف فى نبوته فقال عكرمة كان نبيا وقال حذيفة كان عبدا صالحا وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل وقيل كان عبدا أسود نوبيا من سودان مصر وقيل كان خياطا أو نجارا أو راعى غنم وقد أخذ الحكمة عن ألفى نبي وقبره ما بين مسجد الرملة وسوقها وفيه قبر سبعين نبيا وكان داود عليه السلام يقول يا لقمان لقد أوتيت الحكمة وصرفت عنك النقمة (فائدة) المعمرون شيث عليه السلام عاش سبعمائة سنة نوح عليه السلام لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الغرق خمسين عاما ابراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين عاما اسمعيل عليه السلام عاش مائة وثمانين عاما وكذلك اسحق عليه السلام يعقوب عليه السلام عاش مائة وسبعين عاما يوسف عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما شعيب عليه السلام عاش مائة وأربعين عاما موسى عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما وكذلك هرون عليه السلام وكذلك يوشع عليه السلام لقمان عاش خمسمائة وستين عاما المستوعر بن زيد عاش ثلثمائة وثلاثين عاما معديكرب الحميرى عاش مائة وخمسين عاما عامر بن الظرب عاش ثلثمائة عام وكذلك اكتم بن صيفى وكان من حكماء العرب وادرك الاسلام واختلف فى اسلامه قس بن ساعدة الايادى عاش ستمائة عام وكان من عقلاء العرب وشعرائهم وهو أول من أقر منهم بالبعث وأول من قال فى الخطبة اما بعد دريد بن الصمة عاش دهرا طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنينا عبيد الجرهمى عاش مائة وعشرين سنة معاذ بن مسلم عاش مائة وخمسين عاما صحب بنى مروان وفيه يقول الشاعر

قل لمعاذ اذا مررت به * قد ضج من طول عمرك الابد

رجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار الانبياء * يونس عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أهل نينوى قرية بمصر وهو ابن أربعين عاما فالتقمه الحوت فمكث فى بطنه ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعين يوما * شعياء عليه السلام من أنصنا بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وهو الذى بشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم * أرمياء عليه السلام نبي بعثه الله الى بنى اسرائيل فكذبوه فأرسل لهم بختنصر فخرب بيت المقدس وأحرق التوراة وقتل من بنى اسرائيل سبعين ألفا واسر سبعين ألف غلام وذهب بهم الى بابل وفيهم دانيال وحزقيل النبى عليهما السلام وسبعة آلاف من آل داود عليه السلام * عزير عليه السلام بن شريق عليه السلام أماته الله وهو ابن أربعين سنة وأماته مائة عام ثم بعثه وهو ابن مائة وأربعين سنة وقيل ابن مائة وعشرين سنة واحيا حماره * دانيال عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى بنى اسرائيل وهو من آتاه الله الحكمة والنبوة وألقاه بختنصر فى اتون الحمام فلم يحترق وبه أنقذ الله بنى اسرائيل من أرض بابل وقبره بالسوس * زكريا عليه السلام بعثه الله الى بنى اسرائيل فقتلوه وكان نجارا * يحيى عليه السلام روى انه كان نجارا وفهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين أو سبع وقتل بدمشق واسم المرأة التى قتلته أرميل وانها قتلت سبعين نبيا آخرهم يحيى عليه الصلاة والسلام قال سعيد بن المسيب لما دخل بختنصر دمشق رأى دم يحيى عليه السلام يفور فقتل عليه سبعة وخمسين ألفا وقد بعث الله بين موسى وعيسى ألف نبي من بنى اسرائيل * عيسى عليه السلام نبي

مصر سبعة من الكهان لهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الاول) اسمه صبلم وهو أول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وأنثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل استمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين فان كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثانى) اسمه اعشامش من أعماله العجيبة انه عمل ميزانا فى هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها فصوصا فاذا حضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما فى كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم (الكاهن الثالث)

مرسل بعثه الله على رأس ثلاثين سنة من عمره فكذبوه فرفعه الله الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنزل عليه الانجيل باللغة السريانية وهو كلمة الله وأمه مريم بنت عمران وهو من أولى العزم المرسلين واحيا الله له سام بن نوح عليه السلام بعد أربعة آلاف سنة قال كعب بعث الله بعد عيسى ابن مريم رسولين من الحواريين من مدينة انطاكية حبيب النجار وهو ثالث الرسل وقبره بانطاكية شمعون ومن زمن هبوط آدم عليه السلام من الجنة الى رفع عيسى عليه السلام خمسة الاف وخمسمائة وخمسون سنة وكانت الفطرة التي لم يبعث فيها رسول أربعمائة وأربعا وثلاثين سنة (فائدة) لا بأس بذكرها وهو ان الصفى الحلى صحف اسم عيسى عليه السلام

سألت الحب ما اسمك وهو ظبي * من العرب الكرام فقال عيسى

فقلت له انتسبت لأى قوم * تكون من الكرام فقال عبسى

فقلت وما صنيعك في البوادى * لتحصيل الحطام فقال عشبى

فقلت وما انيسك في الفيافى * بآناء الظلام فقال عيسى

فقلت وعم تسئل كل غاد * يرحل الدوام فقال عنسى

فقلت ولم عصيت نصيح حب * دعاك الى المقام فقال عيشى

فقلت لقد سلبت القلب منى * بلحظك والقوام فقال عسنى

فقلت عساك تسمح لى بوصل * أيا بدر التمام فقال عسى

فقلت وما الذى يدعوك حتى * تجافى بالكلام فقال عيبتى

فقلت له صدقت وأى شئ * تقول على النظام فقال غيبتى

فقلت عن أعيش وأنت سؤلى * وتجهد بالغرام فقال عشبى

وذيله الشهاب الحجازى بما أخل به الصفى الحلى من الالفاظ المصحفة فقال

فقلت أراك ياسؤلى طروبا * لانشاد النظام فقال غنيتى

فقلت أراك حيرانا ذهولا * فاتسأل هديت فقال عنيتى

فقلت من الهوى حملت ثقلا * عياحلنيه فقال عييتى

فقلت ولا أريد سوالك فاعطف * على فقرى اليك فقال غنيتى

فقلت أراك ذا نظر لدود * تنفذ بالقوام فقال عبثتى

فقلت فنيت في حبك فارحم * وداوى ذا السقام فقال عنيتى

فقلت معاتبا فاحمر خدا * لماذا الاحمرار فقال عتبتى

فقلت ملاطفا من أى شئ * تمايل ذا القوام فقال عنتنى

(فائدة) أول من تكلم بالتصحيف في الاسلام الامام على رضى الله عنه من ذلك قوله كل عنب يغطيه الكرم الاعنب الذئب معناه كل عيب يغطيه الكرم الاعيب الدين ومنه فجم عشق يحيى معناه فجم عسق نجى رجعنا الماضى بصدده (لاحقة) في ذكر جماعة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دراوست الفارسى عليه السلام هو نبي وقيل ولى من عباد الله الصالحين وهو من أهل فلسطين بعثه الله الى قوم يعبدون الأصنام ودعاهم الى الله سبعين مرة * شمويل وخرقال وشمعون وجيعون من أنبياء بنى اسرائيل * خالد بن سنان العبسى كان في الفطرة عليه السلام وله

شهيد على أحمد أنه * رسول من الله بارئ النسم

فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيراله وابن عم

محمد رسول الله وقد تقدم الكلام على بعثته ومقامه بمكة وهجرته ولما استقر عليه أفضل الصلاة والسلام بالمدينة المنورة واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصرته وصارت المدينة لهم دار اسلام شرع الله له جهاد الاعداء فكان مقامه صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى حين وفاته عشر سنوات وفي سنة ست من الهجرة

عمل مرآة من المعادن ينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب منها وما أجدب وما حدث من الحوادث

الاسم
نسبة الى عبس
من تجميع العشب
العيس الابل
العنس المرأة
العس الطول
أصله عسى
من العيب
من الغيبة
من العيشة

من الغناء
من بقى
من الاعياء
من الغناء ضد الفقر
من العبث
من العناية
من العتاب
من تنقى

كاتب النبي صلى الله عليه وسلم المقوقس ودعاه الى الاسلام وكان الرسول اليه حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ذكر البيضاوى فى تفسيره فى أول سورة الممتحنة فى قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء نزلت فى حاطب المذكور فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يغزو أهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بنى عبد المطلب فنزل جبريل عليه السلام وأخبره بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمت فجحدت فسل على عليه السيف فأخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى اهلى فأردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره رجعنا الى ما نحن بصدده فلما انتهى حاطب الى الاسكندرية وجد المقوقس فى مجلس مشرف على البحر فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم بين أصبعيه فأمر المقوقس بحمل حاطب فلما وصل اليه ناوله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبى صلى الله عليه وسلم الذى نجد نعته وصفه فى كتاب الله وانا لنجد صفته أنه لا يجمع بين أختين فى زواج وأنه لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية وأن جلساءه المساكين وان خاتم النبوة بين كتفيه ثم قرأ الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فلما أتم المقوقس قراءة الكتاب أخذه فجعله فى حق من عاج وختم عليه وأرسل ليلا أخذ حاطبا عنده وليس عنده أحد الا ترجمانه فقال له ألا تخبرنى عن أمور أسألك عنها فانى أعلم ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك فقال حاطب لا تسألنى عن شئ الا صدقتك فيه فقال الام يدعو محمد فقال ان تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتخلع ما سواه ويأمر بالصلاة فقال كم تصلون فقال خمس صلوات فى اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت الحرام والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم قال من أتباعه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل يقتل قومه قال نعم قال صفه لى بصفته قال فوصفه بصفة من صفاته قال بقى اشياء لا أراك ذكرتها فى عينيه حمرة قلما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزى بالتمرات والكسر لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم قلت نعم هذه صفاته قال كنت أعلم أن نبيا قد بقى وكنت أظنه يخرج من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء من قبله فأراه قد خرج فى العرب فى أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعنى فارجع الى صاحبك ثم دعا بكاتب يكتب بالعربية فكتب أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقى وكنت أظنه يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكانة فى القبط وهى مارية وأختها شيرين وخصيا قال له مابور وبغلة وحمارا وعسلا وقباطى من قباطى مصر وكان الذى بعثه المقوقس مع الهدية شخصا اسمه جبيرا القبطى فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الهدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية فلما نظر الى مارية وأختها أعجبتاه وكره ان يجمع بينهما فقال اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية فاسلمت وآمنت ومكثت أختها ساعة وأسلمت ووهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن سلمة الانصارى رضى الله عنه ولم تزل مصر فى يد المقوقس مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنه وفتحت مصر فى سنة تسع عشرة من الهجرة روى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم الجابية خلا به عمرو بن العاص وقال يا أمير

وعمل فى وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كأنها ترضعه فان امرأة أصابها وجع فى جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فتبرأ من ساعتها (الكاهن الرابع) عمل شجرها أغصانها من حديد بخطاطيف اذا قرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه وعمل صنما من كدان أسود وسماه عبد رحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سنين (الكاهن الخامس) عمل شجرة من نحاس فشكل وحش وصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس لحما فى أيامه وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن يساره

المؤمنين أن تأذن لى بالمسير الى مصر فانك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى أكثر أهل الارض أموالا وأعجزهم حربا وقتالا فتخوف عمر رضى الله عنه على المسلمين فلم يزل يعظم أمرها عنده حتى ركن لذلك عمر رضى الله عنه فعقد له على أربعة آلاف رجل وقال له سر وامض واستعن بالله واستنصره فسار عمرو حتى نزل العريش وهو من حدود أرض مصر ثم سار حتى وصل قريبا من مصر فقاتله المقوقس قتالا شديدا فكتب عمرو بن العاص الى سيدنا عمر بن الخطاب يستنجده فامده باثنى عشر الفا منهم أربعة قوموا بأربعة آلاف وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمة بن مخلد فوصلوا اليه وأحاطوا بالحصن فنصب عمرو رضى الله عنه الفسطاط وهو البيت الذى من الشعر قاموا على باب الحصن سبعة أشهر فلما رأى المقوقس ذلك نزل فى سفينة كانت بباب الحصن وهو قصر الشمع ومعه أهل القوة فلحق بالجزيرة وهى الروضة وسأل فى الصلح فبعث اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه عبادة بن الصامت والمقداد بن الاسود فسأله المقوقس عن القبط والروم وجعل الخيار له فى الصلح الى أن يوافى كتاب ملكهم عما يكون وأن القبط يعطون عن كل بالغ من الرجال دينارين فكان عددهم يوم الصلح ستة آلاف نفس وأن عليهم الضيافة للوارد ثلاثة أيام وذلك فى سنة ثمان عشرة من الهجرة ثم ان المقوقس توجه الى الاسكندرية وفى سنة تسع عشرة من الهجرة هلك ملك الروم وفتحت الاسكندرية وقت الظهر يوم الجمعة مستهل محرم سنة عشرين وذلك بعد ان حوصرت أربعة عشر شهرا وقتل من المسلمين ثلاثة عشر رجلا والله تعالى أعلم

فاذا دخل أحد فان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر بكى الصنم الذى عن يسار الباب (الكاهن السادس) عمل درهما اذا ابتاع صاحبه شيأ اشترط على البائع ان يزن له بزنته من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ما وجد من الصنف الذى يريد شراءه لا يعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية (الكاهن السابع) كان يعمل أعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم فاقام مدة ثم غاب فاقاموا بلا ملك الى ان رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فاعلمهم أنه لا يعود اليهم وان يولوا فلانا بعده (وسبب تولية الوليد)

﴿الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه﴾

روى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحوض اربعة أركان ركن منه فى يد أبى بكر والثانى فى يد عمر والثالث فى يد عثمان والرابع فى يد على فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على ومن أحسن القول فى أبى بكر فقد أقام الدين ومن أحسن القول فى عمر فقد أوضح السبيل ومن أحسن القول فى عثمان فقد استنار بنور رب العالمين ومن أحسن القول فى على فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن أحسن القول فى أصحابى فهو مؤمن ومن ساء القول فى أصحابه فهو منافق ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم متوكئا على أبى بكر وعمر وهو يقول هكذا نحيا وهكذا نموت وهكذا ندخل الجنة وروى محمد بن آدم قال رأيت بمكة اسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذى أخرجك عن دين آبائك فقال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذلك قال كنت فى البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل الامواج تدفعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر بها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من الشجر وأشرب من هذا النهر حتى يقضى الله بامره فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الوحش فطلعت على شجرة فنمت على غصن من أغصانها فلما كان فى جوف الليل واذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبى المختار أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار عمر الفاروق فتح الامصار عثمان القتيل فى الدار على سيف الله على الكفار فعلى مبغضيهم لعنة العزيز الجبار ومأواهم النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الموفق السديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد على بن أبى طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضيهم لعنة الملك المجيد ثم أقبلت الى البر فاذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسى الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح وقالت ياهذا قف والا تهلك فوقفت فقالت ما

دينك فقلت دين النصرانية فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حلت بفنائه قوم من مسلمي الجن
لا ينجو منهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام فقالت تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
فقلتها فقالت اتمم اسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم فقلت ومن أتاكم
بذلك فقالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتي الجنة
فتنادي بلسان طلق فصيح الهي قد وعدتني ان تشد أركاني فيقول الجليل جل جلاله قد شددت
أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة أتريد المقام ههنا أم
الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى أهلي فقالت اصبر حتى تمر مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب
أقبلت تجري فلوحت اليهم فدفعوا الى زورقا فنزلت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر ألف
رجل كلهم نصارى فقالوا ما الذي جاء بك الى ههنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا كلهم وأسلموا عن آخرهم
ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعنه حكي) عن عبد الواحد بن زيد قال كنت في مركب فطرحتنا
الريح الى جزيرة فاذا فيها رجل يعبد صنما فقلت له يا رجل من تعبد فأومأ الى الصنم فقلت ان معنا في
المركب من يسوي مثل هذا ليس هذا باله يعبد قال فأنتم من تعبدون قلنا الله قال وما الله قلنا الذي في
السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي الاحياء والاموات قضاؤه قال كيف علمتم بذلك قلنا
وجه الينا هذا الملك رسولا كريما فأخبرنا بذلك قال فما فعل بالرسول قلنا لما أدى الرسالة قبضه الله اليه
قال فهل ترك عندكم علامة قلنا ترك عندنا كتاب الملك قال أروني كتاب الملك ينبغي ان تكون كتب
الملوك حسانا فأتيناه بالمصحف فقال لا أعرف هذا فقرأنا عليه سورة من القرآن فلم نزل نقرأ عليه وهو يبكي
حتى ختمنا السورة فقال ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى ثم أسلم وحملناه معنا وعلمناه شرائع
الاسلام وسورا من القرآن وكنا حين جن الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال لنا يا قوم هذا الاله
الذي دللتموني عليه اذا جن الليل ينام قلنا يا عبد الله هو حي قيوم لا ينام قال بئس العبيد أنتم تنامون
ومولاكم لا ينام فأعجبنا كلامه فلما قدمنا عبادان قلت لاصحابي هذا قريب عهد بالاسلام فجمعنا له
دراهم وأردنا اعطاءه اياها فقال ما هذا فقلنا نفقة تنفقها فقال لا اله الا الله دللتموني على طريق ما
سلكتموها أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنما من دونه ولم يضيعني فيضيعني وأنا أعرفه فلما كان في
بعض الايام قيل لي انه في الموت فأتيته فقلت هل لك من حاجة فقال قضى سوابقي من جاء بكم الى الجزيرة
قال عبد الواحد فغلبتني عيني فنمت عنده فرأيت مقابر عبادان روضة وفيها قبة وفي القبة سرير عليه
جارية لم ير أحسن منها فقالت سألتك بالله الا ما عجلت به فقد اشتد شوقي اليه فانتبهت فاذا به قد فارق
الدنيا فقمت اليه فغسلته وكفنته وصليت عليه وواريته فلما جن الليل غت فرأيته في القبة مع الجارية
وهو يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

﴿خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه﴾

اسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب التيمي القرشي يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه سلمى بنت
صخر بن عامر بن سعيد بن تيم بن مرة ماتت مسلمة قيل كان اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد رب الكعبة
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وانما سمي عتيقا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن
ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة
بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وأيام وكان أبيض اللون خفيف العارضين بويع له في شهر ربيع الاول
سنة احدى عشرة من الهجرة فجلس على المنبر وخطب الناس فقال أيها الناس قد وليت أمركم ولست
بخيركم انما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني فان الصدق أمانة
والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوي فيكم عندي

ابن مصعب الذي هو فرعون
موسى على مصر كما أخرجه
ابن عبد الحكم ان ملك
مصر لما توفي تنازع الملك
جماعة من أبناء الملك ولم
يكن للملك عهد لاحد ولما
اشتد الامر بينهم تداعوا
الى الصلح فاصطلحوا على ان
يحكم بينهم أول من يطلع من
سفح الجبل فطلع فرعون
بين عدلي نطرون على
حمار أقبل بهما ليبيعهما
فاستوقفوه وقالوا انا
جعلناك حكما بيننا فيما
تشاجرنا فيه من الملك وآتوه
مواثيقهم على الرضا فلما
استوثق منهم قال اني رأيت
ان أملك نفسي عليكم فهو
أذهب لضغائنكم وأجمع
لأموركم والامر من بعد
اليكم فأمروه عليهم وأقعدوه
في دار الملك عنف فأرسل
الى كل صاحب أمر رجلا
منهم فوعده ومناه أن
يملكه على ملك صاحبه ليلة

ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع الجهاد قوم فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله ثم قام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس كنت قلت لكم مقالة ما كانت فى كتاب الله عز وجل ولا كانت عهدا عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا ولا كانت عن أرى ان الله عز وجل قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين فى الغار قوموا بنا فبايعوه فقام الناس الى مبايعته عامة ولما بايع على رضى الله عنه أبا بكر اعتنقا وتباكيا وسر المسلمون بذلك فقال أبو سفيان بن حرب أرضيتم يا بنى عبد مناف ان تليكم تيم وان يلى أمركم ابن أبى قحافة والله لئن شئتم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا فقال على رضى الله عنه يا أبا سفيان ان المسلمين قد نصح بعضهم لبعض ولولا ان رأينا أبا بكر أهلا لها ما بايعناه ﴿نبذة﴾ فى فضائله رضى الله عنه منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فى مرض موته بتجهيز اسامة بن زيد فى سبعمائة بطل لغزو الروم وانه أمير عسكره وذلك فى يوم الاثنين لاربع بقين من شهر صفر سنة احدى عشرة وقال له سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش واغد صباحا على أهل ابنى وحرق عليهم وأسرع السير فان ظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع فلما كان يوم الاثنين بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوجع حم وصدع فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء بيده لاسامة ثم قال اغز باسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة ابن الحصيب الاسلمى فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ولئن طعنتم فى امرتى أسامة فلقد طعنتم فى امرتى أباه من قبله وأيم الله ان كان أبوه لخليقا للامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول انفذوا بعث أسامة فلما كان يوم الاحد اشتد الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل أسامة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مغمور فطأطأ أسامة يقبله والنبى صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ويضعهما على اسامة وعاد أسامة الى معسكره فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول بلا خلاف حين زاغت الشمس وقيل حين اشتد الضحى من يوم الاثنين فى مثل الوقت الذى دخل فيه المدينة واختلفوا فى تعيين ذلك اليوم من الشهر فقيل كان اوله وقيل كان ثانيه وقيل ثانى عشره وقيل ثالث عشره وقيل خامس عشره والمشهور انه كان ثانى عشر شهر ربيع الاول وكان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم فى أواخر شهر صفر وكان مدة مرضه ثلاثة عشر يوما فى المشهور وقيل أربعة عشر يوما واختلفوا فى وقت دفنه صلى الله عليه وسلم فقيل دفن من ساعته وقيل بعد وقيل من ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء ثم ان عسكر أسامة دخل المدينة ودخل بريدة باللواء حتى أتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه فلما ولى أبو بكر الخلافة أمر الناس بما كان أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الانصار لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قل لابى بكر يرجع بالمسلمين فان أبى أن لا يفعل فليول علينا رجلا أقدم سنا من أسامة فبلغ أسامة ذلك فأرسل الى عمر بن الخطاب يسأله فى عرض ذلك على أبى بكر رضى الله عنه وهل يأذن لى ان أرجع بالناس فان وجوه الناس معنا ونخاف أن أثقال المسلمين يخطفها المشركون فأتى عمر أبا بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فقال أبو بكر رضى الله عنه لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعند ذلك رجع عمر الى أسامة والانصار فذكر لهم مقالة أبى بكر رضى الله عنه فقام الانصار وقالوا لعمر لا بد أن تراجع أبا بكر فى ذلك

يقتل فيها كل رجل منهم صاحبه ففعلوا ودانت له أوائلك بالربوبية فلكهم نحوا من خمسمائة سنة وقيل أربعمائة لم يصدع له رأس وكان ملكه ما بين مصر الى افريقية من بلاد المغرب (وقيل كان عطارا) باصبهان فافلس وركبته الديون فخرج هاربا الى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها مشتغلا بلهوه فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر ونصب نفسه عاملا الاموات وصار يأخذ عن كل ميت جعلا حتى بلغ الملك خبره فاحضره وكلمه فاعجبه عقله ومعرفته فاستوزره ثم قتل الوزير فصار له فى الناس سيرة حسنة وكان عدلا شجاعا يقضى للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بايديهم رد على أهل كل قرية ما أخذت

فراجعه عمر رضى الله عنه فقام أبو بكر فأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب
استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وأمره وتأمرنى أن أنزعه قال فعند ذلك رجع عمر رضى
الله عنه الى الناس وأخبرهم بالجواب فتجهزوا وخرجوا وخرج أبو بكر فشيعهم وهو ماش وأسامة راكب
وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال أسامة لابي بكر يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن
فقال أبو بكر والله لا أركب والله لا تنزل والله ما ضرنى أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله وعاد أبو بكر
وسافر أسامة بالجيش ولم يغير حدا ثة سنه وكان لا يمر بقبيلة تريد الارتداد الا وقالوا لولا ان لهؤلاء قوة
ماخرج هذا من عندهم وان أسامة وصل الى أهل أبنى فى عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وسبى حريمهم
وحرق منازلهم وحرثهم وأجال الخيل فى عرصاتهم وأصاب الغنائم منهم وكان أسامة على فرس أبيه
فقتل قاتل أبيه فى الغارة ووصل الى المدينة سالما وكان سن أسامة سبع عشرة سنة (وذكرت) على
سبيل الاستطراد بعض اللطائف لأجل المناسبة يأتى ذكرها فيه (منها) ما حكاه المسعودى فى شرح
المقامات ان المهدى لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء
وأرباب الطيالسة واياس يقدمهم فقال المهدى أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يقدمهم غير هذا
الحدث ثم ان المهدى التفت الى اياس وقال له كم سنك يا فتى قال سنى أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن
أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا وكان فى الجيش من الصحابة من هو
أقدم سنا من أسامة فقال له تقدم بارك الله فيك (وحكى) ان يحيي بن أكثم لما ولاه المأمون قضاء
البصرة وكان سنه عشرين سنة فاستصغروه فقال أحدهم كم سن القاضى فقال
أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم
الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وأكبر
من كعب بن سوار الذى وجهه عمر قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا (وحكى) ان المأمون
لما حضر اليه يحيي بن أكثم المذكور أطال النظر اليه وكان يحيي بن أكثم دميم الخلقة
فقال له يا أمير المؤمنين أنظر الى خلق ولا تنظر الى خلق فقال له المأمون هلك هالك عن أبوين وعن
أختين ولم تقسم التركة حتى ماتت احدى الاختين عمن ذكر فى المسئلة فقال يا أمير المؤمنين الميت الاول
ذكر أم أنثى فعرف المأمون فضله وقال يفرق بين الذكر والانثى قد سهل عليك الجواب وقد ذكر انه
لما استخلف عمر بن عبد العزيز قدم عليه وفود أهل كل بلد فقدم وفد أهل الحجاز فتقدم منهم غلام
للكلام فقال عمر يا غلام ليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه
ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار ولو كان الأمر بالسن لكان هنا
من هو أحق منك بمجلسك فقال عمر صدقت فهذا هو السحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لم
يكن يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة الا انا قد أمنا فى أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا فسأل عمر عن سن الغلام
فقيل له عشرون سنة (وقد روى) ان محمد بن كعب القرظى كان حاضرا فنظر الى وجه عمر وقد تهلل
عند ثناء الغلام عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فان قوما خدعهم
الثناء وغرهم الشكر فزلت أقدامهم فهو وافى النار أعاذك الله أن تكون منهم وألحقك بسالف هذه
الأمة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ وقد سمعت من بعض الافاضل ان أبا عبد
الله المازرى وهو غلام لم يبلغ الحلم جلس نهارا فى شهر رمضان لتدريس العلم الشريف وخلفه ما ينوف
عن مائة رجل من طلبة العلم الشريف يستفيدون منه ما يلقيه لهم من العلوم فقال لهم اصبروا حتى أتغدى
فقال له شخص من الحاضرين تكون شيخ هذه الطائفة وتتغدى نهارا فى رمضان فأجابه بأن قال له
يا طويل الآذان ما وجب على صوم فخجل الرجل (وحكى) أنه كان للعتابى غلام بديع الحسن حسن
الصورة وكان مشغوفا بحبه فكتب اليه يقول قد علمت أيدك الله مسألتى اليك واستمالة قلبى عليك وأنت

منهم فرده كله على أهله وكان
خراج مصر فى زمنه فى كل
سنة اثنين وسبعين ألف
ألف دينار يأخذ فرعون
من ذلك الربع خالصا لنفسه
يصنع فيه ما يريد والربع
الثانى لجنده وما يتقوى به
على محاربه وجباية خراجه
ودفع عدوه والربع الثالث
فى مصلحة الارض وما تحتاج
اليه من جسور وخلج
وقناطر ولقوة المزارعين
على زروعهم وعمارة أرضهم
والربع الرابع يدفن فى
الارض فيؤخذ ربع
ما يصيب كل قرية من
خراجها ليدفن ذلك فيها النائبة
تنزل أو حاجة تطرأ يقضى
بالحق ولو على نفسه فأحبه
الناس لكثرة عدله فتوفى
الملك فولوه عليهم فعاش
زمنا طويلا حتى مات منهم
ثلاثة قرون وهو بق فبطر
وتجبر وبغى وقال أنا ربكم
الأعلى فاستخف قومه

تؤثر بعدى وتنكر قصدى وأنا أشكو أحوالى كلها اليك واستعين بك عليك فاجابه الغلام يقول شكوالك تقتضى انصافك وايثارى بانتفاعنى اسعافك ومكروه مع صيانتنا أولى من الاجتماع على فضيحتنا فان وجدت أيدك الله فرصة ليس معها انتهاك الستر وقبح الذكر صرت اليك ومع هذا لا يفى بلوغ الشهوات باسقاط المروآت ولا خير فى شئ تذهب لذته وتبقى تبعته فاخترأ يدك الله أحد الأمرين اما طاعة الله لحفظك أو حفظه لطاعتك قال بل طاعة الله أحب وأوجب والرجوع اليه أحسن وأقرب والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقيل فى المعنى

تفنى اللذاذة عن نال لذتها * من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها * لاخير فى لذة من بعدها نار

وقال ابراهيم بن محمد المهلبى الواسطى

كم قدظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وحكى أن شخصا نظر الى ولد أمرد جميل الصورة فكتب اليه يقول

ماذا تقول اذا احتمعنا فى غد * وأقول للرحمن هذا قاتلى

فاجابه الولد بان قال اقول له يارب هذا طلب منى فعل السوء فما وافقته (وحكى) ان رجلا خلا بولد أمرد فقال له فى ذلك فقال أردت أن أريه باب الفاعل والمفعول فقيل له وما هذا المتحرك بينكما فقال حرف جاء لمعنى (وحكى) عن على بن بسام البغدادى انه قال كنت أتعشق غلاما لخالى ابن حمدون فنمت ليلة عنده ورقت لأدب عليه فلسعتنى عقرب فانتبه خالى فقال لى ما اتى بك ههنا فقلت له قت لأبول قال صدقت فى است غلامى وأنشد يقول

ودارى اذا نام سكانها * يقيم الحدود بها العقرب
اذا اغفل الناس عن مالهم * فان عقار بها تضرب

وفى المعنى يقول

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد عملت أوان ذهابى
لابارك الرحمن فيها انها * دبابة دبت الى دباب

ومن عجيب امر العقرب انها لاتضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك شئ من بدنه وربما لسعت الافعى فمات والى ذلك أشار عمارة اليمنى فقال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب *
ولا تحقرن كيدا ضعيفا فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فار قبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
وبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

وفى ربيع الابرار أن أرض حمص لاتعيش بها العقرب وزعم أهلها ان ذلك لطلسم وان طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها وقد سمعت من شخص من أهل حمص أنه رحل منها وسكن فى مصر وكان من جملة أمتعته التى أصطحبها معه بساط ففرشه بالمنزل الذى سكن فيه بمصر فكلما دب عليه عقرب مات لوقته وهذا عجيب (وروى) الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان والمستغفرى فى الدعوات والبيهقى فى الشعب عن على رضى الله عنه أنه قال لدغت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب وهو فى الصلاة فلما فرغ قال لعن الله العقرب لاتدع مصليا ولا غيره ولا نبيا ولا غيره الالدغته وتناول نعله فقتلها به ثم دعا بماء وملح فجعل

فلما هو وقال موسى يارب ان فرعون جحدك مائتى سنة فكيف أمهلته فأوحى الله تعالى اليه أنه عمر بلادى وأحسن الى عبادى ومن جملة احسانه أن هامان وزيره لما ابتدأ حفر خليج سردوس أتاه أهل قرية يسئلونه أن يخرج الخليج اليهم تحت قريتهم ويعطونه مالا فاستجمع له من ذلك مائة ألف دينار ولا يعلم بمصر خليج أكثر عطوفا منه لما فعل هامان بحفره ولما أخبر فرعون بما أخذه من الاموال قال له ويحك ينبغى لأهل القرية وهذا الربع الذى يدفن فى كل قرية هو كنوز فرعون الذى يتحدث الناس انها ستظهر فيطلبها من يتتبع الكنوز وكان فرعون اذا أكمل الربع فى كل سنة يرسل مع قائد من قواده أردب قمح فيذهب

يمسح عليها ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين (وروى) عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالقيت من عقرب لدغتني البارحة قال أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ان شاء الله (حكاية) عن جابر قال كان بالمدينة رجل يكنى أبا مذكور يرقى من العقرب وينفع بها الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا مذكور ما رقيتك هذه فقال أبو مذكور شجنية قرنية ملحة بحر قفطا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بها انما مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام هدنا الى ذكر الدب وما أدراك ما الدب قال أبو نواس

اذا هجم النيام نحلت عنى * وعن كان يصلح للدبيب

الذ النيل ما كان اغتصابا * بمنع الحب أو منع الرقيب

(وقال الاشعري)

كنت مثل النسيم عند دبيبي * سحرا نحو ردف حبيبي

فلهذا فتحت زهرة ورد * بقضيب عند المحبوب رطيب

وقد جمع ابن دانيال آلات الدب في بيت فقال

قل لمادب في الساعات الا * لقبوني بالالثط الدباب

ولعمرى قد كنت أقحم الدب * وآلاته معى في جراب

مشل درج وابر وخيوط * وعقيد وبيضة وتراب

قال في القاموس دب يدب دبا ودبيبا مشى على هيئة كالسقم في الجسد والبلاء في الثوب سرى وعقاربه سرت عليه وأذنه وهو دبوب وديوب والديبوب الجامع بين الرجال والنساء والنمام والقواد (وحكى) ان رجلا حكى بعض القضاة حاضرا أن الجاحظ مر على مكتب فرأى غلاما حسنا خلف لابد من تقبيله عشر افلما استوفى عينه قال الغلام بيننا الحاكم فحضرا فادعى الغلام وأقر الخصم فقال القاضي ما حملك على فعلك فقال

تعلم العطف من خديه فانعطفا * وكان من دينه ان لا يفي فوفا

دب العذار على ميدان وجنته * حتى اذا هم ان يسرى به وقفا

كأنه كاتب من الدادبه * أراد يكتب لاما فابتدا ألفا

فقال القاضي أتحبون أن أحكم بينكما بحكم الله أو بحكم الناس فقال الصبي بحكم الله قال القاضي قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قم قبله كما قبلك فغضب الغلام وقال لا أريد ذلك فأنشد القاضي يقول

اذا كنت للتعنيق والبوس كارها * فلا تمش في الاسواق الا منقبا

ولا تخرج الاصداغ من تحت طرة * وتظهر منها فوق خديك عقربا

فتهتك مستورا وتتلف عاشقا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

فانشد الغلام يقول

وقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا * فاعقبني بعد الرجاء قنوط

متى تفلح الدنيا ويفلح أهلها * اذا كان قاضي المسلمين يلوط

(حكاية لطيفة) وهي عشق صبي جارية في مكتب فجعل نفسه عند الفقيه عريفا فترقب العريف غفلة الفقيه وكتب في لوحها

ماذا تقولين في صب أخي وله * أضحى بحبك بين الناس ولهانا

ولم يجد فرجا عما يكابده * الا مرافقة الكتاب تبيانا

فكتبت تحته تقول

ان العريف اذا ما كان ذا وله * بحبنا وبنا قد صار ولهانا

أوصله على غيظ الوشاة فدع * لمن يكون علينا كيف ما كانا

فنظر الفقيه ذلك اللوح وقرأه وكتب تحته

صلى العريف ولا تخشين من أحد * ان العريف حزين القلب ولهانا

أما الفقيه فلا تخشين حرمته * لانه قد بلى بالعشق ألوانا

أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائد ان في كل قرية فان وجد أحد القائدين موضعا بائرا قد اغفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة واذا بلغ فرعون ذلك امر بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله فربما رجع القائدان ولم يجدا موضعا لبذر الاردب لتكامل العمارة واستظهار الزراع ولما أراد الله هلاك فرعون خرج في طلب موسى عليه السلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان في عسكره ذلك اليوم سبعون ألف ادهم وقيل مائة ألف حصان أدهم فلما

فبينما هم كذلك اذ دخل أبو الجارية وأخذ اللوح وقرأ ما فيه وكتب تحته يقول

والله والله لا فرقت بينكما * ولا أكون على ما قلت ندمانا

أما الفقيه فلا والله ما نظرت * عيناى اعرض منه قط انسانا

(حكى) ان بعضهم رأى امرأة حسناء فى طاقة فأحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت طاقتها الى أن اعيا وقل صبره وحصل على الاياس منها فدق عليها الباب فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحيفة وقال دعى سيدتك تبول فى هذه الصحيفة فبالت فى الصحيفة وقالت للجارية اتبعيه وانظرى ما يصنع فلم يزل الى ان دخل الى بعض الخرابات فوضع ايره فى ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق

﴿ذكر وفاة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه﴾

عن ابن شهاب ان أبا بكر والحرث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لابى بكر فقال الحرث ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله ان فيها السم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد عند انقضاء السنة فلا زالا عليلين حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل اغتسل فى يوم بارد فحم جسمه خمسة عشر يوما فقيل له اندعو الطبيب فقال قد رآنى فقالوا فأى شئ وقال فقال لهم قال انى فعال لما أريد وقيل سبب موته لما لدغته الحية فى الغار انتقض عليه السم ذكر ذلك ابن الاثير فى جامعه (فكانت خلافة أبى بكر) من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وثلاثة أشهر وتوفى ليلة الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسنه ثلاث وستون سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى أن تغسله زوجته فغسلته ودفن بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم (روى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه لما بلغه وفاة أبى بكر رضى الله عنه جاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا أبا بكر والله لقد كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم بالله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسنهم صحبة وأفضلهم مناقب وأكرمهم سوابقا وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشبههم به هديا وخلقا وسمة وفضلا وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده فضلا وفخرا فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله فى كتابه العزيز صديقا فقال والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآسيته حين تخلفوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته فى الشدة أكرم صحبة ثانى اثنين فى الغار والمنزل عليه السكينة ورفيقه فى الهجرة ومواطن الكره فقويت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا وقمت حين كسلوا ومضيت بقوة الله عز وجل حين وقفوا كنت أطولهم صمتا وأشغلهم قلبا وأشدهم يقينا وأحسنهم عملا حملت اثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما أضاعوا ووعيت ما أهملوا وعلوت اذ طلعوا وصبرت اذ جزعوا وكنت كالجبل لا تحركه العواصف كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ضعيف فى بدنه قوى فى أمر دينه متواضع فى نفسه عظيم عند الله محبوب الى أهل الارض والسموات فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا قال حسان رضى الله عنه

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية اتقاها وأعدلها * بعد النبى وأوفاها بما حملا

الثانى التالى المشهود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا

وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

﴿خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن رواح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لؤى بن غالب (وأمه) خنتمة بنت هشام وهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أسلم بمكة وشهد المشاهد واسلامه سنة ست من النبوة وبه تمت الاربعون وهو أول من دعى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار الى أبى بكر رضى

الله

انتهى موسى ومن معه من بنى اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين امرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر امامنا فقال موسى عليه السلام الى هنا فخاض يوشع الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت فقال ههنا فكبح حزقيل فرسه أى ضغمها بلجامها حتى طار الزبد من شدقيها ثم أدخلها فارتسبت فى الماء أى غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه السلام لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر

الله عنه بجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان كان أبيض اللون يعلوه حمرة أصلع شديد حمرة العينين فى عارضيه خفة أعسر صفته فى التوراة قرن من حديد أمير شديد ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وقال عليه الصلاة والسلام عمر سراج أهل الجنة فى الجنة بويع له بالخلافة بعد موت أبى بكر رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ولما دفن أبو بكر صعد عمر المنبر فجلس دون مجلس أبى بكر رضى الله عنه ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فألهمنى الى أهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك من غير ظلم منى ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب الموت قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ابتغى بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة وارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فانى كثير الغفلة والنسيان وألهمنى ذكرك على كل حال ثم قال الا ورب الكعبة لاحملنهم على الطريق ثم نزل (نبذة) فى مناقبه رضى الله تعالى عنه (منها) انه لما استخلف حمل اليه مال يفرقه فبدأ بالحسن والحسين رضى الله عنهما فالتفت اليه ولده عبد الله وقال يا ابت انا احق أن تقدمنى بالعطية لمكانى فى الخلافة فقال له هل لك أب كابيهما أو جد كجدهما حتى أقدمك بالعطية فجاآ وأعادا ذلك على أبيهما رضى الله عنه فالتفت اليهما وقال مرحبا وفرحا بانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن جبريل عن الله عز وجل ان عمر سراج اهل الجنة فى الجنة فجاآ وبشراه بذلك ففرح فرحا شديدا وقال خذا بهذا الذى ذكرتما خط على رضى الله عنه فجاآ اليه وأخذا خطه بذلك فلما دنا قبض عمر رضى الله عنه قال لولده اذا مت فادفنوا معى خط الامام على رضى الله عنه ففعل ذلك (ومنها) انه خرج يطوف ليلة من الليالى بالمدينة ببعض السكك فسمع امرأة من نساء جنده وهى تقول

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه * وارقنى الاضجيع الاعبه
لقد ضرنى من كنت آلف قربه * ولم أنسه لما أنسته أقاربه
فوالله لولا العار والنار بعده * لحرك من هذا السرير جوانبه

ثم تنفست وقالت هان على ابن الخطاب وحشتى فى بيتى وغيبة زوجى عنى فلما أصبح بعث اليها نفقة وبعث الى عامله يرد زوجها ثم ان عمر رضى الله عنه سأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة فقالت أربعة أشهر وعشرا (ومنها) انه لما قدم بيت المقدس وقف بطور سيناء ولم يأمر بقتال فارسل البطريق الذى ببيت المقدس رجلا من أعظم أصحابه وقال انظر الى ملك العرب واثتنى بحاليته فجاء فرآه راكبا على فرسه وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاة فرسه معلقة فى قربوص السرج وعمر يدخل يده فى المخلاة فيخرج منها خبزا فيمسحه من التبن ويلوكه فوصف ذلك للبطريق فقال هذا الذى يفتح بيت المقدس فسلموا له من ساعته (ومنها) أنه افتتح فى خلافته بلاد الروم والترك وبعض الصين والهند والجرز والشام والعراق والسواحل ومصر وقبرص والاسكندرية وسايس والنوبة (ومنها) ان عمرو بن العاص لما افتتح مصر أتى اليه أهلها وقالوا أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما هى قالوا انه اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من بؤنة من أشهر القبط عمدنا الى جارية بكر وأخذناها من أبويها وحملناها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم نلقيها فى النيل فقال لهم عمرو ولا يكون هذا فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لا يجرى النيل فيها الا قليلا ولا كثيرا حتى هم أهل مصر بالرحيل فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب عمر الى عمرو بن العاص انى كتبت اليك بطاقة فألقها فى النيل فأخذها عمرو بن العاص فقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى

فضربه فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينهما مسالك ودخل كل سبط مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه فى أثرهم فلما استقروا جميعا أطبق الله البحر عليهم فاغرقوا جميعا ولما اراد موسى أن يسير ببنى اسرائيل ضل عنه الطريق فقال ما هذا فقال علماء بنى اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه منها فقال موسى أيكم يدرى مكان قبره فلم يكن علم قبره الا عند عجوز عمياء فدلتهم عليه بعد أن اشترطت على موسى رد بصرها وشبابها وكونها رفيقته فى الجنة

الله النيل ست عشرة ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر وصار يعمل في ليلة وفاء النيل المبارك في كل سنة اشارة عظيمة كبيرة ينصب بها قناديل تعلق بحبال كثيرة على أخشاب مرتفعة توضع بمركب وتوقد القناديل وتسير في البحر يمينا وشمالا وترتفع بالطبول وتسمى عروسة البحر وذلك باق مستمر الى تاريخه (ومنها) عن زيد بن أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا عمر بن الخطاب قال خرجنا مع عمر بن الخطاب الى حرة واق وهي منزلة بظاهر المدينة فرأى نارا فقال لابن أسلم انظر الى تلك النار هل هو ركب أضر بهم الليل والبرد فقلت لا أعلم يا أمير المؤمنين قال انطلق بنا اليهم قال فخرجنا نهرول فاذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوب على نار وصبيانها يبكون قال عمر رضي الله عنه السلام عليكم يا أهل هذا الضوء وكره ان يقول يا أهل هذه النار فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ادن بخير أو فدع فقال لها ما بال هذه الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال فما في هذا القدر قالت ماء اسكتهم به فقال لها عمر يرحمك الله ما الذي يدري عمر بن الخطاب بحالكم فالتفت أمير المؤمنين الي وقال انطلق بنا فرجعنا نهرول الى المدينة حتى أتينا دار الدقيق وقال احمل هذا العدل علي فقلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين فقال ثانيا احمله علي فقلت أنا أحق به عنك يا أمير المؤمنين فقال ثالثا احمله على ثكلتك أمك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة قال فحملته عليه وانطلق وانطلقت معه وهو يهرول حتى اتينا اليها فألقى ذلك العدل عندها فأخرج قطعة من دهن وألقاها في القدر وجعل يقول للمرأة ذري وانا أحرك لكم قال أسلم والله لقد رأيت أمير المؤمنين وهو ينفخ في النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيده وقال لها اعطني شيأ فأتته بقصعة أو قال بصحفة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض كما يربض السبع وأنا أقول يا أمير المؤمنين ما شأنك هذا فلم يلتفت الي حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدي ثم قصدنا المدينة وقال لي يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فأحببت ان أفارقهم وهم يضحكون (ومنها) ما ذكره القاضي البيضاوي في تفسيره في سورة البقرة عند قوله عز وجل من كان عدوا لجبريل قيل دخل عمر رضي الله عنه مدارس اليهود فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب كل خصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله سبحانه وتعالى فقالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لان كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم لاكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه أفضل الصلاة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر (ومنها) ان طائفة من النصارى جاءت اليه رضي الله عنه وسألته بأن قالت له لاي شئ آدم دخل الجنة وخرج منها فقال لهم جنة الله نظيفة مليحة لا يكون فيها الا النظيف أخرج آدم منها حتى نظف ظهره من الزبالة التي هي مثلكم في الدنيا ولما صار نظيفا أدخل الجنة (ومنها) ان الشعبي روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حججنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أخذ في الطواف استقبل الحجر وقال أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ومضى فقال له علي بن أبي طالب يا أمير المؤمنين بل يضر وينفع قال له لم قال بكتاب الله عز وجل قال وأين ذلك من كتاب الله تعالى قال في قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى خلق الله آدم ومسح بيده على ظهره أخرج ذريته من ظهره فقررهم بانه الرب وانهم العبيد وأخذ عليهم مواثيقهم وكتب ذلك في رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال افتح فاك قال فألقمه ذلك الرق وقال اشهد لمن وافاك يوم القيامة فهو يضر وينفع قال عمر أعوذ بالله ان اعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن (ذكر البيضاوي في تفسيره) عند قوله تعالى وأذن في الناس بالحج ودعاهم والامر به روي انه عليه الصلاة والسلام صعد أبا قبيس فقال أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من في

فأجابها الى ذلك فنقلوا تابوت يوسف بعد ان مات بنحو من ثلاثين سنة ودفن ببيت المقدس * وغرق مع فرعون من أشراف أهل مصر وأكابرهم أكثر من ألفي ألف فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاجمع رأيهن على أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة ذات عقل ومعرفة وتجارب فخافت أن يطمع الملوك في البلاد فبنت سورا أحاط بجميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وجعلت على كل ثلاثة أميال محرسا ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغارا على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا

اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب عن سبق فى علمه انه يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فى حجة الوداع *(غريبة)* نقلتها من حياة الحيوان وهى بينما عمر رضى الله عنه جالس واذا برجل معه ابنه فقال له ويحك مارأيت غرابا أشبه بغراب من هذا منك قال يا أمير المؤمنين هذا ما ولدته امه الا وهى ميتة فاستوى عمر جالسا وقال حدثنى قال خرجت وأمه حامل به فقالت تخرج وتتركنى على هذا الحال حاملا مثقلة فقلت أستودع الله ما فى بطنك فخرجت وغبت اعواما ثم أتيت فاذا بابى مغلق فقلت ما فعلت فلانة فقالوا ماتت فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم انطلقت الى قبرها فبكيت عندها ثم رجعت فجلست الى بنى عمى فبينما أنا كذلك اذا ارتفعت لى نار من بين القبور فقلت لبنى عمى ما هذه النار قالوا ترى على قبر فلانة كل ليلة فقلت انا لله وانا اليه راجعون أما والله لقد كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلقوا بنا اليها فانطلقنا فأخذت الفاس وأتيت القبر فاذا القبر مفتوح واذا هى جالسة وهذا الولد يدور حولها واذا مناد ينادى أيها المستودع ربه وديعة خذ وديعتك اما والله لو استودعت أمه لوجدتها فأخذته وعاد القبر كما كان والله يا أمير المؤمنين *(فائدة)* اذا علق منقار الغراب على انسان حفظ من العين واذا غمس الغراب الاسود جميعه فى الخل بريشه وطلى به الشعر سوده وزبل الابلق ينفع من الخنازير واذا صر فى خرقة وعلق على الصبى الذى لم يبلغ الحلم نفعه من السعال المزمن وقطعه ونظيره ما حكاه الكمال الدميرى أن رجلا من اليهن سنا أخبرنى شفاها ان بها شخصا مشهورا بابن الميتة قال وذلك ان أمه ماتت وهى حامل به فلما مضى مدة من دفنها ماتت امرأة من اقاربها ففتحوا قبرها لدفن تلك الميتة فاحس الحفار بشئ يدور حول الميتة فطلع الحفار وهو مرعوب وأخبر من حضر بما شاهده فى القبر فظنوه وحشا ثم أوقدوا نارا واشرفوا على داخل القبر فوجدوا ولدا ملتقما بالميتة ملتقما ثديها وقد أجرى الله فيه اللبن لرضاعه فأخذ الحفار الولد وضمه الى صدره وعصب عينيه خوفا من مفاجأة النور وأطلعه من القبر وعاش وتزوج ورزق الاولاد فسبحان من يحيى العظام وهى رميم (وأيضا) سمعت من بعض الافاضل انه قال لى شفاها طالعت مسامرة الشيخ الاكبر فرأيت بها أعجوبة وهى ان الشيخ الاكبر حكى ان بعض التجار أخبره انه سافر الى بلاد الهند بمتجر فدخل مدينة من مدائن الهند فباع لشخص منها متجرا بالف مثقال ذهبا نسيئة وتوجه بما بقى معه من البضائع الى مدينة أخرى فباع ما بقى معه ومكث الى ان قبض ثمن ما باعه ثم عاد الى المدينة الاولى فوجد الرجل الذى أخذ منه البضائع بألف مثقال مات يوم قدومه ودفن فحصل له من الغم والحزن ما لا يوصف وقال انا لله وانا اليه راجعون قد ذهب مالى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له شخص من أهل المدينة لا تحزن فانه لا يضيع لك شئ من مالك قال وكيف لا أحزن والرجل قد مات ومن أين آخذ حق بضاعتى فقال له صاحبك الميت يطلع من قبره بعد ثلاثة أيام ويفتح حانوته ويقضى على ديونه قال فاستبعدت ذلك وقلت كيف يتصور ذلك وصرت متفكرا متعجبا من ذلك فلما مضت الثلاثة أيام طلع الرجل من قبره وفتح حانوته وجلس ثم اراوالناس حوله من ورثته وغيرهم ثم جئت اليه فقال لا بأس عليك وأخذ دفترا كان بجانبه ونظر فيه وقال لك ألف مثقال ذهبا فقلت نعم فنقدها الى فاخذتها وتقدم اليه بعدى من كان له علاقة فما زال يوفى ديونه الى ان قضاها جميعا وضبط ما بقى من أمتعته وقفل حانوته وسلم مفتاحه الى ورثته وتوجه الى المقبرة فتبعته الى ان تلاحقت به وقبضت على أثوابه وقلت له بالله عليك أنت صاحبنا المتوفى أم لا فقال لا وانما انا ملك من ملائكة ربى وقد جرت عادة الله فى أهل هذه المدينة اذا مات منهم أحد يأتى الله شبهه على ملك من الملائكة ويطلع بعد ثلاثة أيام ويفعل ما رأيت قال فتعجبت من ذلك غاية العجب وانصرفت الى حال سبيلى وهذا من العجب العجاب قلت وفى ذلك من دقائق حكمة الله ما يبعث أولى الافكار على الاعتبار بخروج الحى من الميت ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار (وأقام) عمر رضى الله عنه فى الخلافة عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال

بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فاتاهم الخبر من أى وجه كان فى ساعة واحدة فمنعت بذلك مصر عمن أرادها وفرغت من بنائه فى ستة أشهر ويقال له دار العجوز وقد ثبت بالصعيد منه بقايا وملكتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ من ابناء أكابرهم واشرافهم رجل ملكوه عليهم واستمر الملك للرجال ولم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحو أربعمائة سنة وجملة من ملك منهم من الرجال عشرة الى ان ظهر بختنصر على بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل ورجع بهم الى أرض بابل ثم ملك مصر واستولى عليها وأخذها من أيدى القبط وقتل من قتل وخرب مدائن مصر وقراها ولم يترك منها أحدا حتى بقيت مصر أربعين

﴿ذكر وفاته رضي الله عنه﴾

حكى الطبري قال جاء كعب الاحبار اليه رضي الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت بعد ثلاث فقال عمر وما يدريك قال أجد صفتك وحليتك في التوراة وانه قد اقترب أجلك وكان عمر رضي الله عنه حينئذ لا يجد وجعا ولا ألما فلما كان الغد جاء كعب الاحبار وقال يا أمير المؤمنين ذهب يومان وبقي يوم وليلة قال فلما كان الصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت الصفوف جاء هو ينظر في الناس فدخل أبو لؤلؤة في الناس وفي يده خنجر له رأسان ونصابه في وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن النضر الليثي فلما وجد عمر حر الحديد سقط الى الارض وقال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال فليتقدم يصل بالناس فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح على الارض ثم حمل الى داره ثم قال لولده اخرج فانظر من قتلني فقال له يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذي لم يجعل قتلي الا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب الى عائشة فاسألها هل تأذن لي ان أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر ولو ثلاثة يا عبد الله ائذن للناس أن يدخلوا قال فجعل الناس يدخلون والمهاجرون والانصار يسلمون وكان كعب الاحبار في الناس فلما نظر عمر الى كعب الاحبار أنشأ يقول

فاوعدني كعب ثلاثا أعدها * ولا شك ان الحق ما قاله كعب

وما بي حذار الموت اني لميت * ولكن حذار الموت يتبعه الذنب

ثم توفي ليلة الاربعاء لثلاث ليال من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه﴾

هو أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب أسلم قديما وهاجر الهجرتين وأروى أسلمت رضي الله عنها وأسلم عثمان رضي الله عنه في أول الاسلام على يد أبي بكر قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم ولم يشهد بدرا لانه تخلف لمرض ﴿كان أبيض اللون﴾ وقيل أسمر اللون رقيق البشرة كثير شعر الرأس عظيم اللحية وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم وسمع أبو سعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ان عثمان رضيت عنه فارض عنه وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضي الله عنه علي مائة بعير ثم حث فقال علي ثلثمائة بعير فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا وكان عثمان رضي الله عنه يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت بالخل بويع له بالخلافة أول المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة ﴿نبذة﴾ في فضائله رضي الله عنه (منها) انه سئل علي رضي الله عنه عن عثمان قال ذاك امرؤ يدعى في الملأ الاعلى ذا النورين وعن أبي سعيد الخدري قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى طلوع الفجر يقول اللهم اني رضيت عن عثمان فارض عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية جابر اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه فقيل له يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا قال انه كان يبغض عثمان فبغضه الله عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يشفع عثمان في سبعين ألفا عند الميزان ممن استوجبوا النار وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال دخل عثمان رضي الله عنه على النبي صلى الله

سنة خرابا ليس بها ساكن يجري نيلها ويذهب لا ينتفع به أحد ثم ردهم اليها بعد الاربعين سنة فعمروها فلم تزل مصر مقهورة من يومئذ (ثم) ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين في وسط الارض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم ويصابرونهم القتال في البر والبحر فلما رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم فلما غلبت فارس على الشام رغبوا في مصر وطمعوا فيها فامتنع أهل مصر وأعانتهم الروم وقامت دونهم فلما الحت فارس على أهل مصر وخشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارسا على أن يكونوا ما صالحوا به الروم بين الروم وفارس فرضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها وأقامت مصر بين الروم وفارس نصفين سبع سنين ثم استجاشت

عليه وسلم وركبته بادية فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلى فلم تغطها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استحي ممن استحيت منه الملائكة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما أسرى بي الى السماء دخلت جنة عدن فأعطيت تفاحة فلما وضعتها في كفي انفلقت عن حوراء عيناها مريضة الاجفان عيناها قوادم النسور فقلت لها لمن أنت فقالت للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان (ومن فضائله) رضى الله عنه عن أبي قلابة قال كنت في رفقة بالشام فسمعت رجلا يقول واويلاه النار فقمت اليه واذا رجل مقطوع الرجلين واليدين أعمى العينين منكب على وجهه فسألته عن حاله فقال انى كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان مالك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار قال فأخذتني رعدة عظيمة وخرجت هاربا ولم يبق من دعائه الا النار (ومن فضائله) رضى الله عنه انه افتتح في أيام خلافته سابور وافريقية وسواحل الاردن وسواحل الروم واصطخر الآخرة وفارس الاولى وطبرستان وكرمان وسجستان والاساورة (ومنها) انه اختصم يوما هو وأبو عبيدة بن عامر ابن الجراح رضى الله عنهما فقال أبو عبيدة ياعثمان تخرج على في الكلام وأنا أفضل منك بثلاث فقال عثمان وما هن قال الاولى انى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب والثانية شهدت بدرا ولم تشهده والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد في الوقعة ولم تثبت أنت فقال عثمان صدقت أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الى مكة في حاجة ومد يده عني وقال هذه يد عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيرا من يدي وأما وقعة بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفني على المدينة ولم يمكني مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها وأما انهزامي يوم أحد فان الله عفا عني وأضاف فعلي الى الشيطان فقال تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم فخصمه عثمان أي غلبه ﴿ذكر قتله﴾ رضى الله عنه حوصر في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو بداره أكثر من عشرين يوما روى عن أبي صالح الكندي انه قال أشرف علينا عثمان يوم الدار وقال أيها الناس لا تقتلوني فانكم ان قتلتموني كنتم كهاتين وشبك بين أصابعه وعن عبد الله بن سلام قال أتيت عثمان يوم الدار فدخلت لأسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا يا أخي فقلت يسرني لو كنت فداك يا أمير المؤمنين فقال الليلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مثل لي في هذه الخوخة وأشار عثمان بيده الى خوخة في اعلى داره فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فدلى دلوا فشربت منه فهأنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديي وبين كتفي فقال ان شئت أفطرت عندنا وان شئت نصرت عليهم فاخترت الفطر وكان عنده بالدار ستمائة رجل ثم دخلوا عليه من دار بني حزم الانصاري فضربه نيار بن عياض الاسلمي وقيل جبلة بن الايهم وقيل سوار بن حمران وقيل رومان اليماني وضربه بمشقص في وجهه فسال الدم في حجره وكان قتله بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو يومئذ ابن اثنتين وثمانين سنة ودفن بالبقيع ليلا وصلى عليه جبير بن مطعم فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثنتي عشرة ليلة

﴿خلافة سيدنا على بن أبي طالب رضى الله عنه﴾

وهو على بن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف وهي أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وهاجرت الى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من أسلم من الذكور والصبيان واختلف في سنه قيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة شهد المشاهد كلها غير تبوك وكان رضى الله عنه شديد الادمة عظيم العينين أقرب الى القصر أبطن كثير الشعر عريض اللحية بويع له بالخلافة سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على الامام على رضى الله عنه وقالوا لابد لنا من امام وأنت أحق بها

الروم أي ضعفت وظهرت فارس وألحت بالقتال والمدد حتى ظهروا عليهم وخربوا مصانعهم وديارهم التى بالشام ومصر وكان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نزلت الم غلبت الروم الآن ثم غلبت الروم فارسا فصارت الشام كلها وصلح أهل مصر كله خالصا للروم وليس لفارس منه شيء وذلك في زمن الحديبية سنة ست من الهجرة وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وجعل اليه حربها وجباية خراجها فنزل الاسكندرية فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله على المسلمين وكان من دأب المقوقس أن يصيف بمصر ويشتي بالاسكندرية واستمر حاكما بمصر من طرف هرقل احدى وثلاثين سنة حتى افتتح

فقال لهم لا حاجة لى فى امرتكم فمن اخترتم رضيته قالوا نختارك قال اذا ولا بد فان بيعتى لا تكون خفية فخرج الى المسجد وعليه ازار وقميص وعمامة خز ونعلاه فى يده متكئ على قوسه وبايعه الناس وكان أول يد مدت اليه يد طلحة بن عبد الله وكانت يده مشلولة فنظر اليه حبيب بن ذؤيب وقال انا لله أول يد مدت اليه بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وكانت البيعة يوم الجمعة ثم ان عليا صعد المنبر وحمد الله وأثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس ان هذه امرتكم ليس لاحد فيها حق الا من أمرتموه وقد افترقنا بالامس على أمر وكنت كارها الامرتكم فابيتم الا أن أكون عليكم أميرا وليس لى ان آخذ درهما دونكم فان شئتم والا فلا قالوا بلى نحن على ما فارقناك عليه بالامس وبايعه الناس كافة ثم دخل بيته فدخل عليه المغيرة بن شعبة وقال يا أمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة قال وما هى قال ان أردت أن تستقيم لك الخلافة فاستعمل طلحة بن عبد الله على الكوفة وعبد الله بن الزبير بن العوام على البصرة ومعاوية بن أبى سفيان على الشام على ما كانوا عليه حتى تلزمهم طاعتك وتأتيك بيعتهم فاذا استقر قرارها رأيت رأيك تعزل من تريد وتولى من تريد فقال أما طلحة والزبير فسأرى فيهما رأيى وأما معاوية والله لا يرانى الله أستعين به على حالتى ولكننى أدعوه الى البيعة فان هو أجابنى والا حاربته فانصرف المغيرة مغضبا وهو يقول

نصحت عليا فى ابن هند مقالة * فردت فلم أسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له أوجز عليه بعهده * وبالامر حتى يستقر معاويه
وتعلم أهل الشام ان قد ملكته * وان أذنه صارت لامرك واعيه
فتحكم فيه ما تريد فانه * لداهية فارفق به أى داهيه
فلم يقبل النصح الذى قد نصحته * وكانت له تلك النصيحة كافيه

فلما بلغ معاوية كتب الى على رضى الله عنه أما بعد فلو علمنا ان الحرب يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وان كان قد غلب على عقولنا فقد بقى لنا ما نرم به ما مضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمنى لك طاعة وأنا أدعوكم اليوم لما دعوتكم اليه بالامس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من اللقاء الا ما أخاف وقد والله رقت الاجساد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ولا يسترق به حر فكتب اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه أما بعد فقد جاء فى كتابك تذكر فيه انا لو علمنا ان الحرب يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وانا واياك نلتمس منها غاية لن تبلغها وأما طلبك منى الشام فانى ما أعطيتك بالامس فامنعك اليوم وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فليس على حد سواء وليس أهل الشام على الدنيا باحرص من أهل العراق وأما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق ولا المؤمن كالمدغل وفى أيدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام فكتب اليه معاوية رضى الله عنه يا أبا الحسن ان لى فضائل كثيرة كان أبى سيدا فى الجاهلية وصرت أنا ملكا فى الاسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحى فقال على رضى الله عنه أيفاخرنى معاوية اكتب يا غلام

محمد النبى أخى وصهرى * وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى * يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى * منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها * فايكم له سهم كسهمى
سبقتكم الى الاسلام طفلا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وأوجب طاعتى فرضا عليكم * رسول الله يوم غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل * لمن يرد القيامة وهو خصمى

عمرو بن العاص رضى الله عنه الديار المصرية فى سنة عشرين من الهجرة النبوية فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أتى مصر حاصرها ثلاثة أشهر وكان المقوقس بقصر الشمع على بحر النيل وكانت السفن تجرى تحته فلما رأى العرب أشرفوا على أخذ البلد نزل فى مركب كانت راسية على باب قصره ثم توجه هاربا الى ثغر الاسكندرية وكان يعلم ان العرب لا بد لهم من أن يملكوا مصر وذلك انه كان بالاسكندرية باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلا فعزم على فتحه المقوقس فمنعه القسس والرهبان وقالوا له كل من تقدم من الملوك لم يفتحه ويضع عليه قفلا وأنت الآخر اجعل عليه قفلا ونحن نعطيك ما حضرلك من المال الذى ظننت أنه فيه فامتنع

فكتب اليه معاوية أما بعد ياعلى فانك قلت مايضرك وتركت ماينفعك وايم الله لارمينك بشهاب قابس لاتدركه الرياح ان وقع فى الارض ارتسب أووقع فى الصخر ثقب والسلام فكتب اليه على أما بعد يامعاوية فانى قاتل عمك وجدك وخالك والسيف الذى قتلتهم به معى لم أستبدل بالسيف سيفا ولا بغير الله ربا ولا بغير النبى نبيا فافعل ماشئت ستجدنى بطلا شديدا أقاتل كل جبار عنيد وطوى الورقة ودفعها الى رجل أسود يقال له الطرماح فعمم الطرماح بعمامة سوداء وركب ناقة ثم سار حتى وافى دمشق فقال أعوان معاوية هذا اعرابى قدم من عند على بن أبى طالب وهو واحق نهزأ به فقالوا له يااعرابى معك خبر من أهل السماء جئت به الى أهل الارض وماخلفت وراءك قال ملك الموت لقبض أرواحكم فقالوا أتحب ان تدخل على أمير المؤمنين فقال الطرماح نحن المؤمنون فمن أمره علينا قال فذهبوا الى معاوية يخبرونه بقدوم الطرماح فأمر باحضاره فلما دنا من قصر معاوية واذا يزيد بن معاوية جالس على باب القصر فقال الطرماح من يكون هذا الميشوم الواسع الحلقوم المضروب على الخرطوم قالوا هذا يزيد بن معاوية أمير المؤمنين فقالوا أتحب الدخول على الملوك فقال أحب الدخول على ابن أكلة الاكباد الضالة عن طريق الرشاد التى قال الله فى حقها فى جيدها حبل من مسد فلما حضر بين يدى معاوية لم يطأ بساطه فقال له معاوية هات كتابك فقال الطرماح لمعاوية تنزل عن مرتبتك وتأخذ كتابى بيدك فقد أمرت أن لا أسلمه الامن يدى الى يدك فقام معاوية من مكانه وقبل الكتاب ففتحه فلما قرأه اغتاظ غيظا وقال للطرماح كيف خلفت عليا واصحابه قال خلفته خصما ساللما سلما ان أتى جيشا هزمه وان أتى حصنا هدمه وأصحابه حوله كالنجوم الزاهرة والعصابة القاهرة وهو بينهم كالقمر المنير ان نهاهم ارتدعوا وان أمرهم ابتدروا فأمر له معاوية بالف دينار فأخذها وانصرف وفيما أوردناه كفاية والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآب ﴿نبذة﴾ فى فضائل الامام على رضى الله عنه * منها ماحكى عن كميل رضى الله عنه قال دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وبين يديه قصعة فيها ثردة خبز شعير وملح وزيت فقال يا كميل هلم الى الزاد فتقدمت وأكلت ثم قلت يا أمير المؤمنين لو أحسنت الى نفسك فى لون يتخذ لك فانه حكى لى من دخل على معاوية وحضر الطعام عنده انه قدم له مائدة فيها مائة وستون لونا وفيها لون لم نعرفه فسألت معاوية فدعا بصاحب مطبخه فسأله عنه فقال أدمغة الكراكى فى مصارين البط مقليا بدهن الفستق والعسل والسكر الطبرزذ والزعفران والماورد فقال يا كميل ذاك طعام الجبابرة وروى عن عبد الله بن أحمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى بى أتيت الى ربى عزوجل فأوحى لى أو أمرنى فى على بثلاث انه سيد المؤمنين وولى المتقين وقائد الغر المحجلين وروى عن أنس رضى الله عنه انه قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج فادع لنا أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير وعدة من الانصار قال فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى الله عليه وسلم وكان على غائبا فى حاجة النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بنبيه محمد وان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا ووشج به الارحام وألزم به الانام فقال عز من قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فأمر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله عزوجل أمرنى أن أزوج فاطمة بنت خديجة من على بن أبى طالب فاشهدوا أنى قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين أيدينا ثم قال انتهبوا فنهبنا فبينما نحن ننهب اذ دخل على على النبى صلى الله عليه وسلم فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه وقال ان الله أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك فقال رضيت بذلك

وفتحه ودخل فلم يجد فيه شيأ من المال لكن رأى منقوشا على حيطانه تصاوير العرب راكبين خيولا وعلى رؤسهم عمائم وسيوف مقلدين بها وكتابة فى صدر المكان تملك العرب المدينة فى هذه السنة ولما فتح عمرو ابن العاص مصر واستقر بها قصد التوجه الى مدينة الاسكندرية فلما وصل اليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها أرسل اليه المقوقس يسألهم فى الصلح وأن يجعل لهم عليه الجزية فأتى الى عمرو بن العاص رجل بواب على الاسكندرية وقال له أتؤمننى على نفسى وعيالى وأنا أفتح لك الباب فأجابه عمرو لذلك ففتح له الباب ودخل هو ومن معه من المسلمين فملكوها وأسروا المقوقس وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر

يارسول الله قال أنس فقال النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وزوجتك بكرا كبيرا طيبا قال أنس فوالله لقد أخرج منهما كبيرا طيبا ومنها ما حكى عن ضرار رضي الله عنه أنه قال كان على رضي الله عنه بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا تتفجر الحكم من جوانبه وينطق العلم من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته فان تبسم تبسم عن اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد تمثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السقيم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غرى غيرى لا حاجة لي بك ايای تعرضت والى تشوقت هيهات هيهات قد بتتك ثلاثا لا حاجة لي فيك فعمرك قصير وحظك حقير آوّاه آوّاه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فقيل لضرار ما حزنك عليه قال كحزن امرأة ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تنقضي حسرتها وأخبر أبو عبد الله بن منصور بن سكان التسترى قال أخبرنا محمد بن الحسن بن غراب قال حدثنا القاضي موسى بن اسحق قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي شيبة قال حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله الاسدى قال كان على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في مناجاته الهي لولا ما جهلت من امرى ما شكوت عثراتي ولولا ما ذكرت من الافراط ما سحت عبراتي الهي فمح مثبتات العثرات بمرسلات العبرات وهب كثير السيئات لقليل الحسنات الهي ان كنت لا ترحم الا المجد في طاعتك فالى من يلتجئ المخطئون وان كنت لا تكرم الا أهل الاحسان فالى من يصنع المسيئون وان كان لا يفوز يوم الحشر الا المتقون فبمن يستغيث المذنبون الهي ان كان لا يجوز على الصراط الا من أجازته براءة عمله فانى بالجواز ان لم يتب قبل حلول أجله الهي ان كان حبك عن موحديك عهد جناياتهم أوقعهم غضبك بين المشركين في كرباتهم الهي فأوجب لنا بالاسلام مذخور هباتك واستصف لنا ما كدرته الجرائم بصفح صلاتك الهي ارحم غربتنا اذا ضمتنا بطون لحودنا وغميت علينا باللبن سقوف بيوتنا واضجعنا على الايمان في قبورنا وخلفنا فرادى في أضيق المضاجع وصرعتنا المنايا في أنكى المصانع وصرنا في ديار قوم كأنها مأهولة وهي منهم بلاقع الهي اذا جئناك عراة مغبرة من ثرى الاجداث رؤسنا وشاحبة من ثرى الملاحد وجوهنا وخاشعة من أهوال القيامة أبصارنا وبادية هنالك للعيون سوآتنا ومثقلة من تحمل الاوزار ظهورنا ومشغولين عما قد دهانا من أهلينا وأولادنا فلا تضعف علينا المصائب باعراض وجهك الكريم عنا وسلب عائدة ما مثله الرجاء منا الهي ما حنت هذه العيون الى بكائها ولا جادت متشربة بمائها ولا اشتهرت بنحيب المشكلات فقد عزائها الا لما سلف من نفورها وإبائها وما دعاها اليه عواقب بلائها وأنت القادر يا كريم على كشف عمائها الهي ثبت حلاوة ما يستعذبه لساني من النطق في بلاغته بزهادة ما يرفعه قلبي من النصح في دلالته الهي أمرت بالمعروف وأنت أولى به من المأمورين وأمرت بصلة السؤل وأنت خير المسؤلين الهي كيف يقل بنا اليأس عن الامساك كما لهجنا بطلابه وقد أدرعنا من تأميلنا اياك أسبغ أثوابه الهي اذا تلونا من صفاتك شديد العقاب أشفقنا واذا تلونا منها الغفور الرحيم فرحنا فنحن بين أمرين لا يؤمننا سخطك ولا تيئسنا رحمتك الهي ان قصرت بنا مساعينا عن استحقاق نظرك فما قصرت رحمتك بنا عن اندفاع نقمتك الهي كيف نفرح بصحبة الدنيا صدورنا وكيف تلتئم في عمرانها أمورنا وكيف يخلص لنا فيها سرورنا وقد وعدتنا باقتراب آجالنا قبورنا الهي كيف نبتهج بدار حفرت لنا حفائر صرعتها وقيدتنا بأيدي المنايا بحبائل غدرتها وجرعتنا مكرهين جرع مرارتها ودلتنا العبر على انقطاع عيشتها الهي فاليك الملتجأ من مكايد خدعتها وبك نستعين

على

أول جمادى الآخرة سنة عشرين من الهجرة وقيل سنة اثنتين وعشرين ثم رجع عمرو الى مصر وأراد أن يبني مدينة الفسطاط وسبب تسميتها بذلك أنه وصل الى مصر نصب له خيمة تسمى الفسطاط فلما توجه الى الاسكندرية أمر بازالة تلك الخيمة فوجد فيها عشا فيه يمامة قد فرخت فيه فترك القبة لاجلها شفقة على فراخ اليمامة فلما توجه الى الاسكندرية ورجع منها قيل له تنزل في أي مكان قال مكان الخيمة التي تركتها وعليها اليمامة فسميت مصر الفسطاط وصارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر وكانت جيدة على ساحل البحر ولم تزل عامرة الى الدولة الفاطمية فخربت بسبب

على عبور قنطرتها وبك تستعصم الجوارح على خلاف شهوتها وبك نستكشف جلابيب حيرتها وبك يقوم من القلوب استضعاف جهالتها الهى كيف لذ ورآن تغنم من فيها من طوارق الرزايا وقد أصيب كل دار بسهم من اسهم المنايا الهى ماتفجع بانفسنا على الديار ان لم يوحشنا هنالك موافقة الابرار الهى ماتضرنا فرقة الاخوان والقرابات اذا قربتنا اليك ياذا العطايات الهى ارحمنى اذا انقطع من الدنيا أثرى وانمحى من المخلوقين ذكرى وصرت فى المنسين كمن نسى الهى كبر سنى ورق عظمى ورق جلدى ونال الدهر منى واقترب أجلى ونفدت أيامى وذهبت شهوتى وبقيت تبعتى وانمحت محاسنى وبلى جسمى وتقطعت أوصالى وتفرقت أعضائى الهى فارحمنى الهى أفحمتنى ذنوبى وانقطعت مقالتى فلا حجة لى ولا عذر فانا المقر بجرمى والمعترف باساءتى والاسير بذنبى المرتهن بعملى المشهور فى خطيئتى المحير عن قصدى الهى فصل على محمد وعلى آل محمد وارحمنى برحمتك وتجاوز عنى اللهم ان صغر فى جنب طاعتك عملى فقد كبر فى جنب رجائك أملى الهى كيف انقلب بالخيبة من عندك محروما وكان ظنى بجودك ان تقلبنى مرحوما لانى لم أسلط على حسن ظنى بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائى لك بين الآملين الهى فان كنا مرحومين فلنا نبكى على ماضيعناه فى طاعتك مانستوجبه وان كنا غير مرحومين فلنا نبكى على أنفسنا اذ فاتنا من جودك مانطلبه الهى عظم جرمى اذ كنت المبارز به وكبر ذنبى اذا كنت المطالب به الهى اذا ذكرت ذنوبى وعظيم غفرانك وجدت الحاصل لى بينهما عفو رضوانك الهى ان أوحشتنى الخطايا من محاسن لطفك فقد آنسنى اليقين بمكارم عطفك الهى ان انامتنى الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد انبهتنى المعرفة بكريم آلائك الهى ان عظم لى عن تقويم مايصلحنى فما عزب ايقانى بنظرك لى فيماينفعنى الهى حشمتك ملهوف قد ألبسه ثوب عدمى وفاقتى وأقام مقام الاذلين بين يديك ذل حاجتى الهى أكرمنى اذ كنت من سؤالك وجد معروفك فاخاطنى بأهل نوالك الهى اصبحت على باب من أبواب فضلك سائلا وعن التعرض لغيرك بالمسئلة عادلا وليس من جميل امتنانك ان ترد سائلا ملهوفا ومضطر الانتظار أمرك مألوفا الهى أقف على قنطرة الاخطار مغلولا بالاعمار وبالاعتبار وأنا الهالك ان لم تعن عليها بتخفيف الآصار الهى أمن أهل الشقاء خلقتنى فأطيل بكائى أم من أهل السعادة فانشر رجائى الهى ان لم تهدنى الى الاسلام مااهتديت ولو لم تطلق لسانى بدعائك مادعوت ولو لم تعرفنى حلاوة نعمتك ماعرفت ولو لم تبين لى شديد عقابك مااستجرت الهى ان أقعدنى التخلف عن السير مع الابرار فقد أقامتنى الثقة بك على مدارج الاخيار الهى نفسا أعززتها بتأييد ايمانك فكيف تذلها بين اطباق نيرانك الهى لسانا كسوته من وحدانيتك انق اثوابها كيف تهوى اليه من النار مشعلات التهابها الهى كل مكروب فاليك يلتجى وكل محزون فاليك يرتجى الهى سمع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا وسمع المذنبون بسعة غفرانك فطمعوا حتى ازدحمت عصائب العصاة ببابك وعج منهم اليك العجيج والضجيج بالدعاء فى بلادك وكل أمل ساق صاحبه اليك محتاجا وكل قلب تركه يارب وجيف الخوف منك منهاجا فأنت المسؤل الذى لاتسود لديه وجوه المطالب الهى ان اخطأت طريق النظر لنفسى بما فيه كراماتها فقد اصبت طريق الفزع بما فيه سلامتها الهى ان كانت نفسى قد استسعدتنى متمردة على مايؤذيها فقد استسعدتها الآن بدعائك على ماينجيها الهى ان قسطت فى الحكم على نفسى بما فيه حسرتها فقد أقسطت فى تقريبى اياها من رحمتك أسباب رأفتها الهى ان قطعنى قلة الزاد فى المسير اليك فقد وصلته بما أعددته من فضل تعويلى عليك الهى اذا ذكرت رحمتك ضحكت لها عيون رسائلى واذا ذكرت سخطك بكت لها عيون مسائلى الهى أدعوك دعاء من لم يرج غيرك فى دعائه وأرجوك رجاء من لم يقصد غيرك فى رجائه الهى كيف أسكت بالافهام لسان ضراعتى وقد أقلقنى ماابهم من مصير عاقبتى الهى قد علمت حاجة جسمى الى ماتكفلت له من الرزق فى حياتى وعرفت قلة استغنائى عنه

الافرنج وجيشهم الى ديار مصر وبنى عمرو بن العاص بها جامعه الكبير ووقف على قبلته سبعون من الصحابة رضى الله عنهم وهو أول جامع بنى فى الاسلام بمصر المحروسة وهو جامع مبارك يستجاب فيه الدعاء وحررت مساحة مصر بعد ان تلاشى أمرها بالنسبة الى زمن فرعون فكانت مساحتها مائة ألف ألف فدان تزرع غير البور وكان فيها فى الزمن الاول مائة وخمسون كورة مدينة وثلاثمائة وستون قرية فلما ملكها بختنصر وخربها أعيدت بعد ذلك وصار بها خمس وثلاثون كورة مدينة ثم تناقصت حتى صارت فى دولة عمرو بن العاص أربعين كورة وعدة قراها ألفان وثلاثمائة وخمسة وسبعون قرية دون الكفور وكان خراجها

في الجنة بعد وفاتي فيامن سمح لي به متفضلا في العاجل فلا تمنعنيه يوم فاقتي اليه في الآجل الهي
ان عذبتني فعبد خلقته لما اردت فعذبته وان رحمتني فعبد لقيته مسيئا فأنجيته الهي لا احتراس
مع الذنب الا بعصمتك ولا وصول الى عمل الخيرات الا بمشيئتك وكيف لي بافادة ما سلبتني فيه
مشيئتك وكيف لي باحتراس من الذنب ما لم تدركني فيه عصمتك الهي أنت دللتني على سؤال الجنة
قبل معرفتها فأقبلت النفس بعد العرفان على مسئلتها أفتدلني على خير بالسؤال ثم تمنعنيه وأنت الكريم
المحمود في كل ما تصنعه ياذا الجلال والاكرام الهي ان كنت غير مستأهل لما أرجو من رحمتك
فأنت أهل ان تجود على المذنبين بفضل سعتك الهي نفسي قائمة بين يديك وقد اظلها حسن التوكل
عليك فاصنع بي ما أنت أهله وتغمدني برحمتك الهي ان كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي
فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان غفرت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك
في الحكم هنالك الهي انك لم تزل بارا بي في أيام حياتي فلا تقطع برك بي بعد مماتي الهي كيف
أياس من حسن نظرك بعد وفاتي وأنت لم تولني الا الجميل في حياتي الهي ذنوبي قد اخافتني ومحبتي
لك قد اجارتني فتول في امري ما أنت أهله وجد بفضلك على من غمره جهله يامن لا يخفى عليه خافية
صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واغفر لي ما خفي عن الناس من امري الهي ليس اعتذاري
اليك اعتذار من يستغني عن قبول عذره فاقبل عذري يا خير من اعتذر اليه المسيئون الهي لو أردت
اهانتي لم تهدني ولو أردت فضيحتي لم تعافني فمتعني بما له هديتني وادم على ما به سترتني الهي
لولا ما اقترفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وأنت اكرم
الاكرمين بتحقيق آمال الآملين فارحم من استرحم في تجاوزه من المذنبين الهي نفسي تمنيني بانك
تغفر لها فاكرم بها أمنيتي فقد بشرت بعفوك وصدق كرمك مبشرات تمنيها وهب لها بجودك مقصرات
تجنيها الهي ألقتني الحسنات بين جودك وكرمك والقتني السيئات بين عفوك ومغفرتك وقد
رجوت ان لا يضيع بين هذين وهذين محسن ومسي • الهي اذا شهد الاحسان بتوحيدك وانطلق
لساني بتمجيدك ودلني القرآن على فضل جودك فكيف لا يبتهل رجائي بحسن موعدك الهي
تتابع احسانك يدلني على حسن نظرك فكيف يشقى امرؤ أوليته منك حسن النظر الهي اذا انظرت
بالهلكة الى عيون سخطك فما نامت عن استنقاذي عيون رحمتك الهي ان عرضني ذنبي لعقابك
فقد أدناني رجائي من ثوابك الهي ان غفرت فبفضلك وان عذبت فبعدلك فيامن لا يرجى الا فضله
ولا يخاف الا عدله صل على محمد وامنن علي بفضلك ولا تستقص علي بعدلك الهي خلقت لي جسما
وجعلت لي آلات أطيعك بها واعصيك وأغضبك بها وأرضيك وجعلت لي من نفسي داعيا الى
الشهوات وأسكنتني دارا ملئت من الآفات وقلت لي ازدجر فبفضلك أعتصم واحترز واستوفقك فيما
يرضيك واسألك فان سؤالي لا يحفيك الهي لو عرفت اعتذارا وتنصلا هو ابلغ من الاعتراف
بالذنب لاتيته فهب لي ذنبي بالاعتراف ولا تردني في طلبي بالخيبة عند الانصراف الهي كاني بنفسي
وقد اضطجعت في حفرتها وانصرف عنها المشيعون من عشيرتها من شفير القبر ذوي مودتها ورحمها
المعادي لها في الحياة عند صرعتها ولم يخف على الناظرين اليها ذل فاقتها ولا على من رآها توسدت
الثرى عجز حيلتها وقالت ملائكته غريب نأى عنه الاقربون وبعيد جفاه الاهلون وخذله
المؤملون نزل بنا قريبا فاصبح في اللحد غريبا وقد كنت في دار الدنيا داعيا ونظرك الى في هذا
اليوم راجيا فتحسن عند ذلك ضيافتي وتكون أشفق علي من أهلي وقرابتي الهي سترت علي في
الدنيا ذنوبا فلم تظهرها فلا تفضحني يوم ألقاك على رؤس العالمين بها واسترها علي هنالك ياأرحم
الراحمين الهي لو طبقت ذنوبي بين السماء والارض وخرقت النجوم وبلغت أسفل الثرى ماردني
اليأس عن موقع غفرانك ولا صرفني القنوط عن انتظار رضوانك الهي سمت نفسي اليك تستوهبها
وفتحت افواه أملها تستوجبها فهب لها ما سألت وجد لها بما طلبت فانك اكرم الاكرمين بتحقيق

في زمن عمرو بن العاص
اثني عشر ألف ألف دينار
ثم تغيرت أحوال مصر في
دولة الاسلام الى الغاية وخرب
غالب قراها وانحط خراجها
ولم يزل عمرو بن العاص
واليا على مصر الى أن توفي
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وولي عثمان بن عفان
فعزله وولي بدله عبد الله بن
أبي سرح فلما أتى الى مصر
ارتحل عمرو الى المدينة
الشريفة فجبى عبد الله بن
أبي سرح خراج مصر في تلك
السنة أربعة عشر ألف
الف دينار فلما وصل ذلك
الى عثمان بالحديبية نظر
الى عمرو بن العاص وقال له
قدرت اللقحة ياعمرو فقال
له نعم ولكن جاعت اولادها
فان هذه الزيادة التي أخذها
عبد الله بن أبي سرح انما
هي كالى الجماجم فانه أخذ
من كل رأس دينارا خارجا
عن الخراج وحصل لاهل

أمل الآملين الهي قد أصبت من الذنوب ما عرفت وأسرفت على نفسي بما قد علمت فاجعلني اما عبدا طائعا لك فأكرمتني واما عاصيا فرحمتني الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتني فلا تحرمني من جزائك الذي عرفتني فمن النعمة ان هديتني بحسن دعائك ومن تمامها ان توجب لي حسن جزائك الهي انتظرت عفوك كما ينتظره المسيئون ولست آيسا من رحمتك التي يتوقعها المحسنون الهي جودك بسط املي وشكرك قبل عملي فصل على محمد وعلى آل محمد وبشرني بلقائك وأعظم رجائي بجزائك الهي أنت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الآملين ولا يبطل عندك سبق السابقين الهي ان كنت لا استحق معروفك ولم استوجبه فكن أنت أهل التفضل به على فالكريم من لم يضع معروفه عند من لا يستوجبه الهي مسكنتي لا يجبرها الا عطاؤك وأمنيتي لا يغنيها الا نعماؤك الهي استوفقك لما يدنيني منك وأعوذ بك مما يصرفني عنك الهي أحب الامور الى نفسي واعودها على منفعة ما استرشدتها بهدايتك اليه ودللتها برحمتك عليه فاستعملها بذلك عني اذ أنت ارحم الراحمين بها مني الهي أرجوك رجاء من لا يخافك وأخافك خوف من لا يرجو ثوابك فقني بالخوف شر ما احاذر واعطني بالرجاء خير ما أحاذر الهي انتظرت عفوك كما ينتظره المذنبون ولست آيسا من رحمتك التي يتوقعها المحسنون الهي مددت اليك يدا بالذنوب مأسوره وعينا بالرجاء مغروره وحقيق لمن دعاه بالندم تذللا ان يجيبه بالكرم تفضلا الهي ان عرضتني ذنوبي لعقابك فقد ادناني رجائي من ثوابك الهي لم أسلط على حسن ظني بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائي لك بين الآملين الهي ان انقرضت بغير ما أحببت من السعي ايامي فبالايمان امضتها الماضيات من اعوامي الهي ان أخطأت طريق النظر بما فيه كراماتها فقد أصبت طريق الفزع بما فيه سلاماتها الهي ما اضيق الطريق على من لم تكن أنت دليله وما اوحش المسلك على من لم تكن انت أنيسه الهي انهملت عبراتي حين ذكرت خطيآتي ومالها لا تنهمل وما ادري ما يكون اليه مصيري وماذا يهجم عليه عند البلاغ مسيري وأرى نفسي تخاتلني وأيامي تخادعني وقد خفقت فوق رأسي ألوية أجنحة الموت ورمتني من قريب أعين الفوت فما عذري وقد أوجس في مسامعي رافع الصوت لقد رجوت ممن ألبسني بين الاحياء ثوب عافيته ان لا يعريني بين الاموات بجود رأفته ولقد رجوت ممن تولاني باقي حياتي باحسانه ان يسعفني بعد وفاتي بغفرانه يا أنيس كل غريب آنس في القبر وحشتي ويا ثاني كل وحيد ارحم في القبر وحدتي ويا عالم السر والاخفى ويا كاشف الضر والبلوى كيف نظرك لي من بين ساكني الثرى وكيف صنيعك بي في دار الوحشة والبلا قد كنت بي لطيفا أيام حياتي فلا تقطع برك عني بعد وفاتي يا أفضل المنعمين في آلائه وأنعم المتفضلين في نعمائه كثرت عندي أياديك فعجزت عن احصائها وضقت ذرعا في شكري لك بجزائها فلك الحمد على ما أوليت ولك الشكر على ما أبليت يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بذمة الاسلام أتوسل اليك وبحرمة القرآن أعتمد عليك فصل على محمد وآل محمد واختم لي بخير واعصمني من النار واسكني الجنة مع الابرار ولا تفضحني بسريرتي حيا وميتا وهب لي الذنوب التي فيما بيني وبينك وأرض عبادك عني في مظالمهم قبلي واجعلني ممن رضيت عنه فحرمته على النار وأصلح لي اموري التي دعوتك بها في الدنيا والآخرة يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم يا من له الخلق والامر تباركت يا أحسن الخالقين يا رحيم يا قدير يا كريم صل على محمد وآله الطيبين وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته انه حميد مجيد والحمد لله رب العالمين روى عن شريح انه قال اشتريت دارا بالكوفة فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا شريح اشتريت لك دارا بالكوفة فقلت نعم فقال أشهدت عدولا فقلت نعم فقال اتق الله فانه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بينتك اذا نظرت أن لا تكون اشتريت دارا من غير مالك وورثت من غير حقه فاذا أنت قد خسرت الدارين جميعا الدنيا والآخرة يا شريح لقد كنت حين اشتريت هذه الدار صرت الى كنت أكتب لك الصك على هذه النسخة اذا ما كنت تشتريها بدرهمين قلت وما كنت تكتب يا أمير

مصر بسبب ذلك ضرر شديد وهي أول الفتحات بها ثم أعيد عمرو بن العاص الى ولاية مصر في زمن معاوية وأقام أميرا بها الى أن مات بها ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين على المشهور ودفن بالمقطم وهو جبل الجيوشي من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ الى الحجاز فأحب أن يدعو له من مر به من الناس وهو أول أمير مات بمصر

﴿الباب الاول في خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولي بعدهم﴾

وهو الحسن بن علي وفي دولة بني أمية والدولة العباسية ومن ولي مصر من نواب الخلفاء الراشدين والدولتين المذكورتين ومن دخل في ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية والتقدم على ذلك نبذة مما يتعلق به صلى الله عليه وسلم تبركا به فنقول

المؤمنين قال كنت أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العبد الذليل من ميت قد أزعج للرحيل اشترى هذا العبد المفتون بالامل من هذا العبد المزعج بالاجل دار المحنة والغرور من الجانب الفاني في عسكر الهالكين لها حدود أربعة الحد الاول ينتهي الى دواعي الآفات الثاني ينتهي الى دواعي المهلكات الثالث ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الرابع ينتهي الى الهوى والردى والشيطان الغوى وفي هذا الحد مشرع باب هذه الدار في الخروج من عز القنوع والدخول في دار الحرص والفضول فما ادرك هذا المشتري من درك كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن بني وشيد وقصر أنسيت يا مغرور انك ميت أيقن بانك في المقابر نازل تبلا وتفني والهلا ثق للبلا أيعقل هذا العيش يفرح عاقل وكانت خلافة الامام علي رضي الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر وتوفي قتيلا يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وكان سنه ثلاثا وستين سنة ودفن مما يلي قصر الامارة بالكوفة وغير قبره والله أعلم وكان السبب في قتله رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لما اختلف نوابه ونواب معاوية بسبب قتل عثمان ابن عفان اتفق طائفة من الخوارج على قتلهما فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا وقال الحجاج بن عبد الرحمن الصيرفي وأنا أقتل معاوية فأما عبد الرحمن بن ملجم فانه توجه الى الكوفة وكان يكتم أمره ولا يظهر الذي يقصده على أحد ثم انه أتى قوما من بني تميم فرأى امرأة جميلة الصورة يقال لها قطام وكان الامام علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان فخطبها ابن ملجم فقالت له لا أتزوجك الا على شروط ثلاثة أولها ثلاثة آلاف درهم والثانية قينة تغني والثالثة قتل علي بن ابي طالب فقال لها اما الدراهم والقينة فهما مهور وأما قتل علي بن أبي طالب فلم ذكرت لي ذلك وما تريدين منه قالت تلتمس ضربه بالسيف فان ضربته وسلمت شفيت نفسي منه وينفعك العيش معي والا فما عند الله خير لك مني فقال لها والله ما جئت الا لقتل علي بن أبي طالب وكان ما أراده الله في الازل وتوجه من عندها الى الكوفة وكان من عادة الامام علي رضي الله عنه اذا خرج الى الصلاة من بيته وقف بباب المسجد ونادى أيها الناس الصلاة الصلاة وكان ابن ملجم قد وقف له مقابل المسجد فاعترض الامام عليا وكان رفيقه لابن ملجم شبيبة بن بجرة قال ابن التياح فرأيت بارقة السيف وسمعت قائلا يقول الحكم لله يا علي ثم رأيت سيفا ثانيا فاما سيف ابن ملجم فاصاب جبهة الامام علي رضي الله عنه مع قرنه الى أن وصلت الى دماغه وأما سيف ابن بجرة فوقع في الطاق فقال علي لا يفوتنكم هذان الرجلان فشد الناس عليهما من كل جانب فاما ابن بجرة فتبعته خيل المغيرة بن شعبة فقتلوه وأما ابن ملجم فصرعوه وأخذوه ودخلوا به على الامام علي رضي الله عنه فقال طيبوا طعامه وألينوا فراشه فان أنا أعيش فانا ولي دمي فاما ان اقتص منه واما أن أعفو عنه وان مت فالحقوه بي وأخاصمه عند رب العالمين ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال في زهر الآداب ان عليا رضي الله عنه لما رأى عبد الرحمن بن ملجم قال أنت الذي تخضب هذه من هذه فقيل له يا أمير المؤمنين ألا تقتله قال كيف يقتل الانسان قاتله وفي رواية ومن يقتلني وأحضر عبد الرحمن بن ملجم بعد وفاة الامام علي رضي الله عنه وجاء الناس بالنفط والبواري وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه ولم يتأوه بل يتلو القرآن فلما أرادوا قطع لسانه تأوه وامتنع من اخراجه فقيل له قطعت يداك ورجلاك وما تألمت ولا امتنعت ولم هذا الامتناع عند قطع لسانك فقال اتألم ان تفوتني شيء من تلاوة القرآن وأنا حي فشقوا شدقه وأخرجوا لسانه وقطعوه وقتل شر قتلة والله يحكم بين العباد قال ابو بكر بن حماد يرثي الامام علي رضي الله عنه

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشي على قدم * واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن النبي لنا شرعا وتبيانا
صهر الرسول ومولاه وناصره * اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * ما كان هرون من موسى بن عمرانا

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بفتح الطاء المشددة وكسر اللام بن هاشم بوزن اسم الفاعل بن عبد مناف بفتح الميم ابن قصي بضم القاف ابن كلاب بكسر الكاف على صيغة الجمع ابن مرة بضم الميم ابن كعب بفتح أوله ابن لؤي بضم أوله وفتح الهمزة وتشديد التحتية ابن غالب بوزن اسم الفاعل ابن فهر بكسر أوله ابن مالك بن النضر بفتح أوله ابن كنانة بكسر أوله ابن خزيمة بن مدركة بضم أولهما ابن الياس بكسر الهمزة وسكون اللام قبل المثناة التحتية ابن مضر بضم أوله ابن نزار بكسر أوله وفتح الزاي قبل الالف ابن معد بفتح اوله وتشديد ثالثه ابن عدنان بوزن فعلان وهذا هو النسب المتفق عليه وليس ما وراءه طريق صحيح (ولما نفخ الروح في آدم) كان نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وكان في الحرب سيفا ماضيا بطلا * ليثا اذا لاقى الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا
انى لاحسبه ما كان من بشر * يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
اشقى مرادا اذا عدت قبائلها * واخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التي جلبت * على ثمود بارض الحجر خسرانا
وكان يخبرهم ان سوف يخضبها * قبل المنية ازمانا وأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله * ولا سقى قبر عمران بن حطانا

(وقال أيضا)

وهز على بالعراقين لحية * مصيبتها حلت على كل مسلم
وقال سياتيها من الله حادث * يخضبها أشقى البرية بالدم
فباكره بالسيف شلت يمينه * لشؤم قطام عند ذل ابن ملجم
فيا ضربة من خاسر ضل سعيه * تبوا منها مقعدا في جهنم

(وقال البحترى)

ولا عجب للاسدان ظفرت بها * كلاب الاعادى من فصيح وأعجم
فضربة وحشى سقت حمزة الردى * وموت على من حسام ابن ملجم

(خلافة سيدنا الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما)

هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع له يوم مات أبوه وأقام ستة أشهر وخلع نفسه في ربيع الاول سنة احدى واربعين ومات سنة خمس وستين ودفن بالبقيع روى سفينة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضوضا وكان آخر ولاية الحسن ثلاثون سنة من خلافة أبي بكر رضى الله عنه وروى ان النابغة الجعدى نظر الى الحسن والحسين ابنى على بن أبي طالب رضى الله عنهم فقال رحبا على رحب وقربا على قرب هذان سبطا محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة ابراهيم وصريح اسمعيل وفرعا قريش وشبلا هاشم وسيدا شباب أهل الجنة ثم أنشأ يقول

بدران من شمس كريم نابعة * أفنانها بيد النبوة تزهر
من جذر طاهرة وفرع طاهر * كرمت منابته وطاب العنصر
الاطيبون أرومة من هاشم * والا كرمون مآثرا اذ تذكر
جبريل منهم والنبي محمد * والمروتان وزمزم والكوثر
والبيت بيتهم وهو نسب منهم * ومني يورثها الصغير الاكبر
واذا وقفت على المشاعر شية * حرمتهم وجمارها والمشعر

(مسئلة) مفيدة سئل عنها مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد الرملى الشافعي تغمده الله برحمته وهي هل يقال لمن هو من ذرية العباس رضى الله عنه سيد وشريف وهل له تعليق علامة الشرف أم لا أجاب ليس الامور المذكورة لاحد من أولاد العباس ولا لاحد من أقاربه وأولاد بناته صلى الله عليه وسلم الالاولاد سيدتنا فاطمة رضى الله عنها فالشرف مختص بأولادها الحسن والحسين ومحسن فاما محسن فمات صغيرا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والعقب للحسن والحسين رضى الله عنهم وانما اختصا بالشرف لما وفر وهما الامور كثيرة منها كونهما مشاركين للنبي صلى الله عليه وسلم في نسبه فانهما شعبيان ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم لهما وكونهما سيدى شباب أهل الجنة في الجنة فانه صلى الله عليه وسلم انهم ما بضعة مني يريبني ما يريبهما ويؤذيني ما يؤذيهما وكونهما أشبه بناته في الخلق والخلق حتى في المشى ومنها اكرمه لها حتى انها كانت اذا جاءت اليه قام لها وأجلسها في مجلسه لما أودعه الله فيها من

يلمع في جبهته كالشمس المشرقة ثم انتقل ذلك النور من صلب آدم عليه السلام الى رحم حواء ومنها الى صلب شيث ولم يزل ينتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وهو معنى قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وكان كل جد من أجداده من لدن آدم يأخذ العهد والميثاق أن لا يوضع ذلك النور الا في الطاهرات فأول من أخذ العهد آدم أخذه على شيث وشيث على أنوش وأنوش على قينن وهكذا الى أن وصلت النوبة الى عبد الله ابن عبد المطلب فلما أودع ذلك في صلبه لمع ذلك النور من جبهته فظهر له جمال وهيبة فكانت نساء قريش يرغبن في نكاحه وقد لاقى في زمانه مالقى يوسف عليه السلام من امرأة العزيز (وقد روى الترمذى) عن العباس

السرو منها انه صلى الله عليه وسلم قال ابشر يا أبا الحسن فان الله عز وجل قد زوجك بها فى السماء قبل
أن أزوجك بها فى الارض ولقد هبط على ملك من السماء قبل ان تأتينى فقال لى السلام عليك يارسول الله
ابشر باجتماع الشمل وطهارة النسل فما استتم كلامه حتى هبط جبريل فقال السلام عليك يارسول الله
ورحمة الله وبركاته ثم وضع من يده حريرة بيضاء مكتوب فيها سطران بالنور فقلت ما هذه الخطوط فقال ان
الله عز وجل اطلع الى الارض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع اليها ثانية فاختار
لك منها أخا ووزيرا وصاحبا وختنا فزوجه ابنتك فاطمة فقلت من هذا الرجل فقال اخوك فى الدين وابن
عمك فى النسب وقد أمرنى ان آمرك بتزويجها بعلى فى الارض وان ابشرهما بغلامين زكيين نجيبين فاضلين
طاهرين خيرين فى الدنيا والآخرة ربما افاده مولانا شيخ الاسلام ابن حجر الهيثمى فى كتابه الصواعق
المحرقة حيث قال ينبغى لكل احد ان يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه
صلى الله عليه وسلم احد الا بحق ولم تزل انساب أهل البيت النبوى مضبوطة على تطاول الايام واحسابهم
التى بها يتميزون محفوظة عن ان يدعيها الجهال واللئام عند من يقوم بتصحيحها فى كل زمان ومن يعتنى
بتفاصيلها فى كل اوان خصوصا انساب الطالبيين والمطلبيين ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص
الذرية الطاهرة بفاطمة من بنى ذوى الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الاخضر اظهارا لمزية شرفهم
ثم فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة امر السلطان الاشرف شعبان ابن السلطان حسن بن الناصرى محمد
ابن قلاوون ان يمتازوا عن الناس بعصائب على العمائم ففعل ذلك باكثر البلاد كمصر والشام وغيرهما
وفى ذلك يقول ابن جابر الاندلسى نزيل حلب وهو صاحب شرح الفية ابن مالك المسمى بالاعمى والبصير

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال فى ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن أحسنه قول الاديب محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقى

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر لاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا ليعرفهم من الاطراف

(فائدة) عظيمة وهو ان النابغة الجعدى المذكور كان من شعراء الجاهلية ثم أدرك الاسلام روى
عنه أنه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فانشدته قصيدتى حتى انتهيت الى قولى

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى * ويتلو كتابا واضح الحق نيرا
بلغت السما مجدا وجودا وسوددا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أين يا ابا ليلى فقلت الى الجنة يارسول الله فقال الى الجنة ان شاء الله
ثم انتهيت الى قولى

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر اصدرا

فقال صدقت وأحسنت لا يفضض الله فاك قال فبقيت عمرى أحسن الناس ثغرا وعمرت عمرا طويلا
فكنت كلما سقطت لى سن نبتت مكانها أخرى لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف وكرم

(الباب الثانى فى دولة بنى امية)

كانت بالشام وعدة الخلفاء منهم أربعة عشر خليفة وكانت عمالهم بمصر وغيرها ومدة تصرفهم اثنتان
وتسعون سنة (أولهم) معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه واسمه صخر بن حرب بويع له فى ذى الحجة سنة
أربعين ببيت المقدس قال الطبرى لما مات الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه اتفق معاوية وعمرو
ابن العاص على ان يكون معاوية بالشام وعمرو بن العاص بمصر ولا يكون لاحدهما على الآخر كلام ثم
جعل الناس يقدمون على معاوية من سائر الاقطار وهو يرضى الناس بالاموال فلما فرغ ما عنده من
الاموال كتب الى عمرو بن العاص انه قد كثر على وراد الحجاز ووفود العجم والشام والروم واليمن ولم يكن

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وجعلنى من خيارهم ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى فى خير بيت فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أى ذاتا وأصلا * وأخرج ابن جرير فى تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام عن مجاهد قال استجاب الله تعالى دعوة سيدنا ابراهيم فى ولده فلم يعبد أحد منهم صنما بعد دعوته وجعل من ذريته من يقيم الصلاة * قال السيوطى رحمه الله وهذه الاوصاف كانت لاجداده صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية ابراهيم عليه السلام وكل ما ذكر عن ذرية سيدنا ابراهيم من المحاسن فان أولى الناس به سلسلة

عندى شئ أرضيهم به فصيرالى خراج مصر سنة واحدة لاستعين به على من يرد على فقال عمرو بن العاص فى نفسه متى سيرت اليه مالا يطلبه منى فى كل سنة فكتب جوابا لمعاوية يقول له هذه الابيات

معاوى ان تدركك نفس شحيحة * فما ورثتنى مصر أمى ولا أبى * وما نلتها عفوا ولكن شرطتها
وقد دارت الحرب العوان على قطبى * ولولا دفاع الاشعرى وصحبه * لالفيتها ترغو كراغية الصبى

فكتب اليه معاوية انه قد تردد كتابى اليك بطلب خراج مصر وأنت تمتنع وتدافع ولم تسيره فسيره الى قولا واحدا وطلبا جازما والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص جوابا وهى القصيدة الجلية المشهورة التى أولها

معاوية الفضل لا تنس لى * وعن منهج الحق لا تعدل * نسيت احتيالى فى جلق
على أهلها يوم لبس الحلى * وقد أقبلوا زمرا يهرعوا * ويأتون كالبقر المهمل

ومنها أيضا

ولولا كنت كمثل النسا * تعاف الخروج من المنزل * نسيت محاورة الاشعرى
ونحن على دومة الجندل * والعقته عسلا باردا * وأمزجت ذلك بالحنظل
ألين فيطمع فى جانبى * وسهمى قد غاب فى المفصل * وأخلعها منه عن خدعة
كخلع النعال من الارجل * وألبستها فيك لما عجز * ت كلبس الخواتم فى الانمل

ومنها أيضا

ولم تك والله من أهلها * ورب المقام ولم تكمل * وسيرت ذكرك فى الخافقـ
ين كسير الجنوب مع الشمأل * نصرناك من جهلنا يا ابن هند * على البطل الاعظم الافضل
وكنت ولن ترها فى المنا * م نزفت اليك ولا مهر لى * وحيث تركنا أعالى النفوس
نزلنا الى أسفل الارجل * وكم قد سمعنا من المصطفى * وصايا مخصصة فى على

ومنها أيضا

وان كان بينكما نسبة * فأين الحسام من المنجل
وأين الثريا وأين الثرى * وأين معاوية من على

فلما سمع معاوية هذه الابيات لم يتعرض له بعد ذلك * قيل دخل عقيل بن أبى طالب على معاوية وقد كف بصره وجلس الى جانبه على سريره فقال له معاوية أنتم معاشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معاشر بنى أمية تصابون فى بصائركم فسكت ولم يتكلم وقيل ان معاوية قال يوما لجلسائه ما تعدون الغريب فيكم فقالوا الذى لا أحد له فقال بل الغريب الذى مات نظراؤه الذين كان يستأنس بهم وأنشد

اذا ذهب القرن الذى أنت منهم * وخلفت فى قرن فأنت غريب
مفرد فى المعنى أجالس معشر الاشكال فيهم * وأشكالى قد اعتنقوا اللحودا

قيل دخل نجار العدوى على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها فقال معاوية ما رأيت أحقر منه أولا ولا أكبر منه آخرا وقيل قال الاسكندر لرجل دمامة من مجلسه فتكلم بفصاحة ليكن حسن ثيابك كحسن كلامك فقال اما الكلام فأنا قادر عليه وأما الثياب فأنت تقدر عليها فخلع عليه وأكرمه (ذكر قدوم عكرشة بنت الاطروش بن رواحة على معاوية) قيل دخلت عليه وهى متكئة على عكازها فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية يا عكرشة ليوم صرت عندك أمير المؤمنين فقالت له نعم اذ لا على حى فقال معاوية يا عكرشة ألست يوم صفين المقلدة حمائل سيفك بين الصفين وأنت واقفة تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يحزن من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها مستظهرين بالصبر على من طلب حقوقكم ان معاوية قد وفد عليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم بالباطل فلبوه فالله الله عباد الله فى دين الله يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم واعلموا أن مصيركم الى الموت كأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة وكأنى أراك على عكازك هذه وقد انكفأ عليك العسكر

الاجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل اليهم النبوة واحدا بعد واحد ولم يدخل ولد اسحق عليه السلام وبقيه ذرية ابراهيم لانه دعا لاهل هذا البلد آلا ترا، قال اجعل هذا البلد آمنا وعقبه بقوله واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام فلم تزل ناس من ذرية ابراهيم عليه السلام على الفطرة يعبدون الله تبارك وتعالى ويدل له قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه فان الكلمة الباقية هى التوحيد وعقب ابراهيم عليه السلام هم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونسله وآباؤه الكرام فأبواه ناجيان منعمان فى أعلى درجات الجنان لانهما ماتا فى زمن الفترة وأهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام على الراجح الامين الخبير

ان يقولون هذه عكرشة بنت الاطروش كان كدت تقتلين أهل الشام كان أمر الله قدرا مقدورا فما حاجتك
على ذلك قالت يا أمير المؤمنين يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان اللبيب اذا كره أمرا لم يحب اعادته فقال لها معاوية صدقت اذكرى حاجتك وما جئتني بسببه قالت
ان صدقاتنا تؤخذ من اغنيائنا فترد على فقرائنا وانا فقدنا ذلك فلا يجبر لنا كسير ولا ينتعش لنا فقير فان
قالت فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة وان كان عن رأى غيرك فمثلك من
لا يستعين بالخونة ولا يستخدم الظلمة فقال لها معاوية يا هذه اتقى الله انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور
تنفتق وبحور تتدفق فقالت سبحان الله والله ما فرض لنا حقا وفيه ضرر لغيرنا وهو علام الغيوب فأمر لها
معاوية ولمن معها برد صدقاتهم اليهم وانصرافهم واكرامهم وأعطاها خمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت
وأقام معاوية في الخلافة عشرين سنة وتوفى في رجب سنة ستين وسنه ثمان وسبعون سنة ودفن بدمشق

﴿خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان﴾

بويع له يوم مات أبوه قبل جلس يزيد في بيته يأكل الطعام فأجلس على بن الحسين بن على بن أبي طالب
رضى الله عنهم على ركبته اليمنى واجلس خالدا ولده على ركبته اليسرى وكان سن كل واحد منهما خمس
سنين فقال لعلى يا أبا الحسن اما تقوم تتصارع أنت وابن عمك خالد لننفرج عليكما فقال على بن الحسين
وما يأتينا من الصراع يا عم اعطنى سيفا واعطه سيفا وانظر اينا اصبر على الموت قال فنظر اليه يزيد شزرا
وقال والله كنت أحسب ان الضغائن تفرغ من القلوب ولا تلد الحية الا حوية ثم رفعه من على ركبته وكان
قبل ذلك يأكل معه في البيت فلم يطلبه بعدها ومات يزيد في تلك السنة (ومما يحكى) انه لما قتل الحسين بن
على بن أبي طالب رضى الله عنهما ووصل رأسه الى يزيد وضعه بين يديه وقرعه بقضيب كان معه بيده على
ثناياه ثم أمر بالرأس فنصب أياما على باب دمشق وطلب يزيد أهل الشام واحضرهم حوله واحضر عليا
الاصغر بن الحسين والنساء معه ينظرون اليهم فقال يزيد لعلى ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في
أنفسكم الا في أبيك الذي قطع رحمى ونازعنى في سلطانى فصنع الله به ما رأيت فقال على ما أصاب من
مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب فقال يزيد لابنه خالد أجبه عما قال فلم يدر خالد ما يقول فقال
يزيد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير روى الطبرى ان يزيد أمر بخطيب من
بنى أمية ان يصعد المنبر فصعد وخطب ونال من على ومن الحسين وأطنب في ذلك فاستأذن على بن الحسين
في ان يصعد المنبر ويذكر ما يريد فامتنع يزيد من ذلك فألح عليه في ذلك فاذن له فصعد المنبر وخطب
خطبة بليغة حتى أبكى العيون وأوجل القلوب من جملتها أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا
أعرفه بنفسى وانسب له حسبى ونسبى أنا ابن مكة أنا ابن زمزم والصفا انا ابن من حمل الركن بأطراف
الردا أنا ابن خير من ائتزر وارتدى أنا ابن خير من انتعل واحتفى أنا ابن خير من حج ولبى أنا ابن خير
من ركب البراق في الهوا انا ابن خير من أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى أنا ابن خير من
بلغ به جبريل سدرة المنتهى أنا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى أنا ابن خير من صلى
بملائكة السما أنا ابن محمد المصطفى أنا ابن على المرتضى انا ابن فاطمة الزهراء أنا ابن سيدة النساء
أنا ابن الاولياء أنا ابن آخر الاصفياء فعند ذلك ضج الناس بالبكاء وكادت أن تكون فتنة فولى وخشى
الفتنة ولما حمل رأس الحسين الى الشام خرجت زينب بنت على بن أبي طالب في نساء من قومها من بنى
هاشم وهن حاسرات وكن يومئذ بدمشق وهى تنشد وتقول

ماذا تقولون اذ قال النبى لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم * بعترتى وباهلى بعد مفتقدى
نصف أسارى ونصف خضبوا بدم * ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم * ان تخلفونى بسوء في ذوى رحمى

وقيل ان يزيد بن معاوية قال من جاءنى برأس الحسين ملأت ركابه ذهبا فتفرد واحد من القوم وهو على
ما قيل انه شبل بن يزيد الجبرى وقيل شمر بن أبي الجوشن وحز رأسه ودفعه الى أخيه خولى وقيل غيره
لما قدموا به على يزيد وضعه الحامل له بين يديه وأنشد مخاطبا ليزيد

صلى الله عليه وسلم بعدم
مجانبتهم كامرئ القيس
واضرابه وقد حفظ الله
تعالى نسبه الشريف من
سفاح الجاهلية * قال محمد
ابن السائب كتبت للنبى
صلى الله عليه وسلم خمسمائة
جد فما وجدت فيهم سفاحا
ولا شيأ مما كان فى أمر
الجاهلية فان بعض أهل
الجاهلية كان اذا اراد
النكاح يقول الزوج خطب
يقول ولى نكاح المرأة
نكح وهذا عندهم عبارة
عن العقد وأما نكاح
عبد الله آمنة فكان عقدا
موافقا لما عليه شريعة
الاسلام مشتملا على تلك
الشروط المعتبرة وان لم تكن
بشرع بل بتوفيق من الله
تعالى وكذا في بقية أجداده
عليه الصلاة والسلام (ولما
قرب وجوده) صلى الله عليه
وسلم رأى عبد المطلب وهو
نائم في الحجر مناما هائلا

املا ركابى فضة وذهبا * انا قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال له يزيد لما علمت انه موصوف بهذه الاوصاف لاى شئ قدمت على قتله فأمر بضرب عنقه لوقته وفاته ما أمله من الذهب والى جهنم قد ذهب وقد سئل مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد الرملى الشافعى رحمه الله تعالى فى يزيد بن معاوية هل يجوز لعنه لانه قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم أو امر بقتله أولا يجوز لعنه لانه لم يقتله ولا أمر بقتله وفى عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا هل هو مسلم أو كافر أجاب رحمه الله لا يجوز لعن يزيد بن معاوية كما صرح به جماعة منهم صاحب الخلاصة وغيره لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن المسلمين ومن كان من أهل القبلة ولا يخالفه قول بعض المتأخرين انهم اتفقوا على جواز لعن من قتل الحسين أو أمر بقتله أو أجازه ورضى به لان معناه على وجه التعميم وهو لعن الطوائف المذكورة بالاوصاف دون تعيين لانسان ليكون من باب لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها رواه أبو داود وابن ماجه بل لم يثبت انه قتل الحسين رضى الله عنه ولا أمر بقتله كما صرح به جماعة منهم حجة الاسلام الغزالى قال فى الانوار ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فانه من جملة المسلمين ان شاء رحمه وان شاء عذبه قاله الغزالى والمتولى وغيرهما وقد طعنه سنان بن أبى أنس فالقاه عن فرسه وأجهز عليه خولى بن يزيد من حمير ونزل ليحز رأسه فارتعدت يداه فنزل أخوه شبل بن يزيد فاحتز رأسه ودفعه الى أخيه خولى ولما قدموا به على يزيد وذكروا له قتله دمعت عيناه وقال ويحكم كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة أنا والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال رحم الله أبا عبد الله وغفر له ولما دخل عليه على بن الحسين فى السبى قال خلوا عنهم وكساهم وأخرج لهم جوائز كثيرة ثم قال لو كان بينهم وبين ابن مرجانة نسب ما قتلهم ثم ردهم الى المدينة وأما عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا كرم الله وجهه فهو مسلم من الخوارج الذى يكفرون مرتكب الكبائر فقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه انه قتل متأولا لانه وكيل امرأة قتل على أباها يعنى متأولا عند نفسه فيما كان مخاطبا فيه وفيما لا يحتمل التأويل وليس كل من يؤول كان له ان يتأول وقد قطع عبد الله ابن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ثم أرادوا قطع لسانه فجزع فقيل له لم لا جزعت لقطع يديك ورجليك وجزعت لقطع لسانك قال انى أكره ان تمر ساعة على من نهار ولا أذكر فيها اسم الله تعالى (نكتة مضحكة) قال صاحب النوادر الطيفة مات مأبون يقال له قرنفل فرآه شخص فى المنام فقال ايش حالك يا قرنفل قال لا تسألنى عن شئ قال الى أين صرت يا قرنفل قال الى جهنم قال ويحك ومن يلوط بك فى جهنم قال يزيد بن معاوية وانا واياه أصحاب ذكر فى القاموس فى باب الثاء فى حرف الدال الدغيوث بالضم هو المأبون قال مؤلف النفحات المسكية أجمع العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على تحريم اللواط ومن قال بحل ذلك فهو زنديق كافر من غير خلاف بين أهل السنة والكتاب قال صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن جابر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى فعل قوم لوط فمن عمل عمل قوم لوط فاحرقوه وقال ابن عباس حد اللواط ان يرمى فاعله من سطح عال ثم يرجم حتى يموت وفى رواية ينكس من مكان مرتفع وقيل يهدم الجدار عليه وعن مالك والشافعى وأحمد بن حنبل يرجم فى الاظهر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به ومن استحله كفر واذا ركب الذكر الذكر اهتز العرش (حكى) عن بعض أهل اللطافة قال طلعت يوما نحو القرافة فى خف وترافة لازور من فيها من الاموات وأتعظ على ما فات والى ما هو آت واد كر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات وارتدع عن المعاصى والسيئات فاخترقت تربها واستجليت عجبها وجعلت أجول بطرفى فى أزهارها وعشبها وأتفكر كيف ساوت تلك البقعة بين المالك والمملوك وخالطت بين الغنى والصعلوك وكم فيها قبر يزار

فاتته فرجع مرعوبا وأتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يسود أهل السماء والارض فتزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ من نسل النضر وأمها صخر بنت عبد الله بن عمران من نسل النضر أيضا فحملت بعبد الله الذبيح وقصته فى الذبح مشهورة وسبب تسميته بذلك ان عمرو الجرهمى لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله تعالى لهم من أخرجهم من مكة عمد عمرو الى زمزم فطمها وهرب الى اليمن ومضت مدة طويلة وزمزم مطمومة مجهولة الى أن رأى عبد المطلب رؤيا تشير له بحفرها فأراد ذلك فمنعته قريش وأذاه سفهاؤهم حسدا ولم يكن له ولد سوى الحرث فنذر لله تعالى لئن

وكم قبر قد درس علاه عليه التراب والغبار فجعلت تارة ادير طرفا فرغرت عليه الدموع وتارة أعاتب قلبا لفراق الاحبة موجوع وتارة أندب الساسار واخلوا الاطلال والربوع وتارة أبكي لفقد أناس كانت وجوههم أضوأ من الشموع وأسبح الله الذي أرقدهم الحي المميت الذي لا راد لامره ولا لقضائه ممنوع فبينما أنا كذلك وفي وسط الطريق سالك اذ نظرت في كهف الجبل الى بناء منقطع وحوسق في الجو مرتفع فمشيت الى ان وصلت اليه ونويت الجلوس على بابه لاسقط لتعب عليه واذا أنا بصوت داخل البناء أحسن من نغمات الاوتار وأطيب من صوت الهزار وتسجيع الاطيار يكرر بصوته النياحه ويندب بنغمته أوقات الراحه بصوت تميل اليه قلوب سامعيه لما فيه من الذكاء والفصاحه يهيج الاشواق ويفتت قلب المشتاق وتتطاول اليه الاعناق وتهمى بسماعه العيون من الآماق بقلب جريح كانه كابد مرارة الفراق ينشد ويقول

ما أنت يا قبر لا روض ولا فلك * فكيف يجمع فيك الشمس والقمر

بالله يا قبر لا تبلى محاسنه * وهل تغير ذاك المنظر النضر

وهل بهاء وجهه قد زو بهجته * وهل فني بفناه نشره العطر

وهل تدوم مسراتي لفرقته * هيهات قد عاد صفوي بعده كدر

ثم شهقت شهقة في آثار انشادها وتزايد بي تعجبي بترداد هاوتقطع قلبي بنواحها وبكائها وتعدادها الى ان سلبت كل عضو مني واذهبت نومي عني فقلت والله لاهجعن عن هذا الباب واعلم ذا بسماع هذا الخطاب وانظر من هذا الذي هو مصاب فلعلى ألاحظ هذا الشاكي فأشاكيه وأماسليه وامانسيه فطرقت الباب طرق متردد في أمره حامد لله على زيادة نعمه وشكره ففتح لي الباب سريعا وبجوابه سريعا فاذا هي امرأة ذات جمال فائق وشكل لائق وقد شاهق صاحبة عفاف وعواطف كان شمائلها سرقت من الظبي العاطف بغنج ودلال وقد واعتدال وبهاء وكمال كما قال فيها الشاعر

تشابه غصن البان كالبدر والشمس * وقد طهرت من كل عيب ومن رجس

وليس لها بين البرية مشبه * فجلت من بالحسن وجنتها تكسى

اذا نظرت عيناي نور جمالها * تزايد بي شوق ووجدي مع الانس

تحاكي اغصن البان والبدر في الدجى * وطول نهاري في محاسنها ادرس

عسى خالقي يمن علي بوصلها * فما الي سواها في حياتي وفي رمسي

ثم سألت اذنا في العبور فنعمت وسلمت السلام التام وأكرمت فبدأت بقراءة آيات من كتاب الله تعالى رب الارباب وأهديتها لسكان التراب ثم تجاسرت بكلامي عليها وتقدمت اليها وسلمت عليها وسألتها عن قصتها وحالها وقضيتها وماجرى لها فقلت لها من هذا الذي تندبينه وفي هذه البرية تبكينه وتعينيه أذهبت عنوان شبابك وقتلت نفسك بين أترابك فقالت يا أخي هذا بعلي الذي أحسن الي فيما مضى وخلاني للشقاوة والقضا فقلت لها يا أختي اشتغلي عما تفعلينه فالموت سبيل لابد منه فابدت بكاء وعويلا ونظرت الى القبر طويلا بدمع هاطل يشبه السيول وأنشدت تقول

ياساكن القبر فوق القبر ذات جوى * يرثي لها القبر من حزن ومن شجن

تخالفت فيك أحوالي أمي وضني * الى لقاك وطرف طالب الوسن

وحالف القلب فيك العين من كمد * واسود بالغم وابيضت من الحزن

من بعد بعدك بت الليل ساهرة * لم يهن بالجوى سكني الى سكني

وأصبحت بعدك الاطلال خالية * وكم أياد لبعلي ثم كم منن

وكنت عونا لجمع النائبات وكم * أحسنت يا علي في سالف الزمن

ثم بكت حتى أخشى عليها ومالت كليتي بالشفقة اليها وأحرقت قلبي ببكاها ورحمت قلقها ونواها فلما فرغت من البكاء مالت بجانبها الى جانبي وغازلتني بالعين والكف وتبهرجت على بالخصر والردف فلما

ولد له عشر بنين ليذبحن أحدهم ويستعين بباقيهم على حفر زمزم فتكامل له عشر بنين وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقدم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله ولما قرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة فرأى في منامه قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه من نومه وقرب جملا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما أكبر من ذلك قال قرب أحد أولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا ثم جمع أولاده وأخبرهم

رأيت ذلك من حالها وما أبدته من فعالها تزايد بي الطمع وداخلني في مداخلتها الرجا ولم أجد عن هواها سبيلا ومخرجا فقلت يا سيدتي بحق من ألبسك الجمال وخصك بالحسن والبهاء والكمال الا مارضيتيني لك بعلا ولخدمتك أهلا لا كون أسبق الناس الى مرضاتك وابذل المجهود في قضاء حاجاتك فنظرت لي شزرا وغضبا وامتلأ قلبي منها رعبا وأنشدت تقول

أتطلب مني أن أكون مزوجا * فلست أرى هذا سبيلا ومخرجا
ولم أتقي زوجي له المثل في الورى * ولا مثله لي في البرية مرتجا
فوالله لا أضحوت من تحت شبره * الى أن أراه من فنا القبر أخرجا
فزوجي له قدر وعلم وحكمة * وحلم وفضل وهو للخير مرتجا
فبالله دع هذا الكلام ولا تكن * بقولك هذا ما برحت مبهرجا
فلازلت مقلاة بغير تزوج * ورب من ضيق يكون مفرجا

ثم قالت وحق رب العباد الذي البسني حلة الحداد وقضى على بالفراق والبعاد لا كان ذلك الى يوم المعاد فقلت لها ياستي اذا لم تنعمى لي بالزواج وأنا من هذا الامر في ضيق وانزعاج فسألتك بحق الله شفي كل علة وأبرد كل غلة الا ماتصدقت على مملوكك بقبلة فقالت لقد اقسمت على بقسم عظيم وحلفتني بالله كريم ثم ناحت وبكت لفرقة الاحباب وتأوهت تأوه المصاب ولعبت بعود كأنه كان معها في التراب وقالت ان كان ولابد ياشاب فلعظيم قسمك تكون القبلة من فوق النقاب فلما سمعت ذلك بادرت اليها وأرميت كليتي عليها ونهضت اليها نهضة العاشق اليها وقبلتها تقبيل الرجل المشغوف وانشدت أقول

أحباب قلبي أنعموا بالخطاب * ولاطفوا واغتنموا الثواب
وقد رضوا من بعدما قد جفوا * وراق لي وقتي وطاب العتاب
وأنعموا لي بالوفا عاجلا * بقبلة قبلت فوق النقاب
وطالت الخلوة ما بيننا * وناب الهجران ولي وغاب

ثم قلت ياسيدتي بحق الله علام الغيوب وكاشف الكروب الا ماوصلتني وصال محب لمحبوب فنظرت الى عند ذلك وقالت ياشاب ان قلبي بالفراق مكسور وحالي معذور وتطلب مني ان توقعني في محظور ويكون ذلك بين القبور ويبقى عرضي معك مهتوكا غير مستور واعصى الاله الغفور فوالله لا كان ذلك الى يوم النشور وأنشدت تقول

أتطلب مني الوصل في حيرة القبر * وتقصد هتكي في البرية مع ستري
وتقصدني المحظور ياساح ترمني * ليزداد اثمي والخطايا مع الوزر
وفي حيرة الاموات اعصى لخالقي * فلا كان هذا القول لو ينقضي عمري
وانسى عهود الله بيني وبينه * ونحن تواعدنا الى ابد الدهر

قال فحصل لي عند ذلك الايام وتزايد بي نحوها القلق والوسواس وتزايدت بي الحسرات وانهملت العبرات وقلت ياسيدتي بحق الله يرى ولا يرى وبحرمة نبي اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى لنحوها فسرى وصلى وحج واعتمر وحلل وحرم وتعبد في حرى الا ماقضيت لي بالوصل وطرا فقالت والله لقد اقسمت على بما يقسم الورى والله لا كان هذا ولا جرى فان كان ولابد فيكون سرا فما سمعت كلامها حتى اجبتها الى ما اختارت وأدرتها على جنبها فدارت وقد فعل فيها ما أشارت وهيجني من الفرح قد طارت فمتحت مؤخر السروايل وكشفت وسارعت في الايلاج وتركته ساعة طويلة بلا اخراج وأنا في لذة وحبور وقد ملئت فرحا وسرور فلما قضيت الحاجة وزالت عني اللجاجة أنشدت أقول

قد واصلوني أحبابي وما كسروا * قلبي وبالوصل ما بين الورى جبروا

نسذره ودعاهم الى الوفاء فقالوا جميعا انا لك طائعون فمن تذبح منا فاذبح فقال ليأخذ كل منكم قدحا بكسر القاف أى سهما ثم ليكتب فيه اسمه ففعلوا وأخذ قداحهم ودخل جوف الكعبة ودفعها الى القيم كما كانوا يصنعون وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان أحبهم اليه فقبض عليه وأخذ الشفرة وأقبل على ذبحه فمنعه سادة قريش وقالوا لا ندعك تذبحه حتى تعتذر الى ربك ولئن فعلت هذا لم يزل الرجل يأتي بابنه فيذبحه ويكون سنة ولكن انطلق الى قطيعة أو سجاح الكاهنة فلعلها تأمرك بأمر فيه فرج فانطلقوا حتى أتوا خيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا مائة من الابل فقالت أرجعوا الى

تالله ما كان أحلى وصلنا عجلا * ونحن في لذة لم يعلها كدر
والواش عنا مشغول والرقيب معا * وسادتي عن محاسن وجوههم سفروا
هذا هو العيش لو دام الزمان به * لكن زماني هذا كله غير
فافهم لقولي واسمع يا أخا ثقة * قولا بدا ما حكاه في الورى سمر

فقلت بعد ذلك لابد من معرفتها لأفوز بقربها وصحبتها فقلت يا سيدتي بحق اسمعيل الذبيح وبحق من جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم بعد ان كان فيها طريح وبحق من اليهود المسيح الا ما كشفت لي عن وجهك الصبيح ومتعتيني بجمالك المليح لأكون لك عاشقا ولمحاسنك واصفا ولا زلت أشغالك خادما وعلى بابك لم أزل ملازما فمدت يدها بتكليف وكشفت عن وجهها الظريف فاذا هو شيبة بيضاء قد فرشت سطرين وحكت بياض للجبين فعلاني البكاء والنحيب والزفير واللهيب ووقعت في هم عظيم وحزن مضنى كظيم وقلت الهي بحرمة محمد ساكن طيبة لا تختم بخير لهذه الشيبة وشيبها الله أعظم خيبة يا أنحس الناس وأنجس من الوسواس الخناس هذه الشيبة التي لا يستحي الله من عذابها ولا يبالي من أي باب من أبواب النار أتى بها ماحملك أيها الشيخ المنحوس على هذه الصوره وما الجاك يا مأبون الى هذه الضروره فقال لي يا قليل الآداب يا من لم يزل من وراء حجاب يا عديم الرآي والتوفيق والصواب هكذا اصطاد الارناب فعلمت أنه شيخ جاهل ومخبل ليس بعاقل وفهمت أن به مرضا من الامراض يحتال به على غرض من الاغراض فتركته ودخلت المدينه ومقلتي باقية حزينه فسألت ناسا من الاحباب والاصدقاء والاصحاب عن هذا الشيخ القليل الهيبة الذي ستر وجهه وكشف طيزه فقيل لي هذا محتسب الجيزه فانصرفت وأنا متفكر في هذه القضيه وشؤم هذه الرزيه ونسأل الله حسن الخاتمة بمحمد وآله (حكى الراغب في تذكرته) قيل أول من ظهرت فيه الابنة العزيز صاحب يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وكان أبو جهل مأبونا واذا أحزنه الداء ألقم دبره حجرا ويقول واللات والعزى لاعلاك ذكر وكان جالينوس مأبونا ففعل به غلام خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الغلام وقام عنه فقال جالينوس دعني والدجاج فمازال يصفه للمرضى حتى انقطع أصل الدجاج من المدينة ودخل مطيع على صديق له فرأى تحته غلاما وفوقه آخر فقال له ما هذا قال اللذة المضاعفة (حكى) صاحب النوادر ان امرأة من العواجز علت فوق رجل وهو نائم على قفاه وادخلت ذكره في فرجها ثم ان رجلا آخر علاها وأدخل ذكره في دبرها فصار لها بينهما انخفاض وارتفاع وغير ذلك وهي تارة تلقم شفتها السفلى ثم تلتفت وتلقم شفتها العليا هو وفوقها واستمرت على هذا الحال الى ان تم العمل ثم انها سئلت عن ذلك فقالت هذا نكاح العافي وايصال اللذة للخافي والموافي وقيل لمأبون لم لزمت هذا الغلام قال ان في ايره خمسة أشياء من العروض الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل وقيل لمأبون ان ابنك به ابنة فقال المفتاح لا يخرج من بني شيبة وقيل لمأبون في شهر رمضان هذا شهر كساد فقال أبقى الله اليهود والنصارى وقال بعضهم

رأيت تحت عبد بان يرهزه * فقلت ترضى بذا قبحت من رجل
وكيف يعلوك عبد السوء قال نعم * لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(وقال آخر)

رأيت أبيض لون تحت أسوده * والوجه منه يضاهي الشمس في الحمل
فقلت هذا عجيب قال لا عجب * لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(وقال آخر)

يقول له المعشوق وهو يلوطه * أملك حتى بعد ذلك تنام
فقال وهل في العيش للناس لذة * اذا لم يكن فرق الكرام كرام

(وقال آخر)

بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا بينهما حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فاذبحوها فقد رضي ربكم وقد فدى صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روي أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين والذبيحان عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل اسحق * وأما ولادته صلى الله عليه

ولم أنس ما قالت له وهو واسع * طويل عريض المنكبين نتيف
فقال الحمى الا يقعد ههنا * فقال ادخلا ضيف الكرام يضيف

وقد سمعت ان شخصا من ذوى الاعراض ابتلى بمرض الابنة فخشى ان يشاع عنه ذلك فيهون عند الناس فصنع له خشبة مثل الذكر وكان اذا تحرك عليه المرض خلا بنفسه فى بستان له داخل داره ويحكم غلق أبوابه خوفا أن يطلع عليه أحد ويعالج نفسه بالخشبة الى أن يغيب عن وجوده ولما يفيق يتضرع الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والابتهال فى ازالة هذا المرض وكان يعتريه فى كل شهر ما يزيد على أربع مرات وكان مدة ابتلائه بهذا المرض مصفر اللون متغير الوجه ثم انه غفل يوما عن قفل باب البستان وكان متزوجا بابنة عمه وكلما يدخل البستان ويغلقه يحصل لها منه تطير وتظن انه مختل بأحد فداخلها ما يداخل النساء من الغيرة وكانت ترصده عند دخول البستان رجاء أن تطلع على حاله فلم يتيسر لها ذلك فجاءت يوما فوجدت باب البستان مفتوحا فدخلت فوجدت ابن عمها وهو ملقى على الارض منكب على وجهه مكشوف العورة وقد نزع الخشبة من دبره وهو مغشى عليه فنظرت الى دبره وقد خرجت منه دودة لها قرنان وهى تنفنف حول حلقة دبره على ما خرج من العفونات فانتزعت الدودة من دبره فوجدتم المحو الفتروهو لا يشعر ثم انها وضعتها فى قطنة بداخل علبة صغيرة فلما أفاق تضرع الى الله تعالى على معافاته من هذا المرض ثم مضى عليه ثلاثة شهور ولم يعتره شئ فحمد الله على ذلك وعمل مولدا فقالت له ابنة عمه ما سبب هذا المولد فقال لها كان اعترانى مرض وأزاله الله فضحكت فقال لها ما سبب هذا الضحك فلم تنبئه فما زال يلح عليها حتى أنبأته بالخبر وجاءت له بالعلبة التى بها الدودة وأخرجتها من القطنة فنظر اليها وقال جزاك الله خيرا فيما فعلت وأحسن اليها فسبحان من عافاه من هذا الابتلاء وقال بعض الحكماء الابنة مرض ينزل الله به الجبابرة وهو احتكاك فى المسربة من داخل يورث أكلة فلا تبرد على صاحبها الا بدلك الذكر وتقطير المنى وقد ذكر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى مختصر التذكرة لسويدى يؤخذ الماء الذى نقع فيه السمك المملوح ويحتقن به صاحب الابنة عشرين يوما كل يوم مرة فانه تذهب وكذلك يؤخذ الشعر الذى على الفخذ الايمن من الضبع الذكر والانثى ويحرق ويدهن برماده صاحب الابنة يبرأ باذن الله تعالى وذكر الامام الاكمل جمال الدين محمد فى رسالته الشهابية فى علم الطب أن هذا المرض قد يعترض لمن اعتاد باللواط واتيان النساء فى الدبر ويكون منيه كثيرا قليل الحركة وقلبه ضعيفا وانتشاره قليلا العلاج الضرب والحبس والاستهانة وايقاعه فى هموم وغموم ومحا كمات وان يستفرغ البلغم بحب الغاريقون وشحم الحنظل وان شرب كل يوم وزن درهم من البسفايج نفعه وكذلك من السورنجان وذكروا ان أكل قلب الديك مشويا ينفعه وكذلك الحمام واذا أكل من ورق الآس وزن درهم نفعه وكذلك أكل الثوم واذا تحمل بالصابون أو بورق شجر الخطمى نفعه فنسأل الله العفو والعافية من هذه البلية رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر يزيد فانه أقام ثلاث سنوات وسبعة أشهر وتوفى فى رابع عشر ربيع الاول سنة أربع وستين وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدمشق

﴿خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه﴾

هو أول مولود ولد بالمدينة المنورة بعد عشرين شهرا من الهجرة بويع له بمكة سنة أربع وستين وخلع يزيد بن معاوية ولعنه وعابه بشرب الخمر ولعب الكلاب والهود والغفلة عن الدين وكثرة العبيد وقتل الحسين وخلوا الحجاز من الاشراف وبايعه كثير من الامصار وقد اخترنا السكوت عما وقع لسيدنا عبد الله بن الزبير فان واقعته مستفيضة والله يحكم بين العباد روى السهيلى فى كلامه عن غزوة أحد فى حديث مسند انه لما ولد عبد الله بن الزبير نظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال هو هو فلما سمعت بذلك أسماء أمسكت عن ارضاعه فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه فقام تسع سنين وقتل فى خلافة عبد الملك بن مروان

وسلم فهى آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشية (ولما حملت به) صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة فى رجب أمر الله تعالى رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس ونادى منادى فى السموات والارض ان النور المخزون المكنون الذى يكون منه الهادى الامين المأمون فى هذه الليلة يستقر فى بطن أمه الذى يتم فيه خلقه ويخرج للناس بشيرا ونذيرا ثم لما تم حمله وظهرت فيه العجائب ولد يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الاول عام الفيل فى عهد كسرى انوشروان وقد مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة وأقام فى بنى سعد أربع سنين وتوفى أبوه عبد الله قبل وضعه بشهرين وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين

على يد عامله الحجاج الثقفي في سادس جمادى الآخرة بمكة سنة ثلاث وسبعين

﴿خلافة معاوية بن يزيد المكنى بأبي ليلى﴾

كان رجلا صالحا صعد المنبر وشهد أن عليا رضي الله عنه كان أحق بالخلافة من جده وان الحسن رضي الله عنه كان أولى بها من أبيه ثم جلس طويلا وخطب خطبة بليغة تشتمل على الثناء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخنقته العبرة فبكى طويلا ثم قال صرت أنا الثالث والساخط على أكثر من الراضي وما كنت لأتحمل آثامكم ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وألقاه بتبعاتكم فشأنكم وأمركم خذوه من رضيتموه فولو خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام فأقام خليفة أربعين يوما ولما احتضر قالوا لم لا توصي بالخلافة فقال ماذقت حلاوتها لا أتجرع مرارتها وتوفي بعد أربعين يوما وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة

﴿خلافة مروان بن الحكم﴾

ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمان سنين وجرى بينه وبين نائب ابن الزبير محاربة على المدينة المنورة بويع له بالشام سنة أربع وستين وملكه مصر والشام حكى ان معاوية كتب اليه لما بلغه قتل عثمان وكان مروان اذ ذاك بالمدينة المنورة اذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد لا يصاد الا بغلبة ولا يساور الا عن حيلة وكالثعلب لا يغلب الا روغانا وأخف نفسك عنهم اخفاء القنفذ عند لمس الا كف وابحث عن أخبارهم بحث الدجاجة عن حبة الدخن عند نفاسها فالحازم في الحرب خير من ألف فارس لان الفارس يقتل عشرة أو عشرين والحازم يقتل جيشا كبيرا وقال عظماء الترك ينبغي للقائد في الحرب أن يكون فيه شيء من أخلاق البهائم والطيور شجاعة الديك وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلاب على الجراحة وحراسة الكركي وحذر الغراب وغارة الذئب وقيل الحزم أبلغ من النجدة وأقام مروان عشرة شهور وكان سنه ستا وثمانين سنة وقتلته زوجته بأن وضعت على وجهه مخدة محشوة ريشا فمات وخلف أحد عشر رجلا

﴿خلافة عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم مات أبوه وقيل قتل عبد الله بن الزبير وكان من دهاة العالم وأحزمهم رأيا حتى قيل كل والد ولد الا مر وان فانه ولد والدا يرشد الى هذا تشعب البلاد عليه في أول أمره واستيلاء القائمين على غالب ملكه حتى على مقر ملكه دمشق وانتظامها بعد ذلك في أتم سلك ودخولها بعد الخروج في أحوز ملك وأعظم ملك لكن كان له ظلم في بداية أمره وتجاف في سره وجهره (حكي) في سراج الملوك ان عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فكان فيما حدثه ان قال له يا أمير المؤمنين انه كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل لابنها بنت بومة البصرة فقالت بومة البصرة لا أفعل الا أن تجعلي لي صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا أسلمه الله تعالى سنة واحدة صيرت لك ذلك فاستيقظ عبد الملك وجلس للظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة ومما نقل من كتاب مفاكهة الظرفاء ان ملك الروم أرسل الى عبد الملك يطلب منه عالما من علمائهم يسئله عن مسائل فأرسل له الشعبي فلما وصل الى ملك الروم سأله عن أشياء منها أن قال له بلغنا أن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون أيمكن مخلوق لا يفعل فقال الشعبي مثلهم كمثل النفس يصعد وينزل وأنت تتكلم وتأكل وتشرب قال صدقت فقال له وبلغنا أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون كيف ذلك قال نعم كالجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولو تغوط داخل المشيمة لاحترق قال صدقت قال وبلغنا أن نعيم الجنة لا ينقص بالانفاق كيف ذلك قال نعم كالسراج تقتبس منه جميع المصابيح ولا ينقص

وكفله جده عبد المطلب الى أن توفي وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن ثنتي عشرة سنة ثم خرج في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه في وضع الحجر الاسود وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فأقام شهرا ثم رجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي ولما تم له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين وأسلموا ولما تم له احدى وخمسون سنة أسرى به ولما اشتد

نوره قال صدقت فانعم عليه وكتب الى الخليفة معه عجبت منكم كيف لا تجعلون رسولكم خليفة فلما قرأ عبد الملك بن مروان ما كتب ملك الروم قال يا شعبي انظر ما قال عنك قال يا أمير المؤمنين ما رآك ولو رآك لاستصغرني ما استكبر ولاستحقر مني ما استعظم فقال لله درك كم عطاءك قال ألفين ثم سكت الملك لحظة وقال كم عطاؤك قال ألفان قال له لم قلت أولا ألفين قال لما لحن أمير المؤمنين تابعته في اللحن ثم لما أعرب تابعته في الاعراب ولا يحسن ان أعرب وقد لحن امير المؤمنين فأعجبه ذلك وقال املؤا فاه جوهرا فملؤه فقال الشعبي هذا يدخر ولا ينفق فأمر له بثلاثين ألف درهم وثياب فاخرة فاخذها وانصرف * روى أبو العز أحمد بن عبد الله المسلمي فيما قرأ على أستاذه وقال اروى أنبأ فلان عن فلان عن أبي حاتم العتمي قال لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جمع ولده وفيهم مسلمة وكان سيدهم فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية وهي أحصن كهف وأزين حلية وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور واياكم والفرقة والخلاف فيهما هلك الاولون وذل ذو والعز المعظمون انظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه بابكم الذي منه تعبرون ومجنكم الذي به تستجنون وأكرموا الحجاج فانه وطأ لكم المنابر وأثبت لكم الملك وكونوا بني أم بررة والا دبت بينكم العقارب وكونوا في الحرب أحرارا وللمعروف منارا واحتملوا في المشورة ولينوا في الشدة وضعوا الذخائر عند ذوي الاحساب والالباب فانه أصون لاحسابكم واشكر لما يسدى اليهم ثم أقبل على ابنه الوليد فقال لا ألفينك اذا مت تعصر عينيك وتحن حنين الامة ولكن شمر واتزر والبس جلد نمر ودلني في حفرتي وخلني وشأني وعليك بشأنك ثم ادع الناس الى البيعة فمن قال هكذا فقل بالسيف هكذا ثم أرسل الى عبد الله بن يزيد بن معاوية وخالد بن أسيد فقال هل تدريان لم بعثت اليكما قالا نعم لترينا آثار عافية الله اياك قال لا ولكن حضر من الامر ما تريان فهل في أنفسكما من بيعة الوليد قالا لا والله ما نرى أحدا أحق بها منه بعدك يا أمير المؤمنين قال أولى لكما أما والله لو قلتما غير ذلك لضربت عنقكما ثم رفع رأسه فاذا السيف مشهور ثم قال مسلمة اياكم والحجاج بانكم ان صلحتم صلح الناس وان فسدتم كان الفساد أسرع وأنشد

لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى * على شخصه يوم على عصيب
فان تكن الايام أحسن مرة * الى فقد عادت لهن ذنوب
أتى بعد حلو العيش منهن مرة * فكرت على آثارهن كروب

فقال سليمان مات والله أمير المؤمنين وكانت مدة تصرف عبد الملك بن مروان احدى وعشرين سنة ومات سنة ست وثمانين وسنه ستون سنة ومما يحكى ان ملكا من ملوك النصارى أرسل راهبا من علماء ملته لمناظرة علماء المسلمين وكان أبو حنيفة اذذاك صغيرا فلما جاء الراهب الى علماء المسلمين واجتمع في المسجد الجامع رقى المنبر ليسألهم عن مسائل فقام أبو حنيفة من بين العلماء وقال للراهب أسائل أنت أم مسؤل فقال سائل فقال انزل مكانك الارض ومكاني المنبر فصعد أبو حنيفة المنبر وقال سل ما شئت قال الراهب ماذا قبل الله قال أبو حنيفة هل تحسن العدد قال نعم قال ماذا قبل الواحد قال لاشيء قبله قال اذا كان الواحد الفاني لاشيء قبله فالله سبحانه وتعالى لاشيء قبله ثم قال في أي جهة يكون وجه الله قال اذا أوقدت السراج ففي أي جهة يكون وجهه قال ذلك نور يملا البيت وليس له جهة قال اذا كان النور الزائل الحادث لا جهة له فوجه ربي جل وعلا منزه عن الجهة والمكان قال بماذا يشتغل الله قال اذا كان عالم موحد مثلي رفعه واذا كان كافر مثلك وضعه كل يوم هو في شأن فخرس الراهب وتوجه مخزيا روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما

البلاء من المشركين على المسلمين استأذنوه في الهجرة فقال قد أريت دار هجرتكم وهي أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور وقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهي يثرب فمن اراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويرحلون الى المدينة ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي ثم خرج صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ومنه الى المدينة وكان خروجه من مكة يوم الاثنين وقدومه المدينة يوم الاثنين هلال ربيع الاول وأقام علي رضي الله عنه بمكة بعد خروجه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين ثم اسس مسجد قباء وهو المسجد الذي أسس على التقوى ثم خرج من قباء

ويضع آخرين ذكر البيضاوى فى تفسيره فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان يحدث أشخاصا ويجدد أحوالا على ما سبق به قضاؤه وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ ﴿فائدة﴾ ولد الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه سنة ثمانين من الهجرة ومات ببغداد سنة خمسين ومائة فعمره سبعون سنة وولد الامام مالك بن أنس رضى الله عنه سنة أربع وتسعين من الهجرة ودفن بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة فعمره خمس وثمانون سنة وولد الامام الشافعى رضى الله عنه سنة خمسين ومائة ودفن بمصر المحروسة سنة أربع ومائتين فعمره أربع وخمسون سنة وولد الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سنة أربع وستين ومائة ودفن ببغداد سنة احدى وأربعين ومائتين فعمره سبع وسبعون سنة والله أعلم

﴿خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم مات أبوه سنة ست وثمانين بعهد من أبيه فلما تولى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال انا لله وانا اليه راجعون يالها من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها موت أمير المؤمنين ويالها من نعمة ما أعظمها وأحسنها وأوجب الشكر لله على بما خلافته التى عمر بالنيابة فكان اول من عزى نفسه وهنأها بالخلافة فلما بايعه الناس جلس مجلس أبيه عبد الملك وجمع أهل بيته ثم قال

انفوا الضغائن والتحاسد بينكم * عند المغيب وفى حضور المشهد

فصلاح ذات البين طول بقائكم * ان مد فى عمرى وان لم يمدد

فلمثل هذا الدهر الف بينكم * بتوصل وتراحم وتودد

حتى تلين قلوبكم وجلودكم * لمسود فيكم وغير مسود

والوليد المذكور هو الذى عمر الجامع الذى بدمشق المعروف بجامع بنى أمية (حدث) ابراهيم بن هشام أنه قال حدثنى أبى عن جدى قال قال عبد الملك لروح بن زنباع يا أبا زرعة قد شغلنى الوليد باللحن وأظهر العشية كآبة فسألنى عنها فلما اذن العشاء أظهر كآبة وعنده الوليد وسليمان فقال له روح ما هذه الكآبة يا أمير المؤمنين لا يسوءك الله ولا يريك مكروها قال ذكرت ما فى عنقى من حقوق هذه الامة والى أين يصير أمرها بعدى فقال روح يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فاين أنت من الوليد سيد شباب العرب فقال يا أبا زرعة لا ينبغى أن يلى العرب الا من يتكلم بكلامها فقام الوليد ودخل منزله وجمع أصحاب النحو فاقام ستة أشهر معهم وخرج وهو أجهل بالنحو من يوم دخل ذكر شيخ الاسلام العلامة عمر الوردى فى خريدته ان جملة ما انفق على عمارة الجامع الذى عمره الوليد بدمشق مائة الف صندوق من الذهب وفى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار واجتمع فى ترخيمه اثناعشر ألف مرخم وبنى بأنواع الفصوص المحكمة والمرمر المصقول ويقال ان العمودين اللذين تحت القبة اشتراهما الوليد بالف وخمسمائة دينار ويقال ان رخام الجامع المذكور كان معجونا ولذا اذا وضع على النار ذاب وفى المحراب عمودان صغيران يقال انهما كانا فى عرش بلقيس ومنارة الجامع الشرقية يقال ان عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل عليها فى آخر الزمان وعندها حجر يقال انه قطعة من الحجر الذى ضربه موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه فانفجرت منه اثنتاعشرة عينا ذكر صاحب سراج الملوك قال خرج الوليد بن عبد الملك من باب الجامع الصغير فوجد رجلا عند الحائط تحت المأذنة الشرقية يأكل الخبز بالتراب فوقف على رأسه وقال له ما شانك أيها الرجل حتى انفردت عن الناس فقال أحببت العزلة قال وما حملك على أكل الخبز بالتراب قال فى ذلك قنع فلما رجع الوليد الى منزله أمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال أصدقنى بالحق والا ضربت عنقك فقال الرجل يا أمير المؤمنين كان أصلى رجلا جمالا وعندى ثلاثة من الجمال أنقل عليها القمح والحبوب فحملتها فى بعض الايام فأتيت الى خربة بالشام فحصرنى البول فقعدت لابول فرأيت البول ينصب فى شق فاتبعته حتى انكشف عن حفيرة كالمطمورة فنزلت فيها فرأيت بها مالا مسكوبا فانخت رواحلى

يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة فى بنى سالم ابن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وركب راحلته متوجها الى المدينة فلما قدم على ناقته صاروا يمسكون زمامها ويقولون يارسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها فانها مامورة فصارت تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت حتى نزلت على باب أبى أيوب الانصارى ثم سارت وبركت فى مبركها الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وادخله بيته ومعه زيد ابن حارثة وأقام عنده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ثم بنى مسجده الشريف ثم أذن له فى الجهاد فاول

وأفرغت ما كان عليها من الغلال وملأت الزكائب من ذلك المال وغطيت المكان الذي فيه الذهب كما كان فلما سرت قليلا وجدت معي مخلاة فقلت ارجع الى ذلك المكان واملاها من الذهب فجئت الى ذلك الموضع فخفي عني فرجعت الى الجمال فلم أجدها في المكان الذي تركتها فيه فتأسفت على ذلك المال وآليت على نفسي أن لا آكل الخبز الا بالتراب وروى ان الجمال التي كانت عليها الذهب أتت الى بعض عمال الوليد وأناخت بما عليها فأحضرها الى الوليد وكان هذا سببا لعمارة الجامع وقيل ان الوليد توعك فبلغه أن أخاه سليمان شمت فيه فكتب اليه يقول

تمنى رجال أن أموت فان أمت * فتلك طريق لست فيها باوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم * لئن مت ما من شامت بمخلد
منيته تجري لوقت وحتفه * سيلحقه يوما على غير موعد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى * تهيأ لاخرى مثلها فكان قد

فكتب اليه فهمت ما كتبت يا أمير المؤمنين فوالله لئن كنت تمنيت ذلك تأميلا لم لا يخطر في نفسي اني لاول لاحق به ومنعي من أهلي فعلام أتمنى زوال ملك لا يلبث من عناه ولقد بلغ أمير المؤمنين مالم يخطر على لساني ولم يره وجهي ومن يسمع من أهل النميمة يوشك ان يسرع في فساد النيات ويقطع ذوي الارحام وكتب في آخره

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد فهمت كتابك وأنت الصادق في المقال الكامل الفعال فما شيء أشبه بك من اعتذارك ولا أبعد منك من الشيء الذي قيل فيك والسلام (وحكي) ان شخصا بلغه عن شخص انه انتقصه وعابه فكتب اليه الحمد لعلام الغيوب المنزه عن النقائص والعيوب والصلاة على من يشفع في فصل القضا ويضالق الناس باخلاق الرضا سيد من اذا قوبلوا بالسيئة أحسنوا ومن شرعه ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وحق من أوتي الرساله لم يصدر عني شيء مما كتبتم في هذه العجالة اذ ليس من الانسانية ولا من المعقول ان يخطر ببال عاقل ماذكرتم فضلا عن ان يقول وليس من مزايا الاذكياء اعتقاد السوء بكلام الاشقياء وليس من شأن الكرام المبالغة بالايذاء بمثل هذا الكلام ولكن التحمل يورث التجمل كما قيل

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل انا ظالم

والله مطلع على القلوب علام الشهادة والغيوب ولكن صبر جميل وحسبنا الله ونعم الوكيل وفي معنى ذلك قال أمير المؤمنين القائم بامر الله

جمعت لدي من الغرام عجائب * خلفن قلبي في أسى وتوحش
خل يصد وعاذل متنمح * ومعاند يؤذي وغمام يشي

﴿وقال ابن عطية﴾

لا تسمعن من الحسود غيمة * فكلامه ضرب من الهذيان
ان كان قد أوحى اليه تحرضا * فالناس قد كذبوا على الرحمن
سل شيره عني لتعلم افكه * وامخط عليه فبالمحال رماني
لا يثبت الحق المبين لحاكم * في الشرع حتى ينطق الخصمان

ومن نكت صاحب الخريدة لطيفة لا بأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهي أنه كان له أخ اسمه أحمد وكانا يتناوبان القضاء من جانب القاضي محمد بن النقيب فجاءت نوبة الشيخ عمر وأحمد مستمر فكتب الشيخ عمر للقاضي محمد بن النقيب

حلتني وأخي تباريح البلا * وجعلتنا ضدين مختلفين

غزواته غزوة الابواء خرج الى الجهاد يريد عير قريش ثم غزوة العشيرة بضم العين ثم شين معجمة مفتوحة وهي أرض بني مدلج بناحية الينبع فسارت الى الشام ولم يدركها ولما رجع الى المدينة من العشيرة لم يقم الا تسع ليال حتى سافر يريد بني سليم ولما وصل الى ماء من مياههم أقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وتسمى هذه بدرا الاولى ولما بلغه صلى الله عليه وسلم رجوع العير من الشام خرج اليها في ثلاثمائة وثلاثة عشر وخرج أبو سفيان من مكة في قريب من الالف وحصل القتال الشديد ونصر الله المسلمين وتسمى هذه بدرا الثانية وبدر الغنائم ثم غزا صلى الله عليه وسلم بني قينقاع بفتح القاف وضم النون

ياحي عالم عصره وزمانه * فلك التصرف في دم الاخوين

﴿فكتب اليه جوابا﴾

أباعمر استعذ لغير هذا * فأحمد بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل * فأحمد فيه معرفة ووزن

ثم ان الشيخ عمر بن الوردي رأى مناما أزعجه وهاله وعوتب فيه على ولاية القضاء فلما أصبح جاء الى القاضي محمد بن النقيب وحلف أيمانا مغلظة انه ما بقي يلي القضاء مطلقا وأنشد يقول

خلعت ثوب القضاء عمدا * ولم أكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضاء عني * يكون لي الجاه بالعلوم

حدث عبد الصمد بن معقل قال قيل لوهب بن منبه يا أبا عبد الله كنت ترى الرؤيا فتحدثنا بها فتأتلت أن نراها كما رأيت قال هيهات ذهب ذلك عني مذ وليت القضاء وانه تولى القضاء في زمن عمر بن عبد العزيز وقال البهاء زهير

حبيبي ما هذا الجفا الذي أرى * وأين التقاضي بيننا والتعاطف
لقد نقل الواشون عني باطلا * وما مثل ما قالوا فزادوا وأسرفوا
وقد كان قول الناس في الناس قبلوا * فكذب يعقوب وسرق يوسف
بعيشك قل لي ما الذي قد صنعته * فانك تدري ما أقول وتنصف
فان كان قولا صح اني قلته * فللقول تأويل وللقول مصرف
وهب أنه قول من الله منزل * فقد بدل التوراة قوم وحرفوا
وها أنا والواشي وأنت جميعنا * يكون لنا يوم عظيم وموقف

وأقام الوليد في الخلافة تسع سنين وثمانية اشهر وتوفي في نصف جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسنه ثمانية وأربعون سنة ودفن بدمشق روى عن يزيد بن مهلب أنه قال لما ولاني سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ودعني عمر بن عبد العزيز قال لي يا يزيد اتق الله فاني كنت وضعت الوليد في لحده واذا هو يركض في أكفانه وفي رواية أن عمر بن عبد العزيز قال لما تناولناه من السرير ووضع على أيدينا اضطرب في أكفانه فقال ابنه أبي أبي قال قلت ويحك ان أباك ليس بحي ولكنكم تلقون ما ترى وصلى عليه عمر بن عبد العزيز لما كان ابنه سليمان غائبا ببيت المقدس

﴿خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم مات اخوه (قيل) دخل أبو حازم عليه بعدما استخلف وكان أبو حازم من أهل الزهد فقال يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم فتكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال اخبرني كيف القدوم على الله فقال يا امير المؤمنين أما المحسن فكالغائب الذي أتى الى أهله فرحا مسرورا وأما المسيء فكالعبد الآبق الذي اتى مولاه خائفا حزينا ان شاء رحمه وان شاء عذبه فبكى امير المؤمنين بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه أسأت الى أمير المؤمنين فقال ابو حازم اسكت فان الله اخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس العلم ولا يكتمونه ثم خرج فلما وصل الى منزله بعث اليه مالا فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين اني لا أرضاه لك فكيف ارضاه لنفسي وأنشد في المعنى

منازل دنياك شيدتها * وأخربت دارك في الآخره
فأصبحت ترغب في ذي الخراب * وتهرب عن هذه العامره
فلو كنت شيدت دار البقا * ولم ترض بالصفقة الخاسره
لسارعت سرعة من قد نجا * وسرت الى العترة الطاهره

وكان صلى الله عليه وسلم عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه فغدروا ولما كانت وقعة بدر أظهروا العداوة والحسد فنبذوا العهد فقال لهم صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود احذروا ان ينزل بكم ما نزل بقريش من النقمة أي ببدر فلم يقبلوا وأظهروا الشدة فسار اليهم صلى الله عليه وسلم واعطى اللواء الابيض عمه حمزة بن عبد المطلب وقد تحصنوا في حصونهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوه صلى الله عليه وسلم ان يخلي سبيلهم ويخرجوا من المدينة باولادهم وعيالهم ويتركوا أموالهم فاجابهم وأخذ أموالهم فسار بعدهم عن المدينة ونزلوا باذرعات قرية من الشام (ثم كانت

ذكر صاحب السكردان انه فى أيام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب من ابن هبيرة أن بخارى وقت السحر سمع فرقعة عظيمة من السماء ودوى كالرعد القاصف أسقط منه الحوامل فنظروا فاذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة ونزل أشخاص رؤسهم فى السماء وأرجلهم فى الارض وقائل يقول يا أهل الارض اعتبروا بأهل السماء هذا صفوان الملك عصى الله فعذبه فلما طلع النهار وجاء الناس الى ذلك الموضع فوجدوا خسفا عظيما لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود كل ذلك مثبوت على يد قاضى بخارى بأربعين عدلا * روى عن زكرياء التميمى أنه قال بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ اتى بحجر منقوش فأتى بوهب بن منبه فقرأه فاذا عليه ابن آدم لو انك رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة فى عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك بل اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وبان عنك الولد ورفضك النسيب والوالد فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك بزائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة وذكر ان سليمان بن عبد الملك كان شرها فى أكله فلما حج فى سنة سبع وتسعين توجه الى الطائف تطلبا للرطوبة فأتاه بعض العرب برمان من رمان الطائف فأكل منه مائة وسبعين رمانة ثم أتوه بزبيب فأكل منه سلتين ثم قال أطعمونا من خرفان الطائف فأتوه بأربعة وثمانين خروفا مشوية فأكل من كل خروف بجمته وكليتيه حتى أتى على آخرها ثم قعد على السماط وأكل مع الناس على عادته وأقام فى الخلافة سنتين وثمانية اشهر وتوفى فى صفر سنة تسع وتسعين وسنه خمس واربعون سنة

(خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه)

هو الاشج الذى ورد فى حقه الحديث الشريف الناقص والاشج أعدلا بنى أمية سبب شجه ان أتانا رفسته فصار أبوه يمسح له الدم ويقول ان كنت أشج بنى أمية انك لسعيد فكان كذلك وكان اماما عادلا فقيها محدثا روى عن أجلة من العلماء وروى عنه أجلة بويع له يوم مات ابن عمه سليمان (حكى) ان المنصور قال لعمر بن عبيد عظنى بما رأيت أو بما سمعت قال بل بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضعا لقبره بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده ثمانية عشر قيراطا من دينار ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا وأصاب كل واحد من أولاده ألف ألف دينار فرأيت رجلا من ولد عمر قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ورأيت رجلا من أولاد هشام على قارعة الطريق يسأل التصدق

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم داء الفساد اذا فسد
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى المال والولد

(وفى المعنى أيضا)

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمس يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دان الثغور له * والانس والجن فى حاجاته ترد
أين الملوك التى كانت لعزتها * من كل قطر اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لا بد من ورده يوما كما وردوا

وهذه الابيات من جملة أبيات لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن مالك القرشى الاسدى وأول الابيات

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم * أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدون الها غير خالقكم * فان دعيتم فقولوا بيننا جدد

غزوة السويق) خامس ذى الحجة من السنة الثانية من الهجرة وذلك انه لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان ان يغزو محمدا وأصحابه يخرج من مكة فى مائتى راكب حتى نزل قريبا من المدينة بجعل بينه وبينها نحو ميل وقطع جانبا من النخل ولقى رجلين من الانصار فقتلهما وبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فى طلبه فهرب هو وأصحابه وصاروا يرمون السويق وهى قيود الشعير المحمص ليخف عليهم السير فيأخذه الصحابة ويجعلونه زادهم فلذا سميت غزوة السويق (ثم كانت غزوة كركرة الكدرى) وهى ارض بها طيور فى الوانها كدرة وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما من بنى سليم وغطفان يريدون الاغارة على المدينة فسار اليهم فى

سبحان ذى العرش سبحانا يعادله * رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحانا يعادله * وقبل سبحه الجودى والجمد
مسخر كل من تحت السماء له * لا ينبغى أن يحاكى ملكه أحد
لا شىء مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويفنى المال والولد

روى ان ورقة كره عبادة الاوثان وطلب الدين فى الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة بنت خويلد تسأله عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لها ما أراه الا نبى هذه الامة الذى بشر به موسى وعيسى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ورقة فانى رأيته فى ثياب بيض وروى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أتت ورقة ابن نوفل وهو عم خديجة أخو أبيها وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرى فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أى عم اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فاخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجى هم قال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وروى عن هشام بن عروة عن أبيه ان خديجة بنت خويلد كانت تأتى ورقة وتخبره بما يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ورقة لئن كان ما يقول حقا انه ليأتيه الناموس الاكبر ناموس عيسى الذى يخبر به أهل الكتاب ولئن نطق وأنا حى لابلين لله فيه بلاء حسنا وروى ان زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ذهبا الى الشام يلتمسان الدين فأتيا على راهب فسألاه فقال ان الذى تطلبان لم يجئ بعد وهذا زمانه وانه نبى هذه الامة الذى يخرج من قبل تهامة فرجعا وروى عن جابر بن عبد الله انه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أبى طالب هل تنفعه نبوتك قال نعم أخرجته من غمرة جهنم الى ضحضاح فيها وسئل عن خديجة انها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن فقال أبصرتها فى الجنة فى بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب وسئل عن ورقة بن نوفل فقال أبصرته فى بطنان الجنة عليه السندس وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال يبعث امة وحده وقيل انه لما تم غيم فى أيام خلافة عمر بن عبد العزيز فوقع مع المطر بردة عظيمة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار هنيئا له وأقام سنتين وخمسة أشهر وتوفى فى رجب سنة احدى ومائة وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدير سمعان بارض حمص وقبره يزار

﴿خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم مات عمر بن عبد العزيز فقام أربع سنين وشهرين وتوفى بحوران فى شهر شعبان سنة خمس ومائة وسنه تسع وعشرون سنة ودفن بدمشق وكان عادلا مشهورا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ونقص الجيش من أرزاقهم فسمى الناقص وهو وعمر بن عبد العزيز أعدلا بنى أمية والله أعلم

﴿خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم مات أخوه وسنه خمس وثلاثون سنة قيل بينما هو فى صيده وقنصه اذ نظر الى ظبى تتبعه الكلاب وأرمته الى صبى أعرابى يرعى غنما فقال هشام يا صبى دونك هذا الظبى فانه فأتنى فرفع رأسه اليه وقال له يا جاهلا بقدر الاخيار لقد نظرت الى باستصغار وكلمتنى باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال له هشام ويلك ما تعرفنى فقال قد عرفنى بك سوء أدبك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك أنا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابى لا قرب الله دارك ولا حيا مزارك

مائتين من أصحابه فهربوا واخذ ابلهم وكانت خمسمائة بعير مع رعاتهم منهم غلام يقال له يسار فأخذه صلى الله عليه وسلم واعتقه لانه رآه يصلى بعد أن اسلم ولما قرب من المدينة خمسها فخص كل رجل بعيران (ثم كانت غزوة امر) بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال وسكون العين المهملتين ثم ثاء مثلثة ابن الحرث الغطفانى من بنى محارب جمع جمعا من بنى ثعلبة واراد الاغارة على المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فى اربعمائة وخمسين رجلا من اصحابه فلما سمعوا به هربوا فى رؤس الجبال (ثم كانت غزوة بحران) بفتح الباء الموحدة ويقال بضمها ثم

ما أكثر كلامك وأقل كرامك فما استتم كلامه حتى أحدقت به الجند من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام اقصر وامن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس فى مجلسه وقال على بالغلام فأتى به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وابناء الدولة فلم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض وسكت عن السلام وامتنع عن الكلام فقال له بعض الخدم يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على أمير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يابرذعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق ونزول الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبى لقد حضرت فى يوم حضر فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال والله يا هشام لان لم يكن فى المدة تقصير وكان فى الأجل تأخير لا ضرنى من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من محلك ان تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعا لاقيت الجندل ولامك الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف على برأس هذا الغلام فقد أكثر الكلام ولا يخطر على الأوهام فأخذ الصبى وبركه فى نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال السياف يا أمير المؤمنين عبدك المذل بنفسه المنقلب فى رمسه اضرب عنقه وأنا برىء من دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فأذن له ثم استأذن ثالثا فهم هشام أن يأذن فضحك الصبى حتى بدت نواجذه فزداد هشام تعجبا وقال يا صبى أظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا أنت تضحك هزؤا بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان فى العمر تأخير لا ضرنى من كلامك قليل ولا كثير ولكن أبيات حضرت الساعة فاسمعوا فان قتلى لا يفوت وان أكثرت السكوت فقال هشام هات وأوجز فقال

نبئت ان البازعلق مرة * عصفور برساقه المقدور
فتكلم العصفور فى أظفاره * والبازمنهمك عليه يطير
مافى ما يغنى لمثلك شبعة * ولئن أكلت فاننى لحقير
فتبسم البازالمغر بنفسه * عجبا وأفلت ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا اللفظ فى أول وقت من أوقاته وطلب ما دون الخلافة لأعطيته ياخادم احش فاه جواهر واحسن جائزته ودعه يمضى الى حال سبيله ومما يناسب ذلك ما وقع لخالد بن حبلويه فانه لما كان على بن طاهر أحد قواد المامون عند محاصرته بغداد فاحتاج الى مال يصرفه فكتب الى المأمون يطلب منه مالا يصرفه فكتب الى خالد بان يعطيه ما يحتاج اليه فامتنع خالد من ذلك فلما أخذ على بن طاهر بغداد أحضر خالدا وقال له لأقتلنك اشنع قتلة فبذل له من المال شيأ كثيرا فلم يقبله فقال خالد قد قيل شئ فاسمعه ثم شأنك وما أردت فقال على بن طاهر هات فقال نبئت ان البازعلق مرة * عصفور برساقه المقدور
الى آخر الابيات المتقدم ذكرها وكان على بن طاهر يحب الشعر فقال أحسنت وعفا عنه ومن أحسن ما قيل فى الاعتراف بالذنب وطلب العفو قول ابن زيدون فى رسالته

ان لا يكن ذنب فعفوك واسع * أوكان لى ذنب ففضلك أوسع

(وقال أيضا) تلمست هل من شافع لى فلم أجد * سوى رحمة أعطاكها الله تشفع
لئن جلت الاجرام منى وأفظعت * لعفوك من جرمى أجل وأوسع

(وقال) لاشىء أعظم من ذنبى سوى أملى * فى حسن صفحك عن جرمى وعن زللى
فان يكن ذاوذا فى القدر قد عظما * فأنت أعظم من ذنبى ومن أملى

وأقام هشام فى الخلافة تسع عشرة سنة وتوفى بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة وكان وكلاء الوليد

بحاء مهملة ساكنة فى السنة الثالثة من الهجرة (ثم كانت غزوة احد) فى السنة الثالثة أيضا واحد جبل على ثلاثة اميال من المدينة وسببها انه لما اصاب قريشا فى بدر ما اصابهم وخلص ابوسفيان بالعير ووصل الى مكة مشى أشراف قريش الى من كان له تجارة فى تلك العير التى كانت وقعة بدر بسببها وكانت تلك العير محبوسة فى دار الندوة لم تدفع الى اربابها فقالوا ان محمدا وتركم اى نقص عدد كم بان قتل رجالكم ولم تأخذوا بثارهم فاعينونا بهذا المال حتى نحاربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن اصاب منا فطابت نفوسهم على ان يجهزوا بربح ذلك العير جيشا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكان رأس المال خمسين الف دينار وقد ربح كل

قد ختموا خزائن هشام وبيوت أمواله فلم يوجد له كفن فكفنه خادم له وهكذا حال الدنيا

﴿خلافة الوليد بن يزيد﴾

بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام في ربيع الآخر في عشر ليال خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وسنه اثنتان وأربعون سنة بعهد من أبيه وكان متعديا للحدود مستخفا بالقرآن والحديث وقد يحكى عنه أن له في الخلاعة والمجون وسخافة الدين ونظم الشعر الركيك الدال على ضلاله وكفره ما يطول ذكره من ذلك ما ذكره المعافا بن زكريا ان الوليد نظر الى جارية نصرانية يقال لها سفرا فجن بها وجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغه ان عيد النصارى قد قرب وأنها ستخرج فيه وكان في موضع العيد بستان حسن وكان النساء يدخلنه فصانع الوليد صاحب البستان أن يدخله لينظر النصرانية فوافقه وحضر الوليد وغير حليته ودخلت النصرانية البستان فجعلت تمشي حتى انتهت الى الوليد فقالت لصاحب البستان من هذا فقال رجل مصاب فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها فقال لها صاحب البستان ويلك تدرين من ذلك الرجل فقالت لا فقال لها انه الوليد وانما غير حليته حتى ينظر اليك فكانت بعد ذلك أحرص على الاجتماع به وله معها مجالس مشهورة وأشعار مسطورة وله فيها من الاشعار ما يجاوز حد العشق والغرام فمن ذلك قوله

أضحى فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا

من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا

ما زلت أرمقها بعيني رامق * حتى بصرت لها تقبل عودا

عود الصليب فويح نفسي من أرى * منكم صليبا مثله معبودا

فسألت ربي أن أكون مكانه * وأكون في لهب الجحيم وقودا

قال الراوي لذلك لم يبلغ مدرك الشيباني هذه الخلاعة اذ قال في عمرو النصراني

ياليتني كنت له صليبا * فكنت منه أبدا قريبا

أبصر حسنا وأشم طيبا * لا واشيا اخشى ولا رقيبا

فلما ظهر أمر الوليد وعلمه الناس قال

الا حبذا سفرى وان قيل انني * ومقت بنصرانية تشرب الخمرا

يهون علينا ان نظل نهارنا * الى الليل لا ظهرا نصلي ولا عصرا

وروي عن زينب بنت أم سلمة قالت دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم وعندنا غلام من آل المغيرة اسمه الوليد فقال من هذا يا أم سلمة قالت هذا الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذتم الوليد حنانا غيروا اسمه الوليد فانه سيكون في هذه الامة فرعون يقال له الوليد وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال ولد لاخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو أشد على هذه الامة من فرعون موسى على قومه ولما تعدى الوليد الحدود حوصر في قصره فأراد استعطاف خواطر الجند المحاصرين له فلم يقبلوا اعتذاره فجلس وأخذ مصحفا وقال يوم كيوم عثمان ونشر المصحف يقرأ فنزلوا وقتلوه في شهر جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وكانت مدة تصرفه سنة وشهرين وعشرين يوما

﴿خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم قتل ابن عمه الوليد فاقام خمسة اشهر وتوفي في سنة ست وعشرين ومائة وسنه أربعون سنة والله أعلم

دينارا دينارا فكان الربح خمسين الف دينار وخرجوا بمال التجارة به صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى على نبيه في ذلك ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية وجمع ابو سفيان من قريش ومن والاهم من قبائل العرب كنانة وتهامة ثلاثة آلاف من القبائل والحلفاء وفيهم جابر بن مطعم بن عدي ووحشي قاتل حمزة وكان حبشيا وهند زوج أبي سفيان وأم حكيم بنت طارق وزوجها عكرمة رضي الله عنهم وهؤلاء اسلموا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيرهم وفيهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وستمائة درع ولبس صلى الله عليه وسلم درعين وهما ذات الفضول وفضة وتقلد سيفا مكتوبا عليه

﴿خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك﴾

بويع له يوم مات أخوه فى ذى الحجة فأقام سبعين يوما وخلع نفسه فى سنة سبع وعشرين ومائة ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائة

﴿خلافة مروان المعروف بالحمار﴾

وسمى بالحمار لان الذى يتولى بعد مضى قرن يقال له الحمار وقيل سمى هذا الاسم لصبره على الحرب وهو ابن مروان الاول بويع له يوم خلع ابراهيم فأقام ست سنين وشهرا الى ان قتل بناحية أبو صير من قرى مصر المحروسة فى ثالث شهر الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخر خلفاء بنى أمية وبموته انقرضت دولة بنى أمية كما انقرض من قبلها من الدول ولله العزة والبقاء

﴿الباب الثالث فى الدولة العباسية﴾

وكانوا بالعراق وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم فى العراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها سبعة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمس وتسعمائة وكانوا يظنون بقاءها فيهم الى أن يسلموها للمهدى آخر الزمان

﴿أولهم أبو العباس السفاح﴾

واسمه عبد الله بن محمد بن على ابن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم بويع له رابع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأقام أربع سنوات وثمانية أشهر وسنه اثنتان وثمانون سنة وتوفى فى المحرم سنة ست وثلاثين ومائة

﴿خلافة أبى جعفر المنصور﴾

بويع له يوم مات أخوه وسنه ثلاث وستون سنة وهو الذى بنى بغداد سنة أربعين ومائة ونزل بها فى سنة ست وأربعين وفى سنة تسع وأربعين تم بناؤها وبغداد عبارة عن سبع محال لا تمتز محلة منها الى غيرها وهى على شاطئ الدجلة فالاولى بالجانب الشرقى بالرصافة بناها المهدى بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين والثانية مشهد أبى حنيفة والثالثة جامع السلطان والرابعة مدينة المنصور فى الجانب الغربى وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر والسادسة الكرخ والسابعة دار القز ويقال ان المنصور سأل راهبا كان فى صومعة عن مكان بغداد عندما أراد أن يختطها قال أريد ان ابنى هنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك وقال أنا هو وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدانق فسمى أبا الدوانيق وقد ورد ان أبا جعفر المنصور بنى أربع مدن على أربع طوالع لا يخربون أبدا الا بخراب الدنيا الدنيا القديمة الاولى المنصورة وهى مدينة طولها ميل فى ميل وبها خلق كثير وتجار وليس فيها الا النخل والقصب وهى مدينة حارة جدا والثانية المصيصة على بحر بن والثالثة بأرض الحدين والرابعة بغداد ذكر الشيخ عمر الوردى فى خريدته ان بغداد فى الجانب الغربى على الدجلة انفق عليها المنصور أموالا عظيمة ونقل أبواب واسط وركبها عليها وجعلها مدينة مدورة وجعل دورها اثنى عشر ألف قصبة وبنى بها قصرا عظيما وسطها وبنى المهدى قصرا مقابله فى الجهة الأخرى وبينهما نهر الدجلة به جسر من السفن ويقال ان حماماتها حصرت فى وقت من الاوقات فكانت ستين ألف حمام قال الطبرى فى تاريخه كان بها ستون ألف حمام كل حمام يحتاج على الاقل الى ستة أنفار ومثل ليلة العيد يحتاج كل نفر الى رطل صابون له ولاولاده وعياله فهذه ثلثمائة ألف وستون ألف رطل صابون والمشاع ان بغداد كانت مشحونة بالعلماء والفضلاء وأرباب الصنائع الظريفة النفيسة والآن غالبها خراب وقد تغيرت أوضاعها وخلت من العلماء والافاضل بقاعها وقد أخبرنى من أثق به من أفاضل الرجال انه توجه اليها ومكث بها مدة فلم يجد بها من يحرر المسائل الفقهية بل ولا غيرها من غالب العلوم والله يفعل ما يشاء وذكر أنه لما نبت بغداد بالقاضى عبد الوهاب المالكى

فى الجبن عار وفى الاقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر (ولما جاوز المدينة) عرض عليه أصحابه فرد منهم شبانا خمسة عشر ولما التقى الجمعان قتل من المسلمين خلق كثير منهم جابر ابو عبد الله فأخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم ان الله اوقفه بين يديه وقال له سلنى اعطك فقال أسئلك يا رب ان أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانيا فقال له عز وجل انه سبق منى انهم لا يرجعون الى الدنيا فقال أى رب فابلغ من ورائى فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وكان قتادة يتقى السهام بوجهه عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابه سهم خرجت منه حدقته فلما رآها صلى الله عليه وسلم فى كفه دمعت

خرج منها طالبا مصر فشيعه من أكابرها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقت بغداد فلم يكن فيهم من يتكفل له بذلك ومن شعره

بغداد دار لاهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق
أقمت فيها مضاعا بين ساكنها * كأنني مصحف في بيت زنديق

وفي المعنى

يا واقفا بين الفرات ودجلة * عطشان يطلب شربة من ماء
ان البلاد كثيرة أنهارها * وسحائب بغزيرة الانواء
ما ضاقت الدنيا ولا عدم السرى * فيها ولا ضاقت على العلماء
أرض بأرض والذي خلق الورى * قد قسم الارزاق في الاحياء

(وقال أيضا)

مالي لا أرغب عن منزل * يكثر فيه الدهر حسادي
ما الرزق في الكرخ مقيم ولا * طوق الغلا في جيد بغداد

ذكر القاضي البيضاوي في تفسيره في سورة الفرقان عند قوله تعالى يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا أي تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة معلقا به يقول يا رب هذا اتخذني مهجورا أقول أين أهل بغداد وشحهم وجبنهم وقلة مروآتهم من أهل مصر فانه ذكر ان القاضي عبد الوهاب المذكور لما قدم مصر تلقاه أكابرها وفضلاؤها بالبشر والكرامة والترحيب وأنزلوه في أحسن البيوت وأهدوا اليه الهدايا الوافرة والارزاق المتكاثرة وصار عندهم عزيزا فجزاهم الله تعالى خيرا عن مروآتهم وقد شاهدنا ذلك في كثير ممن ورد عليهم من العلماء (ومما يحكى) ان خالدا أبا يحيى البرمكي كان يكثر التردد على المنصور وكان المنصور يجله ويدني مجلسه ويرغب في محادثته فدخل عليه في بعض الايام وفي يده خاتم به فص من السموم القاتلة وأراد أن يجلس على عادته فزأر فيه زأرة عظيمة مزعجة ومنعه من الجلوس فقال ما السبب يا أمير المؤمنين فقال له تدخل علي بالسم القاتل فقال يا أمير المؤمنين جال في صدري شيء كان سببا لحمل الفص القتال وهو اني خشيت من بعض الحسدة أن يدسوا عليك دسيسة من قبلي فربما يكون فيها الهلاك والتشنيع فاذا حصل ذلك والعياذ بالله تعالى الحق الفص واستريح من التمثيل فاستحسن ذلك منه وأجلسه على عادته فلما سكن روعه قال يا أمير المؤمنين بالله عليك بماذا عرفت ان معي سما فقال له ان في عضدي دملجا اذا دخل علي أحد بسم يتحرك الدملج فتعجب كل من كان حاضرا وهذا من العجائب (ويحكى) ان رجلا من أهل الشام قال للمنصور يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه ومن عفا فقد تفضل ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله وكظم الغيظ حلم والتشفي طرف من العجز وقال زياد تأخير جزاء المحسن لؤم وتعجيل عقوبة المذنب دناءة والتثبت في العقوبة ربما أدى الى السلامة منها وتأخير الاحسان ربما أدى الى ندم لم يمكن صاحبه أن يتلافاه (ومما يحكى) ان المنصور أمر وزيره أن يأتيه برجل لا يسأله عن شيء الا ويحسن الجواب ولا يبتدئه بسؤال فأتاه برجل وقال يا أمير المؤمنين هذا ما أردت فرفع منزلته وأدناه وجعله نصب عينيه فمكث عنده مدة لا يسأله عن شيء الا ويحسن الجواب ولا يبتدئه بسؤال قط فعظم عنده فأمر يوما وزيره ان يدفع اليه جائزة فماطله وحدث بعد ذلك سفر للمنصور فخرج الرجل لوداعه فلما أذن له بالرجوع راحة له قال يا أمير المؤمنين هذه دار من وأشار اليه جهة فاستدعى المنصور الوزير وقال ادفع اليه ما أمرت له به من الجائزة فقبضها ومضى فقال الوزير يا أمير المؤمنين من أين علمت اني لم أدفع اليه فقال أشار الى قول الشاعر

يا دار عاتكة التي أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق الحديث يقول ما لا يفعل

(وحكى) الربيع بن المفضل قال كنت عند المنصور وعنده جماعة من أعمامه فقالوا له محمد بن مروان

عيناه وقال الامام ق قتادة كما رقي وجه نبيك ثم ردها صلى الله عليه وسلم براحته الشريفة فكانت أحسن عينيه وأحدهما بصرا ولما رجع من غزوة أحد وبات ليلة شاع في صبيحتها ان قريشا يريدون الرجوع فانتدب صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وهي غزوة حمراء الاسد فأجابه كل من كان بأحد وأكثرهم جريح وتلقاه طلحة بن عبيد الله فقال أين سلاحك يا طلحة فقال قريب يا رسول الله وذهب لسلاحه وكان به بضع وسبعون جراحة قال طلحة وأنا أهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي قال يا طلحة أين ترى القوم قال قريبا قال أما انهم لا ينالون منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة ونستلم الركن وسار حتى بلغ حمراء الاسد وهو مكان بينه وبين

في مجلسك فان أردت أن ترسل اليه وتسأله عن كلام جرى بيني وبين ملك النوبة فبعث اليه وفض عنه الحديد وقال حدثني بكلام جرى بينك وبين ملك النوبة فقال يا أمير المؤمنين كنا قوما ملوكا فلما انقضت بنا المدة أمرت بالمتاع فصير في مركب فاعتل بنا الموج شهرا ثم صرت الى جزيرة النوبة فأمرت بالمضارب فضربت فأقبل أهل النوبة ينظرون الى متاعنا ويتعجبون من حسنه وأقبل ملك النوبة فاذا هو رجل طويل أصلع حاف عليه كساء وهو متوشح به ثم سلم وجلس على الارض ولم يجلس على بساطي فقلت له لم تركت الجلوس على بساطي فقال لانى ملك وحق لمن رفعه الله أن يتواضع ثم صار ينظر في وجهي وقال ما بالكم تطئون الزرع بدوابكم وهو محرم عليكم في كتابكم قلت عبيدنا فعلوا ذلك بالجهل قال فما بالكم تشربون الخمر وهو محرم عليكم في دينكم قلت عبيدنا واتباعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم قال فما بالكم تلبسون الديباج وتتحلون بالذهب والفضة وهو محرم عليكم على لسان نبيكم قلت انا كنا قوما ملوكا فلما انقضت مدتنا استعنا بأعاجم دخلوا في ديننا كرهنا الخلاف عليهم قال فجعل ينظر في وجهي ويردد الكلام عبيدنا واتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا كرهنا الخلاف عليهم ليس هذا يا ابن مروان كما تقول ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما أمرتم به فاذاقكم الله وبال أمركم ولله فيكم نقمة لم تبلغ واني لاخشى ان ينزل عليكم بلاء وانت ضيفي فيصيبني معك فارتحل عني فتزودت وارتحلت وأنشد يقول

اذا وليت فاعمر ما تليه * بعدلك في الامارة بالعماره
وافضل مستشار كل وقت * زمانك فاقتبس منه الاشاره

(حدث) يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالسا والح على وجهه ذباب حتى اضجره فقال انظروا من بالباب فقالوا مقاتل بن سليمان فقال على به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله الذباب قال نعم ليذل به الجبابرة فسكت المنصور وفي شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسندا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقع على جسده ذباب أصلا ذكره القطبي في اعلامه قال النجم عمر بن فهد وفي سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثوري رضي الله عنه فلما وصل الى بئر ميمونة بعث الى الخشابين وقال لهم ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه فجاؤا ونصبوا الخشب وكان سفيان الثوري جالسا بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى استار الكعبة فأخذها وقال برئت من هذه البنية ان دخلها أبو جعفر سالما وعاد الى مكانه فركب المنصور من بئر ميمونة فلما كان بين الحجارين سقط من فرسه فاندقت عنقه فمات في سابع ذي الحجة في وقت السحر فحفر واله مائة قبر ودفنوه في آخرها ليعموا قبره عن الناس وبر الله قسم عبده سفيان فانظروا الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم في سلطان السلاطين وما أحقر سلطنة المخلوقين من ما مهين وما أسرع زوالهم وصيرورتهم عبرة للناظرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار (قال البحتري) ان المتوكل ولى سالم بن حامد دمشق وكان بها جماعة من العرب لهم قوة ومنعة فقتلوا سالما في يوم جمعة على باب دمشق فغضب المتوكل وقال من يكون في صولة كصولة الحجاج فقال افريدون التركي أنا لها يا أمير المؤمنين فأمره وجهزه اليها في سبعة آلاف فارس واطلق له النهب والقتل ثلاثة أيام فجاء ونزل في بيت لهيا فلما أصبح قال يا دمشق أي شيء يحل بك اليوم وقدم له بغلة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب ضربته بالزوج في صدره فسقط ميتا وقبره معروف شهير بها وذلك في حدود الاربعين ومائتين وقال ابن زيدون في رسالته وقد تكون منية المتمني في أمنيته وروى الشيخ أمين الدين أبو البقاء مسلم بن محمود الشيرازي في كتابه القاصمة للفئة الغاشمة ان يحيى العابد بهروان قال كنت عند سفيان الثوري فالتفت الى شيخ فقال حدث القوم بحديث الحية والعصا قال حدثني عبد الجبار من محمد بن حمير انه خرج الى متصيده فتمثلت بين يديه حية فقالت أجرني أجارك الله في ظله يوم

المدينة ثمانية أميال ولما بلغ المشركين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر عليهم ذلك ورجعوا الى مكة (وفي السنة الرابعة كانت غزوة بني النضير) وهم قوم من اليهود بخيبر وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم لحاجة عرضت له لقربهم من المدينة وكان معه من أصحابه جماعة دون العشرة فجلسوا بجانب جدار من بيوتهم فأرادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم وان يصعد رجل الى الجدار ويلقي عليه حجرا فأخبره جبريل بذلك فقام وذهب الى المدينة وكان ذلك منهم نقضا للعهد فأرسل اليهم ان اخرجوا من بلدي لان بلدتهم كانت من أعمال المدينة فلم يخرجوا فتجهز اليهم وغزاهم (ثم كانت غزوة بدر الثالثة) في السنة الرابعة وتسمى بدر الموعد

لاظل الاظله فقال ومن أجيرك فقالت من عدو لي يريد أن يقطعني اربا اربا فقال ومن أين أنت قالت من أهل لا اله الا الله قال وفي أين أخبؤك قالت في جوفك ان كنت تريد المعروف قال ففتح فاه وقال ها فدخلت جوفه واذا رجل معه صمصامة فقال يا ابن حمير أين الحية فقال ما أرى شيأ فذهب الرجل فأخرجت الحية رأسها فقالت يا ابن حمير أتحس بالرجل فقال لا قد ذهب قالت فاختر أي الخصلتين اما أنكت قلبك نكتة أو أفري كبدك قال والله ما كافأتني قالت تصنع المعروف عند من لا يعرفه قال أمهليني حتى آتي سفح هذا الجبل فأمهد لنفسي موضعا فبينما هو كذلك اذ هو بفتى حسن الوجه طيب الرائحة حسن الشباب فقال يا شيخ مالي أراك مسترسلا للموت آيسا من الحياة قال من عدو في جوفي يريد هلاكي فأخرج شيأ من كمه فدفعه الي وقال كله ففعلت فأصابني مغص شديد ثم ناولني أخرى فأكلتها فرميت الحية من أسفل قطعا قطعا فقلت من أنت رحمك الله فقال له أنا ملك يقال له المعروف ومستقري في السماء الرابعة وان أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضطربوا كل يسأل ربه ان يغيثك فقال عز وجل يا معروف أدرك عبدي وقال الشاعر

لا تصنع المعروف في ساقط * فذاك صنع ساقط ضائع
فضعه في حر كريم يكن * عرفك مسكا عرفه ضائع

(وقال أيضا)

متى تسد معروفا الى غير أهله * رزئت ولم تظفر بأجر ولا حمد

وقال الحجاج لشخص ما أضيع الاشياء قال مطر جود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى عنين أعمى وصنيعة تهدى الى من لا يشكرها وقال بعض الحكماء أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقالوا الاحسان الى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بساط الهواء قالوا تعريف اللئيم من اذا ارتفع أنكر أباه وجفا أخاه واستخف بالاشراف ونقل عن شيخنا المرحوم الشيخ نور الدين الزيادي الشافعي في تعريف اللئيم فقال من ليس له فعلة تحمد ولا خصلة تشكر قال الشاعر

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * مع الامن البان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(وقال آخر)

زرعنا جميلا مع أناس فأنكروا * جمائلنا طرا وما حفظوا القرى
ومن يزرع المعروف في غير أهله * كمن قلد الخنزير درا وجوهرا

(وقال الشاعر)

لعمرك ما المعروف في غير أهله * وفي أهله الا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذي كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس في شكر الصنيعة عندهم * وفي كفرها الا كبعض المزارع
فمزرعة طابت فأضعف نبتها * ومزرعة أكدت على كل زارع

(وقال آخر)

لئن بسط الزمان يدي لئيم * فصبرا للذي فعل الزمان
فقد يعلو على الرأس الذباب * كما يعلو على النار الدخان

رجعنا الى ما نحن بصدده وأقام المنصور في الخلافة اثنتين وعشرين سنة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة والله أعلم

(خلافة المهدي بن المنصور)

بويع له يوم مات أبوه وسنه اثنتان وأربعون سنة فجمع الناس فخطبهم ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب وأمر فأطاع ثم ذرفت عيناه وقال لقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرقة الاحباب وقد فارقت عظيما وتقلدت جسيما فعند الله

لان أبا سفيان نادى يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه فأقاموا على بدر ثمانية أيام مدة الموسم وكان أبو سفيان قد خرج من مكة في ألفين من قريش حتى نزل خارج مكة وقد قام به رعب من محمد صلى الله عليه وسلم فجمع قريشا وقال لهم انه لا يصلح هذا العام لقتال محمد فارجعوا فرجعوا وباع المسلمون ما كان معهم من التجارة وربحوا بها كثيرا وفيهم نزل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل الآية (ثم كانت غزوة دومة الجندل) أواخر السنة الرابعة الجندل بفتح الدال المهملة بلدة قريبة من دمشق بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جماعة يتعرضون لمن مر بهم بالاضرار والافساد وأخذ

احتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على تقليد أمور المسلمين ونزل فبايع الناس وقد جمع أبو دلامة الشاعر بين تهنئة وتعزية فقال

عيناى واحدة ترى مسرورة * بأميرها جذلى وأخرى تذرف
تبكى وتضحك تارة ويسوؤها * ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيسوءها موت الخليفة محرما * ويسرها أن قام هذا يخلف
ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى * شعرا أسرحه وآخر ننتف
هذا حباه الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخرف

كان المهدى يقول ادخلوا على العلماء والقضاة وأحضروهم عندى فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا كثيرا ومكث فى الخلافة عشرين سنة وتوفى فى المحرم سنة تسع

(خلافة موسى الهادى بن المهدى)

بويع له يوم مات أبوه وكان سنه أربعة وعشرين بعهد من والده وأخذ له البيعة شقيقه هرون الرشيد * ذكر صاحب السكردان ان الهادى كان يوما فى بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد وقد ظفر به بعض القواد فأمر الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما أبصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادى ففر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنا منه الخارجى وهم ان يعلوه بالسيف أومأ الى وراء الخارجى وأوهمه ان ثم لاماوراءه وقال ياغلام اضرب عنقه فظن الخارجى ان ثم لاماوراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادى مسرعا عن حماره وقبض على عنق الخارجى وذبحه بالسيف الذى كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره واتباع الهادى ينظرون اليه و يتسللون عليه وقد ملئوا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الا جوادا من الخيل فانظروا الى هذا المقدار فى ثبات جاش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الا نادرا (حكى) عن عبد الحق انه قال مما ابتلى به الهادى من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادرا وكانت من أحسن النساء وجها وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين قال وقع فى قلبى انى أموت وان أخى هرون يلى الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا وأتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هرون يترفق به فى ذلك فقال لا أرضى حتى تحلف لى بكل ما أحلفك به اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلف ايمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هرون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع فى الايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هى فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة فاذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رأيت أخاك الهادى الساعة فى النوم فانشدنى هذه الابيات

أخلفت عهدى بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى * ايمانك الزور الفواجر *
ونكحت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصبا * ح وصرت حيث غدرت صائر

الاموال وانهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب صلى الله عليه وسلم لهم الناس وخرج فى ألف مقاتل فلما دنا منهم وبلغهم الخبر تفرقوا فهجم على ماشيتهم وأصاب أصحابه رجلا منهم فسأله عنهم فقال هربوا فأعرض عليه الاسلام فأسلم ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس ويقال لها غزوة الاحزاب وكان كفار قريش ومن عاونهم من يهود بنى النضير وقبائل العرب المشركين عشرة آلاف ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم شاور أصحابه فى أن يبرز لهم أو يكون فيها فأشار عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه بالخندق وقال يا رسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا عليهم فأعجبهم ذلك وضربوا الخندق على المدينة وظهر

قالت ثم ولى عنى وكأن الابيات مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال لها هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت فى تلك الساعة ولا تسأل عن هرون الرشيد وما لقى بعدها فكانت مدة الهادى سنة وشهرا ونصفا وتوفى فى ربيع الاول سنة سبعين ومائة

﴿خلافة هرون الرشيد﴾

بويع له يوم مات الهادى وسنه خمس وأربعون سنة ومولده بالرى لما كان أبوه المهدى أميرا عليها وكان فصيحا بليغا أديبا كثير العبادة وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما وكان يصلى فى خلافته فى كل يوم مائة ركعة لا يتركها الا لعلة وكان يتصدق فى كل يوم بالف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام وبلغه عن بشر المريسى انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتى بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض ويعظمه وكان قاضيه الامام أبو يوسف وكان يجله كثيرا ويمتثل أمره وكانت أيام الرشيد أيام خير وله اخبار فى اللهو واللذات مشهورة (فائدة) ولد الامام أبو يوسف سنة خمس وتسعين وتوفى سنة مائة واثنتين وثمانين فجملة عمره سبع وثمانون سنة ومما يحكى عن هرون الرشيد أنه قال يوما لجلسائه من أرغد الناس عيشا فقالوا أمير المؤمنين فقال لهم كلا ان لا عواد المنبر هيبته وان لقعقعة لجام البريد افزعه وان أهنى الناس عيشا رجل له دار يسكنها وزوجة يأوى اليها وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فان من عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه (وحكى) المسعودى فى شرح المقامات قال أخبرنا الفقيه أبو العز أحمد بن عبد الله السكبرى فى كتابه بسنده من أيوب الوزان قال قال المفضل دخلت على الرشيد وعنده طبق ورد وعنده جارية مليحة أديبة شاعرة قد أهديت اليه فقال يا مفضل قل فى هذا الورد شيأ أشبهه فقلت

كأنه خد موموق يقبله * فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية

كأنه لون خدى حين يدفعنى * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال هرون الرشيد قم يا مفضل أخرج فان هذه الماجنة هيجتنا فقلت والله يا أمير المؤمنين لا أقوم الا بجائزة فانى كنت سبب القيام ابرك فضحك حتى استلقى على قفاه وأمر لى بجائزة فاخذتها وخرجت وأرخيت الستور دونى (وحكى) عن هرون الرشيد انه خرج هو وأبو يعقوب النديم وجعفر البرمكى وأبو نواس الاصمعى واذا بشيخ فى الصحراء متكئ على حمار له فقال هرون لجعفر سل هذا الشيخ من اين فقال له جعفر من اين جئت قال من البصرة قال واين تريد قال بغداد قال وما تصنع فيها قال ألتمس دواء لعينى فقال له هرون مازحه فقال له جعفر أخاف ان أسمع منه ما أكره فقال بحقى عليك الا مازحته فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ما الذى تكافئنى به فقال الله تعالى يكافئك بما هو خير من ذلك فقال اسمع هذا السر الذى لا أصفه لاحد غيرك خذ لك ثلاث أواق من شعاع الشمس وثلاث أواق من زهرة القمر وثلاث أواق من هبوب الريح وثلاث أواق من نور السراج واجمع الجميع فى هون بلا قعر ودقهم ثلاثة أشهر فاذا دققتهم اجعلهم فى شقفة مشقوقة واجعلوهم ثلاثة اشهر فى الريح ثم اجعلهم فى قصبة ساق بجل قد حفى واستعمل هذا الدواء فى كل يوم ثلثمائة مرة عند النوم ودم على ذلك ثلاثة أشهر فانك تعافى ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلامه انبطح عن حماره وضرط فى وجهه ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافأة لك فاذا استعملت هذا الدواء ووهب الله لى العافية أخذت لك جارية تخدمك فى حياتك خدمة يقلع الله بها عينيك فاذا مت وعجل الله بروحك الى النار سخمت وجهك بخرائك وأخليها تلطم عليك وتقول لك يا سقيع الذقن يا رقيع لا اله الا الله ما أسقع ذقنك قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ورسم له بثلاثة آلاف درهم ﴿وقد قيل﴾ ان هرون الرشيد حصل له فى بعض الايام حال من الاحوال وضيق صدر فاخذ معه بعض الخدام وخرج يتفرج على العادة وكان شخص يقال له أبو الحسن ابن تاجر من التجار وكان والده صاحب أموال كثيرة وأماكن وعقارات وأقطاع وضياع فتوفى

فيها معجزات كثيرة منها ما رواه جابر رضى الله عنه قال اشتد علينا فى بعض الخندق كدية فشكوناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء فتفل فيه ودعا بما شاء الله ثم صب ذلك الماء على تلك الكدية فانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأساولما حفر واحول المدينة مكثوا مدة وأرسل الله عليهم ريحا عاصفا فى ليال شديدة البرد فقطعت أطناب خيامهم وأكفأت قدورهم على افواهها ونصر الله المسلمين وخذل الاحزاب (ثم كانت غزوة المصطلق) فى شعبان سنة ست من الهجرة وهم بطن من خزاعة وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحرث بن ضرار سيد بنى المصطلق رضى الله عنه فانه أسلم جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من

والده وحاز جميع ما خلفه ثم انه كان فى كل يوم يخرج الى الجسر فاول رجل يمر عليه يدعوه الى الضيافة فمر عليه فى ذلك اليوم الرشيد فتعلق به وقال له ياسيدى هل لك فى طعام وشراب فاجابه الرشيد وقال له امض بنا ولم يعلم أبو الحسن من هو ضيفه وسارا الى ان وصلا منزل أبى الحسن فلما دخل الرشيد وجد به قاعة ان نظرت الى حيطانها رأيت العجب وان نظرت الى مجاريها رأيت شاذروانا مصفحا بالذهب فلما استقر به الجلوس استدعى أبو الحسن بجارية كأنها قضيب بان فاخذت عودها وأنشأت تقول

يا مقيما مدا الزمان بقلبى ✱ وبعيدا بشخصه عن عيانى

أنت روحى اذ كنت لست أراها ✱ فهى أدنى الى من كل دانى

قال فلما سمع الرشيد من الجارية هذه الابيات قال لها أحسنت بارك الله فيك وأعجبه منطقها وتعجب من أبى الحسن وعزومته وقال له يا أبا الحسن هل من حاجة تروم قضاءها أو هل من شهوة تشتهيها فقال أبو الحسن ان بجوارنا مسجدا وله امام به وأربع مشايخ وبجوار المسجد صاحب ربع وهم كلما سمعوا نغمة أو شيأ من اللهو يغروا على الوالى ويغرمونى الغرائم ويكدروا عيشى وانا معهم فى عذاب فلو تمكنت منهم كنت اضرب كل واحد منهم ألف سوط واصلب صاحب الربع واستريح من كثرة أذاهم فقال الرشيد يبلغك الله مرادك ثم ان الرشيد غافله ووضع قرص بنج فى قدح وناوله له فلم يستقر فى جوفه حتى نام لوقته فقام الرشيد الى الباب فوجد غلمانه ينتظرونه فأمر الرشيد بحمل أبى الحسن على بغلة وسار الى دار الخلافة وهو سكران لا يفيق ولا يشعر بنفسه فلما استقر الرشيد بدار الخلافة استدعى بوزيره جعفر وعبد الله بن طاهر والى بغداد وبعض خدمه الخواص وقال لهم جميعا اذا كان غداة غد ونظرتم هذا الغلام وأشار الى أبى الحسن وهو جالس على سرير الملك أعطوه الطاعة وسلموا عليه بالخلافة وأى شئ أمر به فافعلوه ثم دخل بعد ذلك الى جواريه وأوصاهن بخدمته وان يخاطبوه بامير المؤمنين فلما أفاق أبو الحسن وجد نفسه جالسا على سرير الملك والوزراء والوالى والخدم واقفون وهم يقبلون الارض بين يديه فاحتار أبو الحسن فى أمره ووضع رأسه فى عبه وجعل يفتح عينيه قليلا قليلا وجعل يضحك ويقول ايش هذا الامر الذى انا فيه ثم انه رفع رأسه ونادى بعض الجوارى فاجابته لبيك يا أمير المؤمنين فقال لها ما اسمك قالت شجرة الدر فقال لها أتدرى فى أى مكان انا ومن هو انا فقالت أنت أمير المؤمنين جالسا فى قصرك على سرير الخلافة فقال لها انى حائر فى أمرى وقد خرج عقلى وما كانى الا نائم ولكن أيش أقول فى ضيفى البارحة وما أظنه الا شيطانا أو ساحرا لعب بعقلى فبقى حائرا باهتا الى أن أصبح الصباح فأتاه الخادم وقال له اسعد الله صباح أمير المؤمنين ثم ناوله تاسومة من ذهب مكالة بالجواهر واليواقيت فأخذها وتأملها وبلا تم وضعها فى كمه فقال له الخادم هذه تاسومة تدخل بها بيت الخلاء فقال له صدقت ما وضعتها فى كمى حتى لا تتوسخ ثم أخرجها من كمه ووضعها فى رجله فلما اقضى حاجته وخرج قدموا له خلعة سنية ونظر الى نفسه وهو جالس على السرير وقال كل ما انا فيه خيال ومحال من الجان فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض المماليك وقال له يا أمير المؤمنين ان الحاجب بالباب يستأذنك فى الدخول فقال أبو الحسن يدخل فدخل وقبل الارض بين يديه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقام أبو الحسن ونزل عن السرير الى الارض فقال له الحاجب الله الله يا أمير المؤمنين اما تعلم ان الناس كلهم غلمانك وتحت نظرك وأمير المؤمنين لا ينبغى له القيام الى أحد ثم قيل له ان جعفر البرمكى وعبد الله بن طاهر وأكابر المماليك يستأذنون فى الدخول فاذن لهم فدخلوا وقبلوا الارض بين يديه وجعل كل منهم يخاطبه بامير المؤمنين ففرح بذلك ورد عليهم السلام ثم نادى الوالى فدنا منه وقال لبيك يا أمير المؤمنين فقال له اذهب فى هذه الساعة الى الدرب الفلانى وأمسك صاحب الربع وامام المسجد والاربع مشايخ واضرب كل واحد منهم ألف سوط فاذا فرغت من ذلك اكتب عليهم قسامة أنهم لا يسكنون فى الدرب بعد تجريسهم والمناداة عليهم هذا جزاء من يؤذى

قد رحليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم رجلا يرده فعاد وأخبره بذلك فندب الناس لقتالهم ولما وصل اليهم عرض عليهم الاسلام فأبوا وحاربوا فاستأصلهم قتلا واسرا وغنموا واستاق ابلهم وشياههم وكانت الابل ألفين والشياه خمسة آلاف واستعمل عليهم مولاه شقران بضم الشين المعجمة وكان حبشيا واسمه صالح وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك ثم كانت غزوة الحديبية وما فيها من الصلح وكانت فى آخر سنة ست من الهجرة (ثم كانت غزوة خيبر وما فيها) وكانت سنة سبع من الهجرة ثم كانت غزوة عمرة القضاء وسرية موتة وفتح مكة ودخولها فى شهر ذى القعدة من سنة سبع من الهجرة وقيل سنة ثمان ثم غزوة حنين ويقال

جاره ثم اصلب صاحب الربع واياك ان تتهاونوا فيما أمرتك به ثم ان أبا الحسن التفت الى الحاجب وبقية الخدم وقال لهم انصرفوا ثم استدعى بخادم كان قريبا منه وقال له انى جيعان وقصدى شئ آكله فقال سمعا وطاعة وأخذ بيده الى أن أدخله مجلس الطعام وقدموا بين يديه مائدة من الاطعمة الفاخرة وقام على رأسه عشر جوار نهد أبكار فالتفت الى جارية منهن وقال لها ما اسمك فقالت قضيب البان فقال لها ياقضيب البان من أنا قالت أنت أمير المؤمنين فقال تكذبين والله ياقحبة أأنت تضحكين على فقالت خف الله ياأمير المؤمنين هذا قصرك والجوارى جوارك فقال فى نفسه ما هو كثير على الله عز وجل ثم ان الجوارى أخذن بيده الى مجلس الشراب فرأى شيأ يذهل العقل وصار يقول فى نفسه لاشك ان هؤلاء من الجان ويكون هذا الذى أضافنى من ملوك الجان ومارأى لى مكافأة ومجازاة مافعلته معه من الجميل الا ان أمر أعوانه يقولون ياأمير المؤمنين وهؤلاء كلهم من الجان فالله يخلصنى منهم على خير فبينما هو يحدث فى نفسه واذا بجارية من تلك الجوارى ملأت له كاسا من الخمر فتناوله منها وشربه ثم ان الجوارى تكاثرن عليه بالشراب وطرحت له احداهن قرص بنج فى القدح فلما استقر فى جوفه وقع الى الارض وصار لايعى ولا يفيق فعند ذلك أمر الرشيد بحمله الى منزله فحملوه ووضعوه على فراشه وهو لايشعر بنفسه فلما أفاق من سكرته آخر الليل رأى نفسه فى الظلام فصاح ياقضيب البان ياشجرة الدر فلم يجبه أحد فسمعته أمه وهو ينادى بهذه الاسماء فقامت وأتت اليه وقالت له ايش جرى عليك ياولدى وما الذى أصابك أنت مجنون فلما سمع كلام أمه قال لها من أنت ياعجوز النحس حتى تقابلى أمير المؤمنين بهذه الالفاظ فقالت له أنا أمك ياولدى فقال لها تكذبى أنا أمير المؤمنين صاحب البلاد والحاكم على العباد فقالت له اسكت والا تروح روحك وجعلت ترقيه وتقرأ عليه وتقول ياولدى كانك رأيت هذا فى المنام وهذا كله من وساوس الشيطان ثم قالت له أبشرك ببشارة تسر بها قال لها وما هى قالت ان الخليفة أمر بضرب الامام والمشايخ وصلب صاحب الربع وكتب عليهم قسامة لايتعرضوا لهم على أحد فلما سمع ابو الحسن من أمه هذا الكلام زعق زعقة كاد أن يفارق الدنيا وقال انا لله وانا اليه راجعون أنا الذى أمرت بضرب المشايخ وصلب صاحب الربع ونفيهم وأنا أمير المؤمنين ثم نزل الى الزقاق فى الليل ونادى باعلى صوته معشر الناس من كان له حكومة أو ظلامة فعليه بهذه الدار يخلص ظلامته وننظر فى حكومته قال فانتبه كل من فى الزقاق ومسكوه الى ان طلع النهار وجروه وأدخلوه البيمارستان ووضعوه فى الحديد وصار كل يوم يعاقبوه ويسقونه الادوية الكريهة ويضربونه بالسياط وجعلوه مجنونا ومكث عشرة أيام فجاءت والدته تسلم عليه فشكا اليها فقالت له ياولدى خف الله فى نفسك لو كنت أمير المؤمنين ما كنت فى هذا الحال فلما سمع من والدته ذلك قال والله صدقت ما كانى الا كنت نائما فرأيت انهم جعلونى خليفة وجعلوا لى خداما وجوارى فقالت له ياولدى ان الشيطان يفعل أكثر من هذا قال صدقت وأنا استغفر الله مما جرى منى فاخرجوه من البيمارستان وأدخلوه الحمام فلما أصابته العافية صنع طعاما وجلس يأكل فلم يطب له وحده فقال يا أماه لم يطب لى عيش ولا أكل وحدى فقالت له ان كنت تريد تعمل ماتشاء وتختار فرجوعك الى البيمارستان أقرب فلم يلتفت اليها وتمشى الى الجسر ينظر له نديما فبينما هو جالس اذا بالرشيد قد جاء اليه فى صفة تاجر وكان من حين فارقه يأتى كل يوم الى الجسر ولم يجده فلما رآه أبو الحسن قال له أهلا وسهلا ومرحبا ياملك الجن فقال له الرشيد ايش عملت معك فقال له أى شئ تفعل معى أكثر مما فعلت ياأوسخ الجان أركبت الضرب ودخلت البيمارستان وجعلونى مجنونا كل ذلك منك جئت بك الى منزلى وأطعمتك خيار مأكلى وبعد ذلك سلطت على شياطينك وأعوانك يلعبون بعقلى من المساء الى الصباح اذهب الى حال سبيلك فقال له الرشيد قد بلغت مقصودك من الامام والمشايخ وصاحب الربع قال نعم فقال له الرشيد لعله يأتيك مايسر خاطرك أكثر من هذا فقال له ابو الحسن ايش مقصودك منى قال مقصودى أكون ضيفك فى هذه الليلة فقال أبو الحسن على شرط ان تحلف لى بالذى هو منقوش على خاتم سليمان بن داود

لها غزوة هوازن وغزوة أوطاس وما وقع فيها من اعلاء كلمة الله واظهار شوكة الاسلام ومن استشهد فيها من المسلمين (ثم كانت غزوة الطائف) سنة ثمان من الهجرة أيضا ثم عند منصرفه من الطائف قدم عليه كعب بن زهير تائبا مسلما حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم وانشد له قصيدته المشهورة وهى بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ولما رجع منها الى المدينة أتته وفود العرب وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود ودخل الناس فى دين الله أفواجا وقد استوفينا الكلام على مايتعلق بالغزوات وغيرها فى كتابنا المواهب السنية فى خير البرية (وفى السنة العاشرة كانت حجة الوداع) وكان معه صلى الله عليه وسلم أربعون ألفا ولم يحج

عليهما السلام ماتخلى عفاريتك يلعبون بى فقال له الرشيد سمعا وطاعة فأخذه أبو الحسن الى منزله ثم ان أبا الحسن قدم الطعام الى الرشيد وأتباعه فأكلوا بحسب الكفاية فلما فرغوا من الاكل قدموا الشراب والمفرحات فشربوا الى ان رأى الرشيد فرصة فوضع قرص بنج فى قدح فلما شربه صار لا يعى فأمر الرشيد بحمل ابى الحسن الى دار الخلافة وأمرهم ان يرفعوه على سريره فلما أفاق أبو الحسن آخر الليل جعل ينادى يا اماه فأجابوه الجوارى لبيك يا أمير المؤمنين فلما سمع ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ادركونى فى هذه الليلة فانها انحس من التى تقدمت ثم انه جعل يطيل النظر فى الذين حوله ويقول هؤلاء كلهم من الجان فى صفة الآدميين أمرى الى الله ثم التفت الى مملوك بجانبه وقال له عض فى أذنى لأرى أنائم أم يقظان فقال له المملوك كيف أعض فى ذلك وأنت أمير المؤمنين فقال له افعل ما أمرتك به والا ضربت عنقك فعضه فى أذنه حتى التقى الناب على الناب فزعق زعقة عظيمة هذا والرشيد خلف الستارة من داخل مخدع فكل من كان حاضرا معه انقلب من الضحك وهم يقولون للمملوك أنت مجنون تعض أذن الخليفة فقال لهم أبو الحسن ما كفى يا كلاب الجن ماجرى على أنتم ما لكم ذنب الذنب لكبيركم الذى حلفته بخاتم اليمين وأخرجكم فى صفة الآدميين وأنا أستعين عليكم فى هذه الليلة بآية الكرسى والاخلاص والمعوذتين ثم ان الرشيد خرج من وراء الستارة وقال أهلكتنا يا أبا الحسن فعند ذلك عرفه أبو الحسن فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والبقاء ثم ان الرشيد ألبسه خلعة سنية ودفع له ألف دينار وجعله من أعز ندمائه (وحكى) ان الاصمعى دخل يوما على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين كانت لى حاجة فى ضيعة كذا فلقينى من كاد يقتلنى قال وما هو قال بينما أنا فى وسط البيداء واذا بشئ قبض على خنقى ولم أره فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا من شعراء الجن فقلت له وما تريد منى قال اريد منك ان تصف لى فى هذا الوقت ما أخبث الارض وما أطيبها وما أضيقها وما أوسعها فقلت له أو أحسن ذلك وأنت قابض على خناقى فأطلقنى وأردت ان أعجزه فقلت له لا يحصل لى باعث على النظم الا بالجائزة العظيمة فقال أتطلب كثيرا فقلت الف دينار فقال اثبت مكانك فوقفت يسيرا واذا بصرة وقعت من الهواء فأخذتها ووضعتها فى كمى وقلت

من لم يكن بين اقوام يسربهم * فكل اوقاته نقص وخسران
فأطيب الارض ما للنفس فيه هوى * سم الخياط مع الاحباب ميدان
واخبث الارض ما للنفس فيه اذى * خضر الجنان مع الاعداء نيران

فقال الاعتراف انصاف لقد اعجبنى حسن بديهتك ولكن صف لى هذه الارض من اى الاراضى فقلت له ان لم تحرمنى الجائزة ولم تقتلنى فهى اطيب الارض واوسعها وان قتلتنى واحرمتنى الجائزة فهى اخبث الارض واضيقها فضحك كالرعد القاصف فارتعدت منه فقال لى ما بالك ارتعدت وقد انبسطت معك اليوم فقلت له اذا كان بسطك يروعنى فكيف انقباضك فضحك اكثر من الاول وقال اذهب يا اصمعى يحق للملوك ان يدنوك من مجالسهم فقال الرشيد ارنى الصرة فظهر تهاله فقال الرشيد هذه من خزائنى وعليها ختمى هذا من لصوص الجن فسبحان من نجاك منه (وحكى) عن الاصمعى انه قال ضل لى بعير فخرجت فى طلبه فدخلت حلة عرب ورأيت جماعة يصطلون نارا وبقربهم شيخ ملتف بقطعة عباءة وهو يرتعد ويقول

ايارب ان اليوم اصبح كاشحا * وانت بحالى يا مهيمن تعلم
فان كنت يوما مدخلى لجهنم * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

فعجبت من فصاحته فسلمت عليه وقلت لاى شئ يدخلك جهنم فقال اقلة صلاتى فقلت لم لا تصلى فانشد يقول

ايطلب ربى ان اصلى عاريا * ويكسو غيرى حلة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر

بعد الهجرة سواها ومات ابنه ابراهيم فيها وبعث عليا الى اليمن بكتاب يدعوهم الى الاسلام فأجابه منهم خلق كثير وأسلمت همذان جميعا فى يوم واحد فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخلت سنة احدى عشرة فمرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة أقام بها الى آخر صفر وابتداء المرض لليلتين بقيتا منه وقبض ضحى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الاول فى بيت عائشة ودفن ليلة الاربعاء وسط الليل وصلى عليه المسلمون ارسالا ولم يؤمهم أحد وغسله على والعباس والفضل وقثم واسامة وصالح مولاه وهو شقران ودفن فى حجرة عائشة التى مات فيها صلى الله عليه وسلم (وولى بعده أبو بكر) رضى الله

وان يكسني ربي قميصا وجبة * اصلي له مهما اعيش من العمر

قال فتعجبت من فصاحته واعطيته قميصا وجبة وقلت له قم صل فلبسهما واستدبر القبلة يصلي بلا وضوء قاعدا فقلت له اما تستحي ان تفعل هذا فقال

اليك اعتذاري من صلاتي قاعدا * على غير طهر موميا نحو قبلتي

فما لي ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي

ولكنني استغفر الله شاتيا * واقضيكها يارب في وقت صيفتي

فان انا لم افعل فدونك فاحتكم * عاشئت من صفعي ومن نتف لحيتي

فتركته وانصرفت متعجبا (وحكى) عن ابي العتاهية انه قال بينما انا جالس في حبس الرشيد اذ دخل علينا رجل ذو شهامة وسامة فسلم وجلس ساعة لا ينطق فقلت اصلحك الله ان للمسجونين استرواحا الى الاخبار وتطلعا الى الحديث وقد دخلت علينا فلم تخبرنا بشيء من امرك فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للداخل دهشة فابسطوه بالانس ولم تبدؤني بالبسط والتأنيس فقلت صدقت وقص كل واحد منا قصة ثم اخرجت سويقا كان عندي فاسقيته فبينما هو يشرب اذ دخل علينا الاعوان فقالوا له قم فقد امر بقتلك فارتعدنا وهو ساكن الجنان طيب النفس حتى استتم شرب السويق ثم قال انا حاضر موت يحيى بن عبد الله بن الحسن الذي يقول

اذا انا لم اقبل من الدهر كلما * تكرهت منه طال عتبي على الدهر

الى الله اشكو لا امر في الخلق كلهم * وليس الى المخلوق شيء من الامر

فعودت نفسي الصبر حتى الفته * واسلمني حسن العزاء الى الصبر

وصيرني يائسا من الناس راجيا * لسرعة لطف الله من حيث لا ادري

واوسع صدري للاذى كره الاذى * وقد كنت احيانا يضيق به صدري

وقد ييأس الانسان في بعض حاله * و يأتيه لطف الله من حيث لا يدري

ثم نهض غير مرعوب ولا مرهوب فلم يعرف له بعد ذلك خبر ثم اني لقيته بعد سنين بالموقف فتعرفت اليه وقلت له ماشأنك وخبرك بعد ما فارقتنا فقال لما دخلت على الرشيد امر من مد النطع وجرد السيف وعصب عيناي وامر بقتلي فرأى شفتي تتحركان فقال لم تحرك شفتيك لا أم لك فقلت بدعاء علمنيه مولاي فقال أخبرني به فقلت اللهم يا من لا يرد قضاؤه عن كل سلطان منيع ولا يدفع بلاؤه عن كل ذي مجد رفيع يا كاشف الهم عن المأسور الضعيف عند معضل الخطب ودافع الغم عن المضطر اللهيف عند تزايد الكرب أسالك بأجل الوسائل لديك وأقرب الوسائل اليك محمد خاتم النبيين وآل بيته أجمعين أهل طه ويس صلى الله عليه وعليهم أجمعين أن تجعل لي من أمري هذا فرجا ومن محنتي مخرجا انك سميع الدعاء جزيل العطاء فعال لما تشاء قال فتغرغرت عينا الرشيد بالدموع ثم قال حلوا وثاقه وادفعوا اليه زادا وحلوه والحقوه باهله فرجعت من فوري وما أفاده الجلال السيوطي في كتابه الارج في الفرج ان أمير المؤمنين هرون الرشيد لما اشتد غضبه على الامام الشافعي رحمة الله عليه نادى وزيره ليلا وقال اذهب بنفسك الى محمد القرشي فادخل عليه بغير اذن وائتني به على غير رضا قال فذهبت اليه وقد دققت من أمير المؤمنين هرون الرشيد له فدخلت عليه فقلت الرشيد يدعوك فقال في مثل هذا الوقت وبغير اذن قال بذلك أمرت فقام معي الى أن قربت من الدخول فوجدته يحرك شفتيه لا أدري ما يقرأ فلما دخل على الرشيد هابه وأجلسه وأكرمه وصرفه آمنا فخرجت عقبه وقلت بالله عليك الا ما اخبرتني عما قلت عند دخولك فوالله ما جئتك الا وأنا أعرف موضع السيف من قفاك فقال الامام رضي الله عنه حدثني فلان عن فلان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اهمه أمر الاحزاب نزل جبريل فعلمه هذه الكلمات فكتبها الوزير وحفظها وحملها وكان يتعوذ بها وهي هذه اللهم أنت

عنه واسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب التيمي القرشي يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن سعد بن تيم ابن مرة ماتت مسلمة قبل كان اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه بعتيق لانه صلى الله عليه وسلم قال من أراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وأيام وكان أبيض اللون خفيف العارضين ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب هو وعمر بن الخطاب الى

غيرالى فبك أغوث وأنت عياذى فبك أعوذ وأنت ملاذى فبك ألوذ يامن ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أجرنى من خزيك وعقوبتك واحفظنى فى ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى واسفارى لااله الاأنت سبحانك وبحمدك تنزيه الذاتك وتكريما لسبحات وجهك اكفنى شر عبادك وأدخلنى فى سرادقات حفظك وعنايتك وجد على بخير ياأرحم الراحمين (وحكى) عن احمد بن الخطيب عن أبيه وكان من أجل الكتاب قال دخلت يوما على أمى وكان يوم أضحى فرأيت عندها عجوزا فى اطمار رثة ولها منظر وبيان فقالت لى أمى سلم على خالتك فقلت ومن هذه قالت هذه عتابة أم جعفر بن يحيى فقلت لااله الاالله أصار بك الدهر الى ما أرى فقالت يابنى انما كانت الدنيا عارية ارتجعها معيرها وحلة سلبها لابسها فقلت ما عجب ما قد بت قالت يابنى لقد مر على أضحى مثل هذا اليوم وعلى رأسى أربعمائة وصيفة وقد ظننت مع ذلك ان ابنى عاق لى ثم صرت لكم اليوم أطلب جلدى شاتين أجعل أحدهما دثارا والآخر خارا فقلت ما أصعب ما رأيت فانشأت تقول

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد

ان المصائب تنقضى أسبابها * وشماتة الأعداء بالمرصاد

قلت لها ثم ماذا قالت الموت فقلت أوذقت الموت فانشأت تقول

لاتحسبن الموت موت البلا * لكنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

(ولبعضهم)

لاتظهرن لعاذل أوعاذر * حاليك فى السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

(ولبعضهم أيضا)

أعياك اسعافى فصرت معنفى * ليت الذى صرف الجميل تجملا

مالى شكوت اليك نار جوانحى * لتكون مطفيها فكنت المشعلا

المصائب جمع مصيبة وهو مايصيب الانسان من حوادث الدهر ونوازله والشماتة التشفى والبيت الاول من جملة أبيات قالها عبدالله بن محمد بن ابى عيينة يعاتب بها ذات اليمينين منها

من مبلغ عنى الأمير رسالة * محصورة عندى من الانشاد

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد

واظن لى منها لديك خبيئة * ستكون عند الزاد آخر زاد

مالى أرى أمرى لديك كأنه * من ثقله طود من الاطواد

قيل لأيوب عليه السلام اى شئ كان فى بلائك أشد عليك قال شماتة الأعداء وقال ابن أكثم لايفرح بنكبة الانسان الامن لؤم أصله ومما يناسب ذلك ان على بن عبد الجبار قال زوجت سيدة النساء بنت طولون لعبة من لعبها فأنفقت فى وليمتها مائة ألف دينار فلم تلبث حتى رأيتها تتعرض للسؤال ببغداد فرآها بعض الاغنياء فعرفها فقال لها أين ما كنت فيه قالت خانتنا الدنيا فما تشتهين الآن قالت مل بطنى طعاما فقال لها هذا وكيلى خذى منه ما أردت فانصرفت الى منزله فاكلت شيأ فامر لها بعشرة آلاف درهم فقالت رد عليك مالك كان عندنا اكثر منه فما بقى وولت قائلة

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من ذبائحها * أرى الدنيا وان مدحت

تنص على فضائحها * فلا يغررك رائحة * تصيبك من روائحها

(ومما يحكى) ان جعفرا المصلوب نادى هرون الرشيد كل من نعاه أورثاه فعل به كما فعل به فكف الناس عن ذلك ثم ان اعرابيا كان ببادية بعيدة وفى كل سنة يأتى بقصيدة لجعفر المذكور فيعطيه ألف دينار جائزة فيأخذها و ينصرف و يستمر ينفق منها على قيام أوده الى آخر العام فلما جاء الاعرابى

سقيفة بنى ساعدة من الانصار يتشاورون فى أمر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الانصار منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الاصوات فقال عمر لابى بكر ابسط يدك فبسط يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون ثم الانصار قال ابن اسحق ولما كان اليوم الثانى من السقيفة صعد أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ان الله قد ابقى فيكم كتابه الذى هدى الله به رسوله فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع

بالقصيدة توجه جعفر الى الصحراء مصلوبا فجاء الى المحل الذي هو مصلوب فيه فأناخ راحلته وبكى بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وأنشد القصيدة ثم أخذه النوم فنام فرأى جعفرا فقال له أتعبت نفسك وجئت فرأيتنا على ما رأيت لكن توجه الى البصرة واسئل عن رجل اسمه كذا من خواجات البصرة وقل له جعفر يقرئك السلام ويقول لك بأمارة الفولة اعطنى ألف دينار فتوجه الاعرابي الى البصرة فوجد الخواجا فاجتمع به وبلغه ما قاله جعفر فبكى بكاء شديدا حتى كاد أن يفارق الدنيا ثم انه أكرم الاعرابي وأجلسه عنده وأحسن مثواه ومكث عنده ثلاثة أيام مكرما وأعطاه ألفا وخمسمائة دينار وقال له هذه الألف المأمور لك بإعطائها والخمسمائة دينار كرامة مني اليك ولك في كل سنة ألف دينار ما دمت حيا فلما أخذها الاعرابي وأراد الانصراف قال للخواجا بالله عليك لما اخبرتني عن أصل الفولة قال له كنت في ابتداء أمري فقير الحال أطوف بالفول الحار أبيعه في شوارع بغداد فخرجت في يوم بارد ماطر وليس على بدني ما يقي البرد فتارة أرعد من شدة البرد وتارة أقع في ماء المطر وأنا في حالة مكربة تقشعر منها الابدان وكان جعفر بمنزله في مكان عال مشرف وعنده خواصه ومحاضيه فوقع نظره على فرق لحالي وأرسل أخذني عنده وقال لي بع ما معك من الفول على جماعتي وأخذت اكيل بمكيال كان معي فكل من أخذ كيلة فول ملأها ذهبا فافرغ جميع ما كان معي ولم يبق معي شيء وجمع الذهب صبرة وأخذه ثم قال لي هل بقي معك شيء من الفول فوفتشت القفة فلم أجد فيها سوى فولة واحدة فأخذها جعفر وفلقها نصفين وأخذ نصفها وأعطى النصف الثاني لاحدى محاضيه وقال لها بكم تشترى نصف هذه الفولة فقالت بقدر هذه الصبرة قال جعفر وأنا أشترى النصف الثاني بقدر الصبرة مرتين فبهت وبقيت متحيرا في أمري وقلت هذا شيء محال فقال لي جعفر خذ ثمن فولك فتوقفت فأمر أحد غلمانه بجمع المال جميعا ووضعه في قفتي فأخذته وانصرفت ثم رحلت الى البصرة فاتجرت بما معي من المال فوسع الله على دنياي ولله الحمد والمنة فاذا أعطيتك في كل سنة ألف دينار فهي من بعض احسانه فانظر الى مكارم اخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمه الله تعالى وأقام هرون الرشيد في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وتسعة عشر يوما ولما جردت المنية سيف الحمام على رأس هرون وخرق ثياب رشد الرشيد ريب المنون وخلعت عنه الخلافة والسلطان وغسلته بماء الدموع بماء الاجفان رأى منامًا انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس غلب عليه التوهك فتيقن بالموت وبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لى قبرا في هذا المحل فحفروا له قبرا فقال قربوني الى شفيره فحملوه في قبة فسالت عبرته وزادت حسرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه فمات وصلى عليه ابنه صالح وألحد في القبر المذكور لثلاث مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة

﴿خلافة محمد الامين بن هرون الرشيد﴾

بويع له يوم مات والده وكان مليح الصورة أبيض اللون جميلا لكن كان سيء التدبير ضعيف الرأي لا يصغى الى قول مشير ولما ولى الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر جهارا وخلع العذار في العذارى واشترى عقيبة المغنية بمائة ألف دينار وأخذ جارية عمه ابراهيم بن المهدي بعشرين ألف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وكان والده هرون الرشيد عهد له ولاخويه فجعل ولده عبد الله المأمون ولي عهد بعد الامين وولاه على خراسان بامرها وكتب بذلك صحيفة ووضعها بالكعبة المشرفة وقد عمل بعض الشعراء في ذلك جملة قصائد من جملتها

أتى الله هرون الخلافة انه * دهر افاظهر فينا العدل والسننا
وقلد الامر هرون لرأفته * بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

ثم ان الامين عزم على انتزاع العهد من أخيه عبد الله المأمون وكان اذ ذاك مقيما بخراسان فنصحه عن هذا الغدر خازم بن خزيمة فقال يا أمير المؤمنين الغدر شؤم والناكث مغلوب منكوب وجرت العادة بنصر

الناس أبا بكر مبايعة عامة بعد بيعة السقيفة الخاصة ثم تكلم أبو بكر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد) أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوى عندي حتى آخذ له بحقه والقوى منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله تعالى أطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيت الله تعالى فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى عامين وثلاثة أشهر وثمانية ايام (وولي بعده عمر بن الخطاب) باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه وهو أول من دعي أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار على أبي بكر

المظلوم

المظلوم فأبى الامين ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وهم على ذلك أشد تصميم فكتب الى المأمون يستدعيه ويذكر له حاجة الى لقائه وانه يفاوضه فى أمر مهم عظيم تضيق عنه الكتب وأكد فى تعجيل القدوم عليه وكان للمأمون جواسيس ببغداد فكتبوا اليه أن اخاك يريد تحويل الخلافة عنك الى ولده موسى فاطلع المأمون خواصه على ذلك فأشاروا عليه بالثبات وانتظار الفرج والاعتذار الى أخيه عن التخلف فكتب اليه يعتذر بتشعب أهل خراسان وعن يتطاول اليها من ملوك الكفار فلم يقبل عذره وكتب اليه ثانيا يأمره بالقدوم عليه ويخوفه مضرة التهاون فشاور أصحابه فثبتوا على رأيهم وعن مفارقة خراسان فكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المأمون قد فطن لما يراد به وانه عنهم حاذر وان وزراءه قد أجمعوا على نهيه عن مفارقة خراسان فيئس الامين عند ذلك وأمر بالقبض على من فى بغداد من حشم المأمون ووكلائه وامواله وارسل اخذ صحيفة البيعة من مكة المشرفة ومزقها ودعا الناس الى خلع المأمون من عهد الخلافة والبيعة لابنه موسى وكان اذ ذاك طفلا فاجابه الناس الى ذلك وبايعوه وسمى موسى الناطق بالحق قال ولم يكن موسى يومئذ ينطق بالحق ولا بالباطل واستكفل له على بن عيسى بن هانئ وكان هذا ولى خراسان قبل هذا فاصطنع فى أهلها حلائل الصنائع وقلد المنن فى أعناق الرجال وكان شأنه بخراسان عظيما ثم استشاره الامين فى أمر خراسان فضمن له ما بيده منها وأخبره انه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه منها اثنان فجهزه اليها وأحسن جهازه وولاه كل بلد يقدم عليها واعطاه أموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده وأصحبه بالسلاح والكراع ما شاء وأرسل معه جيشا عدته أربعون ألفا فبلغ المأمون ذلك فاضطرب أمره وعلم عجزه عن مقاومة على بن عيسى فركب يوما الى منتزهه ليجتمع بخواصه ويشاورهم فى أمره فعرض له شيخ مجوسى من الفرس فناداه مستغيثا به من ظلمه فلما نظر اليه المأمون والى كبر سنه رق له وأمر بحمله على دابة الى الموضع الذى يقصده المأمون فلما استقر به الجلوس أمر بادخال الشيخ عليه فلما دخل عليه أمره بالجلوس فى ناحية من المجلس ثم اقبل على خواصه وعرفهم بما وصل اليه من أخبار الامين وأمرهم بادارة الرأى فأشار كل واحد منهم برأى فقال بعضهم نعتذر الى الامين وننقاد لما يريده وننتظر نصر الله تعالى فيما بين ذلك وقال بعضهم نقصد بعض ممالك الكفار فنفتح تلك المملكة ونتحصن بها وقال بعضهم نستجير بملك الترك على هذا الغادر القاطع ومازالت الملوك تفعل هكذا وركن المأمون الى ذلك ثم فكر وقال كيف أعمل لا ترك على حرب المسلمين سبيلا ثم قال قوموا عنى فقاموا وادعى الشيخ الفارسى وقال له ما حاجتك فقال له بالعربية جئت لحاجة فعرض لى ما هو آكد منها فقال المأمون وما هو فقال انى دخلت على أمير المؤمنين وانا غير متصف له بالمحبة ثم ألقيت محبته فى قلبى وقد تظافرت على أيها الامير ثلاث قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع فان رأيت ان أقول ما عندى فذلك مفوض الى تعيينك واطرق المأمون فقال له الشيخ أيها الامير لا يصدنك عنى حقارة قدرى فانى برهمى من ولد البرهمين سيد ملوك الفرس والموسط بينها وبين أول الاوائل (فائدة) قال الجيلى فى كتابه الانسان الكامل وأما البراهمة فانهم يعبدون الله مطلقا لا من حيث نبى ولا من حيث رسول بل يقولون ما فى الوجود شىء الا وهو مخلوق لله فهم مقرون بوحدانية الله تعالى فى الوجود ولكنهم ينكرون الانبياء والرسل مطلقا فعبادتهم للحق من نوع عبادة الرسل قبل الانبياء وهم يزعمون انهم أولاد ابراهيم عليه السلام ويقولون ان عندهم كتابا كتبه ابراهيم عليه السلام من نفسه من غير ان يقولوا انه من عند ربه فيه ذكر الحقائق وهى خمسة أجزاء يبيحون قراءتها الكل أحد الا الجزء الخامس لا يبيحونه الا الآحاد منهم وقد اشتهر بينهم ان من قرأ الجزء الخامس من كتابهم لا بد ان يؤل أمره الى الاسلام فيدخل فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الطائفة أكثر ما يوجدون ببلاد الهند وثم ناس منهم يغرون بزيهم انهم براهمة ليسوا منهم وهم مقرون بعبادة الاوثان فهم من عبدة الوثن ولا يعدون من هذه الطائفة عندهم فقال المأمون أيها الشيخ ان انقلت من ملتك الى ملتنا ألحقناك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من

بجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وبويع له بالخلافة بعد موت أبى بكر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ولما دفن أبو بكر صعد المنبر فجلس دون مجلس أبى بكر ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وخطب خطبة بليغة وله فضائل كثيرة منها جريان النيل بكتابه الذى أرسله الى عمرو بن العاص لما افتتح مصر وكانت عادته أنه لا يجرى حتى يأتوا بجارية بكر يأخذونها من أبويها ويحلونها بالحلى والثياب ويلقونها فيه ففى تلك السنة أخبروا عمرو بن العاص بذلك فلم يرض بعادتهم وقال لا يكون هذا فى الاسلام

نفسي الى ذلك شديد ولا أفعله الآن ولعل افعله فيما بعد فقال له المأمون قد سمعت كلام الوزراء فان كان عندك رأى فتكلم فقال كل منهم مجتهد في الاصابة ولست أرضى شيأ مما ذهبوا اليه واني أجد في الحكم التي أخذها آبائي من آبائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يسلم نفسه بالتسليم لاحكام واهب العقل وقاسم الحظوظ ولا يضيع مع ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على العذر فقال له المأمون انه كان يقال لا رأى لمكذوب وقد سمحت انفسنا لك بالثقة والطمأنينة من غير امتحان وما ذاك الا لاننا نختار اصابة الحزم ولكننا احببنا ان تذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا هو علي بن عيسى لا يمكننا مقاومته لانه املك منا البلاد والاموال والرجال فقال الشيخ ينبغي ان تمحو هذا من نفسك بالكلية وان تعي لما انطق به فانه يقال ما كثر من كثرة البغي ولا اقوى من قواه الظلم ولا املك من ملكه الغضب وها انا احدثك حديثا ان حذوت مثاله نلت مناله فقال المأمون هات فقال ان الخشنوار ملك الهياطلة لما أسر فيروز بن يزدجرد ملك الفرس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا انه لا يغزوه ولا يقصده بعسكره ثم جعل في اقصى تخوم الهياطلة صخرة وحلف فيروز انه لا يتجاوزها بجيش ولا بعسيره كأنه جعلها حدا ثم اطلقه فرجع فيروز الى دار ملكه فلما استقر عزم على الغدر وان يغزو الخشنوار واطلع وزراءه وخاصته على ذلك فحذروه الغدر وخوفوه عاقبة البغي فما رده ذلك ولا زجره فذكروه ايمانه وعهوده التي حلف بها للخشنوار وانه لا يتعدى تلك الصخرة فقال لهم انا عاهدته ان لا اتجاوزها وانا آمر بحملها على فيل بين يدي الجيوش فلا يتجاوزها احد منهم فلما علموا ان الغدر والبغي تمكنا منه امسكوا عنه واجمعوا ان لا يراجعوه في ذلك قال فجمع فيروز مرازبته وهم اربعة مئة يد كل واحد منهم خمسون الفا مقاتلين وأمرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة فسار وابين يدي فيروز وهو في جنود لا يظن لها غالب وكان الخشنوار يضعف عن مقاومة فيروز وخص مرزبان من مرازبته فلما توجه له حافظ دينهم قال له لا تفعل ايها الملك فان رب العالمين يمهل الملوك على الجور ما لم يأخذوا في هدم اركان الدين فلا تتعرض لهم بشيء فلم يلتفت فيروز الى مقالته ثم قال الشيخ فسار فيروز بجنوده حتى انتهى الى تلك الصخرة وحملها على فيل عظيم وسيرها بين يدي الجيوش فبلغه في مسيره حتى أتاه الخبران بعض أساورته قتل رجلا ظلما وجاء أخو المقتول مستغيثا من قاتل أخيه فأمر له فيروز بمال عظيم ليصالح عن القتيل فقال لا أرضى الا بقتل قاتل أخي فأمر فيروز بطرده فطردوه فجاء الى ذلك الاسوار فحمل عليه ليقتله فحرك الاسوار فرسه هاربا وانتهى خبره الى فيروز فعجب كيف فر منه فجاء أفضل وزرائه ونزل عن دابته وأخبره أنه محتاج الى الخلوة معه فضربت له قبة في ذلك المكان وخلا بوزيره فقال الوزير أيها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبعة وعمرت عمر الملوك الماضية ولقد ظهرت عناية الرب الاعلى لما ضرب لك من المثل في أمر هذا الاسوار العظيم الذي تحته ألوف من الجند في هربه من بين يدي هذا المسكين مع ضعفه وقلة ناصره وما ذاك الا لبغيه وتعديه فقال الملك انه لم يفر عجزا عنه بل خوفه منا وعقوبتنا فقال الوزير برهان قولي يظهر في مبارزة الاسوار للمسكين فدعه الى ذلك فدعا الاسوار وأمن المسكين وقال له أرأيت لو أمرتك بمبارزة الاسوار فقتلته اترضى به في دم أخيك وان قتلك ذهب دمك هدرا قال نعم دعوني واياه فانه على فرس الغرور ولابس درع التكبر ويقاتل بسيف البغي وأنا على فرس البصيرة لابس درع الثقة مقاتل بسيف الحق فقال الوزير ان كلام هذا المسكين أبلغ في الموعظة والظفر ثم تقدم كل منهما الى صاحبه وليس مع المسكين سوى خنجر فسبق سيف الاسوار الى المسكين فأثر فيه أثرا يسيرا فقبض على الاسوار وجذبه اليه ورماه الى الارض ومال عليه فذبحه بالخنجر فقال الوزير أيها الملك هذا مثل ضربه لك رب العالم فبات فيروز مكانه يدبر أمره في رجوعه أو ذهابه ثم انه انقاد لهواه وكان يقال الهوى كالنهار اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها (فائدة) تعريف الهوى هو ميل النفس الى الشهوة حلالا أو حراما وقال بعض العلماء الهوى أنواع وهو شيء يحدثه النظر أو السمع فيخطر بالبال ثم

والاية سلامهم لم ما قبله فمكث النيل لا يجري شهور بؤنة وأبيب ومسرى حتى هم أهل مصر بالرحيل منها فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب الى عمر بن الخطاب يخبره بذلك فكتب اليه بطاقة صغيرة وأمره ان يلقيها في النيل فأخذها عمرو وقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك العادة السيئة عن أهل مصر وفي خلافته فتحت

يغوفيقوى قيصر بصحبة قال الشيخ ولما بلغ الخنشوار قصد فيروز له ثبت فى أمره ووكله الى الرب الاعلى ثم ان فيروز انتهك حرمة الخنشوار ووطئ بلاده وأغار على أرضه وسار بشره على رعيته ولما وصل الى مقعد الخنشوار نزل اليه واستعان عليه بالرب الاعلى فانكسر فيروز وانهزم فاستولى الخنشوار على جميع أمواله ورجاله فغنم الاموال وقتل الرجال وجد فى طلب فيروز حتى ظفر به وأسر أهل بيته وحماة علكته فلما سمع المأمون كلام الشيخ سر بذلك وقال ان كل مروزى بادعوتك اليه من الامان والتوحيد صادفت مقالتك قبولا فقال أما أنا الآن فنعم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكرمه المأمون وخلع عليه وأرسل المأمون طاهر بن الحسين الى على بن عيسى فحال خروجه أخذ فى كمه دراهم يفرقها على الضعفاء فيها وأسبل كمه فتبددت الدراهم فتطير من ذلك فقال شاعره

هذا تبدد شمله لاغيره * وذهابه فيها ذهاب الهم

متى يكون الهم نصف حروفه * لاخير فى امساكه فى الكم

فتفاءل بذلك وخرج لقتال على بن عيسى ومعه أربعة آلاف فقاتلوهم فانهزم على بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء ابن طاهر برأس على بن عيسى الى المأمون كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المأمون وكثر اتباعه وجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولازال المأمون بحسن تدبيره ويضعف أمر الامين الى ان حوصر الامين فى بغداد وتفرقت جنوده وهربوا الى المأمون قال محمد بن راشد أخبرنى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين لما حوصر قال طلبنى الامين فى ليلة مقمرة فقال ماترى فى حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معى نبيذا فقلت نعم ثم سقانى وطلب جارية تغنيه اسمها ضعف فتطير منها وتشاءم فغنت بشعر النابغة الجعدى فقالت

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

فتطير من ذلك وقال لها غنى غير هذا البيت فغنت

أبكى فراقهم ويوما فارقنى * ان التفرق للاحباب بكاء

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا البيت فقالت

أما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك

مااختلاف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك

الالنقل من دولة وهنت * قد زال سلطانها الى ملك

سلطان ذى العرش دائما أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فعثرت فى كاس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال ياابراهيم ما أظن أمرى الا قد اقترب واذا بصوت سمعناه من الشارع يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقتل الامين وحز رأسه وطيف به فى بغداد ونودى عليه هذا رأس المخلوع الى ان سكنت الفتنة وتم على الامين ماتم وكان ذلك على أمه زبيدة أشر ماتم وزبيدة بنت جعفر بن المنصور وكان جدها المنصور يرقصها وهى طفلة ويقول لها أنت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من الخيرات ولها مآثر الى الآن منها اجراء عين حنين الى مكة وهو واد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات فنقبت زبيدة الجبال الى ان سلك الماء من أرض الحل الى أرض الحرم وانفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا دفاترهم لاخراج حسابه ماصرفوه وليخرجوا من عهدة ماتسلموه وكانت فى قصر عال مشرف على الدجلة فاخذت الدفاتر منهم ورمتها فى الدجلة وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن فضل عنده شئ فهو له ومن بقى له شئ أعطيناه وانبستم الخلع رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس فى أعلى عليين (حديث عجيب) قال الجوهرى قولهم أشأم من طويس وهو

مصر ودمشق والبصرة وبعلبك وحمص وهرب هرقل من انطاكية الى قسطنطينية (وولى بعده عثمان بن عفان) وكنيته أبو عمرو وبعد ثلاثة أيام من وفاة عمر بحكم الشورى فبقى واليا اثنى عشر عاما كاملة غير عشرة أيام وقتل سنة خمس وثلاثين فى ذى الحجة وله فضائل كثيرة منها تجهيز جيش العسرة بثلثمائة بعير باحلاسها وأقتابها وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت والخل وكان على مصر فى مدة خلافته عبد الله ابن أبى سرح وذلك انه خلع عمرو بن العاص وولى عبد الله على مصر فاقام على ولايته الى ان مات فى سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة فكانت مدة ولايته على مصر اثنى عشرة سنة (ثم ولى بعده على بن أبى

مخنث بالمدينة كان يقول يا أهل المدينة توقعوا خروج الدجال مادمت حيا بين ظهرانيكم فاذا مت فقد أمنتم لانى ولدت فى الليلة التى مات فيها النبى صلى الله عليه وسلم وفطمت فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه و بلغت الحلم فى اليوم الذى قتل فيه عمر رضى الله عنه وتزوجت فى اليوم الذى قتل فيه عثمان وولدلى ولد فى اليوم الذى قتل فيه على رضى الله عنه وكان اسمه طاوسا فلما تخنث جعلوه طويسا وسمى بعبد النعيم وقال فى نفسه

انى عبد النعيم * ثم أنا طاوس الجحيم
وأنا أشأم من يمشى على ظهر الحطيم * أنا طاء ثم لام * ثم قاف حشوميم

أى ثم حشوميم وحشو الميم الياء فكأنه قال أنا طليق أشأم الناس وحكى الامام مالك عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان يكن الخير فى شىء ففى ثلاث المرأة والدار والفرس وفى مسند أبى داود الطيالسى عن عائشة أنه قيل لها ان أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم فى ثلاث المرأة والدار والفرس فقالت عائشة رضى الله عنها لم يحفظ أبو هريرة لانه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم فى ثلاث الدار والمرأة والفرس فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله قال جماعة من العلماء شؤم الدار ضيقها وشؤم جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب قال الامام على رضى الله عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحور أجمع وعذاب النار امرأة السوء وشؤم الفرس ان لا يغزو عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض اليه وقيل المراد بالشؤم عدم الموافقة ﴿فائدة﴾ الايام النحسة فى كل شهر سبعة وهى اليوم الثالث من الشهر فيه قتل قابيل هابيل اليوم الخامس فيه أخرج الله آدم من الجنة وفيه أرسل الله العذاب على قوم يونس وفيه طرح يوسف فى الجب اليوم الثالث عشر فيه سلب الله ملك أيوب وأرسل الله عليه البلاء وفيه سلب ملك سليمان وفيه قتلت اليهود الانبياء اليوم السادس عشر فيه خسف الله بقوم لوط وفيه مسخ ستمائة نصرانى وجعلوا خنازير ومسخت اليهود قردة وفيه شقت اليهود زكرياء بالمنشار اليوم الحادى والعشرون فيه ولد فرعون وفيه أغرق وفيه أرسل على قوم فرعون الآيات وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم اليوم الرابع والعشرون فيه شق النمرود بطن سبعين امرأة وطرح الخليل عليه السلام فى النار وفيه عقرت ناقة صالح اليوم الخامس والعشرون فيه ارسلت الريح العقيم على قوم هود وضابط الايام النحسة من كل شهر ما قاله الشاعر

محب كثير عى هواك فهل * تعود ليال بضد الامل
فما كان نقط بدا نحسه * وما كان مهملا فسعد حصل

أقام الامين فى الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وكان قتله فى المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة النبوية

﴿خلافة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد﴾

أمه جارية سوداء اسمها مراجل من جوار المطبخ ماتت فى نفاسها وحكايتها مشهورة مع زبيدة وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيفما تحب وتريد بويع له بالخلافة بعد قتل أخيه وكان من أحسن رجال بنى العباس حزما وعلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وبرع فى فنون التاريخ والادب واعتنى بالعلوم الفلسفية وعلوم الاوائل (حكى) انه افتتح مدينة من مدائن النصارى فبلغه ان بكنيستها كتب اليونان فطلبها من النصارى فتوقفوا فى اعطائها وراجعوا رهبانهم وعلماء ملتهم فأشاروا عليهم بارسالها وقالوا لهم ما دخلت كتب اليونان فى ملة الا وافسدتها فلما وصلت اليه عربها واشتغل بها فضل وأضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من أكمل الخلفاء وكان يضرب به المثل ذكر العلامة ابراهيم الاندلسى ثم الدمشقى فى كتابه الكوكب الوهاج أن ابراهيم بن المهدى وهو أخو هرون الرشيد لما آل الامر الى ابن أخيه المأمون لم يبايعه وذهب الى الرى وأقام بها وادعى الخلافة

طالب رضى الله عنه) سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على على رضى الله عنه وقالوا لابد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لى فى امركم فمن اخترتموه رضيته فقالوا نختارك فقال اذا كان ولابد فان بيعتى ولا تكون خفية فخرج الى المسجد وبايعه الناس ورحل من المدينة الى الكوفة واستقربها وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وقتل غيلة فى الكوفة سنة أربعين من الهجرة فى شهر رمضان وله من العمر ثلاث وستون سنة وكان الوالى على مصر فى مدة خلافته قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الانصارى تولى عليها سنة ست وثلاثين من الهجرة وأقام على

انفسه وأقام مالكها سنة واحدة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وابن أخيه المأمون يتوقع منه العود الى الطاعة والانتظام فى ملكه فلما أيس من عوده الى الطاعة ركب بخيله ورجله ودخل الرى فى طلب عمه فلم يجده الا انه اختفى خوفا على دمه فجعل المأمون لمن دل عليه مائة ألف دينار وقال ابراهيم فخفت على نفسى وتحيرت فى أمرى فخرجت من دارى وقت الظهيرة وأنا لا أدرى أين أتوجه فجئت الى بغداد فدخلت شارعا غير نافذ فرأيت فى صدر الشارع عبدا أسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له هل عندك موضع أقيم فيه ساعة فقال نعم وفتح لى الباب فدخلت الى بيت نظيف ثم انه بعد أن أدخلنى أغلق الباب ومضى فتوهمت انه سمع الجعالة فى وانه خرج يدل على فبقيت كالحب على النار وأنا متفكر فى أمرى فبينما انا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداك أنا رجل حجام وأنا أعلم انك متقرف منى فشأنك بما لم تقع عليه يدى قال ابراهيم وكان لى حاجة الى الطعام فطبخت لنفسى قدرا ما أذكر انى أكلت مثلها فلما قضيت أمرى من الطعام قال لى ليس من قدرى أن أحادثك فان رأيت أن تشرف عبدك فلك علو الرأى قال ابراهيم ففعلت وأنا أظن انه لم يعرفنى ومن أين لك انى أحسن المسامرة فقال ياسبحان الله مولانا أشهر من ذلك ألست سيدى ابراهيم المهدى الذى جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف دينار قال ابراهيم فلما قال لى ذلك عظم فى عينى وثبتت مروته عندى فوافقته على بغيته منى ومر بخاطرى فراق اهلى وولدى فقلت

وعسى الذى أهدى ليوسف أهله * وأعزه فى السجن وهو أسير
أن يستجب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

قال فلما سمع ذلك منى قال ياسيدى أتأذن لى أن أقول ماسنح بخاطرى فقلت له هات فقال

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما مضى الليل المضربذى الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

قال ابراهيم فوالله لقد حسست بالبيت قد سار وذهب عنى كل ما كان من الجزع ثم قال بعد أن سألته

تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا أناس لا نرى الموت سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

قال ابراهيم ما معناه قد داخلنى من الفكرة فى نفاسة هذا الحجام وحسن ادبه وظرفه ثم أخرجت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت الله استودعك فانى ماض من عندك واسألك أن تصرف ما فى هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى المزيد ان أمنت من خوفى قال ابراهيم فاعاد الخريطة على وقال ياسيدى ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم وآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندى ثمنا والله لئن راجعتنى فى ذلك قتلت نفسى قال ابراهيم فاعدت الخريطة الى كمى وقد أثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لى ياسيدى ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس فى مؤنتك ثقل فأقم عندى الى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته ان ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل فاقمت عنده اياما على تلك الحالة فضجرت من الاقامة وتزييت بزى النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا أنا بموضع مرشوش بماء فبصر بى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بى فدفعته وفرسه فرميتهما فى ذلك الزلق وصار عبرة وتبادرت اليه الناس فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر فدخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة فى

ولايته حتى أرسل له معاوية يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان ووعده ان يكون نائبه على العراقين اذا تم له الامر فاشيع عنه انه بايع معاوية فعزله على وولى على مصر محمد بن أبى بكر رضى الله عنه فلم يزل بمصر قائما على الامر حتى كانت وقعة صفين بين على ومعاوية فاستخف أهل مصر بمحمد بن أبى بكر رضى الله عنه فولى على رضى الله عنه عليهم الاشتر النخعى ثم مات فارجع محمد بن أبى بكر الى ولاية مصر الى ان أرسل له معاوية عمرو بن العاص فى جيوش كثيرة فقتل بعض الجيوش محمد بن أبى بكر واستولى على مصر عمرو بن العاص الى ان مات بها كما مر وولى معاوية عليها ولده عبد الله فعمل له عليها سنتين ثم عزله وولى أخاه عيينة بن أبى

دخلني فقالت يا سيدة النساء أحقني دمي فاني رجل خائف فقالت لا بأس عليك وأطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت لي هدأ روعك فبينما هي كذلك واذا بالباب قد دق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبي الذي أوقعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك فقال ظفرت بالغني وانفلت مني وأخبرها بالحال فأخرجت خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت له ونام عليلا وطلعت الي وقالت أظنك صاحب القضية فقلت نعم فقالت لا بأس عليك ثم جددت لي الكرامة فأقمت عندها ثلاثة أيام ثم قالت اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم عليك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فأتيت بيت مولاة كانت لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فما شعرت الا بابراهيم الموصلي في خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه وحملت بالزي الذي أنا فيه للمأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلني عليه فلما دخلت عليه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلمك الله ولا حياك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم قلت

ذنبي اليك عظيم * وأنت أعظم منه * فخذ بحقك أولى
واصفح بحلمك عنه * ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

قال ابراهيم فرفع المأمون رأسه فبادرته وقلت

أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

وفي المعنى أيضا قول الشريف علي العقيلي

يا طالبي بعتاب كاد ينقذ مذلي * لولم أكن لا بسا درعا من الامل
اخلع علي حديدا من تذللي فقد * رقعت بالعذر ماخرقت بالزلل

وفي المعنى أيضا قال أيضا بعض المحدثين

فان عاقبتني فبسوء فعلي * وما ظلمت عقوبة مستقيد
وان تغفر فاحسان جديد * دعوت به الى شكر جديد

قال فرق المأمون واستروحت رائحة الرحمة منه ثم أقبل على ابن عمه وأخيه أبي اسحق وعلى جميع من حضر من خاصته وقال ما ترون في أمره فكل أشار بقتلي الا انهم اختلفوا في القتلة كيف هي فقال المأمون لاحمد بن خالد ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه فما وجدنا مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه وأنشد متمثلا

قومي هم قتلوا أميم أخي * فاذا رميت يصيبني سهمي

وفي المعنى

ان الكريم اذا تمكن من أذى * جاءته أخلاق الكرام فأقلعا
وترى اللئيم اذا تمكن من أذى * يطغى فلا يبقي لصلح موضعا

قال ابراهيم فكشفت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا الله أمير المؤمنين قال لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذي خلق المكارم حازها * في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة * والكل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني * أسبابها الا بنية طامع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع

سفيان ثم عزله وولى عتبة ابن عامر الجهني ثم عزله وولى معاوية بن خديج ثم عزله وولى مسلمة بن مخلد واستمر على ولاية مصر الى أن مات في خلافة يزيد فولى بعده سعيد بن يزيد فلما ولي ابن الزبير ولى على مصر عبد الرحمن بن مخزوم القرشي ثم ولي الخلافة أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبايعه على الموت أكثر من أربعين ألفا من أهل الكوفة وغيرهم واطاعه الناس واحبوه أكثر من حبهم لابيه فبقي ستة أشهر وخلع نفسه كراهية في سفك الدماء ثم دس عليه يزيد بن معاويه السم مع بعض أزواجه فمكث مريضا أربعين يوما ومات بالمدينة خامس ربيع الاول سنة خمس وأربعين من الهجرة ودفن بالبقيع ولما حضرته

فقال المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

ردت مالي ولم تبخل علي به   وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به   والمال حتى أسل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عارية رجعت   اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
فان جحدتك ما أوليت من نعم   اني الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام درا وهذا أحسنه وخلع عليه وقال يا عم ان أبا اسحق والعباس قد أشارا
بقتلك فقلت انهما نصحاك يا أمير المؤمنين ولكن أتيت بما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت
فقال المأمون صدقت وأمتّ حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة الشافعين ثم ان المأمون سجد
طويلا ثم رفع رأسه وقال يا عم أتدري لماذا سجدت فقلت شكرا لله الذي أظفرك بعدو دولتك فقال
ما أردت ذلك ولكن شكرا لله الذي ألهمني العفو عنك قال ابراهيم فشرحت له صورة أمري وما جرى لي
مع الحجام والجندي والمرأة والمولاة التي نمت علي فأمر المأمون باحضار المولاة وهي في دارها تنتظر الجائزة
فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة في المال فقال لها هل لك ولد أو زوج فقالت لا
فأمر بضربها مائتي سوط وخلد سجنها ثم قال احضروا الجندي وامرأته والحجام فأحضروا فسأل الجندي
عن السبب الذي حمله على ما فعل فقال الرغبة في المال فقال المأمون يجب أن تكون حجاما ووكل به من
يلزمه الجلوس في دكان حجام ليتعلم الحجامة وأكرم زوجة الجندي وأدخلها القصر وقال هذه امرأة عاقلة
تصلح للمهمات ثم قال للحجام قد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة في اكرامك وسلم اليه دار الجندي
بما فيها وخلع عليه وأمر له برزق الجندي وزيادة ألف دينار حدث محمد الرصافي قال كنت أحد من وقعت
عليه النقمة أيام الواثق بعامل مصر فطلبني السلطان طلبا شديدا حتى ضاقت على الارض برحبها
فخرجت من البلاد مرتادا رجلا عزيزا يمنع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت الى بني شيبان بن ثعلبة
فجئت الى بيت مشرف بظهر رابية والى جانبه فرس مربوط ورمح مركوز يلمع سنانه فنزلت عن فرسي
وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فرد على السلام نساء من وراء السجف ورمقنني من خلال الستور بعيون
كعيون أشفاف الظباء فقالت احداهن اطمئن يا حضري فقلت كيف يطمئن المطلوب أو يأمن المرعوب
وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوي الى جبل يعصمه أو معقل يمنعه فقالت
يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه
كبد ما دام لهذا الحي سند أو لبد هذا بيت الاسود بن قنان أخي كليب وأعمامه شيبان صعلوك الحي
في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له حفظ الجوار وموقد النار وطلب الثار فقلت الآن ذهبت
عني وحشتي وسكنت روعتي فني لي به قالت يا رجاية اخرجي فنادي مولاك فخرجت الجارية فلبثت
الا هنيهة حتى جاءت وهو معها في جمع من بني عمه فرأيت غلاما حين اخضر شاربه واختط عارضه فقال
أي المنعمين علينا فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه
زمانه وقد أحب جوارك ورغب في ذمتك وقد ضمناله ما يضمن لمثله منك فقال بل الله فاك ثم أخذ
بيدي وجلس وجلست ثم قال يا بني أبي وذوي رحمي أشهدكم ان هذا الرجل في ذمتي وجواري فمن
أراده فقد أرادني ومن كاده فقد كادني وما يلزمني في أمره من الحال الا ويلزمكم مثله فيسمع الرجل منكم
ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه فما رأيت جوابا قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هي بأول منة
منت بها علينا ولا يد بيضاء طوقتنا بها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزا منيعا حتى سمح لي السلطان بما أملت
وعفا عني فانصرفت الى اهلي (وحكى) عن المأمون انه خرج يوما لمنتزهه فبينما هو يسير اذ رأى صبية على
كتفها قربة وقد أثقلتها وهي تنادي يا أبتا ادرك فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها فتعجب المأمون من

الوفاة قال لاخيه الحسين رضي الله عنهما يا أخي ان أباك استشرف لهذا الامر فصرفه الله تعالى عنه مرارا ولما تولى هذا الامر نوزع حتى جرد السيف فلم يتم له وما صفت له وأنا والله لا أرى ان يجمع الله تعالى لنا اهل البيت بين النبوة والخلافة فاياك ان يستخفك اهل الكوفة (ثم ولي الخلافة بعده أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان) وكانت مدة خلافته بعد ان خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وكان أميرا على الشام عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وعثمان وفي خلافة علي لما عزله صار متغلبا فمكث أميرا وخليفة أربعين سنة وتوفي سنة ستين في رجب (وولي بعده يزيد ولده) فأقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وفي مدة

فصاحتها على صغر سنها وقال لها هل تعرفين من العربية شيأ قالت أولست من العرب قال فمن أيها قالت من اليمن قال فمن أيها قالت من قضاعة قال فمن أيها قالت من كلب قال فانك من كلاب قالت لا ولكن فريقا يدعى كلبا قالت اما أنا فقد سألتني عن حسبي ونسبي فانصحت لك ولكن ممن تكون انت قال ممن تبغضه اليمن كلها قالت فاذا أنت من مضر فمن أيها قال ممن تبغضه مضر كلها قالت فاذا أنت من قريش فمن أيها قال ممن تبغضه قريش كلها قالت فاذا أنت من بني هاشم فمن أيها قال ممن تحسده بنو هاشم كلها قالت فاذا أنت المأمون ورب الكعبة ثم وثبت قائمة وأنشدت تقول

مأمون ياذا المنن الشريفه * وصاحب المرتبة المنيفه

وقائد العساكر الكثيفه * هل لك في ارجوزة لطيفه

اظرف من فقه أبي حنيفه * لا والذي انت له خليفه

ماظلمت في حينا ضعيفه * عاملنا مؤن خفيفه

الاص والناجر في قطيفه * والذئب والنعجة في سقيفه

قال فتعجب المأمون من حسن بديهتها على صغر سنها فقال أيما أحب اليك مائة ألف درهم مؤجلة أم عشرة آلاف معجلة فقالت المائة ألف المؤجلة لانك الملي فما الوفي بها فأعطاها المائة ألف فأخذتها وانصرفت (ومما يحكى) ان المأمون رأى رؤيا في منامه فنسيها فأصبح مستوحشا فاحضر الكرماني المعبر وقال رأيت رؤيا فأنسيتها فقال نعم يا أمير المؤمنين رأيت كأنك طلعت الى جبل عال ونزلت الى صحراء واسعة وسرت الى بئر مالحة ثم سرت الى جبل فيه كهفان ثم سرت الى بئر عذبة ونزلت الى اجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله قال له المأمون صدقت من أين عرفتها قال لما وقعت عيني عليك وضعت يدك على رأسك ثم امررتها على وجهك ولحيتك فقلت أشهد أن لا اله الا الله فقلت الرأس رأس جبل عال والجبين ان صحراء واسعة والعينان بئر مالحة والانف جبل بين كهفين والفم بئر عذبة واللحية أجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله (وروى) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا لأول عبارة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقصها الا على حبيب أو لبيب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فانها لا تضره (وروى) ان الرؤيا قد تتمد الى اثنتين وعشرين سنة وبعضد ذلك ان سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام رأى الرؤيا وهو ابن سبع عشرة سنة واشتراه العزيز في تلك السنة ولبث في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ومكث في السجن سبع سنين واجتمع بأبيه وخالته بعد سنتين من تصرفه في خزائن مصر فتكون الجملة اثنتين وعشرين سنة قال الله تعالى حكاية عن يوسف يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وعما حكاه المقريزي في خططه قال قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر ان غلام أبي سعيد الخشاب أخبره انه رأى رؤيا عجيبة فبينما هو جالس في حانوت استاذه واذا بابن العسال المعبر ومعه رجل من أهل الريف يطلب عمود خشب لطاحون فاشترى من ابن عقيل عمودا بخمسة دنانير فجاء جماعة من أهل السوق يقصون عليه منامات رأوها وهو يعبرها لهم فذكرت له رؤيا رأيتها فقال لي في أي وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياي وقت كذا فقال هذه رؤيا لا أعبرها الا بعشرين دينارا فألححت عليه فقال استاذي لابن العسال هذا غلام ضعيف فقير لا يملك شيأ فقال لي لست آخذ الا عشرين دينارا فلم يزل حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العمود فقال ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العمود فقال ان هذا الغلام يأخذ في مثل هذا اليوم ألف دينار فقال ابن عقيل وان لم يصح هذا قال يكون العمود عندك الى مثل هذا اليوم قال ابن عقيل قد انصفت فلما كان مثل ذلك اليوم فتحت دكان أستاذي واستلقيت على ظهري أفكر فيما قال ابن العسال ومن تصير لي الالف دينار فقلت لعل سقف الدكان ينفرج ويسقط منه هذا المال وجعلت

خلافته ارسل الى الحسين ابن علي رضي الله عنه وقتله لكونه امتنع من البيعة له وأرسل له أهل الكوفة يبايعونه فيخلصوا من جور يزيد فذهب اليهم بعد امتناعه من ذلك مرارا ليقضي الله امرا كان مفعولا وكان موته عاشر المحرم سنة احدى وستين ومكث يزيد بعده سنتين ومات ولا يجوز لعنه على الراجح (وولي بعده ولده معاوية بن يزيد) وكان صالحا فاقام أربعين يوما ورأى شدة هذا الامر فخلع نفسه ولزم بيته ومات بعد أربعين يوما من خلعه (وولي بعده عبد الله بن الزبير) بمكة ولم يختلف عليه أحد الا مروان بن الحكم فانه ظهر بالشام ثم توجه الى مصر فملكها واستعمل عليها ولده عبد العزيز فبايعوه ثم رجع الى الشام وجددت له

أجول بعسكري الى الضحى فبينما انا كذلك اذ وقف على جماعة من أعوان الاستاذ أبي على بن زنبور وطلبوني الى ديوانه فقلت وما يصنع بي قالوا لى اذا جئته سمعت كلامه وما يريد منك فقلت ما أقدر أمشى فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معي ما اكترى به الحمار فنزعت تكة سراويلي ورهنتها على درهمين لمن اكترى لى الحمار ومضيت معهم فجاؤا بي الى ديوان أبي على بن أبي زنبور فلما دخلت قال أنت ابن عقيل فقلت لا يا سيدى أنا غلام في حانوته فقال أتحسن قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء وقوم لنا الخشب بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم فجاؤا بي الى البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح للمراكب وقالوا لى انظر الى هذا الموضع فقومته بالفي دينار فاعجلوني ولم أضبط قيمة الخشب ثم ردوني الى أبي على فقال لى قومت الخشب كما أمرتك فقلت نعم قال بكم قومته فقلت بالفى دينار فقال انظر لئلا تغلط فقلت هو قيمته فقال لى خذه بالفى دينار فقلت أنا فقير لا أملك دينارا فقال لى ألست تحسن تدبيره فقلت بلى قال فخذه ونحن نصبر عليك الى أن تبيع شيأ فشيأ فكتبته على ورجعت الى الخشب لاعرف عدته وأوصى به الحراس فوافيت جماعة من أهل سوقنا وشيوخهم قد اتوا الى الخشب فقالوا قومت الخشب بالفى دينار وهو يسارى أضعاف ذلك فقلت اسكتوا الثلاثة منكم أحد فقال بعضهم لبعض اعطوا هذا ربحه وتسلموه أنتم فقال قائل منهم اعطوا ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله ما آخذ أقل من ألف دينار فأخذتها بنقد الصيرفي وميزانه وشددتها في طرف ردائي ومضيت معهم الى ديوان أبي على وحولت أسماءهم مكان اسمى ورجعت الى استاذى فقال قبضت الالف دينار قلت نعم وتركت الدراهم بين يديه وقلت له خذ ثمن العمود فقال والله ما آخذ منك شيأ وجاء ابن العسال فأخذ العمود وانصرف

(حكى) شهرياز بن رستم الديلمى قال كنت صديقا لابي شجاع بويه بن الديلم وكان فقيرا وله ثلاثة أولاد وهم عماد الدولة ابو الحسن على وركن الدولة أبو على الحسن ومعز الدولة الحسن أحمد وكان بويه يصطاد السمك ويحتطب بنوه فماتت زوجته وخلفت أولاده الثلاثة الذين ذكرناهم فحزن عليها حزنا شديدا فدخلت عليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له أنت رجل تحمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن وسليته جهدى وأخذته هو وأولاده الى منزلى ليأكلوا طعاما وشغلته عن حزنه فبينما نحن كذلك اذا اجتاز بنا رجل يزعم انه منجم ومعبر المنامات فأحضره أبو شجاع وقال له رأيت في منامى كأنى أبول فخرج من ذكرى نار عظيمة فاستطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت تلك النار فصارت شعبا وتولد من تلك الشعب عدة شعب وأضاءت الدنيا بتلك النيران ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران فقال المنجم هذا منام عظيم لا أفسره الا بخلعة وفرس فقال أبو شجاع والله ما املك الا الثياب التى على جسدى فان أخذتها بقيت عريانا فقال المنجم فعشرة دنانير فقال والله ما أملك دينارا واحدا فكيف عشرة فأعطاه ما تيسر فقال المنجم اعلم انه يكون لك ثلاثة اولاد يملكون الارض ويعلو ذكرهم كما علت تلك النار ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة بقدر ما رأيت من تلك الشعب فقال أبو شجاع للرجل أما تستحى تسخر بنا أنا رجل فقير وأولادى هؤلاء فقراء مساكين يصيرون ملوكا فقال أخبرنى بوقت ميلادهم فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن فقبلها وقال هذا والله الذى يملك البلاد وهذا من بعده وقبض على يد أخيه الحسن فاغتاظ منه أبو شجاع وقال اصفعوا هذا فقد افرط في السخرية بكم فقال اذكروا هذا اذا قصدتكم وأنتم ملوك فضحكوا منه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم وخرج وتركهم فخدموا عند ملك يقال له ماكان بن كان في بلاد طبرستان وما زالت الاحوال تنتقل بهم الى أن حصل لهم من الاموال شيء كثير الى ان اشتهر أمرهم وحسنت سيرتهم واجتمع عليهم من الجند خلق كثير وقد آل بهم الحال حتى ملكوا غالب البلاد وتملكوا بغداد من الخلفاء العباسية وانتشرت شهرتهم بدولة بنى بويه وصار المؤرخون يكتبون ذلك في تواريخ كما يذكرون دولة بلاد فارس من بعدهم من أرباب الدول وهذا أمر عجيب واتفاق غريب والله القادر على كل شيء وذكر لى من اثق به انه سمع

البيعة وذلك في سنة خمس وستين ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل في البحر الى الفسطاط ودفن بقربها سنة ست وثمانين فاقر بعده عبد الملك فاقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولى بعده ابنه عبد الله فاقام الى التسعين فعزله أخوه الوليد وولى مرى بن شريك وكان ظلوما عسوفا وأقام واليا بمصر الى أن مات سنة ست وتسعين فولى بعده عبد الملك ابن رفاعة فاقام الى سنة تسع وتسعين ثم ولى بعده أيوب الاصبحى فاقام الى سنة احدى ومائة ثم ولى بشر بن صفوان الكلبي فاقام الى سنة ثلاث ومائة ثم تولى أخوه حنظلة فاقام الى سنة خمس ومائة ثم تولى محمد بن عبد الملك أخو هشام ابن عبد الملك الخليفة ثم تولى حفص بن الوليد فاقام الى سنة ثمانى عشرة ومائة

ان بعض ملوك الاسلام رأى فى منامه ان احدى رجليه وصلت الى السماء فقص ذلك على معبر حاذق فقال له تحت بطانة احدى خفى رجليك رقعة مرقوم فيها أبو بكر وعمر ففتقه فوجد الرقعة فقبض على صانعه فأقر بالرفض ووجد كل خف عمل على هذا النمط فقتل الرافضى شرقتلة وأحسن الى المعبر بصلة جزيلة وافرة (ومما حكى) ان شخصا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير فنفد من يده وصار لا يملك شيأ ولا ينال قوته الا بجهد جهيد فنام ذات ليلة وهو مغموم مقهور فرأى فى منامه قائلا يقول له رزقك بمصر فاتبعه وتوجه اليه فسار الى مصر فلما توجه اليها أدركه المساء فنام فى مسجد وكان بجوار ذلك المسجد بيت فقدر الله تعالى ان جماعة من اللصوص دخلوا ذلك المسجد وتوصلوا منه الى البيت المذكور فأخذ أهله فى الصياح فأغاثهم الوالى باتباعه فهرب اللصوص ودخل الوالى المسجد فوجد الرجل البغدادى فقبض عليه وضربه بالمقارع ضربا مؤلما حتى أشرف على الهلاك وسجنه فمكث ثلاثة أيام فى السجن ثم أحضره الوالى وقال له من أى البلاد أنت قال من بغداد قال له وما جاء بك الى مصر قال انى رأيت فى منامى قائلا يقول لى ان رزقك بمصر فتوجه اليه فلما جئت الى مصر وجدت الرزق تلك المقارع التى نلتها فضحك الوالى حتى بدت نواجذه وقال له يا قليل العقل ثلاث مرات آت يأتينى فى منامى يقول لى بيت فى بغداد بخط كذا ووصفه كذا بحوشه شجرة تحتها فسقية بها مال له بال فتوجه اليه فخذه فلم أتوجه وأنت من قلة عقلك تحضر من بلدة الى بلدة برؤيا هى أضغاث أحلام وأعطاه دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك فأخذها وعاد الى بغداد مع ان البيت الذى وصفه الوالى ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل منزله حفر تحت الشجرة فرأى مالا كثيرا فأخذه ووسع الله عليه رزقه وهذا اتفاق عجيب (سئل) بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا وقال السائل هو فى الليلة الواحدة بل فى الساعة الواحدة يراه جماعة فى أماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم

هو كالشمس فى كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وهو مأخوذ من قول ابن الرومى

كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها فى سائر الآفاق

ومما من الله سبحانه وتعالى على مؤلف هذه العجالة انه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم مرتين وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام مرة واحدة وسألهما الدعاء فدعيا له بالاصلاح والتوفيق وسيدنا ابراهيم الخليل وولده سيدنا اسمعيل عليهما الصلاة والسلام وسيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهما ورأى حرم النبى صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف ولما حججت فى ثمان عشرة وألف فالذى رأيته مناما وهو الحرم والقبر الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف رأيته يقظة ونسئل الله البر السلام الذى من علينا برؤية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى المنام أن يمن علينا برؤيته فى اليقظة فانه قال عليه الصلاة والسلام من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة فان الشيطان لا يتمثل بى (لطيفة) حكى ان رجلا رأى فى منامه كأنه مار فى بعض الازقة فرأى حفرة فنزل بها فرأى فيها كنزا فنزع قميصه وملاه ذهبا فاراد حمله فاثقله فاحدث فانتبه من نومه ظانا ان المال بين يديه فوجد ثيابه وفرشه متضمخة بالنجاسة من بول وغائط وقيل من نكد الوجود ان الانسان يرى فى منامه انه وجد مالا أو أصاب جوهرا أو ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ وربما أحدث فاذا انتبه وجد الحدث يقينا قال الشاعر

ارى فى منامى كل شئ يسرنى * ورؤياى بعد النوم أدهى وأقبح

فان كان خيرا كان اضغاث حالم * وان كان شرا جاء من قبل أصبح

وقال أبو العلاء المعرى

الى الله أشكو اننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهامى

وولى بعده عبد الرحمن بن خالد فاقام سبعة أشهر وصرف وأعيد حنظلة بن صفوان فى سنة عشرين ثم صرف وولى بعده حسان ابن العتاهية التجيبى سنة تسع وعشرين ثم أعيد حفص بن الوليد وعزل عنها سنة ثمان وعشرين وولى حوثرة بن سهيل الباهلى ثم ولى المغيرة بن عبيد الفزارى سنة احدى وثلاثين ثم ولى الامير عبيد الله بن مروان سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخر من تولى على مصر من بنى أمية وما ذكر من كون ولاية ابن الزبير بعد ولاية معاوية الصغير هو الصحيح عند المؤرخين وبعضهم يذكر بعد ولاية عبد الملك ابن مروان وذلك انه لما كانت نوبة معاوية الصغير اجتمع على بيعة عبد الله بن الزبير أهل الحجاز واليمن

فان كان شرا كان لابد واقعا * وان كان خيرا كان أضغاث أحلام

وقال الاحنف العسكرى

وأحلم فى المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يرانى

وان أبصرت شرا فى منامى * رأيت الشر من قبل الاذان

رجعنا الى مانحن بصدده من أخبار المأمون (حكى) انه كان كثير الخير والجهاد وقيل انه ختم فى شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء فى أيامه تحتمن بجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله وقيل ان سبب موته انه اشتهى أن قل مكة يقال لها الرطادة اذا لمسها أحد أخذته النفاضة فأتاه الخبر لوقته ومكث فى الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر وكانت وفاته لاثنتى عشرة ليلة بقين من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ودفن بطرسوس وكان سنه ثمان وأربعين سنة

﴿خلافة أبى اسحق المعتصم بن هرون الرشيد﴾

وهو يدعى بالمثمن ولد سنة ثمان وثمانين فى ثامن شهر من الشهور ثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وهو ثامن أولاد الرشيد وثامن الخلفاء من بنى العباس وفتح ثمان فتوحات ووقف ببابه ثمان ملوك وقتل ثمانية أعداء وكان عمره ثمان وأربعين سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وخلف ثمانية بنين وثمان بنات وثمانية آلاف ألف دينار وثمانين ألف فرس وثمانين ألف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وبنى ثمانية قصور ونقش على خاتمه الحمد لله ثمانية أحرف وكان غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألفا ومما اتفق له انه كان جالسا فى مجلس أنسه والكاس بيده فبلغه أن امرأة شريفة فى الاسر عند علج من علوج الروم فى عمورية وانه لطمها يوما على وجهها فصاحت وامعتصماه فقال لها العلج ما يجىء اليك الا على فرس أبلق فختم المعتصم الكاس وناوله الساقى وقال والله لا شربته الا بعد فك الشريفة من الاسر وقتل العلج فلما أصبح الصباح نادى بالرحيل الى غزو عمورية وأمر عسكره ان لا يخرج أحد منهم الا على أبلق فخرج فى سبعين ألف فرس أبلق فلما فتح عمورية دخلها وهو يقول للشريفة لبيك لبيك وطلب العلج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيدها وقال للساقى ائتنى بالكاس فأتاه به ففك ختمه وشربه ذكر الراغب فى تذكرته فى باب المكتسبين بالضراط ان رجلا جاء الى باب المعتصم وقال قولوا على الباب ضراط فقيل له اذهب فعندنا حاتم الدبس وهو أحذق الضراطين فقال عندنا ما ليس عنده ولستوذن له فلما دخل قال له المعتصم ما عندك فقال أضرط ضرطة تعتق السراويل فقال ان فعلت ذلك فلك مائة دينار وان عجزت فمائة سوط ففعل وأخذ الدنانير (وحكى) عن رجل انه كان يفتح الباب بضرطته وكان سعيد بن حميد يضرط على ايقاع العيدان وعما يحكى عن شخص من الموالى انه حضر فى مجلس وكان به عواد فقام رجل بوسط المجلس ووضع يديه على الارض ورفع رجليه فى الهواء فصار منكسا رأسه الى الارض ورجلاه الى فوق وصار يحرك رجليه على ايقاع العود وكلما حرك رجليه ضرط ضرطة واستمر على ذلك الى ان فرغ العواد وفى المثل أشهر من ضرطة وهب وما أحسن قول ابن الرومى يعتذر له

قد أكثر الناس فى وهب وضرطته * حتى لقد مل ما قالوا وقد بردا

لم تلق ضرطة هاجيه كضرطته * فى الذاكرين ولم يحسد كما حسدا

ياوهب لا تكترث بالعائبين لها * فانما أنت غيث رعدها رعدا

وقيل ان بعضهم وقعت فى رجله شوكة فارادت زوجته قلعها فلما حركتها بالابرة ضرط فقال رأيتها قالت لا ولكن سمعت صوتها وحكى ان عجوزا انفلتت أمه ليلة بكسائه فضرطت ثم ارادت أن تختبره هل سمع حسها أم لا فقالت له ما ثمن هذا الكساء قال مائة وما دام ضراط فيه لا يساوى درهما وروى ان البديع الهمذانى دخل على الصاحب ابن عباد فتزحزح له وأجلسه على السرير معه فضرط فاراد البديع

والعراق وخراسان وحج بالناس ثمانى حجج وكان عبد الملك بن مروان واليا على أهل الشام فأرسل الى ابن الزبير نائبه الحجاج بن يوسف الثقفى فذهب اليه بمكة وحاربه حتى قتله فى الحرم وكانت مدة خلافة ابن الزبير تسع سنين وشهرين ولما قتل خلص الامر لعبد الملك بن مروان الى ان مات سنة ست وثمانين بدمشق (وولى بعده) ابنه أبو العباس الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين واستمر الى سنة ست وتسعين ومات بدمشق (وولى بعده أخوه سليمان ابن عبد الملك) وتوفى سنة تسع وتسعين بعد ان عهد بالخلافة الى ابن عمه أبى حفص عمر بن عبد العزيز ابن مروان فاستمر سنتين وخمسة أشهر ثم مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب

أن ينفي عن نفسه التهمة فقال يا مولاي ان هذا صرير التخت فقال الصاحب بل صرير التحت فخرج من عنده خجلا وانقطع عنه فكتب اليه الصاحب

قل للبديعي لا يذهب على خجل * من ضرطة أشبهت ناياً على عود

فانها الريح لا تستطيع تحبسها * اذ لست أنت سليمان بن داود

(وفي الالغاز في الضرطة)

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولا تتحرك

يقهقه منها القوم من غير رؤية * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وقال الآخر

انفلتت منه ضرطة سمعت * فكاد منها يحميني العرق

فالتزقت في دون فاعلها * وما ظننت الضراط يلتزق

قيل وقف بين يدي الحجاج رجل من البادية فلما أخذ في الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال اما ان تتكلمي فاسكت واما ان تسكتي فاكلم الامير بما اشتهي * حدث واصل أبو بكر عن مجاهد قال وجد النبي صلى الله عليه وسلم ريحا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجد ريحا فليتوضأ فاستحيا الرجل أن يقوم فقال ليقم صاحب الريح فليتوضأ فاستحيا الرجل أن يقوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ان الله لا يستحي من الحق فقال العباس يا رسول الله أفلا نقوم كلنا قال قوموا كلكم فتوضؤوا وقيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم قال ذهب الاطيبان الشاب والنصاب وبقي الارطبان السعال والضراط قيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد في بعض المساجد ليلا فجعل يتأوه ويتقلق ويقول يا الله ضرطة ورفع صوته بحضرة رفقائه فلما اصبح وقد أشرف على الهلاك وعاين الموت قال اللهم اني أسألك الجنة فقال له بعض رفقائه ما رأيت أحمق منك أنت من الغروب الى الآن تسأل الله في ضرطة فلما فرجت بها تسأله الجنة التي عرضها السموات والارض رجعنا الى ما نحن بصدده قال نفطويه كان المعتصم من اشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره ذكر ذلك الحافظ السيوطي وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد (ومما اتفق) ان ملك الروم وهو اذ ذاك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتابا الى المعتصم يهدده فاستشاط غيظا وأمر بجوابه فكتب له الجواب فلم يرضه شيء مما كتب ومزق الكتاب الذي ورد اليه من ملك الروم وأمر أن يكتب في قطعة منه بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقراه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وتجهز من ساعته فنهاه المنجمون وقالوا له ان الطالع نحس فقال عليهم لاعلينا وسافر من يومه وتلاحقت به العسكر ووقع حرب عظيم قتل فيه من النصارى ستون ألفا وقتل بعد ذلك ملك النصارى وكان ذلك فتحا عظيما من أعظم فتوحات الاسلام وقد مدحه الشعراء بقصائد طنانة وأحسن ما قيل قصيدة أبي تمام الطائي التي مطلعها

السيف أصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا في السبعة الشهب

أين الرواية بل أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

لو بينت قط أمراً قبل موقعه * لم يخف ما حل بالاوثان والصلب

فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض في أثوابها القشب

(ومنها)

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب

(ومنها)

لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد * الا تقدمه جيش من الرعب

(ومنها)

حتى تركت عمود الشرك منقعرا * ولم تعرج على الاوتاد والطنب

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

سنة احدى ومائة وله من العمر تسع وعشرون سنة وكان يقال له أشج بني مروان وقبره بدير سمعان من أعمال حمص والمثل يضرب بعدله (وولي بعده ابن عمه يزيد) ابن عبد الملك بن مروان أربعة أعوام وشهرا واحدا ومات سنة خمس ومائة (وولي بعده أخوه هشام) ابن عبد الملك بن مروان فبقي متوليا تسع عشرة سنة وسبعة أشهر غير أيام ومات سنة خمس وعشرين ومائة (وولي بعده الوليد) بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان سنة واحدة وشهرين وكانت سيرته قبيحة (وولي بعده يزيد بن الوليد) وهو الذي قتل ابن عمه الوليد المذكور ومكث ستة اشهر وكانت سيرته حميدة وأزال منكرات كثيرة ويقال له الناقص لانه انتقص أرزاق الجند وكان عادلا يقارب

خليفة الله جازاك الله سعيك عن * جرثومة الدين والاسلام والحسب

(ومنها) فبين أيامك اللاتى نصرت بها * وبين أيام بدر أقرب النسب

ومما يناسب ذلك ان بعض الملوك عزم على السفر لغزو عدوله فنعه المنجمون وقالوا ان القمر فى العقرب والحركة مذمومة فدخل على الملك وهو جالس مع ندمائه بعض المماليك الحسان الوجوه وهو متوشح بقوس فوقف بين يدى الملك فنظر اليه بعض الندماء وقال للملك يامولانا القمر قد حل فى القوس حقيقة فسافر الملك لوقته فلم ير أحسن من تلك السفرة وظفره الله بعدوه وعاد وهو محظوظ ومما يناسب ذلك أيضا ان سلطانا كان له عدو بلغه عنه أمور تقتضى محاربته فهيأ نفسه وجمع عساكره بأسلحتهم وراياتهم ورتبهم فى داره وخرجوا قاصدين القتال وكان بدهليز دار السلطان ثريا قناديل معلقة فأصابها راية من الرايات فانكسرت فتطير السلطان من ذلك وقصد ابطال السفر فقال له شخص من اخصاء دولته يامولانا راياتكم بلغت الثريا فاستحسن ذلك واندفع عنه الوهم وسافر فظفره الله بعدوه وعاد فرحا مسرورا رجعنا الى مانحن بصدده وكان المعتصم من أعظم الخلفاء الذين الزموا الناس بالقول بخلق القرآن وهذه من أعظم خلاله الرديئة مع انه كان أميا لاحظ له من الكمالات العلمية بل حمله على ذلك مجرد الجهل ولما احتضر قال اللهم انك تعلم انى أخافك من قبلى وأرجوك من قبلك لا من قبلى فياس لايزول ملكه ارحم من كاد يزال ملكه وانشد

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها ما صفت ودع الرنقا

ولا تأمنن الدهر انى أمنته * فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا

قتلت صناديد الرجال ولم أدع * عدوا ولم أمهل على جنده خنقا

وأخليت دار الملك من كل نازل * وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا

فلما بلغت النجم عزا ورفعة * ودانت رقاب الخلق أجمع لى رقا

رمانى الردى سهما فاخمد جمرتى * فها أنا ذا فى حفرتى عاجلا ملقى

وأفسدت دنياى ودينى سفاهة * فمن ذا الذى منى بمصرعه أشقى

فياليت شعرى بعد موتى ماأرى * الى رحمة الرحمن أم ناره ألقى

وتوفى ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة بقين من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين

(خلافة أبى جعفر هرون الواثق بن المعتصم)

بويع له بالخلافة يوم مات والده وسنه ست وثلاثون سنة وكان عالما شاعرا حاذقا فمن شعره فى واقعة حال

حياك بالنرجس والورد * معتدل القامة والقد

فالهبت عيناى نار الجوى * وزاد فى اللوعة والصد

مكنت فى الملك واظلاله * فصار ملكى سبب البعد

مولى تشكى الظلم من عبده * فانصفوا المولى من العبد

وأقام خليفة خمس سنين وتسعة اشهر ومات يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ولما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون فاستل عينيه فأكلهما فسبحان العزيز المتعال الذى لايزول ملكه ولا يعتريه زوال

(خلافة جعفر المتوكل بن الواثق)

بويع له يوم مات والده وسنه احدى واربعون سنة وكان كريما سنيا أظهر السنة واكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وشنع على المعتزلة والجهمية وأمر نائبه بمصر ان يحلق لحية قاضى مصر محمد بن أبى الليث ويطوف به الاسواق لانه كان معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن ففعل به ذلك وكتب الى سائر الآفاق برفع المحنة واظهار السنة ولم يزالوا أعنى المعتزلة فى قوة وغناء الى أيام المتوكل

فى سيرته عمر بن عبد العزيز وهما المرادان بقول العرب الناقص والاشج أعدلا بنى مروان فالناقص يزيد والاشج عمر ولما مات ولى بعده ابراهيم بن الوليد واقام ثلاثة أشهر واضطرب الامر والخلع (وولى بعده مروان بن محمد) سنة سبع وعشرين ومائة واضطرب الامر عليه فهرب وقتل بمصر بموضع يقال له أبو صير بالفيوم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقطعت بموته دولة بنى أمية وهم أربعة عشر أولهم معاوية وآخرهم مروان ومدتهم اثنان وثمانون عاما وهى ألف شهر وانتقل الامر الى بنى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكانت ولايتهم بالعراق وينيبون عنهم نوابا بمصر والشام وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة

محمد واذكر البيضاوي في تفسيره في سورة الانعام في قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم الواصلية والهزلية والنظامية والبشرية والعمروية والمردادية والثمامية والهشامية والجاحظية والجبائية ومن مشاهيرهم الاعيان الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وكان ألثغ يصرف الراء يجعلها غينا فالتزم باسقاط حرف الراء من كلامه حتى ضرب به المثل فقال بعض الشعراء

اجعلت وصلي الراء لم تنطق به * وقطعتني حتى كأنك واصل
لا تجعلني مثل همزة واصل * يلحقني حذف وما أنا واصل

(وقال أيضا)

كأني في الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد في البناء كواو عمرو * وملغى اللفظ فيه كراء واصل

قيل ان بعضهم كتب رقعة وقع فيها أمر أمير المؤمنين ان تحفر بئر في الطريق يشرب منها الشارد والوارد ودفعها الواصل وهو بحضرة أمير المؤمنين ليعجزه عن قراءتها فلما افتضها ورأى ما فيها أجاب فورا وقال حكم خليفة الله أن ينبش قليب في الفلاة يستقي منه العادي والبادي ولم يتلعثم وواصل بن عطاء هذا توفي سنة احدى وعشرين ومائتين وأنشد بعض الشعراء يقول في الالثغ

يبدل الراء حين ينطق غينا * فيسمى لون الشقائق أحمغ
قلت له يوما تصدق وزرني * كي ترى الراح في زبي معصفغ
قال تشغب من الحمام وغبقي * مسكغ غائق غحيق مكفغ
باه واعطا فقيق الحواشي * وحظ الصب في الكياسة أبلغ

ومن مشاهير المعتزلة أيضا أحمد بن حائط و بشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمي وأبو موسى بن عيسى المرداد المعروف براهب المعتزلة وثمامة بن الشرس وهشام بن عمر القرطي وأبو الحسين بن عمرو الخياط وأبو علي الجبائي فهؤلاء روس مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق ومن فضلاء المعتزلة أبو الحسين البصري والكعبي والقاضي عبد الجبار الرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي وهذا غريب (فائدة) لا بأس بذكرها الماوردي هو أبو الحسن وقيل أبو القاسم علي بن محمد بن حبيب الماوردي مات ببغداد يوم الثلاثاء سلخ ربيع الاول سنة خمسين وأربعمائة ودفن في يوم الثلاثاء وهو ابن ست وثمانين سنة قال بعضهم لما ألف كتبه لم يظهرها في حياته فلما مرض مرض موته قال لبعض أصحابه ان تأليفي في ركن البيت يعني بيته وأخاف ان لا تقبل مني ولكنني اذا كنت في النزع فاجعل يدك في يدي فان بسطت فعلامة القبول وان قبضت فعلامة عدمه فاحرقها قال فلما كان في النزع فعلت فبسطت يده فعلم بذلك فلما فنشرها في الناس قاله ابن خلكان الدمشقي أقول والظاهر أن المنفوه عليه بذلك اما بغضا أو حسدا والله أعلم بحقيقة الحال ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشري صاحب الكشاف وذكر ابن خلكان عن بعض الفضلاء ان الزمخشري أوصى ان يكتب على قبره هذه الابيات

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان مني في الزمان الاول

وتوفي الزمخشري ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة والسيرافي من فضلاء المعتزلة وفي أيام المتوكل ماجت النجوم في السماء وجعلت تطاير شرقا وغربا كالجراد المنتشر من غروب الشمس الى طلوع الفجر ولم يقع مثل ذلك الا في ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وللمتوكل محاسن منها انه وضع على قبر الامام

تصرفهم بالعراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها خمسة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمسين وستمائة وكان يظن بقاؤها فيهم الى ان يسلموها للمهدي في آخر الزمان (وأول من ولي منهم عبد الله السفاح) ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فاقام اربع سنين وثمانية أشهر (وولي بعده المنصور) أبو جعفر وكان أكبر سنا من السفاح واسمه عبد الله ابن محمد ببغداد وهو الذي بنى بغداد سنة مائة وأربعين وجعلها قاعدة ملكه وسماها مدينة السلام وأقام اثنتين وعشرين سنة وتوفي سنة ثمان وخمسين وهو متوجه الى الحج ودفن قريبا من مكة (وولي بعده المهدي) محمد

أحمد بن حنبل رخامة بيضاء كاللوح ونقش عليها هذا قبر شيخ أهل السنة وزين هذه الامة العالى الهمة الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم أبى عبد الله أحمد بن محمد الشيبانى قيل للامام أحمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا (وقيل) لبعض الكتبة ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا رقاقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا وردانا ولا أدرى زرقا (فائدة) نقل القرطبى عن الامام أبى بكر الطرسوسى رحمهما الله انه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرؤن شيأ من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيأ من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدفوف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا فقال مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من احدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعى وأبى حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين ذكر الصلاح الصفدى فى كتابه تمام المتون لشرح رسالة ابن زيدون انه اتفق انه نقم ابن جهور على ابن زيدون فحبسه فاستعطفه برسالة من جملتها قوله هب انى عكفت على العجل يشير بذلك الى قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لما وعد الله تعالى موسى عليه السلام لميقاته وهو أربعون يوما كان قوم موسى آمنوا ودخلوا مصر وليس لهم كتاب ولا شريعة فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب الى ربى آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة ثلاثين ذى القعدة وعشرا من ذى الحجة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الوعد أتى جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا تمر على شئ الا حيى فلما رآه السامرى وكان من بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة فرأى موضع الفرس وكان منافقا من قوم يعبدون البقر فقال ان لهذا شأنا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وألقى فى روع السامرى انه اذا ألقى فى شئ غيره وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون فى عرس لهم ولما أهلك الله فرعون وقومه بقيت تلك الحلى فى أيديهم قال السامرى لبنى اسرائيل ان الحلى التى استعرتموها لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فلما اجتمعت الحلى صاغها السامرى عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى القبضة التى أخذها من اثر حافر فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من أحسن ما يكون وخار خورة وكان يمشى ويخور فقال السامرى هذا الهكم واله موسى الذى نسيه ههنا وكان بنو اسرائيل قد اخلفوا الموعد وعدوها باليوم مع الليلة حتى مضى عشرون يوما فلم يرجع موسى فوقعوا فى الفتنة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذى عكف منهم على العجل ثمانية آلاف يعبدونه الا هرون مع اثنى عشر ألف رجل فأوحى الله الى موسى انا قد فتنا قومك فرجع اليهم غضبان أسفا فقال ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ومن مناقب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه انه بلغه ان رجلا من وراء النهر يحفظ ثلاثة أحاديث فرحل الامام أحمد اليه فوجده شيخا يطعم كلبا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اشتغل باطعام الكلب فوجد الامام أحمد فى نفسه شيأ اذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ من اطعام الكلب التفت الى الامام وقال كأنك وجدت فى نفسك اذ اقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال نعم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة ثم قال الشيخ ان أرضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخفت ان اقطع رجاءه فقال الامام أحمد هذا الحديث يكفينى ثم رجع ❊ ومن محاسن المتوكل انه

ابن عبد الله المنصور فأقام عشر سنين وشهرين وأياما وتوفى سنة تسع وستين ومائة (وولى بعده ابنه الهادى) موسى بن محمد المهدى فأقام عاما واحدا وشهرا وتوفى سنة سبعين ومائة (وولى بعده أخوه هرون الرشيد فأقام ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وهو من أجل ملوك الارض له نظر فى العلم والآداب وكان يصلى فى كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خاص ماله كل يوم بألف درهم وكان يحب العلم ويوقر أهله وكانت أيامه من حسنها كأنها اعراس وله أخبار كثيرة فى اللهو واللذات وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة (وولى بعده ابنه محمد الامين) فأقام أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية ايام وقتل ليلة الاحد لخمس بقين من

أرسل الى عامله بمصر الامير يزيد بن عبد الله أن يبطل ما كان بمصر من المقاييس المتقدمة ويبني مقياسا لزيادة النيل فبناه في أول سنة سبع وأربعين ومائتين برأس جزيرة الفسطاط وسماه المقياس الجديد وهو الموجود الآن وكان بمصر مقاييس منها ما بنى في أيام سليمان بن عبد الملك الاموي وبنى الامير أحمد ابن طولون مقياسا بجزيرة الفسطاط وبنى عمر بن عبد العزيز مقياسا بحلوان صغير الذراع وبنى المأمون مقياسا بسروان فهذه المقاييس التي بنيت في صدر الاسلام وأما المقاييس التي وضعت قبل الاسلام وهو ما وضعه يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام فانه وضع مقياسا بمنف وهو أول من اتخذ مقياسا للنيل بالاذرع واستمر مدة ثم ان دلوكة العجوز وضعت مقياسا بانصنا ووضعت مقياسا باخميم وان القبط وضعوا مقياسا بقصر الشمع عند دير البنات وآثاره باقية هنالك الى أن بنى الامير يزيد المقياس المذكور فبطلت حكمة تلك المقاييس التي كانت قبل وان الامير يزيد لما بنى المقياس الجديد المذكور كسر فيه نحو ألفي مركب حتى ثبت أساسه في البحر ويشتمل هذا المقياس على فسقية مربعة يدخل لها الماء من مسارب وفي وسطها عمود من رخام أبيض وفوقه جائزة من خشب ووضعوا في العمود خطوطا أصابع وهي عبارة عن قراريط مقسمة على أذرع يعلم منها ما يزيده النيل في كل يوم من أوان الزيادة وجعل مساحة الذراع الى أن يبلغ اثني عشر ذراعا فيكون الذراع ثمانية وعشرين أصبعا ومن اثني عشر ذراعا الى فوق يصير الذراع أربعة وعشرين أصبعا وكانت أرض مصر كلها تروى الري الكامل من ستة عشر ذراعا الى سبعة عشر ذراعا وما زاد على ذلك يحصل به الضرر قال بعض الحكماء لولا جعل الله في نيل مصر حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الماء عند بذر الزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية ولله در القائل

واها لهذا النيل أي عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم * حتى اذا ما قل عاد مودع
مستقبلا مثل الهلال فدهره * أبدا يزيد كما يزيد ويرجع

(وقال آخر في المعنى)

كأن النيل ذو عقل ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي حين حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر في المشرق والمغرب فاذا أراد الله تعالى أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فتمده الانهار بمائها وفجر له الارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما أراد الله تعالى أوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنصره وعن يزيد بن حبيب ان معاوية بن أبي سفيان سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خبرا قال أي والذي فلق الحب وفلق البحر لموسى اني لاجد في كتاب الله عز وجل ان الله تعالى يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته ان الله تعالى يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك عد يا نيل حميدا قال ابن عبد الحكم كان في زمن الاقباط متولي قياس النيل جماعة من النصارى فلما بنى الامير يزيد هذا المقياس عزل النصارى من قياس النيل واستمر الشخص من المسلمين يقال له عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرداد وكان أصله من البصرة وكان يقيم بالجامع العمري فاختاره الامير يزيد لقياس النيل الى ان توفي في سنة ست وستين ومائتين وكان دينا خيرا من أهل الصلاح والدين وله حال مع الله تعالى واستمر القياس لاولاده الى يومنا هذا أقول وفي زماننا هذا قد علت الارض واهمل أمرها من عدم جرف الترع والمساقي واصلاح الجسور فصارت الاراضي لا يحصل لها الري الكامل الا بما زاد على عشرين ذراعا ومن لطائف المتوكل انه كان في زمن الورد لا يلبس الا الثياب المورّدة ولا يفرش الا الفرش المورّدة وكان في زمنه لا يرى الورد الا في مجلسه وكان يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه وكان يقول مخاطبا بالورد

المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ببغداد (وولي بعده أخوه عبد الله المأمون بن هرون الرشيد) فأقام عشرين سنة وخمسة أشهر وفي مدته خرج أهل مصر عن طاعة الخليفة وامتنعوا من ورود الخراج وطردوا العمال من البلاد وصارت فتنة عظيمة بمصر حتى كادت أن تخرب مصر وأطفأ تلك الفتنة وقتل من القبط خلقا كثيرا ورجع الى بغداد وتوفي غازيا في اردن الروم في رجب سنة ثمانية عشر ومائتين ودفن بطرطوس (وولي بعده المعتصم بالله محمد بن هرون الرشيد) ورحل بغداد واتخذ قاعدة ملكه سر من رأى وكان لا يقرأ ولا يكتب فأقام ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وتوفي سنة سبع وعشرين ومائتين (وولي

عار على بأن يشمك ساقط * آوأن تراك نواظر البخلاء

وبالجملة فمحاسن الورد كثيرة وأنواره مستنيرة وقد ورد انهم لما القوا سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى النار لم تأكل النار سوى وثاقه ولما استقر فيها أخذت الملائكة بضبعيه وأجلسوه على الارض واذهو بعين ماء عذب وروضة تهتز بورد احمر ونرجس (فائدة) فى اشارة الورد وهو منزع صوفى الورد يقول أنا الضيف الوارد بين الشتاء والصيف والطيف الذى يزور كما يزور الطيف فاغتنموا وقتى فان الوقت ضيف أعطيت نفس العاشق وكسيت لون المعشوق فاروح الناشق وأهيج المشوق فانا الزائر وأنا المزور فمن طمع فى بقائى فان ذلك زور ثم من علامات الدهر المكدور وناء عيشى المرور انى حيثما نبت رأيت الاشواك تزاحمنى وتجاورنى فانا بين الاذيال مطروح وبنبال شوكى مجروح وهذا دمى يخبر عن رق يا عدمى فهذا حالى وأنا ألطف الاوراد فمن صبر على نكد الدنيا نال المراد فبينما أنا أرفل فى ظل النضارة اذا قطعتنى أيدى النظارة فاستلبتنى من بين الازاهير الى ضيق القوارير فيذاب جسدى ويحترق زبدى ويعرق جلدى ويقطر دمعى فجسدى فى حرق ودمعى فى غرق وقد جعلت ما رشح من عرقى تماهدا بما لاقيت من قلقى فيناديني بهذا الاحتراق أهل الاختراق ويتزوج بنفسى ذووا الاشواق أهل المعرفة يتوقعون بقائى وأهل المحبة يتمنون بقائى

فان غبت عنكم كنت بالروح حاضرا * فسيان قربى أن تأملت والبعد

فلله من أضحى من الناس قائلا * فانك ماء الورد اذ ذهب الورد

حكى القاضى شهاب الدين بن فضل الله عن على بن محمد الانصارى انه رأى فى نم اوند وردا أصفر فى الوردة ألف ورقة فعدها فاذا هى كذلك وذكر القاضى شهاب الدين أيضا انه رأى وردة نصفها أحمر قانى الحمرة ونصفها أبيض ناصع البياض والورقة كأنها مقسومة بقلم وكان ابراهيم الخواص رحمه الله يسأل الله تعالى فى أيام الورد فيعتكف للعبادة ويقول فى زمن الورد يغلب على ظنى كثرة من يعصى الله تعالى فانا استغفر الله لهم واسأله المسامحة وقيل ان أعطر الزهر ورد جور وبنفسج الكوفة ونرجس جرجان ومنثور بغداد قال الصولى كان فى قصر المتوكل أربعة آلاف سرية ما بين روميات ومولدات وحبش قال الجاحظ اهدى عبد الله بن طاهر الى المتوكل أربعمائة جارية ما بين بيض وحبش وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة وكانت فائقة فى الحسن والجمال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغناء وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدا فافتتن بها المتوكل وكان لا يصبر عنها ساعة واحدة فلما رأت ميله اليها حقته وبطرت النعمة فغضب عليها وهجرها ومنع أهل القصر من كلامها فمكثت على ذلك اياما وكان للمتوكل ميل اليها فاصبح ذات يوم وقال لجلسائه قد رأيت هذه الليلة فى منامى كانى صالحت محبوبة فقالوا نرجو من الله ان يكون ذلك يقظة فبينما هو فى الحديث واذا بخادم قد أقبلت وأسرت الى المتوكل حديثا فقام من المجلس ودخل دار الحريم وكان الذى أسرته اليه ان قالت سمعنا من حجرة محبوبة غناء وهى تضرب بالعود وما ندرى ما سبب ذلك فسمعها تغنى على العود هذه الابيات

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى

حتى كأنى ركبت معصية * ليس لها توبة تخلصنى

فهل لنا شافع الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى

حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وقاطعنى

فلما سمع المتوكل هذه الابيات تعجب من هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة مناما كما رأى فلما دخل الى حجرتها وأحست به بادرت بالقيام اليه وأكبت على أقدامه تقبلها وقالت والله يا سيدى لقد رأيت هذه الواقعة البارحة فى المنام فلما انتبهت من النوم نظمت هذه الابيات فقال لها المتوكل والله لقد رأيت مثل ذلك مناما فعند ذلك اصطلحا وأقام عندها سبعة أيام بلياليها وكتبت محبوبة على خدها بالمسك اسم المتوكل وهو جعفر فلما رآها المتوكل أنشأ يقول

بعده ابنه الواثق بالله هرون بن محمد) فأقام خمس سنين وأشهرا وتوفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (وولى بعده أخوه المتوكل على الله جعفر بن محمد) فأقام أربع عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام وقتل غرة شوال سنة سبع وأربعين ومائتين (وولى بعده ابنه المستنصر بالله محمد بن جعفر) فأقام ستة أشهر (وولى بعده المستعين بالله أحمد بن المستنصر) فأقام ثلاث سنين وتسعة أشهر وخلع سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل (وولى بعده ابن أخيه المعتز بالله محمد ابن المتوكل على الله) فأقام ثلاث سنين وسبعة أشهر وقتل سنة خمس وخمسين ومائتين (وولى بعده ابن عمه المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل على الله) فأقام عشر سنين وتوفى سنة ست وستين

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا * لنفسى خط المسك من حيث أثرا
لئن كتبت فى الخد سطرا بكفها * لقد أودعت قلبى من الخط أسطرا
فيامن هواها فى البرية جعفر * سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

ولما مات المتوكل سلا جميع من كان له من الجوار الا محبوبة فانها لم تزل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت بجانب قبره قال بعض الحكماء زينة النساء أربعة سواد شعر الرأس والحاجبين واشفار العينين والحدقة وأربعة بيض اللون والعين والاسنان والساق وأربعة حمر اللسان والشفتان والوجنتان واللثة وأربعة مدورة الرأس والعنق والساعد والعرقوب وأربعة طوال الظهر والاصابع والذراعان والساقان وأربعة واسعة الجبهة والعينان والصدر والوركان وأربعة دقيقة الحاجب والانف والشفتان والاصابع وأربعة غليظة العجز والفخذان والعضلتان والركبتان وأربعة صغيرة الاذنان والثديان واليدان والرجلان وأربعة طيبة الريح والفم والانف والفرج وأربعة عفيفة الطرف والبطن واليد واللسان ﴿فائدة﴾ اذا كانت المرأة حاملا وأردت ان تعلم هل حملها غلام أم جارية فتأخذ قملة من رأسها وتضعها فى كفها وتحلب عليها من ثديها فان أسرعت الخروج من اللبن فهى حامل بجارية وان أبطأت فهى حامل بغلام ﴿فائدة﴾ اذا أردت أن تعلم هل المرأة عاقر أم الرجل عقيم فامسك بول الرجل وبول المرأة كل واحد على حدته ثم اعمد الى أصلين من أصول الخس وهما فى البقلة فصب كل واحد على أصل خس وعلم الذى صب عليه بول الرجل والذى صب عليه بول المرأة ويكون ذلك عند غروب الشمس فاذا كان من الغد فانظر الى الاصلين فايهما وجد آخذا فى الفساد دل على ان الذى صب عليه ماؤه عاقر ﴿فائدة﴾ مجربة من أخذ من ذنب الحمار ثلاث شعرات حين ينزو على الاتان وشدهن على ساقه فانه ينتشر ذكره ويستوى على سوقه ﴿فائدة﴾ للحبل يسحق ورق الغبيراء ويعجن منه قدر درهم بعسل ويعمل صوفة وتحمل بها المرأة عقب الطهر ويجامعها الرجل تحبل باذن الله تعالى ﴿فائدة﴾ أخرى اذا تبخرت المرأة بحافر الحمار أسرع خروج ولدها حيا سالما بسهولة وكذلك اذا كان ميتا حدث البحترى الشاعر قال كنت عند المتوكل مع ندمائه فتذاكروا السيوف فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين وقع عند رجل من البصرة سيف من الهند ليس له نظير فأمر المتوكل بالكتابة الى عامل البصرة أن يشترى له السيف الموصوف فاشتراه بعشرة آلاف درهم وأرسله اليه فسر المتوكل بوجوده وقال لوزيره الفتح بن خاقان أطلب لى غلاما تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسى كل يوم مادمت جالسا فلم يستتم كلام المتوكل حتى دخل باغر التركى فدفع اليه المتوكل السيف قال البحترى فوالله ما أخرج السيف المذكور من غمده الا لقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان والى هذا المعنى أشار ابن زيدون فى رسالته بقوله وتكون منية المتمنى فى أمنيته ومن شعر الحافظ أبو بكر أحمد خطيب بغداد

لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها * ولا للذة وقت عجلت فرحا
فالدهر أسرع شئ فى تقلبه * وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلا فيه منيته * وكم تقلد سيفا من به ذبحا

وكان السبب فى قتل المتوكل انه عهد الى ولده المنتصر محمد بالخلافة أولا ثم وقع بينه وبين ابنه شئ فرجع من عهده له وبدا له ان يعهد الى أخيه الصغير محمد المعتز وكان يميل الى ابنه الصغير أكثر من الكبير فلما بلغ الجند ذلك تغيرت خواطرهم عليه قاطبة ثم ان جماعة من الجند اتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه فلما وثقوا منه بذلك ندبوا الى قتله باغر المذكور وكان موصوفا بالشجاعة فلما جاء نصف الليل هجم عليه عشرة من الاتراك ومعهم باغر فوجدوه قد سكر ونام وعنده وزيره الفتح بن خاقان فتقدم اليه باغر وضربه بالسيف على عاتقه فمات من وقته فصاح عليهم الفتح بن خاقان ويحكم يا كلاب كيف تقتلون خليفة الله فقتلوا الفتح بن خاقان أيضا ثم لفوهما فى بساط ودفنوهما فى الليل ولم يشعر بهما أحد قال عمرو بن شيبان رأيت فى الليلة التى قتل فيها المتوكل قائلا يقول هذه الابيات

يا نائم العين فى أقطار جثمان * افضى دموعك يا عمرو بن شيبان

وما ئتين (وولى بعده اخوه المعتضد بالله أحمد بن طلحة بن المتوكل) فأقام تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان قد رجع الى بغداد وسكنها وانقطع حج الخلفاء بأنفسهم فى خلافته (وولى بعده ابنه المكتفى بالله على بن أحمد) فأقام ستة أعوام ونصفا وعشرين يوما ومات سنة خمس وتسعين ومائتين (وولى بعده أخوه المقتدر بالله جعفر بن أحمد) وله من العمر ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة من بنى العباس أصغر سنا منه فأقام خمسا وعشرين سنة غير أيام وتوفى فى شوال سنة عشرين وثلثمائة (وولى بعده أخوه القاهر بالله محمد بن أحمد) فأقام عاما واحدا وستة أشهر وأياما وكانت عيناه سنة اثنتين وعشرين

أماترى الفتية الارجاس مافعلوا * بالهاشمي وبالفتح بن خاقان
فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم * فقد بكاه جميع الانس والجان

(وقال يزيد)

كانت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا رصد
خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد

وكان البحتري كثيرا ما يذكر المتوكل والفتح بن خاقان في شعره ويرتاح لذكرهما أبدا وقال من قصيدة

تداركني الاحسان منك ونالني * على فاقة ذاك الندو التطول
ودفعت عني حين لا ثم يرتجي * لدفع الاذى عني ولا المتوكل

وكان المتوكل أول خليفة قتل بيد الاتراك فظهر بذلك صدق الحديث النبوي الذي رواه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم فانه أول ما يسلب ملككم وما وسع الله بنو قنطوراو أقام المتوكل في الخلافة أربع عشرة سنة وتسعة أشهر الى أن قتله باغر باشارة ولده محمد المنتصر في نصف شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ولا عجب في ذلك فان الولد قد يكون ضررا على أبيه كما قيل

أرى ولد الفتى ضررا عليه * لقد سعد الذي أضحى عقيما
فاما أن يربيه عدوا * وأما أن يخلفه يتيما
وأما أن يوافيه حمام * فيبقى حزنه أبدا مقيما

(وفي المعنى)

لي ولد قد انتشا * وحبه حشا الحشا * كنا نظن رشده * فما نشا كما نشا

(وفي المعنى أيضا)

اضرب وليدك تأديبا على رشد * ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة * وقس على شق رأس السهم والقلم

(وفي المعنى أيضا)

كان أبي يريد في * عدل أو قاضي البلد * لم يكن غير ما يريد * يعتبر من له ولد

وفي الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لأن يربي أحدكم جروكلب أو خنزير خير له أن يربي ولدا من صلبه وفي الفردوس أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان تشاركهم الشياطين في أولادهم قيل كائن ذلك يا رسول الله قال نعم قالوا كيف نعرف أولادنا من أولادهم قال بقلة الحياء وقلة الترحم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن أحدكم اذا أتى أهله وقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ابن أبي طالب لا تجامع أهلك في النصف الثاني من الشهر فانه يحضره الشياطين ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بالقدر وقال صلى الله عليه وسلم كل شيء بينه وبين الله حجاب الا شهادة أن لا اله الا الله ودعوة الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده وقال صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند كبر سنه من يكرمه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وقيل لبعض الحكماء لاي شيء نحب أولادنا وهم لا يحبوننا فقال لانهم منا ولسنا منهم قال الشاعر

من كان يعلم ان ما لك ماله * من بعد عينك لا يحب بقاكا

ذكر البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى كما ربياني صغيرا وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوي بلغا من الكبر ان الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما يفعلان ذلك

وثلثمائة وعاش خاملا مضاما الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولي بعده ابن أخيه الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر) فأقام ست سنين وعشرة أشهر وأياما ومات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وهو آخر خليفة خطب على المنبر في يوم الجمعة وفي زمانه اختل أمر الخلافة جدا وصارت البلاد بين خارجي تغلب عليها أو عامل لا يحمل اليه مالا ولم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد (وولي بعده أخوه المتقي لله ابراهيم بن جعفر المقتدر بالله) فأقام أربع سنين غير شهر وكان صالحا ولم يتمكن من تدبير الامور وخلع وسملت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى ان مات سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة (وولي بعده ابن عمه عبد الله المستكفي بالله وسنه أحد

وجماعة مبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتى ما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبى أخذ مالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فائتنى بأبيك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فاسئله عن شئ قاله فى نفسه ماسمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم مابال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال له سله يارسول الله هل أنفقه الا على احدى عماته أوخالاته أوعلى نفسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم دعنا من هذا أخبرنى عن شئ قلته فى نفسك ماسمعته أذناك فقال الشيخ والله يارسول الله مايزال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيأ ماسمعته أذناى فقال قل فانا أسمع فقال

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما أحنو عليك وتنهل * اذا ليلة ضاقت بك السقم لم أبت لسقمك الاساهرا أتململ * كأنى أنا المطروق دونك بالذى * طرقت به دونى فعيناى تهمل تخاف الردى نفسى عليك وانى * لاعلم ان الموت وقت مؤجل * فلما بلغت السن والغاية التى اليها مدا ما كنت فيه أؤمل * جعلت جزائى غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل فليتك اذلم ترع حق أبوتى * فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال أنت ومالك لابيك فنسئل الله المنان من فضله أن يرزقنا ذرية صالحة موفقة بمنه وكرمه آمين (فائدة) لا بأس بذكرها فى هذا المحل وايرادها فى هذا المعنى قول الشيخ المذكور فى قصيدته وعلتك يافعا قال الدماميني رحمه الله فى وصف الانسان ناظما أصح صفات الآدمى رضبطها * لتلفظ درا تقتنيه بديعا * جنين اذا ما كان فى بطن أمه ومن بعد يدعى بالصبى رضيعا * فان فطموه فالغلام لسبعة * كذا يافعا للعشر قله مطيعا الى خمس عشر فالحزور رسمه * لتحسن فيما تجتنيه صنيعا * كذا الى خمس وعشرين حجة دعاه الفاضلون مطيعا * جميل لحد أربعين وبعده * بكهل الى خمسين فادع سميعا وشيخا الى حد الثمانين فادعه * بهائم عما الممات رحيما

﴿خلافة محمد المنتصر ابن المتوكل﴾

بويع له يوم قتل أبيه على كره وسنه أربع وعشرون سنة ولم يتهن بالخلافة لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة وكان على حذر منهم ويقول هؤلاء قتلوا الخلفاء وكانوا أيضا منه على حذر وأرادوا قتله فما أمكنهم الاقدام عليه لشدة تحاذره منهم ذكر ان المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك فرأى فيه صورة رأس عليها تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر له رجل من الفرس فقرأها وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال معنى هذه الكتابة انا الملك شيرويه بن ابرويز بن هرمز قد قتلت أبى فى طلب الملك فلم أمكث بعده الاستة أشهر فامتقع وجه المنتصر وتطير من ذلك وتذكر ماصنع بأبيه وحم جسمه فطلب ابن طيفور المزين ليفصده فلما أحس بذلك طائفة الاتراك دفعوا الى ابن طيفور ألف دينار وقالوا له اذا طلبك المنتصر الدا وانه فافصده بمبضع مسموم وان المنتصر لما بات فى توعكه انتبه فزعا مرعوبا وهو يبكى فسألته أمه مايبكيك قال أفسدت دينى ودنياى رأيت أبى الساعة وهو يقول قتلتنى ياحمد لاجل الخلافة والله لاتتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فلما أصبح طلب ابن طيفور ففصده بالمبضع المسموم فمات قال عمرو بن عثمان رأيت المتوكل بعد قتله بستة أشهر فى المنام فقلت له مافعل الله بك قال غفر لى بتعصبى للسنة بان القرآن غير مخلوق فقلت له وما تصنع ههنا قال حتى أنتظر ابنى محمدا حتى أخاصمه بين يدى الله تعالى فلما أصبح أشيع بين الناس موت المنتصر وأقام المنتصر فى الخلافة ستة أشهر وتوفى فى ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين (حكى) أن طيفور المذكور لما فصد المنتصر بالمبضع المسموم مكث

وأربعون سنة وهو سن أبى جعفر المنصور ولم يل الخلافة بعدهما من وصل الى هذا السن فأقام سنة عشر شهرا ثم خلع وكلت عيناه سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابن عمه المطيع لله القاسم بن المقتدر) فأقام ستا وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياما ومرض بالفالج وتخلى عن الامر لابنه الطائع لله أبى بكر يوم الاربعاء ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ومات بعد شهرين وتسعة أيام فى المحرم سنة أربع وستين وثلثمائة وأقام الطائع ابنه واليا سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وأياما وخلع سنة احدى وثمانين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات شهر شوال سنة ثلاث

قليلا بعد موت المنتصر ومرض فقال لتلميذه افصد فى فلم يأت له الا بالمبضع المسموم ففصده فمات لوقته فكان كما يقال

أفعاله ردت عليه عاجلى * فالدهر قد جازاه من جنس العمل

﴿خلافة أبى العباس أحمد المستعين بالله ابن المعتصم عم المنتصر أخو المتوكل﴾

بويع له يوم مات المنتصر وسنه احدى وثلاثون سنة قدمته الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا أن يلى الخلافة أحد أولاده فيأخذ بثار أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف و باغر حتى قيل

خليفة فى قفص * بين وصيف وبغا * يقول ما قالا له * كما تقول الببغا

وهى الدرة وعما أفاده الدماميني فى كتابه عين الحياة ان الشيخ كمال الدين الادفوى ذكر فى ترجمة محمد ابن محمد النصيبى القوصى الفاضل المحدث الاديب انه حضر مرة عند تقى الدين البصراوى الحاجب بقوص وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والادباء فحضر الشيخ على الحريرى وحكى انه رأى درة تقرأ سورة يس فقال النصيبى وكان غراب يقرأ سورة السجدة فاذا جاء الى محل السجود سجد ويقول سجد لك سوادى واطمأن بك فؤادى وسمعت من شخص من كتبة بيت المال المعمور بمصر ان امرأة من أولاد أمراء الدولة العثمانية توفيت وليس لها وارث الا بيت المال فضبطت تركتها فكان من جملة مخلفاتها درة ذكر انها تقرأ القرآن من أوله الى آخره فوصل خبرها لمحمد باشا الوزير حال تصرفه بمصر فطلبها من وكيل بيت المال فاعطاه اياها فامتحنت فى القراءة فقرأ شخص بحضورها سورة من القرآن فانتقل من آية الى آية فغلطته لما فرته فتعجب من كان حاضرا وهذا من العجب وكان المستعين فاضلا عاطلا عالى التواريخ متجملا فى ملبسه وهو أول من اتخذ الاكمام العراض فجعل الكم ثلاثة أشبار ولما أبى المستعين الانقياد الى الاتراك خرج من بيت الخلافة وهو مختف وتوجه الى مدينة واسط فاقام بها وكاتبه الامراء والجند بأن يرجع الى بغداد فامتنع من ذلك فارسلوا له من قبض عليه بواسط وسجنه ثم ان الجند أحضروا المعتز وبايعوه بالخلافة وصار العسكر فرقتين فرقة مع المستعين وفرقة مع المعتز فقويت شوكة المعتز وتم أمره فى الخلافة فارسل سعد بن صالح الى واسط فقتل المستعين بعد ان أقام فى السجن سبعة أشهر وكان قتله فى ثالث شوال سنة احدى وخمسين ومائتين فكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر والله تعالى أعلم

﴿خلافة المعتز محمد أبى عبد الله﴾

بويع له يوم خلع أحمد المستعين وسنه ثلاث وعشرون سنة وكان بديع الحسن حسن الصورة وكان مستضعفا وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز وهو خائف منه فاجتمع الجند على المعتز وطلبوا منه أرزاقهم ووعدوه انه اذا أنفق عليهم ركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه وصفوا له الملك فلم يكن فى خزائنه ما يصرفه عليهم وطلب من أمه شيأ من المال وكانت تركية واسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء فأبت وشحت بالمال على ولدها وهو خليفة فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا وأتباعهما وأتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروه برجله وأوقفوه فى الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه ومنعوه من شرب الماء الى أن مات عطشا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وسبعة أشهر وان صالح بن وصيف صادر قبيحة المذكورة وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ونصف أردب لؤلؤ ومثله زمرذ وسدس أردب ياقوت أحمر ثم أخرجت الى مكة واقامت بها الى أن ماتت وأقل الناس الترحم عليها حين ظهر عندها هذا المال وشحت على ولدها والله أعلم

﴿خلافة عبد الله المهدى﴾

وتسعين وثلثمائة وفى أيامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبنى العباس وأقيمت للحسن العبيدى صاحب مصر والمغرب (وولى بعده أحمد القادر بالله) ابن المقتدر فاقام ثلاثا وأربعين سنة ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله فى امرة الخلافة مدته ولا طول عمره لانه مات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وتوفى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة (وولى بعده ابنه القائم بامر الله) عبد الله بن أحمد وأقام فى الخلافة أربعة وأربعين عاما وتوفى سنة سبع وستين وأربعمائة (وولى بعده ابنه المقتدى بامر الله) محمد بن عبد الله القائم بامر الله وأقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وتوفى سنة ست وثمانين وأربعمائة (وولى بعده ابنه المستظهر بالله

بويع له يوم خلع المعتز وسنه تسع وثلاثون سنة وكان كثير العبادة ليس له من الامر شيء وقد كان أبطل الملاهي ومنع المظلمة من الظلم والمكوس قيل دخل عليه رجل وقال له لك عندي نصيحة يا أمير المؤمنين فقال له لمن هي ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين قال ليس الساعي بأعظم عورة ولا أقبح حالا من قائد سياسة ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا انشفي غيظك أو لك عدو فلا نعاقب لك عدوك ثم أقبل على الناس فقال لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضا الله تعالى وللمسلمين فيه صلاح فان مالنا الا الابدان ولهم القلوب ومن استتر لم نكشفه ومن نادانا طلبنا توبته ومن أخطأ أقلنا عثرته انى أرى النصح أبلغ من العقوبة والسلامة مع العفو أسلم منها فى العاجلة والقلوب لا تبقى لوال لا ينعطف اذا استعطف ولا يعفو اذا قدر ولا يغفر اذا ظلم ولا يرحم اذا استرحم ولا يخفى ان حظوظ النفوس تنشأ فى الغالب من الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود وهو من الكبائر كما قال فى الروضة وهو داء لا دواء له وعداوة لا يرجى زوالها كما أشار اليه امامنا الشافعي رضى الله عنه فى قوله من أبيات

كل العداوة قد ترجى ازالتها ● الا عداوة من عاداك من حسد

وحكى عن أبي العباس أحمد القادر انه بينما هو ذات ليلة فى أسواق بغداد اذ سمع شخصا يقول لآخر قد طالت علينا دولة هذا الميشوم وليس لاحد عنده رزق فأمر خادما معه أن يتوكل عليه ويحضره بين يديه فلما حضر بين يديه سأله عن صنعته فقال انى كنت من السعاة الذين يستعين بهم أرباب هذا الامر على معرفة أحوال الناس فذولى أمير المؤمنين أقصانا وأظهر الاستغناء عنا فتعطلت معيشتنا وانكسر جانبنا عند الناس فقال أفتعرف من فى بغداد من السعاة قال نعم وأحضر كاتبا فكتب أسماءهم وأمر باحضارهم ثم أجرى لكل واحد منهم معلوما ونفاهم الى الثغور القاصية ورتبهم هناك عيونا على أعداء الدين ثم التفت لمن حوله وقال اعلموا أن هؤلاء ركب الله فيهم شرا وملأ صدورهم حقدا على العالم ولا بد لهم من افراغ ذلك الشر فالاولى أن يكون ذلك فى أعداء الدين ولا ينغص بهم على المسلمين وفى المعنى

قوم هم كدر الحياة وسقمها * عرض البلاء بهم على وطالا
بئنا كاون ضغينة وخيانة * ويرون لحم الغافلين حلالا
وهم فراش الشر يوم ملمة * يتهافتون تفاشيا وخبالا
وهم شرا بيل الحديث اذا وعو * شرا تقطر منهم وأوسالا

(ومما يحكى) أن السلطان محمد بن قلاوون رحمه الله أخبره وزيره الامير علاء الدين مغلطاى ان تاج الدين كاتب السفاح ذكر عنده أناسا بكل قبيح والتزم فيهم جملة من الذهب اذا صودروا وأخرجت وظائفهم فقال السلطان للوزير أحضر تاج الدين المذكور فلما حضر بين يديه وسمع كلامه قال هل لك علم بأحد فى القاهرة يعرف شيأ من هذه الاحوال قال نعم جماعة وعدهم فقال للوزير خذ هذا واستفظه وأحسن اليه واذا حضرلك هؤلاء الذين ذكرهم عرفنى بهم فخرجا من عنده وصار يذكر له جماعة جماعة وهو يحضرهم الى ان لم يبق منهم أحد ودخل الى السلطان وعرفه بهم فقال اخرج الآن فى هذه الساعة وجهز الجميع الى قبرس ولا تدع أحدا منهم فى القاهرة فان هؤلاء مناحيس يرافعون الناس فنفاهم أجمعين وفى المعنى

أقول وطرف النرجس الغض شاخص ● الينا وللنمام حولى المام
أيارب حتى فى الحدائق أعين ● علينا وحتى فى الرياحين نمام

وكتب بعض شهود الاهواز الى الوزير أبي الفرج محمود بن فسانجس قد مات فلان وخلف خمسين ألف دينار عينا ولم يخلف غير طفلة فان رأيت استقراض المال الى ان تبلغ الطفلة ففى عقارها وأملاكها كفاية فوقع على ظهر كتابه الطفلة جبرها الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله لا حاجة للسلطان بالمال وعن أبي بردة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا قيل من هم يا رسول الله قال ألم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى

أحمد) فأقام خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وتوفى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة (وولى بعده ابنه المسترشد بالله منصور) فأقام سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخلع وقتل سنة خمسمائة وتسع وعشرين (وولى بعده ولده الراشد بالله) منصور واتهموه بالمنكرات وخلعوه وأرسلوه الى الموصل ثم قتلوه سنة خمسمائة وثلاثين (وولى بعده محمد المقتفى لامر الله) ابن المستظهر بالله فأقام أربعا وعشرين سنة ثم قامت عليه الجند ورجموه ثم حبسوه شهرا من غير شرب فمات بالظما سنة خمسمائة وخمسة وخمسين (وولى بعده ولده المستنجد بالله) يوسف فأقام أحد عشر عاما وخمسة أيام وتوفى سنة خمسمائة وست وستين

بطونهم نارا (وحكى) انه لما ولى عبد العزيز بن عبد الملك دمشق ولم يكن فى بنى أمية ألب منه فى حداثة سنه قال أهل دمشق هذا غلام شاب ولا علم له بالامور وسيسمع فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير عندى نصيحة فقال له ليت شعرى ما هذه النصيحة التى ابتدأتنى بها من غير يد سبقت منى اليك قال جار لى عاص فقال له ما اتقيت الله ولا أكرمت أميرك ولا حفظت جارك ان شئت نظرنا فيما تقول فان كنت صادقا لم ينفعك ذلك عندنا وان كنت كاذبا عاقبناك قال أقلنى قال اذهب حيث شئت لا صحبك الله بخير انى أراك شر رجل وروى ان معاوية رضى الله عنه قال يوما للاحنف بن قيس فى أمر بلغه عنه فانكر الاحنف فقال معاوية الثقة بلغنى فقال الثقة لا يبلغ وقد جاء فى السنة النبوية أحاديث كثيرة فى ذم النميمة منها ما رواه حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وقد جاء عنه عليه أفضل الصلاة والسلام انه قال لعن الله المثلث قيل له وما المثلث يا رسول الله قال الذى يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أظهر لاخيه الود والصفاء وأضمر له الحقد والبغض أصمه الله وأعمى بصر قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى قال الذين اذا ذكروا ذكر الله الا أنبئكم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال شر الناس عند الله منزلة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال ان من شر الناس عند الله منزلة ذا الوجهين الذى يأتى الى هؤلاء بوجه والى هذا بوجه وقال ان من شر الناس منزلة عند الله عبد أذهب آخرته بدنيا غيره وروى عمار بن ياسر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار رواه أبو داود وصححه ابن حبان وأخرج الطبرانى من حديث أنس بلفظ من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وقال ابن زيدون فى رسالته الهمازون المشاؤن بنميم يعنى ان هؤلاء ذكرهم الله فى القرآن العظيم فى قوله تعالى هماز مشاء بنميم الهماز المغتاب الذى يأكل لحم الناس بالطعن والغيبة وقال الحسن هو الذى يلوى شدقه فى أقفية الناس والنم والنميمة واحد وهو نقل الكلام السيئ والمعنى انه قتات يسعى بين الناس بالنميمة ليفسد فيما بينهم قال صلى الله عليه وسلم لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم (أوصت) اعرابية ابنها وقد أراد السفر فقالت أى بنى اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين الاحبة واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا وفى المثل النميمة ارثة العداوة وما أحسن قول الشيخ شهاب الدين محمود

يا ملزمى بذنوب ما أحطت بها * علما ولا خطرت يوما على فكرى
صدقت فى أباطيل الذنوب وكم * كذبت فيك يقين السمع والبصر

وقال ابن الرعاد

أنهاك ان الحادثين تحدثوا * فينا بشر حديثهم لاخيره
فاحذر فديتك أن تكون جليسهم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

ومن أمثال العرب واياك وكل مستحدث فانه يأكل مع كل من أكل ويجرى مع كل ريح وقال وهب بن الورد خالطت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أقال لى عثرة ولا ستر لى عورة ولا أمنته اذا غضب ومن كلام النابغة الناس أجناس أكثرهم انجاس * رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر عبد الله المهدى فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج عليهم وقاتلهم بنفسه الى ان أمسكوه باليد وعصروا على بطنه الى ان مات وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما والله أعلم

(خلافة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل)

بويع له يوم مات ابن عمه المهدى فى شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان له انهماك على اللهو والملذات فقدم أخاه طلحة ولقبه الموفق بالله وجعله ولى عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان للمعتمد ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب

ولى بعده ولده الحسن المستضئ بامر الله فأقام سبعة أعوام وأربعة أشهر وتوفى سنة خمسمائة وثلاثة وسبعين بالطاعون وفى أيامه عادت الخطبة بمصر لبنى العباس بعد انقطاعها منها مائتين وخمس وعشرة سنة وانقرضت دولة بنى عبيد بمصر (وولى بعده أحمد الناصر لدين الله) فأقام سبعا وأربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس (وولى بعده ولده محمد الظاهر) فأقام تسعة أشهر وتوفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة (وولى بعده ولده المستنصر بالله منصور) فأقام سبع عشرة سنة وتوفى سنة أربعين وستمائة وله من العمر اثنتان وخمسون سنة (وولى بعده ولده

والشأم والجزيرة وعقدله لواءين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق اذا حدث به ريب المنون وولده صغير كان الموفق ولى عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان ولده ولى عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهم اخطه عليها وكان الموفق طاقالامد برامشتغلا بامور المملكة وكان أخوه المعتمد مكبا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة وظهرت له نجابة كبيرة وظهرت فى أيام المعتمد طائفة من الزنج وتغلبت على المسلمين وكان لهم رأس اسمه مهبول يدعى علم المغيبات وقتل فى المسلمين ذكر الصولى انه قتل ألف ألف وخمسمائة ألف وكان يأسر النساء ويبيعهن وكان ذلك من أعظم المصيبات فى الاسلام وتملك هذا الكافر مدائن أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعل دار مملكته واسط فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع فركض بخيله ورجله وجنوده الى ان التقت الفئتان فجفلت السودان من لمعان السيوف وانهزموا مابين مقتول ومأسور الى ان قتل كبيرهم مهبول ووجوه عساكره واستردت المدن التى أخذها كواسط وغيرها واطمأنت المسلمون وكافة العباد واقبلوه الناصر لدين الله وصار له حينئذ لقبان ودخل بغداد فى عظم وعلو شأن ورأس مهبول الكافر على رأس رمح ورؤس كبار عسكره على رماح ودعاله المسلمون واستقر أخوه المعتمد على حاله منهمكا على لهوه ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الأمور يتلقاها الموفق بصدره وكان له ولد نجيب يدعى أحمد أبا العباس جعله الموفق ولى عهده واستعان به فى حروبه وأحواله وظهرت نجابته وقوته فخشى الموفق منه على نفسه وعلى ولد أخيه فحبسه وكل من يثق به فى أمره واستمر محبوسا الى أن وقعت الوحشة بين المعتمد والموفق وتباغضت قلوبهما وتشاحنت صدورهما وان الرياسة لاتقبل الاشتراك والغيرة على الملك أسرع شئ ثم ان الموفق مرض واشتد عليه الحال وتحقق غلمانه مآله فبادروا الى الحبس فكسروه وأخرجوا ابنه ولده وآووه وجاؤا به الى والده فلما رآه أيقن بالموت وتحقق وقال له ياولدى لهذا اليوم خبأتك وأوصاه وفوض اليه وأوصاه بعمه المعتمد وكان ذلك قبل موته بثلاثة أيام وكانت وفاته فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمت فيه أخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم أنه عما قليل به يلحق فكانت خلافة المعتمد ثلاثا وعشرين سنة وتوفى فى سنة تسع وسبعين ومائتين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿خلافة أحمد المعتضد ابن طلحة الموفق﴾

بويع له يوم مات عمه وسنه ست وأربعون سنة وكان ملكا مهابا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الأسد وحده وكان أسقط المكوس فى أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بنى العباس بعد ماوهى ووهن وكان يسمى السفاح الثانى وفيه يقول ابن الرومى

هنيأ بنى العباس ان امامكم * امام الهدى والجود والناس أحمد

كما بأبى العباس أنشئ ملككم * كذا بأبى العباس أيضا يجدد

امام يظل الأمس يشكو فراقه * تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفيه أيضا يقول عبدالله بن المعتز

أماترى ملك بنى هاشم * عاد عزيزا بعدماذللا

ياطالب الملك فكن مثله * تستوجب الملك والا فلا

وكان مع سطوته يراعى جانب الحق وقد نقل الحافظ السيوطى عن عبدالله بن حمدون قال خرج المعتضد يوما وأنا معه فرعقثاة فمات بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وسأله عن سبب صياحه فقال له ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثأة واخربوها فامر عبيده باحضارهم فحضروا وضرب أعناقهم ومضى وهو يحادثنى فقال أصدقنى ياعبدالله ما الذى ينكره الناس من أحوالى فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ماسفكت دما حراما قط فقلت له بأى ذنب قتلت أحمد بن أبى الطيب قال انه دعانى الى الالحاد وظهر لى الحاده فقلت والثلاثة الذين نزلوا المقثأة الآن بماذا استحلت دماءهم ولأى شئ قتلتهم فقال والله ماقتلتهم وانما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس انهم الذين نزلوا

المستعصم بالله عبدالله) فاقام سبع عشرة سنة وتوفى سنة ستمائة وتسع وخمسين بخيانة وزيره ابن العلقمى الذى كان رافضيا وخرب بغداد وزالت دولة بنى العباس منها وكان سبب زوالها استيلاء ماليكهم وأمرائهم عليهم ومن أعظم أسباب زوالها ان ابن العلقمى استولى على المستعصم وكان رافضيا عدوا لأهل السنة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين واطفاء أهل السنة واظهار أهل البدعة فصار يكاتب كبير التتار وهو هلاكو ويطمعه فى ملك بغداد أو يخبره بضعف الخليفة ويعلمه صورة أخذها ويحسن للمعتصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع

المقناة فأمرت بضرب أعناقهم ثم أحضر صاحب الشرطة وأمر باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقناة فأحضرهم بأنفسهم وشاهدتهم * ومما يناسب ذلك ما حكاه ابن أبي حجلة في سكردانه ان سواديا أتى الى السلطان ملكشاه وهو يبكي فسأله عن سبب بكائه فقال اشتريت بطيخا بدرهمين لا أملك غيرهما فلقيني ثلاثة من الاتراك فأخذوه مني ومالي سواهما وكان ذلك في أول قدوم البطيخ فقال له امسك فاستدعى فراشا وقال له قد اشتاقت نفسي الى البطيخ فطف في العسكر وانظر من عنده شئ فأحضره فعاد الفراش ومعه بطيخ فقال له عند من لقيته قال عند الامير فلان فأحضره وقال له من أين هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال أريدهم الساعة وقد عرف نية السلطان فعاد اليه وقال لم أجدهم فالتفت السلطان الى صاحب البطيخ وقال له هذا مملوكي وقد وهبته لك حيث لم يحضر الغلمان الذين أخذوا متاعك والله لئن خليته لأضربن عنقك فأخذه بيده وخرج من بين يدي السلطان واشترى الامير نفسه بثلثمائة درهم وعاد صاحب البطيخ الى السلطان وقال يا سيدي قد بعت المملوك بثلثمائة درهم قال أوقد رضيت قال نعم قال فامض مع السلامة وكانت مدة خلافة المعتضد تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفي في يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الذكور أربعة واحدى عشرة بنتا والله تعالى أعلم

(خلافة علي المكتفي بالله ابن المعتضد أحمد بن طلحة)

بويع له يوم مات أبوه وسنه احدى وثلاثون سنة وأخذ له البيعة الوزير أبو الحسن عبد الله فان والده عهد له قبل موته بثلاثة أيام وكان المكتفي بالرقة فلما وصل اليه كتاب الوزير بادر وحضر من الرقة الى بغداد في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله مشهودا ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور سبع خلع وكان المكتفي حسن الصورة يضرب بحسنه المثل ولهذا قال عبد الله بن المعتز يخاطب الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالقباحة لاتفي
والله لا أختارها ولو انها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

فقرنه بالبدر والشمس في الجمال وقد أشار ابن سنا الملك الى هذا في قوله

ومليحة بالحسن يسخر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف
لا أرتضي بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

(وقال أيضا في موضع آخر)

بأبي وأمي من يكون المكتفي * بكماله وجماله كالمقتدي

قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علته والله ما أسفي على شئ الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت اليها وكنت مستغنيا عنها وكانت مدة تصرفه ست سنة أعوام ونصفا وانتقل الى دار الخير والبقاء في ليلة الاحد لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين والله تعالى أعلم

(خلافة جعفر المقتدر ابن المعتضد)

بويع له بالخلافة يوم موت أخيه وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه وولي الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى ولم يتم له فيها أمر لصغره فغلب عليه الجند واتفقوا على عزله وخلعه فخلعوه والله تعالى أعلم

(خلافة عبد الله بن المعتز بن المتوكل)

بويع له يوم خلع المقتدر ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وهو أشعر بني العباس بل أشعر بني هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وأدبا ودخولا بعلم الموسيقي وأشعر الشعراء في التشبيهات المبتكرة الغريبة المبتدعة قال المعافى بن زكريا لما بويع لابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر فقال ما الخبر فقلت بويع بالخلافة

في مرة عشرين ألف مقاتل ووفر علوفاتهم في الخزينة وأظهر للخليفة انه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة في بيت المال فأعجبه رأيه لحبه كونه كان يحب المال وجمعه فدخل التتار الى بلاد العراق واستأصلوا من بها وتوجهوا الى بغداد فاستيقظ الخليفة من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش وبرز الى قتالهم فلم يقدر عليهم وغرق من عسكره كثيرا في نهر الدجلة وقتل أكثرهم وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الخزائن والأموال وأسروا المستعصم وأولاده فاستبقاه هلاكو الى أن استخلص أمواله وخزائنه ودفائنه ثم قتل أولاده وأتباعه وأمر أن يوضع الخليفة في غرارة ويرفس بالأرجل الى أن يموت وأوقع بوزيره الذل والهون وصار معهم

عبد الله بن المعتز قال فمن توشح لوزارته قلت محمد بن داود قال فمن قاضيه قلت أبو المثنى فأطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم قلت ولم لا يتم قال كل واحد ممن ذكرت ذو شأن عظيم متقدم في علمه وفضله وان الدنيا مولية وان الزمان مدبر ولا مناسبة لأحد ممن ذكرت برياسة في مثل هذا الزمان ولا أرى هذا الا الى الاضمحلال والاضمحلال فقدر الله انهم خلعوه في ذلك اليوم وتلاشى أمره وان عبد الله بن المعتز لما تقلد الخلافة أرسل الى المقتدر يأمره بإخلاء دار الخلافة فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له عندي جواب الا السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل في غاية الخوف وهجموا على عبد الله بن المعتز فهاله ذلك وألقى الله في قلبه الرعب فانهزم هو ووزيره وقاضيه وكل من في ديوانه وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز وعلى الامراء والفقهاء وقتل منهم من اراد وحبس عبد الله بن المعتز الى أن خرج من الحبس ميتا الى رحمة الله تعالى فكانت خلافته ساعة من نهار وحيث انجر الكلام فلا بأس بإيراد شيء من أشعاره المستظرفة منها هذا الموشح الذي يصلح وشاحا لكوكب الجوزاء وإكليلا للثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بألسنة الزمان وهو هذا

أيها الساقي اليك المشتكى * قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته * ولشرب الراح من راحته * كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكى * وسقاني أربعا في أربع
ما لعيني غشيت بالنظر * أنكرت بعدك ضوء القمر * واذا ما شئت فاسمع خبري
غشيت عيناي من كثر البكا * وبكى بعضي على بعضي معي
غصن بان مال من حيث التوى * مات من يهواه من فرط الجوى
(خفق الاحشاء موهون القوى)
كلما فكر في البين بكى * ويحه يبكي لما لم يقع
ليس لي صبر ولا لي جلد * يا لقومي عذلوا واجتهدوا * أنكروا شكواي مما أجد
مثل حالي حقها أن تشتكى * كمد اليأس وذل الطمع
كبدي حرى ودمعي يكف * يذرف الدمع ولا يعترف * أيها المعرض عما أصف
قد نما حبي بقلبي وذكا * لا تقل في الحب اني مدعي

(ومن تشبيهاته أيضا)

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة في درة بيضاء
والشمس مالت للغروب كأنها * دينار يلعب في قرار الماء
والبدر في أفق السماء كدرهم * ملقى على ديباجة زرقاء
ومهفهف عقد الشراب لسانه * وكلامه بالرمز والايماء
كلمته سحرا وقلت له انتبه * يا فرحة الجلساء والندماء
فأجابني والخمر يخفض صوته * بتلجلج كتلجلج الفأفاء
اني لأفهم ما تقول وانما * غلبت على سلافة الصهباء
دعني أفيق من الخمور الى غد * واحكم بما تختار يا مولائي

(وله في المثلث) خليلي طاب الراح من بعد طبخها * وقد عدت بعد السكر والعود أحمد
فهاتا عقارا في قميص زجاجة * كياقوتة في درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة * لها حلق بيض تحل وتعقد
وقتني من نار الجحيم بنفسها * وذلك من احسانها ليس يجحد

وله في التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مكاتبة الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب

من جملة الغلمان ومات كمدا وهذه الحادثة قد استطار شررها وعم ضررها وهم قوم لا يحصون عددا ولا يحتاجون الى مدد يأتيهم فان معظم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها وانما حصل في بغداد ما حصل انتقل أولاد الخلفاء العباسيين الى مصر في زمن السلطان بيبرس لانها كانت بأيدي اسلافهم وينيبون فيها نوابا وجملة نوابهم سبع وخمسون لم نتعرض لهم خوف الاطالة المؤدية الى السآمة ومن جملة نوابهم أحمد بن طولون فانه كان نائبا على مصر في زمن خلافة المعتز سنة أربع وخمسين ومائتين ثم

أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان جيد في الشعر ومن كلامه البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام ومن كلامه العلماء غرباء لكثرة الجهال النصح بين الملا تقريع ملامة الكذب جرأة اليمين واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة شهيرة (ثم عاد المقتدر ثانيا) واستقام له الحال فسار أحسن سيرة واستقر في الخلافة الى سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ذكر الحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء في خلافة المقتدر سنة ثلثمائة ان بغلة ولدت فلوا وبعد تمام هذا التاريخ المبارك الميمون اتصل بعلم مؤلفه عفا الله عنه من الثقات ان جماعة من الفرار جية من أهل منف عندهم بغلة زرقاء ولدت مهرا في أواسط سنة احدى وأربعين وألف فسبحان القادر على كل شئ

(خلافة أبي المنصور محمد القاهر ابن المعتضد)

بايعه يونس والامراء ولقبوه بالقاهر وفوضت الوزارة الى على بن مقلة الكاتب فجاء العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فمنعهم الحاجب من الدخول على الخليفة فمالوا الى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا بأخيه محمد القاهر وهو يبكي ويقول الله الله يا أخي في روحي فاستدناه المقتدر وقبله بين عينيه وقال يا أخي لا ذنب لك وأنت مغلوب على أمرك والله لا ينالك مني ما تكرهه فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه أخاه وقال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند وأرضاهم من عنده (ثم عاد المقتدر ثالثا والثالثة ثابتة) فمن محاسن المقتدر انه ابطل من ديوانه استخدام أهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل تصرفهم في الاموال وكان يفرق في يوم عرفة كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألفا وكان يصرف في كل سنة في طريق مكة ولاهل الحرمين الشريفين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألفا وانه ختن خمسة من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود وقدمت عليه رسل الروم فجعل مركبا لارهاب العدو وأقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلاح وأقام بعدهم الخدم وهم ستمائة ألف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي نصبت على الحيطان بدار الخلافة ثمانين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت اثنين وعشرين ألف بساط وكان من جملة ذلك مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وهذا كله مع وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف زينتها في أيام قوتها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه زوال وفي أيامه ظهرت الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر أول من ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا في هجر وأراد نقل الحج اليها لعنه الله وأخزاه فكثر فتكه في المسلمين وسفك الدماء وكثرت طائفته واشتدت شوكته حينئذ وجاء أبو طاهر القرمطي بعسكر جرار بآلات السلاح الى المسجد الحرام يوم التروية ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين وفي مكة وشعابها وقتلوا ما يزيد على ثمانين ألف انسان وركض أبو طاهر بسيفه مشهورا في يده وهو سكران راكب فرسه ودخل الى المطاف الشريف فبالت فرسه وراثت وطلع الى باب الكعبة وهو يقول

أنا بالله وبالله أنا ❊ يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام وقلع الحجر الاسود وحمله معه يريد ان يحول الناس الى مسجد ضرار واستمر الحجر الاسود عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة الا أربعة أيام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وابتلى أبو طاهر النحس بأكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة بعد ان عذبه الله بأنواع البلاء ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولولا خوف الاطالة لذكرنا نبذة من أحوال القرامطة المناحيس فان وقائعهم مشهورة ولاجل ذلك اقتصرنا على ما ذكر فكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج وحاربه الخليفة أشد المحاربة فلم يقدر عليه فخضع له وتركه وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار وتوفي ليلة الأحد لعشرين خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين (وتولى بعده ولده خارويه) وبايعه الجند يوم الاحد لعشرين خلون من ذي

﴿خلافة القاهر بامر الله محمد بن المعتضد﴾

بويع له يوم قتل أخيه وسنه اثنتان وخمسون سنة فأقام سنة وستة أشهر ثم خلع وأكحل فى جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وتوفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

﴿خلافة محمد الراضى بن المقتدر﴾

بويع له يوم خلع عمه محمد القاهر وسنه اثنتان وثلاثون سنة فأقام ست سنين وعشرة أيام وتوفى فى ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة

﴿خلافة المكتفى ابراهيم بن المقتدر﴾

بويع له يوم مات الراضى وسنه ستون سنة فأقام سنتين واحد عشر شهرا وأكحل فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

﴿خلافة المستكفى عبد الله بن المكتفى﴾

بويع له يوم خلع المكتفى وسنه ست وأربعون سنة فأقام سنة واحدة وأربعة أشهر وخلع فى جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

﴿خلافة الفضل المطيع لله بن المقتدر﴾

بويع له يوم خلع المكتفى وسنه ثلاث وسبعون سنة وفى أيامه رد الحجر الاسود من هجر الى مكانه من البيت الشريف فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وخلع نفسه فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة

﴿خلافة عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله﴾

بويع له يوم خلع أبيه وكان مغلوبا عليه من قبل أمرائه وما كان له الا العظمة قال الشريف الرضى يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى * أنا عاطل منها وأنت مطوق

قيل ان الطائع لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضى وقيل ان الرضى كان يوما عند الطائع وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة فقال بل رائحة النبوة وكان الطائع كبير الانف فقال الشاعر

خليفة فى وجهه روشن * من شفه قد ظلل العسكرا
يهدى به يمشى على رجله * وأنفه قد صعد المنبرا

وأقام الطائع سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وخلع نفسه سنة احدى وثمانين وثلثمائة

﴿خلافة أبى العباس أحمد القادر بالله بن المقتدر﴾

بويع له بالخلافة فى عاشر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكان فى غاية العبادة والفضل وصنف كتابا فى الرد على القائلين بخلق القرآن وعده ابن الصلاح من علماء الشافعية وذكره فى طبقاته وطالت مدته حتى بلغت احدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وتوفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

﴿خلافة القائم بأمر الله عبد الله بن أحمد القادر﴾

بويع له يوم مات أبوه فأقام أربعا وأربعين سنة وثمانية شهور وتوفى فى شهر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة

﴿خلافة المقتدى بامر الله بن القائم بامر الله﴾

بويع له يوم مات جده وسنه سبع وستون سنة وكانت المبايعة بحضرة الامام الكبير أبى اسحق الشيرازى أحد أركان أئمة الشافعية رضى الله عنه وكان خيرا دينا من نجباء خلفاء بنى العباس ومن

القعدة سنة سبعين ومائتين فتعقب ما كان يفعله والده من الصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك ثم قتل بدمشق على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل فى صندوق الى مصر فكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما (وتولى بعده ولده أبو العساكر) فى عشر ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأقام ثمانية أشهر واثنى عشر يوما وقتل سنة ثلاث وثمانين ومائتين (وتولى بعده أخوه أبو موسى هرون بن خاروية) فأقام ثمانى سنين وثمانية أشهر وقتل سنة احدى وتسعين ومائتين (وتولى بعده شيبان ابن أحمد بن طولون) فى عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين فأقام اثنى عشر يوما فأنكر

جملة سلاحه ان السلطان ملكشاه قصد ان يهجم عليه فارسل اليه يقول له لابد ان تترك بغداد وتذهب الى أى بلاد شئت فارسل الخليفة له يتلطف فى ذلك فأبى الا الشدة والغلظة فقال لرسوله اسئله المهلة ولو شهرا فأبى وقال ولا ساعة فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم النهار ويقوم الليل ويتضرع الى الله ويضع خده على التراب ويناجى رب الارباب فنفذ دعاؤه فى ملكشاه نفوذ السهم المسموم فى كبد الظالم من المظلوم فهلك ملكشاه قبل مضى عشرة أيام وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدى ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفى * يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر * وفرج كربة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا * وتأتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما * فثق بالواحد الاحد العلى
تمسك بالنبى فكل هم * يزول اذا تمسك بالنبى

وأقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وتوفى ثامن محرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة

(خلافة المستظهر بالله هو أبو العباس أحمد)

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وسنه أربع وأربعون سنة وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد فى الكتابة حافظا للقرآن عالما فاضلا وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وتوفى لست بقين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة والله أعلم

(خلافة أبى الفضل منصور المسترشد)

بويع له بالخلافة يوم مات أبوه وسنه ثلاث وأربعون سنة وكان شجاعا دينا مشغولا بالعبادة وحفظ القرآن والحديث وخرج الى قتال مسعود بن ملكشاه السلجوقى فلم يقاتل معه أحد وقاتل وحده الى أن قتل وكانت خلافته تسع عشرة سنة وقتل فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة

(خلافة أبى جعفر منصور الراشد بالله)

بويع له بالخلافة يوم قتل أبيه فأقام سنة واحدة وقبض عليه السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقين من ذى الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة والله أعلم

(خلافة المقتفى لامر الله وهو محمد بن المستظهر)

بويع له بالخلافة يوم خلع عمه وكان عالما شجاعا قال فى الاكتفاء قال ابن الجوزى قرأت بخط الشيخ ابى الفرج بن الحسين الحداد قال حدثنى من أثق به أن المقتفى رأى فى منامه قبل أن يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل اليك هذا الامر فاقتد بى فلقب المقتفى لامر الله فأقام خمسا وعشرين سنة وتوفى يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة

(خلافة المستنجد بالله يوسف بن المقتفى)

بويع له يوم مات أبوه وسنه ثمانون سنة (يحكى) انه قبل ان يصير خليفة رأى فى منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه ثلاث خاآت فلما أصبح سأل المعبرين عن منامه فقالوا له انك تلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان كذلك فاقام احدى عشرة سنة وتوفى تاسع ربيع الاول سنة ست وستين وخمسمائة ومن شعره فى بخيل

وباخل أشعل فى بيته * تكرمة لا جلنا شمعه
فما جرت من عينها دمعه * حتى جرى من عينه دمعه

(خلافة المستضئ بنور الله هو محمد بن الحسن بن المستنجد بالله)

بويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس فى ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه

عليه قواده هرون بن خارويه وبعثوا الى محمد بن سليمان غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر فى عسكر عظيم وقبض على شيبان وألقى النار فى القطائع ونهب أصحاب الفسطاط واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وأخرج بقية أولاد احمد بن طولون وقوادهم فى اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت الديار منهم وكانت مدة ولايتهم سبعة وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما ثم عادت الدولة العباسية بمصر فى خلافة المكتفى فأرسلوا نوابهم الى مصر ومن جملة نوابهم محمد بن طغج الملقب بالاخشيد ثم تغلب على مصر وصار يدعى له على المنابر فأقام احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابنه ابو القاسم)

وكان سنه اثنتين وأربعين سنة وهو الذى خطب له صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر فاقام تسع سنين وأشهرا وتوفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة والله تعالى أعلم

(خلافة الناصر أحمد بن المستضىء بنور الله)

بويع له يوم مات أبوه وسنه تسع وستون سنة فاقام سبعا وأربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس

(خلافة محمد الظاهر بن الناصر أحمد)

بويع له يوم مات أبوه بعهد منه فاظهر العدل والاحسان وأبطل المكوس حكى عنه انه فرق فى ليلة النحر على الفقهاء مائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال دعنى أفعل الخير فانى لا أدرى كم أعيش فلم يلبث ان وافاه الله بالمكيل الاوفى فعاش حميدا ومات سعيدا فكانت خلافته تسعة اشهر وتوفى فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة الى رحمة الله تعالى

(خلافة أبى جعفر المنتصر بالله)

بويع له يوم مات والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتوفى سنة تسع وثلاثين وستمائة

(خلافة المستعصم بالله بن المستنصر)

بويع له يوم مات أبوه وهو آخر خلفاء بنى العباس وبزواله زالت دولة بنى العباس كما جرت عادة الله بانقراض الدول ولله البقاء عز وجل وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم وتفويض أمور المملكة اليهم وامتهانهم غاية الامتهان الى ان صاروا اسماء بلا مسميات وصورا هيولا يتصرف فيها بالمحو والاثبات ومن أعظم أسباب زوالها ان مؤيد الدين العلقمى كان وزير المستعصم وكان رافضيا مستوليا على المستعصم عدوا له ولاهل السنة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين وطمس أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدع فصار يكاتب هلاكو ويطمعه فى ملك بغداد ويطالعه باخبارها ويعلمه كيفية أخذها ويخبره بضعف الخليفة واختلال العسكر عنه وصار الوزير يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع أرزاقهم وشتت شملهم بحيث انه أذن مرة لعشرين ألف مقاتل ان يذهبوا الى أين أرادوا ووفر علوفاتهم فى الخزينة وأظهر للمستعصم أنه وفر من علوفات العسكر اموالا عظيمة فى بيت المال فأعجب المستعصم رأيه وكان يحب المال ويجمعه وما يعلم أنه يجمعه لعدوه

بيت مفرد   يخبركم انه ناصح * وفى نصحه ذنب العقرب

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان (ومما يحكى) ان اعرابيا قال اللهم انى أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتى الا بالتتبع لمواقع شهوتى وقيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم على غير معنى حيوان غير موجود

مفرد   لسانك لى حلو وقلبك علقم * وشرك مبسوط وخيرك ملتوى

مفرد   اذا أنت فتشت القلوب وجدتها * قلوب أعاد فى جسوم أصادق

(ولبعضهم)   لى صديق لديه ود ونصح * غير ان الدفاع منه عدمه

فاذا ماسعى ليدفع عنى * فى الملمات صارعون الملمه

ليته كف خيره وأذاه * ورعى لى بذاك حقا وحرمه

وقال الطغرائى رحمه الله من قصيدة

وبنو الزمان وان صفوا لك ظاهرا * يوما حووا لك باطنا محذورا

وقال أيضا من قصيدة له   ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد عن جبلته الصفاء

فأقيم كافور الخادم الاسود نائبا عنه فكان يدبر المملكة فأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى سنة تسع وأربعين وثلثمائة وتولى بعده ابو الحسن على ولد الاخشيد فاقام سنتين والكلام لكافور الاخشيدى ثم استقرت المملكة باسم كافور فكان يدعى له على المنابر فى الديار المصرية والشامية والحجازية وكان حسن السيرة فاقام سنتين وأربعة أشهر ومات سنة سبع وخمسين وثلاثمائة (وولى بعده أحمد بن على الاخشيد) فاقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكانت مدة تصرفهم أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما

(الباب الثانى فى دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية ودولة الجراكسة)

وقال

وقال الجنيد دخلت على السرى فقلت له أوصنى قال لا تكن مصاحبا الاشرار ولا تشتغل عن الله بمصاحبة الاخيار وكان بعض الاعراب يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من الصاحب الردىء

وفى المعنى قل للذى لست أدرى من تلوّنه * أناصح أم على غش يداجينى
تغتابنى عند أقوام وتمدحنى * فى آخرين وكل منك يأتينى

وفى المعنى واخوان وثقت بهم فأضحى * اذاهم يعتريني كل حين
ولما ان اسأت الظن كفوا * فواعجباه من ظن يقينى

مفرد دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل فى الشدائد تعرف الاخوان

وقيل فى المعنى وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

وما أحسن قول أبى دلف هل رأينا أو سمعنا من نهى * رجلا عن سوء فعل فانتهى
بل اذا عوقب فى سيئة * لم يدعها وتعاطى أختها

قال الكندى الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنها أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليها حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا وقالوا الاصدقاء على ثلاث مراتب العليا وهو الصديق الكريم ذو البر والوسطى وهو الصديق الحكيم ذو التجارب والمرتبة السفلى وهو الصديق العاجز وهو ان يتوجع لشكواك فان خلا الصديق من احدى هذه المراتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده قال الشاعر

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو دين فنرجوك للدين
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من طين

(وقال الصفدى) اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو جود فنرجوك للقرى
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من خرا

قال بعض الحكماء يجب على الملك أن لا يخلو من خمس معاقل يتحصن بها أولها وزير صالح يتحصن برأيه فى الشدة والرخاء وثانيها سيف قاطع يتحصن بحده وثالثها فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات ورابعها اقامة منيعة يتحصن بها اذا أحيط به وخامسها امرأة حسناء يتحصن بها بصره وكان يقال عدوك ضدك وحكم الضدين التنافر والتدابر والتنافى والتباين قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيوت والاماء هلاكها ومن كلام الحكماء كن على حذر من الكريم اذا أهنته ومن اللئيم اذا أكرمته ومن العاقل اذا أحرجته ومن الاحمق اذا مازحته ومن الفاجر اذا عاشرته وكان يقال اذا لم تجد من الخدم الا من ساء أدبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل قلبك من الاذى أضعاف ما يحمل عن بدنك بخدمته من العناء وكان يقال غفل من زعم انه يجد راحة اذا شارك فى سره غيره لغير ضرورة لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاورة فيه أقل من مشقة الحسد فى انتشاره بسبب المشاركة وضعف مشقة الحذر قال الطغرائى فى لاميته

وياخبيرا على الاسرار مطلعا * اصمت ففى الصمت منجاة من الزلل

قال سيدنا عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فأفشاه الا لمته انى لست أضيق صدرا منه حيث استودعته اياه

وفى المعنى اذا ما ضاق صدرى من حديثى * فأفشته الرجال فمن ألوم

وقد قيل لبنى أمية بعد ذهاب ملكهم ما الذى كان سببا فى زوال الملك عنكم فقالوا أقواما أننا اعتمدنا على المال واستهونا بالرجال فاخذ العدو ما لنا وتقوى به علينا وأبعدنا الصديق وقربنا العدو فصار الصديق عدوا بالابعاد ثم ان المستعصم ومن معه لم يزل فى غفلته لاخفاء ابن العلقمى سائر الاخبار عنه الى أن وصل هلاكو الى بلاد العراق واستأصل من بها وتوجه الى بغداد فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور وندم

أما دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون فسبب دخولهم مصر انه لما مات الامير كافور واضطربت أحوال الديار المصرية وطمعت أهل القرى فى الجند فكتب أعيان مصر الى الملك المعز الفاطمى فارسل اليهم جوهر الصقلى القائد فى مائة ألف مقاتل فدخلوا مصر فى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فهرب أصحاب كافور وأخذ جوهر مصر بلا ضرب ولا طعن وخطب للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها وأمر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع بن طولون أن يؤذنوا بحى على خير العمل التى هى شعار الخوارج فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردا وأرسل بشيرا الى المعز يبشره بفتح الديار

على فعلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتال هلاكو فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال واستمر من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد الانكسار وولوا الادبار وما أغنى عنهم الفرار وغرق كثير منهم فى الدجلة وقتل أكثرهم أشر قتلة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأسر المستعصم هو وأولاده وجماعته وأتى بهم الى هلاكو أسرى أذلاء فسبحان المعز المذل واستبقى هلاكو الخليفة الى أن احتوى على أمواله وخزائنه وذخائره ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذريته وأتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة فى غرارة ويرفس بالارجل الى أن يموت ففعلوا به ذلك وكانت مدة خلافة المستعصم سبع عشرة سنة ومات فى يوم الاربعاء رابع عشر ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وستمائة وانما أزال الله ملكه وأهلكه حيث اتخذ بطانة سوء ومعلوم ان الله اذا أراد بملك سوأ قيض له قرناء السوء ولله در القائل

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

ولم ينل ابن العلقمى ما أراده من نقل الخلافة لمن أراده وذاق من الشنار الذل والهوان وكان حسن لهم أن يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه وصار معهم فى صورة بعض الغلمان ومات كمدا لا رحمه الله وعملت الشعراء قصائد فى بغداد فقال بعضهم

بادت وأهلوها معا فبيوتهم * ببقاء مولانا الامير خراب

(وقال بعضهم) يا عصبة الاسلام نوحى واندبى * حزنا على ما تم للمستعصم
دست الوزراة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقم

ثم انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر ووصل الى مصر فى سنة خمس وخمسين وستمائة واجتمع بالملك الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى له نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال يأتون الى السلطان الذى يريدون توليته ويقولون له وليناك السلطنة هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون لهم أحيانا يطلبون السلطنة بالاسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب ولقبه المتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وفتحت مصر وزالت دولة الجراكسة وعادت مقر الدولة الشريفة القسطنطينية العظمى أخذ المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور وحمله ركنا فلما توفى السلطان سليم المرحوم رحمه الله تعالى عاد الخليفة المذكور الى مصر واستمر بها الى ان توفى فى ثامن عشر شعبان سنة خمسين وتسعمائة زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر جيد منه قوله مضمنا بيتا من لامية الطغرائى

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن * ولا كريم اليه مشتكى حزنى
وانما ساد قوم غير ذى حسب * ما كنت أوثر أن يمتد بى زمنى

فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الآخرة فلقد زالوا وما زالت أخبارهم تروى وأحاديثهم الحسنة على ألسنة الرواة لا تطوى وفى المعنى

كانوا ملوك الارض فى أيامهم * كبراء كل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهنالك هم * تحت الثرى يبلون فى الاكفان
والله وارث كل حى بعدهم * وله البقاء وكل شئ فان

المصرية واقامة الدعوة لها بها وطلبه اليها ففرح بذلك فرحا شديدا ولما دخل جوهر القائد مصر لم يعجبه مدينة الفسطاط فأخذ فى أسباب عمارة القاهرة بنية المفاخرة لبنى العباس ببنائهم بغداد فحفر أساس المدينة وجمع أرباب الفلك فأمرهم أن يختاروا له طالعا سعيدا يضع أساس المدينة فيه فجعل على كل جهة من أساس المدينة قوائم من خشب وبين كل قائمتين حبلا فيه أجراس من نحاس ثم وقف الفلكية ينظرون دخول الساعة الجيدة والطالع السعيد ليضعوا فيه الاساس فقدر الله ان طائرا حرك تلك الاجراس فالقوا ما فى أيديهم من الحجارة فى أساس السور فصاحت عليهم الفلكية القاهر فى الطالع

﴿الباب الرابع فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى أمية والدولة العباسية وما داخلها من بنى طولون والاخشيدية﴾

أول من تقرر فى مصر واليا بعد فتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو

ابن العاص فتح مصر يوم الجمعة سنة عشرين من الهجرة فاختط الفسطاط بنيانا وتولى نيابة مصر واقليمها
وهى طولا من العريش الى اسوان وعرضا من ايلة الى برقة ذكر فى فتوح مصر ان عمرو بن العاص أرسل
الى سيدنا عمر بن الخطاب كتابا يذكر فيه ان الفلاحين يقف عليهم جملة مال فارسل سيدنا عمر بن
الخطاب جوابا يعرفه فيه أما بعد فانى أعلمك أيها الامير اذا كان زمن التخضير وكتبت عليهم سجلات
بتقرير فلا تغير ما كتبت عليهم والحذر من ايصال المضرة اليهم فنحن القادرون عليهم فى الدنيا وهم
خصماؤنا فى الآخرة وكل راع مسؤل عن رعيته واعلم ان الظلم باب لعن الله الداخل فيه والعدل شئ نعتمده
وغضبه فاقصد أمرنا ولا تخالف حكمنا وأنا منك بعيد والله مطلع عليك وشهيد وقد اتصل بنا كتابك
وأنت تذكر فيه ان الزراعين يقف عليهم جملة كثيرة من المال فلا تبع من مواشيهم شيأ فتردهم الى
العدم وتقل بهم النقم واجعل على زراعتهم كل ثقة أمين واذا اعلمت انهم محفوظة مضمونة فوامهم بشئ
من المؤنة وبجوز الايام تهون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وصرف عمرو بن العاص عن ولايته
فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم تولى عبد الله بن أبى سرح من قبل سيدنا عثمان بن عفان
وفى ولايته فتحت الاسكندرية عنوة الفتح الثانى ومكث أميرا على مصر المحروسة ولاية سيدنا عثمان بن
عفان وكان محمودا فى ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها هامات وغزا افريقية وقتل ملكها جرجير وغزا
غزوة الاساورة حتى بلغ دنقلة وغزوة الصوارى ولما جبى خراج مصر بلغ أربعة عشر ألف ألف دينار
فنظر سيدنا عثمان بن عفان الى عمرو بن العاص وقال قد علمت ان اللقحة درت بعدك قال نعم ولكن
اجاعت أولادها ولذى جباه عبد الله بن أبى سرح انما هو على الجماجم خارجا عن الخراج وغيره من
الاموال الديوانية ومات عبد الله بن أبى سرح بعسقلان فى رجب سنة خمس وثلاثين بعد ان استخلف
عقبة بن عامر الجهنى فكانت ولايته احدى عشرة سنة ونصف سنة تقريبا والله أعلم * ثم تولى قيس
ابن سعد بن عبادة الانصارى من قبل سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فاقام يسيرا ومات ثم تولى
محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه من قبل الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فوصل الى مصر
فى نصف رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فبلغ ذلك
معاوية فبعث عمرو بن العاص فى جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أهل مصر
فدخل عمرو بن العاص الى مصر وتغيب محمد بن أبى بكر فظفر به معاوية بن حديج فقتله ثم جعله فى
جيفة حمار وأحرق بالنار لاربع خلون من صفر سنة ثمانية وثلاثين فكانت ولايته خمسة أشهر ثم عاد
عمرو بن العاص من قبل معاوية بن أبى سفيان ثانيا وجعل له مصر طعمة ذكر المقريزى فى
خططه ان عمرو بن العاص قال لقبط مصر من كتم كنزا عنده فقدرت عليه لاقتلنه وان قبطيا من أهل
الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله عنه فانكر وجحد فحبسه وصار يسئل
عنه هل يسئل عن أحد فقالوا له لا ولكن سمعناه يسئل عن راهب فى الطور فارسل عمرو الى بطرس
فنزع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعث الى بما عندك وختم الكتاب بختم بطرس فجاء المرسل
بالكتاب بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها مكتوبا ما لكم تحت الفسقية الكبيرة
فارسل عمرو الى دار بطرس وحبس الماء عن الفسقية فوجد فيها اثنين وخمسين أردب ذهب مضروبة
فضرب عمرو رأس بطرس وأخذ المال جميعا فعند ذلك أخرجت القبط كنوزهم شفقة على أنفسهم وتوفى
عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر سنة ثنتين وأربعين وغسله عبد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى فلم
يبق أحد شهد العيد الا صلى عليه فكانت ولايته منذ افتتح مصر الى ان صرف منها أربع سنين وشهرا
ثم تولى عتبة بن أبى سفيان من قبل أخيه معاوية فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين فأقام ستة أشهر
ثم تولى عامر بن عقبة الجهنى من قبل معاوية وصرف عنها فى شهر ربيع الاول سنة سبع وأربعين
وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ثم تولى مسلمة بن مخلد الانصارى من قبل معاوية وتوفى فى ولايته

يعنون المريخ فانه يسمى
عندهم القاهر فقالوا
اعلموا ان هذه المدينة أكثر
من يملكها الاتراك وكان
الامر كذلك وبنى الجامع
الازهر ثم لما دخل المعز
مصر لم يعجبه ما بناه جوهر
القائد وعابه وقال لاى شئ
لم تجعلها على البحر وكان
قد سماها المنصورية أولا
ثم لما بلغه ما وقع للفلكية
غير الاسم وسماها القاهرة
المعزية ولما استقر للمعز
ملك مصر انفرد بها ولم يدخل
تحت طاعة الخلفاء العباسية
وقال أنا أفضل منهم لانى
من ولد فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأكثر
المؤرخين يكذبونهم فى ذلك
ويقولون انهم أولاد الحسين
ابن محمد بن أحمد القداح
وكان مجوسيا وقيل يهوديا
وأمهم فاطمة بنت عبيد
اليهودى وخلافتهم باطلة
لانهم قاموا والخلافة

بأجمعهم وقتلوه من غير أن يتكلم وكان قتله فى شهر شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة
أشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث يقرأ فى خطبته انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقال الليث
اللهم لا تعتنا ثم تولى عصامة بن عمر وباستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع أخيه بكار
فحارب يوسف بن نصر وهو على جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح فى خاصرة بكار ووضع بكار
الرمح فى خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين واستمر الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة
ثم تولى على بن سنان بن على من قبل الهادى سنة تسع وستين ومائة ولما مات الهادى واستخلف هرون
الرشيد أقر على بن يوسف المذكور فاظهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمور
والكنائس المحدثة بمصر فبذلت النصارى فى عدم هدمها ما يزيد على خمسين ألف دينار فلم يقبل وكان
كثير الصدقات فأثنت الناس عليه خيرا بل أشاعوا انه يصلح للخلافة فسخط عليه هرون وعزله فى ربيع
الاول سنة احدى وسبعين ومائة ثم تولى عيسى بن موسى العباسى من قبل الرشيد فاذن للنصارى فى بناء
الكنائس التى هدمها على بن سنان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن أبى لهيعة ثم صرف عن
مصر سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة اشهر ونصفا ثم تولى مسلمة بن
يحيى البجلى من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها فى شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت
ولايته أحد عشر شهرا ثم تولى محمد بن زهير الازدى من قبل الرشيد فى شعبان المذكور فثار عليه الجند
ولم يستقم حاله فصرف عنها فى غاية ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته خمسة أشهر
ثم تولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى وقدم هو وابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا على محمد الازدى فدخلا
مصر فى المحرم سنة أربع وسبعين ومائة فانزجا العسكر القديم الى الغرب واستقام الحال وسكنت
الفتنة ثم صرف داود المذكور عن ولايته فى المحرم سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة
ونصفا ثم تولى موسى بن عيسى العباسى من قبل الرشيد فى شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائة
وصرف فى شهر صفر سنة ست وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة ثم تولى ابراهيم بن صالح
ثانيا من قبل الرشيد فى غرة ربيع الأول سنة ست وسبعين ومات وتوفى فى ولايته فكان مقامه بمصر
شهرين وثمانية عشر يوما وقام بعده بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم تولى عبد الله
ابن المسيب من قبل الرشيد سنة ست وسبعين فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم
فخرج عليه أهل الحوف فقاتلهم فقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فجهز جيشا عظيما وبعثه
الى الحوف فتلقوه بالطاعة وأذعنوا له وقاموا بالخراج كله ثم صرف عبد الله المذكور فى رجب سنة
ثمان وسبعين ومائة فكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر ثم تولى هرثمة بن أعين من قبل الرشيد فى شهر
رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة فأشار عليه الرشيد بالمسير الى افريقية فكان مقامه شهرين ونصفا
ثم تولى عبد الله بن صالح العباسى من قبل الرشيد فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب وصرف
فى سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت مدته شهرا واحدا ونصفا ثم تولى عبد الله بن المهدى من قبل
أخيه الرشيد فى المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب وصرف فى رمضان فكانت ولايته
تسعة أشهر ثم تولى عيسى بن موسى ثالث مرة من قبل الرشيد فارسل ابنه يحيى خليفة عنه فى رمضان
سنة تسع وسبعين ومائة وصرف فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى
عبد الله بن المهدى ثانيا من قبل أخيه الرشيد فقدم داود بن حباسة خليفة عنه فى جمادى الآخرة سنة
ثمانين ومائة وصرف فى رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وثلاثة أشهر
ثم تولى اسمعيل بن صالح العباسى من قبل الرشيد فى سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب
الخزاعى فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى اسمعيل بن
عيسى العباسى سنة اثنتين وثمانين ومائة وصرف فى رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة

القويم حتى انه تعدى قبحه
الى أخته وأراد أن يفعل
بها الفاحشة فعملت على
قتله فركب ليلة الى الجبل
المقطم ينظر فى النجوم فأتاه
عبدان فقتلاه وحملاه الى
أخته ليلا فدفنته فى دارها
وذلك سنة احدى وأربعمائة
فتصرف خمسا وعشرين
سنة وشهرا واحدا وبنى
الجامع المعروف به الكائن
بالقاهرة فيما بين بابى
النصر والفتوح ولما بناه
قصد قطع الخطبة بالجامع
الازهر فقدر الله انه ما
خطب به الا لولده من بعده
(وتولى من بعده ابنه الظاهر
لدين الله أبو الحسن على بن
الحاكم) وهو الرابع من
الخلفاء العبيدية الفاطمية
وكان عمره ست عشرة سنة
فاقام مثلها وسبعة أشهر
وفعل أفعالا تقرب من
أفعال والده ومات يوم الاحد
سنة سبع وعشرين

شهور ثم تولى الليث بن فضل من أهل بيروت من قبل الرشيد فى سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر فى شوال فجاءه المال والهدايا والتحف واستخلف أخاه الفضل وتوجه بالمال والهدايا الى الرشيد ثم عاد وتوجه ثانيا بالمال واستخلف هاشم بن عبد الله وكان الليث ابن الفضل حمل المال مع الفضل الى الرشيد مشاقا سنة وخرج من حسابها وتوجه بالمال الى الرشيد ومعه الحساب ثم صرف عن مصر فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر ثم تولى أحمد بن اسمعيل العباسى من قبل الرشيد فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة ثم صرف فى رمضان سنة تسع وثمانين ومائة فكانت ولايته سنتين وشهرا ونصفا ثم تولى عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسى من قبل الرشيد فى شوال سنة تسع وصرف فى شعبان سنة تسعين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر ثم تولى الحسين بن جميل من قبل الرشيد فى رمضان سنة تسعين ومائة وصرف فى ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فكانت مدة ولايته سبعة أشهر ثم تولى دلهم الكلبى من قبل الرشيد فى ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة وصرف فى صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر ثم تولى الحسن التحتاح من قبل الرشيد فى ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين ومائة فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة لاخذه فبلغ الحسن فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام وكان سيره فى ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومائة فكانت مدة ولايته سنة واحدة ثم تولى الحاتم بن هرثمة من قبل الامين فى ربيع الثانى سنة أربع وتسعين ومائة وصرف فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر ثم تولى حاتم الاشعث الطائى من قبل الامين وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام السرى بن الحكم عصبيا للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وبايعوا للمأمون لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ست وتسعين ومائة وأخرجوا حاتما الاشعث فكانت ولايته سنة واحدة ثم تولى عبادة بن محمد بن حسان بن أبى نصر من قبل المأمون فى رجب سنة ست وتسعين ومائة فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس رئيس الحوف بولاية مصر وكتب الى جماعة تعاونه ببيعة الامين وخلع المأمون ولما قتل الامين صرف عبادة فى شهر صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر ثم تولى المطلب بن عبد الله الخزاعى من قبل المأمون فى ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائة ثم صرف فى شوال فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى العباس ابن موسى العباسى من قبل المأمون فى القعدة سنة ثمان وتسعين ومائة وعزل سنة تسع وتسعين ومائة ثم تولى المطلب ثانيا من قبل المأمون فى المحرم سنة مائتين وعزل فى شعبان من السنة المذكورة ثم تولى السرى بن الحكم من أهل بلخ من قبل المأمون فى مستهل رمضان سنة مائتين وتوفى السرى المذكور سنة أربع ومائتين وهى السنة التى مات بها الشافعى رضى الله عنه ثم تولى محمد بن السرى المذكور من قبل المأمون وتوفى فى شعبان سنة ست ومائتين فكانت ولايته أربعة عشر شهرا ثم تولى عبيد الله ابن السرى باجماع من الجند وعزله عبد الله بن طاهر من قبل المأمون فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة ومائتين ثم تولى عيسى بن يزيد الجلودى باستخلاف عبد الله بن طاهر الى سابع عشر القعدة سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم تولى الامير أبو اسحق بن هرون الرشيد وهو المعتصم فاقر موسى على الصلاة فقط وجعل صالح بن شيراز على الخراج فظلم الناس فحاربوه وقتلوا أصحابه فى صفر سنة أربع عشرة ومائتين ثم تولى عمر بن الوليد التميمى باستخلاف أبى اسحق بن هرون الرشيد فخرج لقتال الحوف فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائتين فكانت ولايته شهرين ثم تولى عيسى الجلودى ثانيا باستخلاف أبى اسحق ابن هرون الرشيد فحارب أهل الحوف بالمطرية ثم انهزم فاقبل أبو اسحق فى أربعة آلاف من أتراكه فقاتل أهل الحوف وقتل أكابرهم وخرج الى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين فى أتراكه ومعه الاسارى ثم تولى عبدويه بن جبلة من قبل أبى اسحق فاستمر الى غاية سنة خمس عشرة ومائتين

وأربعمائة (وتولى من بعده أبو أحمد المستنصر بالله معد ابن الظاهر) فاقام ستين سنة بتقديم السين المهملة على المثناة الفوقية وأربعة أشهر ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك فى الاسلام قبله وحصل فى مدته غلاء عظيم لم يعهد مثله الا ما كان فى زمن يوسف عليه السلام فمكث سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وخرجت امرأة بعقد جواهر وطلبت عوضه مدبر قمح فلم تجد فالقته وماتت جوعا فلم يوجد من يأخذه وتوفى المستنصر سنة سبع وثمانين وأربعمائة وبعد موته صار التصرف فى الامور لوزرائهم ولم يبق للفواطم من الخلافة سوى الاسم (وتولى من بعده المستعلى بالله) أبو القاسم ولد المستنصر المذكور فاقام

وتوجه الى برقة ثم تولى عيسى بن منصور الرافعي من قبل أبي اسحق المذكور في أول سنة ست عشرة
ومائتين فاختلف عليه عرب مصر وقبطها في جمادى الاولى من السنة المذكورة وخلعوا الطاعة
فقاتلهم وقتل منهم جماعة فكانت حروب عظيمة الى أن قدم عبد الله المأمون الى مصر سنة سبع عشرة
ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه ونسب هذه الفتنة اليه ثم ان المأمون جهز الجيوش لاهل الفساد
وسبى منهم من سبى وقتل منهم من قتل وان المأمون أراد الوقوف على حقيقة الاهرام ففتح ثلمة من الهرم
الكبير الى ان انتهى الى عشرين ذراعا فوجد مطهرة فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقيتان من
أواقينا وكانت ألف دينار فتعجب المأمون من جودة ذلك الذهب وحسن حمرته وقال ارفعوا الى حساب
ما أنفقتموه على هذه الثلمة فرفعوه فوجدوه بازاء ذلك المال لا يزيد ولا ينقص فتعجب من ذلك غاية
العجب وقال كان هؤلاء القوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا ثم رحل المأمون لثمان عشرة ليلة من
صفر سنة سبع عشرة ومائتين قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف في أخبار مصر وعجائبها ان سوريد أحد
ملوك مصر قبل الطوفان هو الذي بنى الهرمين الكبيرين العظيمين المنسوبين الى شداد بن عاد وسبب
بنائهما انه قبل الطوفان بثلثمائة عام رأى سوريد في منامه كأن الارض انقلبت بأهلها وكأن الناس
قد هربوا على وجوههم وكأن الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة فراعه ذلك ولم
يذكره لاحد وعلم انه سيحدث أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بأيام ان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض
في صورة طيور بيض وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكأن الكواكب المنيرة صارت
مظلمة مكسوفة فانتبه فزعا مرعوبا فأمر عند ذلك بعمل الاهرام ولما شرع في بنائها أمر بقطع
الاسطوانات العظام واستخدام الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها
أساس الاهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون وكانوا يدونا البلاطة ويثقبونها ويجعلون بوسطها
قضيب من حديد قائما ويركبون عليها بلاطة أخرى مثقوبة ويدخلون القضيب فيها ثم يذاب الرصاص
ويصب في القضيب حول البلاطة الى أن كملت وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام مائة ذراع بالذراع
الملكي وهو خمسة أذرع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراع العمل
ولما فرغت كساها ديباجا ملونا من أسفلها الى أعلاها وأنشد بعضهم

بعيشك هل أبصرت أعجب منظر * على طول ما أبصرت من هرمي مصر
أنافا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر

(وقال آخر) خليلي ما تحت السماء بنية * تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وذكر القبط في كتبهم ان عليها كتابة منقوشة باليوناني تفسيرها بالعربية انا سوريد الملك بنيت هذه
الاهرام في وقت كذا وكذا وأتممت بناءها في ست سنين فمن أتى بعدي وزعم انه ملك مثلي فليهدمها
في ستمائة سنة وقد علم ان الهدم أهون من البناء وأنا كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر
رجعنا الى ما نحن بصدده ثم ان المأمون ولى مصر بن عبد الله الصفدي المدعو كيدر ومات المأمون سنة
ثمان عشرة ومائتين واستخلف المعتصم فاقر كيدر المذكور ثم مات كيدر المذكور في ربيع الآخر سنة
ست عشرة ومائتين بعد ان استخلف ابنه المظفر ثم تولى ابن أبي العباس من قبل المعتصم في مستهل
رمضان سنة تسع عشرة ومائتين فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ثم تولى كيدر بن عبد الله الصفدي
من قبل المعتصم ولما مات المعتصم وبويع للواثق أقره الى شهر الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين ثم
تولى عيسى بن منصور ثانيا من قبل الواثق سنة تسع وعشرين ومائتين ولما بويع للمتوكل صرف عيسى
المذكور في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ثم تولى منصور بن المتوكل من قبل أبيه المتوكل
وضم اليه المشرق والمغرب واستمر الى سنة احدى وأربعين ومائتين فكانت مدته سبع سنوات ثم

سبع سنين وتوفي سنة
خمس وتسعين وأربعمائة
(وتولى من بعده الآمر
بأحكام الله) أبو علي
المنصور بن المستعلي تولى
وعمره خمس سنين فأقام
تسعا وعشرين سنة وسبعة
أشهر الى أن قتل في الروضة
سنة أربع وعشرين
وخمسمائة وكان رافضيا
خبيثا فاسقا ظالما جبارا
متظاهرا بالمنكرات فكانت
مدة ولايته تسعا وعشرين
سنة وشهرين (وتولى من
بعده الحافظ لدين الله عبد
المجيد) فأقام تسع عشرة
سنة وتوفي سنة أربع
وأربعين وخمسمائة (وتولى
من بعده ولده الظافر
بأعداء الله اسمعيل)
فأقام أربع سنين وسبعة
أشهر الى أن قتل بباب
الزهومة سنة تسع
وأربعين وخمسمائة وهو
الذي عمر جامع الفكهانيين

تولى يزيد بن عبد الله من قبل المتوكل فدخل مصر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو الذى بنى المقياس الموجود الآن والمامات المتوكل وبويع لمحمد المنتصر أقر يزيد المذكور والمامات المنتصر وبويع للمعتز أقر يزيد المذكور وصرف عنها سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكانت ولايته عشر سنوات ثم تولى أحمد ابن مزاحم من قبل المعتز واستمر الى سنة أربع وخمسين ومائتين

﴿الدولة الطولونية﴾

أولهم أحمد بن طولون تولى من قبل المعتز فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين ولما تولى مصر كان على خراجها أحمد بن المدبر وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب أهدى الى احمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار وكان ابن طولون قد رأى عند أحمد بن المدبر مائة غلام قد انتخبهم وصيرهم عدة له وكان لهم حسن خلق وبأس شديد وعليهم أقبية ومناطق كبار عراض وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه فى حافتى مجلسه فاذا ركب ركبوا فى صدور الناس بين يديه فتصير له هيبة عظيمة فى قلوب الناس فتفطن ابن المدبر لقصد ابن طولون وقال من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف فخافه وكره المقام معه بمصر واتفق مع سفيان الخادم صاحب أحمد ابن المدبر على مكاتبة الخليفة بازالة أحمد بن طولون فلم تسكن غير أيام حتى بعث أحمد بن طولون الى أحمد ابن المدبر يقول له قد كنت أعزك الله أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها فرددناها عليك توفيرا ونحب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فانا اليوم أحوج منك فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة هذه أخرى أعظم مما تقدم ولم يجد له بدا من بعثهم اليه فتحولت هيبة أحمد بن المدبر الى أحمد بن طولون ونقصت هيبة ابن المدبر بمفارقة الغلمان فكتب ابن المدبر الى الخليفة يحرضه على عزل ابن طولون فبلغه ذلك فكتم ذلك فى نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز فى رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأقام المهدى بالله ابن الواثق فاقر أحمد بن طولون وزاده اعمالا على مصر من جملتها الاسكندرية وتوجه ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها ولم يزل يستأصل الامور شيأ فشيأ الى ان قويت شوكته وغت عساكره وتغلب وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر وكان حكمه بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف وعشرين ألف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار ومما اتفق انه لما تساقطت النجوم فى أيامه راعه ذلك فاحضر من عنده من المنجمين والعلماء وسألهم فما أجابوا بشئ فدخل الجمل المصرى الشاعر وهم فى الحديث وأنشد

قالوا تساقطت النجو ... م لحادث نظ عميم ... فاجبت عند مقالهم
بجواب محتنك خبير ... هذى النجوم الساقطا ... ت رجوم أعداء الامير

فتفاءل ابن طولون واستبشر وأمر له بخلعة سنية وصلة وقال للجماعة أف لكم أما كان فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا وتوفى أحمد بن طولون ليلة الاحد لعشر بن خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ودفن خارج باب القرافة وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة ذكور وخلف من الذهب عشرة آلاف ألف دينار ومن المماليك عشرة آلاف ومن الغلمان أربعة وعشرين ألفا ومن الخيل عشرة آلاف ومن البغال والحمير ستة آلاف ومن الجمال عشرة آلاف ومن المراكب الحربية مائة مركب قيل انه رأى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال انما البلاء على من ظلم من لا ناصر له الا الله وما على رؤساء الدنيا أشد من الحجاب لطالب الانصاف وقال بعضهم كنت أرى شخصا يقرأ على قبره ثم تركه فسئل عن ذلك فقال كان له علينا بعض احسان فاحببت أن أصله بالقرآن فاتانى فى المنام وقال لا تقرأ على شيأ فانه لا تمر آية الا قيل لى أما سمعت هذه فأقول بلى والله تعالى أعلم (ثم تولى بعده ولده خمارويه) وبايعه الجند يوم الاحد لعشر بن خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين

بالشوايين (وتولى من بعده الفائز عيسى بن الظاهر) وعمره خمس سنين فاقام ست سنين ونصفا ومات سنة خمس وخمسين وخمسمائة (وتولى من بعده العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ) فاقام أحد عشر سنة وستة أشهر وخلع ومات سنة سبع وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين ومدة تصرفهم مائتا سنة قرنان سنين وخمسة أشهر وقد طهر الله منهم البلاد وأراح منهم العباد (ثم) جاءت الدولة الايوبية والكردية السنية أصحاب الفتوحات الذين جددوا الخطبة للعباسية هم اكراد وكان فى خدمة زنكى ثم فى خدمة نور الدين الشهيد وهو الذى أرسلهم الى مصر فأولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حضر مصر مع نور د

فاقتفى ما كان يفعله والده من الخيرات والصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك وأخذ
الميدان وجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر حكى انه شكا الى طبيبه كثرة السهر
فأشار عليه بالتكبيس فأنف وقال لا أقدر على وضع يد أحد على بدني فقال له اصطنع لك بركة طولها
عشرون ذراعا في عرض عشرين وأملأها من الزئبق فاتفق في ذلك أموالا عظيمة وجعل في أركان
البركة سككا من فضة وجعل في السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة وجعل فراشا من أدم يحشى
بالريح حتى ينتفخ وينام على الفرش فصار يرمي ويتحرك بحركة الزئبق مادام عليه فكانت هذه البركة
من أعظم ما سمع بها من همم الملوك وكان يرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب اذا تألف القمر بنور
الزئبق ولقد أقام الناس بعد خراب البركة مدة يحفرون لاجل أخذ الزئبق من شقوق البركة ويبيعونه
وبنى أيضا في داره دارا للسباع وجعل في كل بيت سبعا ولبوة وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها
وكل بيت مفروش بالرمل وفي جانب كل بيت حوض من رخام يصب فيه الماء وكان من جملة هذه السباع
سبع أزرق العينين يقال له زريق وقد أنس بخمارويه وصار مطلقا بالدار لا يؤذي أحدا فاذا نصب
خمارويه مائدته أقبل زريق معها ووقف على يديه فيرمي اليه بدجاجة أو لحم أو غير ذلك مما على المائدة
فيأكله وكان له لبوة لم تأنس كما أنس فكانت في مقصورتها وقت معلوم يجتمع معها فاذا نام خمارويه
قام زريق يحرسه فاذا نام على السرير يراعيه زريق مادام نائما وان كان على الارض أقعى قريبا منه
وينظر الى من يدخل أو يقصد خمارويه ولا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان قد ألف ذلك وكان في عنق
زريق طوق من ذهب وكان لا يقدر أحد يدنو من خمارويه مادام نائما لمراعاة زريق له وحراسته حتى
أراد الله انفاذ قضائه وقدره في خمارويه لما كان بدمشق وزريق بمصر فقتل اذ لا يغني حذر من قدر ومما
أفاده الكمال الدميري في حياة الحيوان ان للسبع أسماء كثيرة وكنى والمتكلمون على طبائع الحيوان
يقولون ان الانثى لا تضع الا جروا واحدا فتضعه لحمة لا حس فيه ولا حركة فتحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي
أبوه بعد ذلك فينفخ فيه مرة بعد مرة فيتحرك ويتنفس ويتشكل ثم تأتي أمه فترضعه ولا يفتح عينيه الا
بعد سبعة أيام من تشكله فاذا مضت عليه ستة أشهر اكتسب التعليم وله صبر على الجوع وقلة الحاجة الى
الماء ما ليس لغيره من الحيوان ولا يأكل من فريسة غيره واذا شبع من فريسته تركها ولم يعد اليها ولم
يشرب من ماء ولغ فيه الكلب ومع افراط شجاعته يفر من صوت الديك ونقر الطشت ومن السنور ويتحير
عند رؤية النار ومتى وضع جلده على شيء من جلود السباع تساقط شعرها ومن دلق عليه قطعة من جلده
بشعرها أمن من الصرع قبل البلوغ فان أصابه الصرع بعد لم ينفعه ومن لطخ بشحمه جميع بدنه هربت
منه السباع ولم ينله مكروه واذا أحرق شعره في موضع هربت منه سائر السباع ولحمه ينفع الفالج واذا
وضعت قطعة من جلده في صندوق مع ثياب لم يصبها سوس ولا أرضة ومما يناسب ما تقدم من حراسة السبع
ان شخصا مغربيا أخبرني شفاها في سنة ثلاثين وألف أن شخصا من قرية من قرى جزائر الغرب ذكر له
ان شخصا من أقاربه اجتاز ببعض الاودية فرأى جرو سبع ضرير العينين قدر القط فالتقطه وجاء به
الى منزله وكانت زوجته مرضعة ومعها ولد فالقمت الجرو ثديها فأرضعته واستأنس بها فصار الولد والجرو
كالتوأمين ولما كبر الولد وانتشى وبقي له حركة في المشي والدخول والخروج فكان الجرو يتبع
الولد أينما سار وأينما نام ينام بازائه واذا سرح بغنمه يتبعه ويراعيه ويحرسه اذا نام الى أن صار الولد
رجلا والجرو سبعا فقدر الله أن الولد عشق بنتا من بنات قرية قريبة لقريته فكان يتوجه لها ليلا وهو
راكب السبع واذا قرب من القرية التي فيها البنت يقول للسبع اجلس ههنا حتى اقضي مرادي وأعود
اليك فيجلس السبع خارج القرية الى أن يعود اليه الولد فاتفق ان أهل البيت فطنوا بالولد المذكور
فقبضوا عليه وقتلوه فاقام السبع ينتظره الى أن طلعت الشمس فلم يحضر فظن السبع ان الولد توجه الى
أمه فكر راجعا الى منزل الولد فلم يجده فقالت أم الولد للسبع يا ميشوم أين صاحبك فذرفت عيناه

الدين الشهيد لما أرسل له
العاضد الفاطمي يستعين
به على الافرنج الذين حضروا
الى مصر وأخذوا مدينة
بلبيس وقتلوا وأسروا ثم
راموا أخذ القاهرة فأمر
شاور الوزير بحرق مصر
والنقلة الى القاهرة فالتهبت
النار فيها أربعة وخمسين
يوما ثم لما توجه نور الدين
الشهيد من الشام هرب
الافرنج لما سمعوا وصوله
وقتل الوزير شاور لانه كان
الذي أطمع الافرنج في
المسلمين وأقام العاضد
مقامه وزيرا ومات فأقام
مقامه في الوزارة يوسف
صلاح الدين ولقبه بالملك
الناصر فقام بالسلطنة
أتم قيام وأجلى الافرنج
من أرض مصر واستمر
وزيرا للعاضد الى أن مات
فتولى صلاح الدين
السلطنة واستولى على قصر
الفواطم بخزائنه فوجد فيه

بالدموع وكر راجعا على أثره للقرية التى كان بها الولد فقتل من أهلها فى ساعة واحدة ما يزيد على عشرين نفرا وكلما دخل السبع منزل الولد يجد أمه تبكى فيعود الى القرية ويقتل من أهلها من يظفر به الى ان قتل جملة من أهلها ثم ان الذى بقى من القرية شكوا أمرهم لحاكم الولاية فاستشار الناس فى قتله فأشار واعليه بانه لا يمكن قتله الا أن تحضر به أم الولد و يستأنس بها فاذا استأنس بها يضرب برصاصة فيقتل ففعل به ذلك وقتل السبع بهذه الحيلة * رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر خارويه فانه لما تكامل عزه وانتهى أمره توجه الى دمشق فقتل بها على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل فى صندوق الى مصر وكان له يوم عظيم ومن كلام الحكماء ان بطانة الرجل وأهله اذا خانوه فسد حاله فكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما والله سبحانه أعلم (ثم تولى أبو العساكر بن خارويه) فى عاشر القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على أمور منكرة وقتل فى جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين فكانت ولايته ثمانية أشهر واثنى عشر يوما (ثم تولى أبو موسى هرون بن خارويه) فابتدأ بتشاغله باللهو واللذات فاجتمع عماه شيبان وعدى ابنا أحمد بن طولون على قتله فدخلا عليه ليلة الاحد عاشر صفر سنة احدى وتسعين ومائتين فقتلاه وكان سنه اثنتين وعشرين سنة وولايته ثمان سنين وثمانية أشهر (ثم تولى أبو المغازى شيبان بن أحمد) بن طولون فى عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين فانكر عليه قواد هرون بن خارويه وخالفوا شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر فى عسكر جرار فخاف شيبان وطلب الأمان فأمنه محمد بن سليمان وقبض عليه فى ثامن ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين فكانت ولايته اثنى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان فى أوائل ربيع الاول المذكور فالقى النار فى القطائع ونهب أصحاب السطاط وكسر السجن وأخرج من فيه واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وفعل كل قبيح وأخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقوادهم فى اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت منهم الديار وآلوا الى البوار فكانت مدة الدولة الطولونية سبعة وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما فسبحان المعز المذل ولما خربت القطائع وأنشد ابن هشام يقول

يا منزلا لبنى طولون قد دثرا * سقاك صوب الغوادى القطر والمطرا
بالله عندك علم من أحبتنا * أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

ثم عادت الدولة العباسية بمصر فى خلافة المكتفى وفى ذلك يقول أحمد بن محمد

الحمد لله اقرارا بما وهبا * قد كان بالامس شعب الحى فانشعبا
الله أصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة حقا لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدها * وفرج الظلم والاظلام والكربا
لما أطال بنو طولون خطبهمو * بين الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكراك بقعته * وشتت الشمل شيبان وما رهبا
فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم * كأنما من زمانى غابر ذهبا

ثم تولى عيسى النوشرى من قبل المكتفى وقدم الى مصر فى سابع جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومائتين فتصرف خمس سنين وشهرين ونصفا الى ان توفى بمصر وحمل الى بيت المقدس ودفن به فى شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ثم تولى تكين الحرورى من قبل المقتدى فى حادى عشر شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وفى ولايته جاء حباسة بن يوسف من قبل عبد الله الفاطمى صاحب افريقية واستولى على برقة ثم سار الى الاسكندرية فى زيادة عن مائة ألف وذلك فى المحرم سنة اثنتين وثلثمائة فقدمت العساكر من العراق مددا لتكين وبرزت العساكر فكانت واقعة حباسة مشهورة قتل فيها آلاف من الناس ورد حباسة ولم يظفر بمراده فكانت مدة تصرف تكين خمس سنين وشهرين وعزل

من الاموال مالا يحصى وشرع فى نصر أهل السنة وتوهين أهل البدعة والانتقام من الروافض وكانوا أكثر من فى أرض مصر يومئذ وعزل قضاة مصر كلهم منهم لانهم كانوا شيعة وقطع الاذان بحى على خير العمل أول جمعة فى المحرم سنة سبعة وستين وخمسمائة ثم تحركت همته لغزو الافرنج فمكنه الله تعالى منهم ويسر فتح بلاد الشام كلها وفتح بيت المقدس سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بعد استيلاء الافرنج عليه وعلى الخليل احدى وسبعين سنة وهدم ما أحدثوه من الكنائس وبنى موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية وكان يقدمهم لكونه كان شافعيا وأبطل المكوس والمظالم وأخلى ما بين الشام ومصر من الافرنج ثم

آخرسنة اثنتين وثلثمائة ثم تولى أبو الحسن زنكى الاعور الرومى من قبل المقتدر فى ثانى عشر صفر سنة ثلاث وثلثمائة ثم ان المهدى صاحب افريقية سير عسكرا صحبة أبى القاسم فدخل الاسكندرية فى ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس الى مصر براو بحرا وخرج زنكى الاعور والجند الى الجيزة وحفر واخندقا على العسكر فمرض زنكى ومات فكانت مدة تصرفه أربع سنين وشهرا ودفن فى تاسع ربيع الاول سنة سبع وثلثمائة ثم تولى تكين ثانيا فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب الغرب فظفر بها وقدم مؤنس الخادم من بغداد فى نحو ثلثمائة ألف فوقع بينه وبين أصحاب المهدى حروب بالفيوم والاسكندرية ورجع أبو القاسم تابع المهدى الى برقة وأقام تكين سنة واحدة وشهرا ثم تولى هلال بن بدر من قبل المقتدى فبعث الجند على هلال وكثر النهب والقتل والفساد بمصر فصرف عنها فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة ثم تولى أحمد بن كيغلغ من قبل المقتدى فى رجب سنة احدى عشرة وثلثمائة وعزل فى القعدة ثم تولى تكين ثالثا من قبل المقتدى فى المحرم سنة اثنى عشرة وثلثمائة فقتل المقتدى فى شوال سنة عشرين وثلثمائة وبويع لابى المنصور القاهر فأقر تكين الى أن توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وحمل الى بيت المقدس ودفن به فكانت ولايته تسع سنين وشهرا ثم تولى الاخشيد واسمه محمد بن طغج الفرغانى المدعو أبا بكر من قبل القاهر فمكث اثنين وثلاثين يوما ثم تولى أحمد بن كيغلغ ثانيا من قبل القاهر فى شوال سنة احدى وعشرين وثلثمائة فأقام سنة واحدة وبويع للراضى بالله والله تعالى أعلم

﴿ذكر الدولة الاخشيدية﴾

ثم ان الاخشيد تغلب وأخذها قهرا من الراضى فى سنة أربع وعشرين وثلثمائة وقدم أبو الفتح بن جعفر بالحلم للاخشيد ووقع حروب انهزم بها اتباع أبى الفتح الى برقة وسار والى الشام امر الله محمد بن المهدى بالمغرب وحرضوه على أخذ مصر ثم ورد كتاب من بغداد الى الاخشيد بالزيادة فى اسمه ودعى له بذلك على المنبر فى رمضان سنة سبع وعشرين وثلثمائة ولما بويع للمتقى أقر الاخشيد ولما خلع المتقى وبويع للمستكفى ودعى الطائع فاقر الاخشيد وتوفى الاخشيد فى ثالث عشر الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة فمدته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر والله أعلم (ثم تولى أبو القاسم احمد ولد الاخشيد) من قبل المطيع والكلام لكافور الاخشيدى وفى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وقع حريق بمصر فى سوق البزازين وقيسارية العسل ودخل الليل والنار على حالها لم تنطفئ وبات الناس على خطر عظيم فركب كافور وأمر بالنداء من جاء بقربة أوكوز فله درهم فكان مبلغ ما صرف عشرة آلاف درهم وكان جملة ما احترق غير البضائع والامتعة ألف وسبعمائة دار فأقام أبو القاسم أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة (ثم تولى أبو الحسن على ولد الاخشيد) فأقام خمس سنين وشهرين والكلام لكافور الاخشيدى (ثم تولى كافور المكنى بأبى المسك الاخشيدى) وكان خصيا أسود بيع بثمانية عشر دينارا وقد سبقت له من الله السعادة كما قيل فى المعنى

وإذا السعادة صادفت عبد الشرا * نفذت على ساداته أحكامه

تولى فى صفر الخير سنة خمس وخمسين وثلثمائة وكان يعطى العطاء الجزيل حتى اتفق أنه وقع فى أيامه زلزلة فدخل محمد بن عاصم الشاعر فأنشد قصيدته التى منها

مازلزلت مصر من سوء يراد بها * لكنها رقصت من عدله فرحا

وأجازه بألف دينار ومما اتفق أيضا ان رجلا دخل على كافور ودعا له فقال فى دعائه أدام الله أيام مولانا وكسر الميم فى أيام فتحدث جماعة من الحاضرين فى ذلك وعابوه فقام رجل من وسط القوم وأنشد مرتجلا

لا غرو ان لحن الداعى لسيدنا * أوغص من دهش بالريق أو بهر

فتلك هيبة جلت جلالتها * بين الاديب وبين العجم بالحصر

اوفتح الحجاز واليمن وتسلم دمشق بعد موت نور الدين وفتح عسكره طرابلس الغرب وبرقة وتونس وخطب بها لبنى العباس وصار سلطان مصر والشام والحجاز واليمن والمغرب ولم يل مصر بعد الصحابة مثله كانت مجالسه منزهة عن اللغو والهزل كثير الذكر محافظا على الصلوات فى الجماعة وما وجبت عليه زكاة لان الجهاد وصدقة التطوع استغرقا أمواله كلها ورحل بولديه العزيز والافضل لسماع الحديث من السلفى بالاسكندرية وهذا لم يعهد لسلطان من زمن هرون الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطا من مالك بالمدينة وفى زمنه جاءت الافرنج الى ثغر دمياط بمائتى مركب علوأة بالعساكر فسار اليهم صلاح الدين بعساكر كثيرة

وان يكن خفض الايام من غلط * فى موضع النصب لامن قلة النظر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفأل نأثره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب * وان أوقاته صفو بلا كدر

فأجازه كافور بجائزة عظيمة وهذا الجوائز التى حثت احمد بن الحسين المتنبى الى المجىء الى كافور وقد مدحه أبو الطيب فقال

واخلاق كافور اذا ماشئت مدحه * وان لم تشأ تملى على فاكتب

ذكر صاحب القاموس ان المتنبى خرج الى بنى كلب وادعى انه حسنى ثم ادعى النبوة فشهد عليه بالشام وحبس ثم استتيب وأطلق وكان المتنبى مع كثرة ماله وأخذه الجوائز العظيمة على جانب عظيم من البخل وكان يقف بين يدى كافور بخفين ومنطقة ويحضر سماطه ويجىء بصحبته غلام أسود ومعه قدور خزف يأخذ فيها فضلات الطعام حكى عنه انه طلب نداف ليعمل له جبابا فأقام عنده سبعة أيام فأعطاه سبعة قراريط من دينار فصعب عليه ذلك فقال له كم ظننت انى أعطيك فقال سبعة دنانير فقال المتنبى والله لو وضعت رجلا على طور زيتا ورجلا على طور سينا وتناولت قوس قزح وقاعة العرش وندفت قطن الغمام على جباه الملائكة ما أعطيتك دينارا فضلا عن ان أعطيك سبعة دنانير وان المتنبى طالما امتدح كافور بقصائد طنانة فى غرر قصائده

فجاءت به انسان عين زمانه * وخلت عيونا خلفها وأماقيا
قواصد كافور ستترك غيره * ومن ورد البحر استقل السواقيا

فاجازه كافور بجوائز عظيمة ومما اتفق ان المتنبى دخل على كافور فى وقت من الاوقات وطلب منه شيأ وكان الوقت غير لائق للطلب فحصل من كافور تراخ وتغافل فخرج من عنده مغضبا وهجاه فقال

من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد
وذاك أن الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود
العبد ليس بحر صالح وأخ * لو انه فى ثياب الحر مولود
لا تشترى العبد الاوالعصى معه * ان العبيد لأنجاس مناكيد

روى عن وهب بن منبه انه قال اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك ومن عجيب ما اتفق للمتنبى مع عبد أسود لسعيد بن مهنا وهو ان العبد جاء الى عطار يطلب منه بضائع وكان المتنبى جالسا بحانوت العطار المذكور فقال العبد هات بذى البيضة فلفل وبذى البيضة حنا فقال له المتنبى عبد من أنت فقال انى عبد سعيد وسعيد بن مهنا ثم ان العبد سأل العطار عن المتكلم وقال من هذا فقال له هذا المتنبى الشاعر فتقرب منه وقال

يانسمة اصلك هبى * على قفا المتنبى * ويا قفاه تدانى
حتى تصير بقربى * وراحتى اصفعاه * طرطاق وطرطاق طبى
ان كنت أنت نبى * فالقرد لاشك ربى

فلم يجبه المتنبى وقال للعطار ان هذا العبد يموت بعد ثلاثة أيام لشدة حذقه فكان الامر كذلك رجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار كافور حكى عنه انه كان جالسا فى بعض الايام على تخت ملكه وأرباب دولته وخدمه واقفون بين يديه فسمع سماعا بآلات مطربة وايقاع منهم فحرك كتفه على ايقاع السماع ففطن به أرباب الدولة فخشى من انتقادهم عليه فتخذها عادة الى أن مات ولا عجب فى ذلك فقد قيل لو نزل زنجى من السماء لنزل على الايقاع وقيل أكلت السودان لحوم القردة فأورثهم الرقص والغالب على السودان من رجال ونساء التخلع والتصنع فى حركاتهم ومجيئاتهم وعلى الخصوص اجتماعهم فى الافراح والزفاف ورقصهم على طبلهم وطنبورهم وذلك مستمر الى الآن بمصر من الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم اشتروا الرقيق وشاركوهم فى أرزاقهم واياكم والزنج فانهم قصيرة أعمارهم قليلة أرزاقهم

من مصر وقاتلهم فانهزموا ورجعوا الى بلادهم وكانت مدة ولايته اثنتين وعشرين سنة وشهرين وتوفى سنة تسع وثمانية وخمسمائة بمحروسة دمشق وعمره سبع وخمسون سنة وقبره بها ظاهر بزار (ثم تولى من بعده ولده عثمان) وأعطيت دمشق لاخيه الملك الافضل على وحلب لاخيه غياث الدين غازى فاقام عثمان خمس سنين وعشرة أشهر ومات سنة خمس وتسعين وستمائة ودفن بداره فى القاهرة ثم نقل لتربة الامام الشافعى قبل بناء القبة (ثم تولى من بعده الملك المنصور محمد بن عثمان) وهو الثالث من ملوك بنى أيوب فاقام سنة واحدة وشهرين وعزل لصغره فانه ولى وعمره تسع سنين ثم وضع فى السجن بقلعة الجبل حتى مات

قال الشارح الاسود انما هو لبطنه ان جاع سرق وان شبع فسق وقال جالينوس اختصت السود بعشرة خصال تفلفل الشعر وخفة الحاجبين وانفتاح المنخرين وغلظ الشفتين وحدة الاسنان ونتن الجلد وسواد اللون وتشقق الكعاب وطول الذكر وكثرة الطرب ومدة تصرف كافور سنتان وأربعة أشهر وتوفى فى عشرى جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودفن بالقرافة وله قبر مشهور والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى أبو الفوارس احمد بن على الاخشيدى) وعمره اثنتا عشرة سنة فأقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكان مدة تصرفهم أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما

الباب الخامس فى دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون

واختلف المؤرخون فى نسبهم وهم ينتسبون الى فاطمة الزهراء رضى الله عنها وطعنوا فيهم بأنهم من أولاد الحسين بن محمد بن أحمد القداح وكان القداح مجوسيا وكان ابتداء ظهورهم عبيد الله بن المهدى وثانيهم المنصور وثالثهم المعز لدين الله وهو الذى انتقل من بلاد الغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وكان السبب فى ملكها انه لما مات كافور جهز جوهرا القائد بعسكر عظيم ومعه ألف حمل من السلاح ومن الخيل ما لا يوصف فملك مصر ذكر المقريزى فى خططه ان مصر قبل ان ينقل كرسى الامارة منها كان بها من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة بالقرافة كان لا يتوصل اليه الا بعد عناء شديد من الزحام وكان قبالته فى كل يوم خمسمائة درهم وكان بها من الجهة الشرقية حمام من بناء الروم فدخله شخص وطلب صانعا يخدمه فلم يجد صانعا متفرغا وكان مع كل صانع اثنان أو ثلاثة فسأل كم فيها من صانع فأخبران بها سبعين صانعا أقل صانع معه ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج ثم طاف غيره فلم يجد من يخدمه الا بعد أربع حمامات وقيل ان الاسطال الذهب التى كانت تدلى من الطاقات المطلة على النيل ويملأ بها كان عدتها ستة عشر ألف سطل ولا يخفى ما مضى عليها الآن من الخراب ودثور الاماكن وان ماء النيل لا يتوصل الى الاماكن المطلة على النيل الا أوان الزيادة فسبحان الحى الذى لا يزال ملكه لا اله الا هو وان جوهرا القائد لما انتظم حاله ضاقت مصر بالجند والرعية فاختط سور القاهرة وبنى بها القصور وسماها المنصورية فلما قدم المعز الى مصر من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة والسبب فى ذلك ان جوهرا القائد لما أراد رمى أساس السور جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الاساس وطالعا لرمى الحجارة فجعلوا قوائم من خشب بعدما حفروا الاساس بين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس وأمروا البنائين حال تحريك الاجراس أن يرموا ما بأيديهم من الطين والحجارة فوقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع فاتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب فظن الموكلون بالاجراس ان المنجمين حركوها فالقوا ما بأيديهم من الحجارة والطين فى الاساس فصاح المنجمون لا لا القاهر فى الطالع فمضى ذلك وفاتهم ما طلبوه وكان الغرض أن يختاروا طالعا لاخروج البلد عن نسلهم فوقع ان المريخ كان فى الطالع وهو يسمى عند المنجمين القاهر فعلم ان الاتراك لا بد أن يملكوا هذه البلدة وأقليمها فسماها القاهرة وغير اسمها الاول ويأبى الله الا ما أراد وان جوهرا القائد دبر أرض مصر أربع سنين وبنى الجامع الازهر وكان نهاية بنائه فى سابع رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفى المعز سابع ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة ودفن فى قصره بالقاهرة وكان أحضر معه بتوابيت آبائه وأجداده ودفنهم فى قصره ومدة تصرفه فى القاهرة ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى العزيز أبو النصر نزار بن المعز) فأقام احدى وعشرين سنة ونصفا وتوفى فى حمام ببلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة والله أعلم (ثم تولى الحاكم بأمر الله) أبو على المنصور وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان يروم أن يدعى الالوهية كما ادعاها فرعون قال الشيخ عماد الدين بن كثير فى تاريخه كان الحاكم أمر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنابر تقوم على أقدامهم صفوفا اعظاما لذكره المنحوس وكان يفعل ذلك

(وتولى من بعده عمه أبيه أبو بكر بن أيوب) سنة ست وتسعين وخمسمائة وهى السنة التى ولد فيها سيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه ولقب بالملك العادل ودعى له ولولده الكامل فى الخطبة وفى زمنه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل فى سنة أربع وستمائة واول من حكمها الكامل نائبا عن أبيه ثم توفى العادل سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة وأربعين يوما (وتولى من بعده ولده الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد) فعمر قبة الامام الشافعى والمدرسة التى بين القصرين المعروفة بالكاملية وأقام عشرين سنة وشهرين وتوفى سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بدمشق وتولى من بعده

في سائر الممالك حتى في الحرمين الشريفين وكانت أموره متضادة لانه كان عنده شجاعة واقدام وجبن واحجام ومحبة للعلماء وانتقام من العلماء وميل الى أهل الصلاح وقتلهم وكان عنده السخاء ويبخل بالقليل وقتل من العلماء مالا يحصى وأمر بسب الصحابة ومنع صلاة التراويح مدة ثم أباحها وكان يعمل الحسبة بنفسه فيدور في الاسواق على حمار فمن وجده من البياعين وزن بخسا أوغش في صنعته أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى في وسط السوق وأمر أن يعلق في أعناق النصارى الصلبان وأن يكون طول الصليب ذراعا وزنته خمسة أرطال وأمر أن يجعل في أعناق اليهود الاجراس اذا دخلوا الحمام ليعرفوا من المسلمين وأن يلبسوا العمائم السود وصنف له بعض الباطنية كتابا وكتب فيه ان روح آدم انتقلت الى على وان روح على انتقلت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب في الجامع الازهر بالقاهرة فقصد الناس قتل مؤلفه فسيره الحاكم الى جبال الشام واستمال الناس اليه وأعطاهم المال وأباح لهم الخمور والزنا حتى ان جماعة الى الآن يعتقدون رجوع الحاكم ولا بد أن يعود ويمهد الارض وتلك خيالات كاذبة وظنون فاسدة والكتاب بجبال الدروز الى الآن ذكر الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخه ان الحاكم لما زاد ظلمه عن له ان يدعى الربوبية فادعى علم المغيبات فكان اذا صعد المنبر يقول فلان فعل في بيته كذا وكذا أو كل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وغيرهم فرفعت اليه في اثناء ذلك رقعة مكتوب فيها

بالجور والظلم قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا صاحب البطاقه

فلما رآها سكت عن الكلام في المغيبات وكان هو وأسلافه بمصر يدعون الشرف ويريدون بذلك الافتخار على بني العباس خلفاء بغداد ويقولون أبونا على وأمنا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الحاكم يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فرفعت اليه رقعة فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على السامع في الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا * فصف لنا نفسك كالطالع
أو كان حقا كل ما تدعى * فاعدد لنا بعد الاب السابع
أودع الاشياء مستورة * وادخل بنا في النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد أقول وما عليه بعض الناس الآن وقبل الآن من الدخول في الانساب الشريفة والانتفاء من الانساب الخبيثة هذا مما لا يحتاج في دعواه الى بينة وقد شاهدنا كثيرا من الناس ممن هو ليس بشريف ولا أخذ الشرف لا من أبيه ولا من جده قد ادعوا الشرف وعلقوا على رؤسهم العصائب الخضر بل العمائم الخضر فقويت شوكتهم وزادت شرتهم وصار كل منهم يقول أنا من أبناء الرسول يقصدون بذلك الرفعة وهم في الحقيقة موضوعون فانا لله وانا اليه راجعون وفي المعنى

فتى لما رأى الانسان نحرا * تناول غير نسبة والديه
ويرضى ان يقال له شريف * ومن يرضى اذا كذبوا عليه

روى عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر بالله من تبرأ من نسب وان دق وادعى نسبا لا يعرف رواه أحمد والطبراني في الصغير وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعون رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى نسبا لا يعرف كفر بالله ومن تبرأ من نسب وان دق كفر بالله رواه الطبراني

ولده (العادل أبو بكر وعمره ثمان عشرة سنة فأقام سنة وشهرين وأياما وقيل أكثر ثم خلع وسجن سنة تسع وثلاثين وستمائة وقتل بعد ذلك ودفن عند الامام الشافعي (وتولى من بعده أخوه الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل فأقام عشر سنين الا أربعة أشهر وبنى المدارس الاربعة بين القصرين وعمر قلعة بالروضة واشترى ألف مملوك وأسكنهم بها وسماهم المماليك البحرية وهو الذى أكثر من شراء الترك وعتقهم وتأميرهم وفي أيامه في سنة سبع وأربعين هجمت الافرنج على دمياط وهرب من كان فيها وملكوها والملك الصالح مقيم بالمنصورة فقاتلهم فادركه أجله ومات فاخفت جاريته شجرة الدر موته وصارت تعلم بعلامته مدة وحل من المنصورة الى

فى الاوسط ولولا خوف الاطالة فى هذه العجالة لبسطت القول الى الغاية وفيما اوردناه كفاية والله أعلم
وفى سنة ثمان واربعمائة ظهرت سمكة بدمياط طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت
حمير الملح تدخل فى فيها محملة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال ومعهم المجاريف يجرفون الشحم من
جوفها ويناولونه الناس وأقام أهل تلك النواحى مدة يأكلون من لحمها كذا ذكر ذلك المقريزى فى خططه
عند ذكر دمياط أقول اذا ضربت عرض هذه السمكة فى طولها بطريق المساحة فتبلغ ما قدره ستة
وعشرون ألف ذراع فيكون ذلك ستة أميال ونصفا فان الثلاثة أميال فرسخ والميل ألف ذراع والبريد
أربعة فراسخ فيكون طولها ثلاثة أرباع بريد فسبحان الخالق المصور لا اله الا هو وحكى انه كان فى
زمن الحاكم بمصر رجل يسمى وردان وكان جزارا متعيشا بلحم الضأن وكان كل يوم تأتيه امرأة بدينار
مصرى يقارب زنته دينارين ونصفا وتقول له اعطنى خروفا فتحضر معها حمالا بقفص فتأخذه وتروح
الى ثانى يوم تأتى وتأخذ خروفا فكان كل يوم يكتسب منها دينارا فاقامت مدة طويلة على ذلك ففكر وردان
ذات يوم فى أمرها وقال هذه امرأة كل يوم تشترى منى بدينار ما غلطت يوما بدرهم هذا أمر عجيب
فسأل وردان الحمال فى غيبة المرأة فقال له أنت كل يوم تروح مع هذه المرأة الى أين فقال له أنا فى غاية
العجب منها كل يوم تحملنى الخروف من عندك وتشترى الحوائج والفاكهة والنقل والشمع بدينار
آخر وتأخذ من شخص نصرانى مروقتين نبيذ وتعطيه دينارا وتحملنى الجميع الى بساتين الوزير ثم تعصب
عينى بحيث انى لا أنظر موضع قدمى وتأخذ بيدى فما أعرف أين تذهب بى ثم تقول لى حط هنا وعندها
قفص آخر فتعطينى الفارغ وتعود تمسك يدى الى الموضع الذى شدت عينى بالعصابة فيه فتحلها وتعطينى
عشرة دراهم فقلت له الله يكون فى عونها وقد تزايد عندى الفكرة والوسواس وبت فى قلق عظيم فلما
أصبحت أتتنى على العادة واعطتنى الدينار وأخذت الخروف وحملته للحمال وراحت فاوصيت صبى على
الدكان وتبعتها بحيث لا ترانى وأنا أعاينها الى ان خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها الى أن وصلت الى
بساتين الوزير فاختفيت حتى شدت عينى الحمال وتبعتها من مكان الى مكان الى أن وصلت الجبل فوصلت
الى مكان فيه حجر كبير وحطت عن الحمال وصبرت الى أن عادت بالحمال ورجعت فنزعت جميع ما كان
بالقفص وغابت ساعة فاتيت ذلك الحجر فوجدته يحاذى الطابق نحاس مفتوح ودرج داخله فنزلت الى
تلك الدرج قليلا قليلا فوصلت الى دهليز طويل فمشيت فيه وهو كثير النور حتى رأيت صفة باب قاعة
فارتكنت فى زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت بها فوجدت صفة صغيرة بها
طاقات تشرف على القاعة فتسلقت على القاعة فوجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه أطايبه
وعملته فى قدر ورمت الباقى الى دب كبير عظيم الخلقة فأكله عن آخره وهى تطبخ فلما فرغت أكلت
كفايتها ومدت الفاكهة والنقل ووضعت النبيذ وصارت تشرب بقدح بلور وتسقى الدب بطاسة من
ذهب حتى انتشت فنزعت لباسها ونامت فقام اليها الدب فواقعها وهى تعاطيه من أحسن ما يكون لبنى
آدم من الغنج والشهيق حتى أفرغ وجلس ثم وثب عليها ولم يزل كذلك حتى واقعها عشر مرات ووقع
ووقعت وهما مغشيان عليهما لا يتحركان فقلت هذا وقتى وايش انتظر فنزلت ومعى سكين تبرى العظم
فوجدتهما لا يضرب لهما عرق لما قد نالهما من الشدة فلم اتردد ان جعلت السكين فى نحر الدب واتكيت
عليه ففصلت رأسه عن بدنه فبقى له شخير قلب المكان فانتبهت المرأة مرعوبة فرأت الدب مذبوحا وأنا
واقف والسكين بيدى فزعقت ظننت ان روحها قد خرجت وقالت يا وردان هذا جزاء الاحسان فقلت لها
يا عدوة نفسها عدمت الرجال حتى تفعلى هذا الفعل الذميم فاطرقت الى الارض لا ترد جوابا وتأملت الدب
وقد نزعت رأسه فقالت يا وردان أيما خير لك ان تسمع الذى أقول لك ويكون سبب سلامتك وغناك الى
آخر الدهر أو أهلكك فقلت قولى قالت تذبحنى كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وروح
فقلت لها انا خير من هذا الدب فارجعى الى الله وتوبى وأنا اتزوج بك ونعيش باقى عمرنا بهذا الكنز فقالت

القاهرة ودفن بقبة بنيت له
بجوار مدرسته وساست
شجرة الدر الناس أحسن
سياسة وأعانت أعيان
الامراء فأرسلوا الى ابنه
توران شاه واحضروه وكان
بديار بكر فملكوه فركب فى
عصائب الملك وقاتل
الافرنج وكسرهم وقتل
منهم ثلاثين ألفا وأسر
الفرنسيس ملك الافرنج
وحبس مقيدا ووكل بحفظه
طواشى يقال له صبيح وبقى
أسيرا الى ولاية شجرة
الدر فاتفقت مع الامراء على
اطلاقه بشرط ان يردوا
دمياط الى المسلمين ويعطوا
ثمانية آلاف دينار عوضا
عما نهب من دمياط
ويطلقوا أسرى المسلمين
التى بأيديهم ففعلوا وأقام
توران شاه فى المملكة شهرين
ثم قتل وتولت من بعده شجرة
الدر أم خليل سرية الملك
الصالح لحسن سيرتها

يا وردان ان هذا بعدما بقيت أعيش بعده والله لئن لم تذبحني لاتلفن روحك فلا تراجعني تتلف والسلام فقلت الى سقر وجذبتها بشعرها فذبحتها ووجدت من الذهب والفصوص واللؤلؤ والجواهر ما لا يقدر عليه أحد فأخذت قفص الحمال ووضعت فيه من الجواهر واليواقيت والذهب ما أطيق حمله وسترته بقماشي الذي كان علي وطلعت ولم أزل سائرا الى باب مصر واذا بعشرة من رسل الحاكم والحاكم معهم فقال يا وردان قلت لبيك قال قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطيب قلبك فكل هذا لا ينازعك فيه أحد فوضعت القفص بين يديه فكشفه ورآه وقال حدثني حتى كأني حاضر فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول صدقت ثم قال يا وردان قم سلم الى الكنز فأتيت به اليه فوجدت الطابق مغلقا فقال الحاكم شله يا وردان فقلت والله لا أطيقه فقال يا وردان هذا الكنز لا يقدر أن يفتحه أحد غيرك فهو باسمك يفتح قال فتقدمت اليه وسميت الله تعالى ومددت يدي الى الطابق فانشال أخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فانه لا ينزل له الا من هو باسمه وهذا على اسمك من حين وضع وقتل هؤلاء على يديك وهو مؤرخ عندي وكنت أنتظره حتى وقع قال وردان فنزلت فنقلت له جميع ما في الكنز ودعا بالدواب وحمله وأعطاني قفصي بما فيه فأخذته وعمرت به السوق المعروف بسوق وردان وعاش وردان في أرغد عيش وهذا اتفاق عجيب روى عن محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي ان أبا عبيد وردان مولى عمرو بن العاص كان روميا يقال انه من سبي أصبهان ويقال انه من روم أرمينية ويقال من روم الشام ويقال من روم ترابلس الغرب حضر فتح مصر واختط دار عمر بن مروان واختط له دارا في القضاء وعمر بجانبها اسوقا وعرف به فصار السوق يعرف بسوق وردان ومما يحكى عن الاصمعي أنه قال كان عمرو بن العاص ذات يوم عند معاوية ومعه وردان مولاه فقال معاوية لعمرو وما بقي من لذاتك يا أبا عبد الله قال محادثة أخ صديق مأمون على الاسرار ثم أقبل على وردان فقال وأنت يا أبا عثمان ما بقي من لذاتك قال النظر في وجه كريم أصابته نكبة فاصطنعت له فيها يدا حسنة فقال معاوية أنا أولى منك بذلك وقتل وردان بالبرلس سنة ثلاث وخمسين قتلته الروم في خلافة معاوية بن أبي سفيان وعقبه بمصر ولعل وردان الجزار صاحب الكنز المتقدم ذكره من عقب وردان مولى عمرو بن العاص والله أعلم ذكر في حياة الحيوان ان الدب يحب العزلة اذا جاء الشتاء ولا يخرج حتى يطيب الهواء واذا جاع مص يديه ورجليه فيندفع عنه الجوع ويخرج في الربيع أسمن ما كان وفي طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب لكنه لا يطيع معلمه الا بعنف وضرب شديد ومن خواصه انه اذا ألقي نابه في لبن المرأة المرضع وسقي لصبي نبتت أسنانه بسهولة وشحمه يزيل البرص طلاء واذا اكتحل بمرارته مع ماء الرازيانج وهو الشمار أذهب ظلمة البصر واذا حشي بشحمه الباسور نفعه قيل كان لبعض السلاطين ابنة أحبت عبدا أسود فافتض بكارتها وولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت أمرها لبعض القهرمانات فأخبرتها بان لا شيء ينكح أكثر من القرد فاتفق ان جاء قراد تحت طاقتها بقرد كبير فاسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته بعينها فقطع وثاقه وطلع لها فأخبأته في مكان عندها وصار معها ليلا ونهارا على أكل وشرب ونكاح ففطن أبوها بذلك وأراد قتلها فتزيت بزي المماليك وركبت فرسا وأخذت لها بغلا وحملته من الذهب والمعادن ما لا يوصف وحملت القرد معها الى أن وصلت الى مصر فنزلت في بعض بيوت بالصحراء وصارت كل يوم تشتري من شاب جزار لحما لكن لا تأتيه الا بعد الظهر وهي مصفرة الوجه فقال الجزار لا بد لهذا الشاب من أمر فتبعه من حيث لا يراه وهو يتوارى من محل الى محل الى أن وصل الى مكانه الذي بالصحراء فتسلق عليه من بعض جهاته فلما استقر الشاب بمكانه أوقد النار وطبخ اللحم وأكل منه كفايته وقدم الباقي للقرد كان معه فأكل القرد كفايته ثم ان الشاب نزع ثيابه ولبس ثيابا أفخر ما يكون من ملابس النساء قال الجزار فعلمت انها أنثى ثم انها أحضرت خمرا وشربت منه وسقت القرد الى ان انتشيا وبعد ذلك اضطجعت للقرد فواقعها نحو عشر مرات حتى غشي عليها ثم ان القرد أسبل عليها ملاءة حرير وذهب الى محله ثم ان الجزار نزل الى وسط المكان فلما أحس به القرد أراد افتراسه فبادره بسكين

وجودة تدبيرها وهي لها على المنبر بعد الدعاء للخليفة العباسي ونقش اسمها على الدراهم والدنانير ولم يل مصر في الاسلام امرأة قبلها فاقامت في المملكة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها وتولى الملك الاشرف موسى ابن الملك الكامل وكان يخطب له وللعز ايبك التركماني معا على المنابر لانه كان تولى قبله بخمسة أيام فقال الناس لا بد من سلطان غيره هذا يكون من بني أيوب فأرسلوا الى الاشرف وأحضروه وسلطنوه ولم يعزلوا ايبك بل كانا شريكين وكان آخر الدولة الكردية الايوبية ومدة ولايتهم احدى وثمانون سنة ثم جاءت الدولة التركية مماليك الاكراد في حدود خمسين وستمائة فأولهم المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي فأقام ست سنين

كانت معه فقد كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة كادت أن تزهق روحها ثم أفاقت وقالت للجزار ما حملك على ذلك لكن بالله عليك الا ما أخفيتني به قال الجزار فلازلت الاطفها وأضمن لها ان أقوم بما قام به القرد من كثرة النكاح الى أن سكن روعها وتزوجت بها وأقمت معها مدة فما صبرت على ذلك فشكوت أمري لبعض العجائز وذكرت لها ما كان من أمرها فالتزمت لى بتدبير هذا الامر وقالت ائتنى بقدر واملأها من الخل البكر ورطل من عود القرح فأحضرت لها ما طلبته ثم علقت القدر على النار وألقت العود القرح على الخل الذى بالقدر وغلت تلك القدر غليانا قويا ثم أمرتنى بنكاح الصبية لتمكنتها الى أن غشى عليها فحملتها العجوز وهي لا تشعر وجعلت فرجها على فم القدر فصعد دخانه الى داخل فرجها فنزل من فرجها شئ فى القدر سمع له حس ثم بعد ذلك نزل شئ آخر من فرجها فاذا هما دودتان احداهما سوداء والاخرى صفراء فقالت العجوز الدودة الاولى تربت من العبد والاخرى من القرد فلما أفاقت من غشوتها مكثت مدة لم تطلب النكاح فأعلمتها بالقضية وصرف الله عنها تلك الحالة ومكث الجزار معها فى أرغد عيش وأحسن معيشة واتخذت الصبية العجوز مقام والدتها ذكر فى حياة الحيوان ان القرد حيوان ذكى سريع الفهم وان ملك النوبة أهدى الى المتوكل قردا خياطا وآخر صائغا وهذا الحيوان شبيه بالانسان فى غالب حالاته فانه يضحك ويطرب ويتناول الشئ بيده ويقبل التلقين والتعليم ويألف الناس وله غيرة على الاناث ومن عجائب المخلوقات من تصبح بقرد عشرة أيام أتاه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبه الناس حبا شديدا ذكر القاضى ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره فى قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين روى ان الناهين لما أيسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من المعتدين فقالوا ان لهم لشأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا أنسابهم لكن القردة عرفتهم فجعلت تأتى الى أقاربهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاثة أيام (ويحكى) ان بعض الناس دخل على شخص ولى الوزارة فاظهر سرورا مفرطا حتى رقص وصفق بيديه ايهاما لغلبة الفرح عليه فأمر ذلك الوزير باخراجه واهانته فقال له بعض جلسائه ما جنيته فقال انما أراد تولهم ❊ وارقص للقرد فى دولته ❊ قال بعضهم

وارقص لقرد السوء فى زمانه ❊ وداره ما دامت فى مكانه

ذكر فى كتاب رجوع الشيخ الى صباه اذا كان القمر فى الميزان يؤخذ فص كهرباء وزنه تسع عشرة شعيرة وينقش عليه صورة قرد جالس على قراقيصه ماسك احليله بيده الشمال وينقش حوله هذه الاحرف القارية وهى ا ه ط م ق ش ذ ثم يجعل الفص تحت لسانه عند الجماع فانه يرى عجبا فى قوة الجماع (وحكى) فيه عن بعض الملوك أنه كان عنده ثلثمائة وستون جارية وكان لكل واحدة منهن يوم فى السنة فالحضرن عنده ذات يوم باجمعهن وكان يوم عيد فصف الجميع بين يديه واستدعى بالشراب فشرب وسكر فغنى من جواريه من غنى ورقص من رقص وطاب المجلس فقال الملك لجواريه ويحكن تتمنى على منكن كل واحدة ما فى نفسها الا بلغها مرادها فتمنت كل واحدة ما فى نفسها ما خلا واحدة منهن فانها قالت أيها الملك لا تقدر على ما أتمنى فاغتاظ الملك وقال تمنى قالت تمنيت عليك ان أشبع نكاحا قال فغضب الملك غضبا شديدا وأمر كل من فى القصر من الغلمان والمماليك ان يجامعها وكان عدة من جامعها ألف رجل ولم تشبع فاستدعى بعض الحكماء وقص عليه قصة الجارية فقال أيها الملك اقتل هذه الجارية والا أفسدت أهل بيتك فان هذه قد انعكست أحشاؤها فلو نكحت مدة حياتها ما شبعت ولا رويت وأكثر ما يعرض ذلك للجوار الروميات والنساء اللاتى أعينهن زرق فانهن يحببن النكاح ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة طه عند قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا العيون وصفوا بذلك لان الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب لان الروم كانوا أعداءهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى العدو أسود الكبد أزرق العين (قيل) لمعافاة الاعرابية كم تعشقين فقالت

وتزوج شجرة الدر ثم تزوج بنت صاحب الموصل ففارق شجرة الدر فقتلته فى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة ثم حدثت أمور أدت الى قتلها فقتلت بأيدى مماليك المعز وهو الذى بنى المدرسة المعزية برحبة الحناء وفى أيامه ظهرت النار بالمدينة المنورة وسارت هكذا وهكذا كأنها الجبال واستمرت أكثر من شهر واحترق منها المسجد النبوى وكان صلى الله عليه وسلم أخبر عن ظهورها ولما صفا الوقت لايبك وكثرت عساكره قبض على شريكه فى السلطنة وحبسه بالقلعة وانفرد وحده وكانت مدة ملكه سبع سنين ومدة شريكه سنة وشهرا (ثم تولى من بعده ولده الملك المنصور نور الدين على الثانى من ملوك الترك وكان عمره نحو خمس عشرة سنة) فاقام

ثلاثون ألفا كل يوم أحبهم * ومافى فؤادى منهم واحد يبقى

قيل ان سقراط خرج مسافرا فرأى امرأة قد اخرجت معه فقال اما انا فقد عرفت القرين فما بال هذه
قالوا زنت وهى محصنة قال الآن قد جرتم فى القضية قالوا وكيف ذلك قال ليس العجب للمرأة كيف تزنى
وانما العجب ان تعف لانها مخلوقة بطباع الشهوة (قال بعض الحكماء) ان الرجل كلما طعن فى السن
ضعفت حركته و بطلت شهوته وعز نكاحه وقال جالينوس المرأة مخلوقة بخلاف طبع الرجل وقال
غيره المرأة كلما طعنت فى السن تزايدت شهواتها وطلبت النكاح للذكر (قيل) ان جماعة من اللصوص
دخلوا بيتا يعتقدون ان فيه كسبا فلما دخلوا لم يجدوا شيأ سوى شيخ وعجوز وشاة مربوطة بالدار فندموا
على عبورهم وقعدوا يتشاورون فيما يفعلون وقد خاب أملهم فقال بعضهم لبعض نذهب لغير هذا المكان
أم كيف يكون العمل قال بعضهم نذبح هذا الشيخ والشاة ونشوى لحمها وناكله وننكح هذه العجوز
باجمعنا الى وقت العصر هذا والشيخ والعجوز يسمعان كلامهم فقال الشيخ للعجوز سمعت ما قالوا قالت نعم
قال وكيف يكون العمل قالت نصبر يا رجل لقضاء الله تعالى قال اما انت فتصبرين لمصلحتك وأنا والشاة
يا عجوز النحس ما نصبر قال فضحك اللصوص وخرجوا وتركوهما فانظر الى هذه العجوز من شدة شهوتها
للنكاح لم تكترث بذبح زوجها ولا اشغلها ذلك عن بلوغ وطرها (قيل) تفاخرت قينة وعشيقها فقالت
القينة حرى انعم من كفى واحر من خفى ابيض نقى شفاف عريض السواعد والاكتاف أفطس املس
حامى نامى أملح اقرع مؤلف من جنسين فردته الواحدة قدر ركبتين يمص الاير انعم من لفة حرير
كافورى صرار ضيق دافئ عصارا كبر من عمامة قاضى قد ملا ما بين الفخاذين من عظمه فخم سماق
ومن قوة حركتى فعملك تطلبنى ما تلقانى مقبقب معين غليظ الحافات قد جمع صفات السبع كافات
يمص مص الكاس احر واحمى من كانون الحراس أدفأ من كساء فى زمن الشتاء فقال العشيق
قد كشفت عن مكنون سرك وأحسنت لكن حسبت شيأ وغابت عنك اشياء أما تعلمين ان لى ايرا
ما يسعه حلق الزير أقوى من زنار وأطول من أشبار وأعظم من فيشلة حمار مجرد الرأس يسد
الانفاس كأنه متراس قوى العروق يسد الخروق كان مجرا بوق يسع عشرين قوله مبلولة
ان قام وصل الى السحاب وخرق الثياب وبرق من الباب كأنه الاسد من الوثاب ان حل هد وان
دخل سد يخرج كما عبر ولا هندا انتزاعه ينكسر شديد الرهز يقوم من غمز أطول من دكشاب
ينفض شهوته مثل النشاب سالم من جميع العلل والآفات قد جمع صفات العشر كافات كما قال
الشاعر

أتذكر يا سليمى حين بتنا * ورأسك من ذراعى ما يزول
وايرى كالعمود له عروق * تعرض فى قفاه وتستطيل

والعشر كافات كف وكوع وكرسوع وكتف وكاهل وكفل وكبد وكلى وكعب وكرة (وفى المعنى
مواليا) ايش قلت فى كس أنعم من فرا السمور أحمر وتربصا كى اخمر من البلور ضيق وعنده حرارة تشبه
التنور سالم من الشعر والعوعور والزنبور (الجواب) ايش قلت فى رب سمينه عمود النور يصلح لهذا الذى
أنعم من السمور ان قلت جاروف كان جاروف له التنور وان كان رصاع يكن رصاع الزنبور وهما يدل على
قوة شهوة النساء ان الجارية تربيها ابوها صغيرة ويصونها كبيرة ولا تراعى هذه الحقوق مع وجود
عقلها بل انها تختار من تريد لشهوتها وتصطفيه على أبيها لذتها وهى تعلم فرض حقوق الوالدين
وكثير ممن تربت فى النعم الجليلة والعطايا الجزيلة تركت ذلك ونسيت الاوطان وسافرت البلدان
ونكست العمائم وتجرأت على العظائم والقت نفسها للقتل كل ذلك متابعة لشهوتها وانها تتجمل
بالحلى والطيب فتضع نفسها للنتن الوسخ الذفر القذر فترمى نفسها عليه وهذا مشاهد فى زماننا هذا
فنسئل الله العزيز الغفار الحليم الستار ان يستر نائى ذريتنا انه على ما يشاء قدير ولقد أنصف من قال

احب بنتى بكل جهدى * تكون بنتى فى قعر لحدى

سنتين وثمانية أشهر ثم
حبس بامر قطز المعزى
لصغره وعدم صلاحيته
لقتال التتار وتملك مكانه
ولقب بالملك المظفر قطز
المعزى فلم يلبث ان جاءه
رجل وبيده كتاب فيه من
ملك الملوك شرقا وغربا
الخاقان العظيم هلاكوخان
ووصف نفسه باوصاف عظيمة
وسطوة شديدة وفيه يا أهل
مصر لا تقابلونى فانه ليس لكم
قدرة على ملاقاتى فصونوا
دماءكم ولا تكونوا مثل
أهل بغداد وأهل حلب
وغيرهم وقد كان قد قتل
من تلك البلاد خلائق
لا تحصى وقتل الخليفة
المستعصم بالله ببغداد كما مر
فلما سمع الملك المظفر قطز
هذه الالفاظ عسر عليه ذلك
ثم جاءه الخبر بأن التتار قد
وصلوا البلاد الشامية وجاء
أهلها الى مصر يطلبون
النجدة وأراد قطز ان يأخذ

(وقال آخر)

أودّ بان يشتى باصحابى * تكون غداة عدة بلحدى
وماهو بغضة فيها ولكن * مخافة ان تقاسى الذل بعدى
اذاعاشت وفاز بها لئيم * فيلعن والدى ويسب جدى
وان يظفربها رجل غنى * يرانى عنده فى زى عبدى
وان يلتزوجها رجلافقيرا * فيدفعها ويبقى الهم عندى
وان وافاه فى الآجال قصر * تجئ بعسكرمن غيرجندى
سألت الله يأخذها قريبا * وان كانت أعز الناس عندى

(عدنا الى مانحن بصدده) من أمر الحاكم ولما أراد الله سبحانه وتعالى هلاك الحاكم وكان السبب فى ذلك انه أراد قتل أخته سيدة الملوك وهم ان يرسل لها القوابل فانه بلغه ازالة بكارتها وقال لبعض قهرماناتها سمعت انكن تجمعن الجموع و يدخل اليكن الرجال ولابدمن قتلكن جميعا وكرر هذا القول فعلمت أخته أنه يقتلها لامحالة فاخذت فى تدبير الحيلة والعمل فى قتل أخيها وخرجت ليلا وأتت الى دار الامير يوسف سيف الدولة بن دواس وكان الحاكم قدعزم على قتله فدخلت عليه خفية واختلت به فعظمها وأكرمها فقالت له أنت تعلم ماجرى من أخى فى سفك الدماء وقتل وجوه الدولة وقدصمم على قتلى وقتلك فقال لها كيف الحيلة فى قتله فقالت الرأى عندى ان تجهزله رجالا يقتلونه عندخروجه الى حلوان فانه ينفرد بنفسه وأنت تكون المدبرللدولة ولده فاتفقا على ذلك ومضت الى قصرها فلما كان صبيحة النهار وخرج الحاكم على عادته وانفرد بنفسه فى الجبل المقطم وكان سيف الدولة قدأحضرله عشرة عبيد وأعطى كل واحد منهم خمسمائة دينار وعرفهم كيف يقتلونه فسبقوا الى الجبل وكمنوا فيه فلما أقبل خرجوا عليه وقتلوه بالقرب من حلوان فخرج الناس على عادتهم يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب فلم يأت ففعلوا ذلك سبعة أيام ثم خرجوا ثامن يوم فى طلبه فبينماهم كذلك اذا أبصروا حماره الاشهب المدعو بالقمر قدقطعت يداه وعليه سرجه ولجامه فاتبعوا أثره الى ان انتهى الى القصبة التى شرقى حلوان فنزل رجل فوجد ثيابه وهى مزرورة وفيها آثار السكاكين وكان ذلك فى سابع شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة وتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا وبنى فى مصر الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين بابى النصر والفتوح وهو الموجود الآن ولما بناه قصد قطع الخطبة من الجامع الازهر فقدر الله انه لم يخطب فيه الا ولده وانشد بعض الادباء مواليا فى الجامع المذكور فقال

لجامع الحاكم اسمع قول ياسامع * أنا الذى قدظهر نورى يغشى اللامع
لموئل الذكر انى للعدا قامع * والنصر والفتح عرى بينهم جامع

(ثم تولى الظاهر أبو الحسن على بن الحاكم) فأقام خمس عشرة سنة وثمانية شهور وتوفى بالقنطرة بتكة القس سنة سبع وعشرين وأربعمائة (ثم تولى المستنصر بالله أبو تميم بن الظاهر) فاقام سنة وأربعة أشهر وفى زمنه سنة سبع وخمسين وأربعمائة حصل بمصر غلاء شديد وعم مع الغلاء وباء شديد فاقام سبع سنين والنيل يمتد و ينزل فلم يوجد من يزرع وانقطعت الطرقات برا وبحرا وآل الامر الى ان يبيع الرغيف من الخبز الذى وزنه رطل بار بعة عشر درهما و بيع الاردب القمح بثمانين دينارا وأكلت الناس الكلاب والقطط ثم تزايد الحال الى ان أكلت الناس بعضهم بعضا ذكر ذلك المقريزى فى خططه ثم توفى المستنصر فى شهر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وفى أيامه فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالى الارمنى باب زويلة الموجود الآن (ثم تولى المستعلى بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر) وكان الكلام فى مملكته للافضل امير الجيوش ابن البدر الجمالى المذكور وهو الذى بنى الجيوشى بسفح المقطم وبنى جامع الجيزة وكان المستعلى سنيا وفى أيامه أخذت الافرنج بيت المقدس فى ضحوة يوم الجمعة سنة اثنتين وتسعين وار بعمائة وكان مدة المستعلى سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين وار بعمائة

من الناس شيأ يستعين به على قتالهم فجمع العلماء وحضر الشيخ عزالدين بن عبد السلام فقال لايجوز أن يؤخذ من الرعية شئ حتى لايبقى فى بيت المال شئ وتبيعوا اموالكم من المواشى والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه فاتفق أنه اخذ من كل رأس دينارا وأخذ من الاملاك أجرة شهرين ومن الغيطان كذلك فكان جملة ماجمعه ستمائة ألف دينار ثم جمع الامراء والعساكر والعربان وخلقا لاتعد ولا تحصى وصرف عليهم الجوامك وخرج فى آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة وجد فى السير الى أن وصل عين جالوت من أرض كنعان فالتقى مع التتار هناك ووقع بينهم القتال فقتل منهم خلق كثير وانكسر

وأربعمائة (ثم تولى الآمر بأحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى) وفى أيامه بنى الجامع الاقمر فكانت مدته تسعا وعشرين سنة وثمانية أشهر الى أن قتل بالجيزة سنة أربع وعشرين وخمسمائة (ثم تولى الحافظ لدين الله عبد المجيد) فاقام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الظافر بأعداء الله اسمعيل بن الحافظ) وفى أيامه عمر الجامع المعروف بالفاكهانى داخل باب زويلة الموجود الآن وهو عامر مقام الشعائر الاسلامية قيل ان السبب فى عمارته ان محله كان مجزرة يذبح فيها الاغنام و بوسط المجزرة حفرة يجتمع فيها ماء من غسالة الذبائح وكان لامير من أمراء الظافر بيت مجاور للمجزرة المذكورة و به محل مشرف على تلك المجزرة فجاء جزار بخروفين فذبح الاول وشرع يذبح الثانى فطرق طارق باب المجزرة فوضع الجزار سكينه عند الخروف الذى لم يذبح وتوجه للباب ينظر طارقه فأخذ الخروف السكين بفمه والقاها فى بركة الماء فتفق ان الامير رب البيت المذكور كان جالسا بالمكان المشرف على المجزرة وهو ينظر أخذ الخروف السكين والقاءها فى الماء فلما جاء الجزار لم يجد سكينه واراد ان يذبح الخروف بسكين كانت معه فقال له الامير أمسك يدك ولا تذبح الخروف فتوجه الامير الى الظافر وأخبره بذلك فتعجب ثم استأذنه فى عمارة المجزرة جامعا فاذن له فعمره فكانت مدة تصرف الظافر أربع سنين وسبعة أشهر الى ان قتل بدار الوزارة المعروفة بالسيوفية الموجودة الآن بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الفائز عيسى بن الظافر بأعداء الله) وعمره خمس سنوات وفى أيامه تولى الوزارة الملك الصالح طلائع بن رزيك الذى بنى الجامع خارج باب زويلة فاقام الفائز ست سنوات ونصفا ومات سابع رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ) فاقام احدى عشرة سنة وستة اشهر وخلع ومات فى حادى عشر المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين كما انقطعت دولة من قبلهم ومدة تصرفهم بمصر مائتا سنة وثمان سنين وخمسة اشهر ولله در القائل

وبادوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا وصح الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا فقى من مضى معتبر

(الباب السادس فى الدولة الايوبية السنية اصحاب الفتوحات اولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب)

وكان سلطانا نامها بما من الله عليه بالفتوحات ومكنه من الكفار الفجار ومن أعظم فتوحاته بيت المقدس فتحه يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بعد ان استولت الافرنج عليه احدى وتسعين سنة ومنها فتح الشام كلها واستنقاذها من أيدى الافرنج ذكر صاحب الانس الجليل فى فضل الخليل ان السلطان صلاح الدين لما فتح حلب مدحه محيي الدين زكريا قاضى دمشق بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

فكان كما قيل وهذا اتفاق عجيب ثم ان السلطان صلاح الدين بنى خانقاه سعيد السعداء وقلعة الجبل و بئر الحلزون وسور باب الوزير المدرسة التى بجوار تربة الامام الشافعى وسور باب البحر وسواقى القلعة وله الخيرات الكثيرة الى يومنا هذا وفى أيامه ظهر باليمن خارجى استولى على بلاد اليمن وكان يدعى مذهب القرامطة و ينتمى الى صاحب مصر الفاطمى و يستتر بالاسلام فقتل خلقا كثيرا وشق بطون الحوامل وذبح الاطفال فمات وملك ولده بعده ففعل أشد ما فعل أبوه و بنى على قبر أبيه قبة عظيمة صفح حيطانها بالذهب والجوهر وعلق بها قناديل الذهب والستور الحرير التى لم يعمل فى الدنيا مثلها ومنع أهل اليمن من الحج الى الكعبة وأمرهم بالحج الى القبة وكانوا يحملون اليها من الاموال فى كل سنة ما لا يحصى و يطوفون بها ومن لم يحمل شيأ قتله وأقام على الفسق والفجور وذبح الاطفال وسبى النساء وسفك الدماء فكاتب أهل اليمن السلطان صلاح الدين يوسف فسير اليه أخاه شمس الدولة ففتح اليمن وقتل الخارجى وكان

هلاكو ومن معه من التتار وهربوا ثم رجعوا واقتتلوا حتى قتل منهم النصف ورجعوا هاربين وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة وكان بيبرس من أعيان دولة الملك قطز وقد ساق وراء التتار الى حلب وطردهم من البلاد ووعده السلطان بحلب ثم رجع فى ذلك فتأثر بيبرس ووقعت الوحشة بينهم فاضمر كل لصاحبه الشر فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء وقتلوا المظفر فى الطريق بين الغزالى والصالحية فعظم على الناس قتله لحصول النصرة على يده وذلك سنة ثمان وخمسين وستمائة ثم تولى من بعده الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى صاحب الفتوحات وهو الرابع من ملوك الترك

اسمه عبد الله بن المهدى وهدم القبة وأخذ ما فيها من الاموال والجواهر فكان جملة ما أخذه ستمائة حمل ونبش القبر وأخرج عظام الخارجى وأحرقها (حكى) الشيخ عماد الدين فى تاريخه البداية والنهاية ان السلطان صلاح الدين بن أيوب لما استعرض حواصل القصرين بعد وفاة العاضد وانقراض دولة الفواطم وجد بالحواصل أمتعة وآلات وملابس وثيابا فاخرة وشيأ باهرا وأمرا هائلا من جملة ذلك طبل اذا ضرب عليه صاحب القولنج خرج منه ريح الى أن ينصرف ما يجده من القولنج ويزول عنه فى الحال فاتفق ان بعض الاكراد أخذه فى يده ولم يدر ما شأنه فلما ضرب عليه ضرط فالقاه من يده فانكسر وبطل أمره وتوفى السلطان صلاح الدين فى سابع صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة فكانت مدة تصرفه اثنتين وعشرين سنة وشهرين (ثم تولى الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان) فتصرف فى الملك خمس سنين وعشرة أيام وتوفى فى المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بداره بالقاهرة ثم نقل الى تربة الامام الشافعى قبل بناء القبة (ومما يحكى) ان الملك العزيز كان يميل الى القاضى الفاضل فى حياة أبيه فاتفق ان العزيز يهوى قينة شغلته عن مصالحه فبلغ ذلك والده فأمره بتركها ومنعها منه فشق ذلك عليه فلما طال ذلك بينهما أرسلت له مع بعض الخدام قطعة عنبر مبرومة فكسرها فوجد فيها زرا من ذهب فلم يفهم المقصود فاطلع القاضى الفاضل على ذلك فأنشد يقول

أهدت لك العنبر فى جوفه * زر من التبر رقيق الختام
فالزر والعنبر تفسيره * زرهكذا مختفيا فى الظلام

وفى زمن العزيز قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الدين بن شادى ملك اليمن وقد اجزل صلته عندما وفد عليه فلما قدم الى مصر بما قدم من المتجر طالبوه بالزكاة فقال

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذاك يعطى وهذا يأخذ الصدقه

(ثم تولى الملك الافضل) نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف وكان متأدبا بأحسن الصورة قل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو أكبر اخوته ما صفا له الدهر ولا هنأه بالملك ثم تعصب عليه عمه العادل أبو بكر وأخوه عثمان فاخرجاه من دمشق وفى ذلك كتب الى الناصر ببغداد يقول

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على
وهو الذى كان قد ولاه والده * عليهما واستقام الامر حين ولى
فخالفاه وحلا عقد بيعته * والامر بينهما والنص فيه جلى
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الاواخر مالاقا من الاول

فكتب اليه الناصر الجواب يقول فيه

وافى كتابك يا ابن يوسف معلما * بالصدق يخبران أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا على جزاؤهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

فلم ينصره بل توفى الافضل فجأة رحمه الله تعالى فاقام سنة وشهرين وتوفى حادى عشر شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة ومن كلام الملك الافضل على فى المعنى

اما آن للسعد الذى أنا طالب * لادراكه يوما يرى وهو طالبى
الا هل يرينى الدهر أيدى شيعتى * تمكن يوما من نواصى النواصب

وفى المعنى

أقول لدهر قد توالت صروفه * أليس لهذا يا زمان زوال
فقال اصطبر كم دولة قد تغيرت * لكل زمان دولة ورجال

من كلام القاضى الفاضل وانا على دفع الايام وهى تدافعنى ولسان الليالى وهى تخالفنى

أصله تركى اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه ولازالت الاقدار تساعده حتى وصل الى ما وصل وكان ملكا شجاعا مقداما يباشر الحروب بنفسه له الوقائع الهائلة مع التتار ثم الافرنج وهو الذى بنى المدرسة بالقاهرة تجاه البيمارستان عام اثنتين وستين وستمائة والجامع الكبير بالحسينية سنة خمس وستين وستمائة وتم فى سنة سبع وهو الآن أعنى سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والالف قلعة للافرنج اختاروه لصلابته واتقان بنائه وقطعوا ما حوله من الاشجار وهدموا البنيان الذى حول الاشجار فلا حول ولا قوة الا بالله وبنى أيضا قناطر ابى المنجى المليونية وقناطر السباع التى بمصر وغير ذلك من قلاع وحصون

مفرد بعده قالوا انزلت فقلت الدهر أقسم بى * لاوجه للرفع فى المجرور بالقسم

(ثم تولى الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب) ودعى له ولولده الكامل فى الخطبة وفى أيامه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل فى سنة أربع وستمائة وأول من سكنها الكامل نائبا عن أبيه احدى عشرة سنة ثم توفى العادل فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة وأربعين يوما والله أعلم (ثم تولى الملك الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد) فعمر قبة الشافعى والمدرسة التى بين القصرين المعروفة بالكاملية قال نور الدين بن المشرف ان صاحب حصن حيفا جاء الشتاء ببروده وهجم عليه بخيله وجنوده وقوس الشتاء يرشق بسهام القطر من جودها والريح يزمر كلما دقت طبول الرعد من جوها والثلج قد نشر باشه وجعل الارض فراشه والجليد قد أذاب الاجسام وما ذاب وكلما مالت الشمس توارت بالحجاب وبيته فارغ من المشارب والمآكل وقال يشكو حاله للملك الكامل

أحن الى الارز المفلفل بالتبل * ويشتاق قلبى للبسائس بالعسل
وارتاح ان هبت رياح شرائح * وان حضر اللحم السمين فلا تسل
وان قدموا المحوى خروفا من الشوى * ترى وقعتى فيه ولا وقعة الجمل
اشمر عن كف بخمس أصابع * وابعثه فيه الى أينما وصل
أميل على الاطراف ميلة هائم * وأنزل فى الاضلاع مع كل من نزل
وأعمل فى الكشكا اذا ازدد دهنها * ويا فوز من حياه على خير ذا العمل
وأى فتى يشرى الدجاج أزوره * هو المشترى لكن يصادفه زحل
ورقاصة فى الصحن تطربنى اذا * تجلت لنا من غارق السمن والعسل
ولوزينج مثل البروق قروصه * وكم من هلال فى المشبك يا أمل
وان بخبيص الريح جزتم فبلغوا * تحية صب فى هواه قد انصطل
فلو سلبت عقلى مشوشة الشتا * وأما طعام الكشك مالى به قبل
سكنت بظل الكهف والبرد حائر * فياليت شمس الافق عادت الى الحمل
وكم نظرة منها أروم تقول لن * ترانى لهذا الفضل وانظر الى الجبل
ومالى سوى ملك يسابق فعله * مقالى وما من قال شيأ كمن فعل
فان رمت ما ترجو وتبليغ مقصد * أتاك الذى ترجو وقصدك قد حصل
وأما ارتداد الشمس لست بيوشع * ترد اليه الشمس يوما كما أمل

وفى زمنه فى شهر شوال سنة أربع وعشرين وستمائة أحضرت من الاسكندرية امرأة خلقت من غير يدين وفى موضع ثدييها مثل الحلمتين يعنى . بها بين يدى الوزير رضوان فعرفته انها تعمل برجليها ما تعمله النساء بايديهن من خط ورقم وغير ذلك فاحضر لها دواة فتناولت برجلها اليسرى قلما فلم ترض شيأ من الاقلام المبرية التى أحضروها فأخذت السكين وبرت لنفسها قلما وشقته وقطته وأخذت ورقة فامسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ما تكتبه الكتاب بيمينهم وناولت الرقعة للوزير فاذا فيها السؤال بالزيادة فى راتبها فزادها وأعادها الى بلدها وقد أخبرنى شخص ان لها قبرا مشهورا بالاسكندرية يزار وهو موجود الآن بباب رشيد على يمين الداخل ويعرف بمقام بنت خداوردى ولها أوقاف وأطيان ويصرف لها من ديوان الاسكندرية فى كل سنة ثلاثة آلاف نصف فضة ذكر ابن كثير وغيره انه كان بطرابلس بنت تسمى نفيسة تزوجت بثلاثة أزواج وهم لا يقدرون على افتضاض بكارتها وظنوا ان بها رتقا فلما بلغت خمس عشرة سنة غار نداياها ثم جعل يخرج من محل الفرج شئ قليلا قليلا الى ان برز منه ذكر قدر الاصبع والانثيان وكتب بذلك محضر وقد ذكر الشيخ محمد الدماميني فى كتابه عين الحياة قال كان لنا جارة بنت

وقناطر وخانات بالشام وغيرها وأكمل عمارة المسجد النبوى من الحريق وحج سنة سبع وستين وستمائة فغسل الكعبة بيده بماء الورد وله فتوحات كثيرة ففتح النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها وملك الروم وجلس بقيسارية ولبس التاج وضرب باسمه الدراهم والدنانير وجدد عمارة الجامع الازهر بعد ان خرب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة فاعادها كما كانت وله صدقات وأوقاف كثيرة ولما خرج الى قتال التتار بالشام استفتى العلماء فى أخذ أموال من الرعية فافتوه الا النووى فانه امتنع وكلمه كلاما شديدا فغضب منه وأمره بالخروج من الشام فخرج الى بلده نوى ثم رسم برجوعه فامتنع

اسمها صفية بلغت من العمر خمس عشرة سنة ثم لم تلبث كرونبتت لها لحية فكان لها فرج ذكر وفرج امرأة ومما شاهدناه ان عند شخصا يدعى الشيخ عمر المعروف بأبي ديه يقرأ القرآن ويحفظه حفظا جيدا ويؤدب الاطفال وله يدان طول كل يد شبر ونهاية ما يبلغ بهما من جسده وجهه وصدره واما استنجاؤه فباحدى رجليه ورزقه الله ولدين أحدهما يداه مثل يدى أبيه والثانى بلا يدين وهم موجودون الى الآن وكل من شاهدهم يحن عليهم بالصدقات ويتعجب من صنع الله تعالى فأقام الكامل عشرين سنة وشهرين وتوفى فى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بمدينة دمشق ﴿ثم تولى الملك العادل أبو بكر ولد الكامل﴾ قيل ان عبد الله بن طاهر كان هو وبعض الزهاد بايوان العادل فقال عبد الله للزاهد كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم بيننا فقال ما دام بساط العدل فى هذا الايوان ثم تلى قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ذكر الشيخ أحمد بن عبد السلام المنوفى فى كتابه النصيحة بما أبدته القريحة قال رأيت فى كتاب آداب القضاء لابن أبى الدنيا اتفق ان قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة لما تولى القضاء بالديار المصرية فيما حكاه السبكى فى طبقاته ان الملك العادل شهد عنده وهو فى دست ملكه فى واقعة مرارا والقاضى يسوف فى قبولها فتفطن العادل لذلك فقال له هل تقبلنى أم لا فقال لا أقبلك وكيف أقبلك وفلانة تطلع اليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثانى يوم سكرى على أيدى الجوارى وتنزل فلانة من عندك الخمر بما نزلت الاولى فتناوله الملك العادل بكلمة شتم فردها عليه فى وجهه ثم عزله ونزل الى بيته معزولا فخشى العادل من رد شهادته بسبب فسقه وخشى ان يذكر ذلك عند الملوك ووجوه الناس فنزل بنفسه الى منزل القاضى وترضاه وأعاده الى القضاء وذكر أيضا فى كتاب النصيحة المذكورة ان عبد الصمد الدمشقى ناب فى القضاء عن ابن عصرون بدمشق ثم تولى قضاء دمشق استقلالا وانه تداعى لديه خصمان لجاء أحدهما بكتاب العادل بالوصية عليه فلم يفتحه وظهر الحق لخصم حامل الكتاب فقضى له ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به الى حامله وقال كتاب الله قد حكم على حامل الكتاب فبلغ العادل ذلك فقال صدق كتاب الله أولى من كتابى وذكر القرطبى فى اعلامه ان الامام العلم أبا خازم بالخاء المعجمة والزاى وهو من أكابر العلماء أهل الدين والتقوى كان قاضيا فى بعض ورعه فى الدين ان شخصا انكسر عليه مال كثير وثبت ذلك عند القاضى المذكور قام بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصة وكان قد انكسر على المديون مال للخليفة المعتضد فارسل المعتضد الى القاضى المذكور يقول اشركنى مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فان لى أيضا مالا بذمته فاجعلنى كاحد غرمائه فقال ابو خازم لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة فارسل وكيلا وبينة أرضاها التكون بأسوة غرماء هذا المديون فاحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة مرارا وجهرا فأقام المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضى وكانوا من أكابر امرائه فما حضر أحد منهم خوفا من رد شهادتهم فاعجب المعتضد ديانة القاضى المذكور وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وقد روى ان قوما قدموا خصما لهم الى الحاكم فقالوا لنا عليه مال فقال صدقوا أيها القاضى سلهم المهلة الى أن أبيع ما كان لى من عقار ورقيق وابل وشياه فقالوا كذب اعزك الله ليس له شئ وانما يداهننا بذلك فقال ايها الحاكم قد شهدوا بالاعسار فخلى سبيله أقول وفى زماننا هذا اذا كان شخص عليه ديون ثابتة للناس وله موجود وعليه شئ من المال الميرى يقدم المال الميرى بالوفاء ولا يشترطون ثبوته عند قاض بل يكتفون بقول كتبة الديوان فالحكم لله العلى الكبير (حكى) صاحب النكت اللطيفة ان العباس بن المعلى الكاتب كتب الى القاضى محمد بن عبد الرحمن البغدادى المعروف بابن قريعة ووفاته سنة سبع وستين وثلثمائة ما يقول القاضى فى يهودى زنا بنصرانية فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما فماذا يقول القاضى فيهما فكتب له الجواب هذا من أكبر الشهود على الملاعين اليهود فانهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من ايورهم وأرى ان يناط هذا اليهودى برأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ويسحبان على الارض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض قيل ان امرأة شكت زوجها الى القاضى من كثرة النكاح فسأله عن ذلك فقال تكلف

وقال لا أدخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق وفى أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر وصل الى مصر فى سنة تسع وخمسين وستمائة فاجتمع بالملك الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ويأتون الى السلطان الذى يريدون توليته ويقولون وليناك السلطنة هكذا كانوا بألقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون السلطنة باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله

ضرسها واوا كف ايرى عن كسها أترانى أعلف ولا أركب وحكى ان رجلا شكا امرأته الى القاضى من كثرة شعرها وطوله انها افتنته فكتبت اليه تقول

فديتك سهلت السبيل الذى اشتكى * حوادث فيه للجفا وخشونته
فان كنت تهوى ان تزور جنابنا * فلا تبط عنا فالهلال ابن ليلته

وحيث انجر الكلام فى ذكر من ولى القضاء ولم يخش فى الله لومة لائم وبالحق قضا فلا بأس بايراد نبذة مفيدة تقر عما يتعظ بها من على هذه الوظيفة لعل ان يسلك أعدل المسالك مراقبا لقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون أقول وبالله التوفيق من ولى القضاء ألقى نفسه فى بحر عميق وصار فيه كالغريق وفى المعنى

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

قال صلى الله عليه وسلم لا قدست أمة لا يقضى فيها بالحق وقال صلى الله عليه وسلم من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين قال العلامة ابن الرفعة كناية عن شدة الالم فان الذبح بالسكين فيه سرعة و بغيرها تعذيب روى الامام الحافظ من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالقاضى يوم القيامة فيلقى من الهول قبل الحساب ما يود انه لم يقض بين اثنين فى تمرة ذكر الكمال الدميرى فى حياة الحيوان عند ذكر البقرة كانت القضاة فى بنى اسرائيل ثلاثة فمات احدهم فولوا غيره مكانه فبعث الله ملكا يمتحنه فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فقال بيننا القاضى فتوجها الى القاضى الاول فدفع الملك اليه درة كانت معه وقال له احكم بان العجلة لى فقال القاضى كيف أحكم بذلك قال أرسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهى له فتبعتها فحكم له بها فلم يرض صاحب البقرة فأتيا القاضى الثانى فحكم له بذلك وأخذ الدرة واتيا القاضى الثالث فدفع اليه الدرة وقال احكم بيننا فقال انى حائض فقال الملك سبحان الله أيحيض الذكر فقال القاضى سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها وهؤلاء كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قال الشاعر

قضى بهدم الكنيس قاض * وقد قضى بالعمارثان
وفى رواة الحديث قالوا * فى الحشر قاض وقاضيان

(ولبعضهم فى المعنى)

ولما ان وليت وصرت قاض * وقاض الظلم من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين وانا * لنرجو الذبح بالسكين أيضا

(ولبعضهم)

قضاة الدهر قد ضلوا * فقد بانت خسارتهم فباعوا الدين بالدنيا * فما ربحت تجارتهم

(ولبعضهم)

قضاة زماننا صاروا لصوصا * عموما فى البرية لا خصوصا
يرون الغنم أموال اليتامى * كأنهم تلوا فيها نصوصا
فنخشى منهم وان صافحونا * يسلوا من اناملنا الفصوصا

(ولبعضهم يهجو قاضيا جاهلا متكبرا)

الا قل لمن قد طيشته رياسة * رويدا ومهلا فيك قد غلط الدهر
ركبت بلا أصل ولا طيب عنصر * حكمت بلا علم فهذا هو الكفر
تأن يراجع دهرنا فيك ما مضى * فما فسدت الا وازمان به سكر

كتب بعض الافاضل الى بعض القضاة قد فشت المعاصى ووصل الاذى للدانى والقاصى وتعاظم الباطل وأصبح وجه الحق عاطل وأكلت الرشوات وحكم بالشهوات وعرى الاكثر من لباس تقواه وباع دينه بدنياه ولبعضهم

محمد بن يعقوب ولقب بالمتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وافتتحت مصر اخذه المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور مقبر كابه فلما توفى السلطان سليم عاد الى مصر واستمر بها الى أن توفى بها سنة خمسين وتسعمائة فى زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الدار الآخرة وبعد ان توفى السلطان بيبرس المذكور سنة ستمائة وستة وسبعين (تولى من بعده ولده محمد بركة خان) وكان سنه ثمان عشرة سنة وكان أبوه عقد له الولاية فى حياته ولقبه بالملك السعيد واستنابه على مصر أيام سفره واستقل بالسلطنة بعد أبيه الى سنة ثمان وسبعين فاختلف

عندي حديث ظريف * لمن به يتغنى
في قاضيين يعزى * هذا وهذا يهنا
وذا يقول غصبنا * وذا يقول استرحنا
ويكذبان جميعا * ومن يصدق منا

(ولبعضهم في قاض في ولايته فعزلوه)

عزلوه لما خانهم * نقدا اشياء مدنفا
ويقول لم احزن لذا * لكن ولم اك متأسفا
قالوا كذبت لقد ندمت وقد حزنت معصفا

اي خزيت فينبغي لمن ابتلي بالقضاء والحكم بين العباد أن يكون عاقلا عفيفا مرضيا يغلب خيره على شره فان الحكم يبقى على ميزان الاعتدال فلا يرجح أومال تلف به نفس أومال وان القاضي اذا كان أمره نافذا للاحكام الشرعية بين الرعية تصير أحواله مرضية واذا كان أمره غير نافذ في رعيته وهن أمره وتلاشى حكمه ومنشأ هذا انطواؤه على الطمع وقد كان السلف الصالح يتمنعون من الدخول في القضاء مع تأهلهم وورعهم ومراقبتهم لله خوفا مما عساه أن يحصل من هفوة ونحوها

قضاة زماننا احتجوا بعلم * وما لهمو على ذاك اجتماع
وأضحى العلم منفردا ينادي * أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ومن المصائب العجيبة استنابة الجهلة بالارياف في القضاء فيقضون بين الناس بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ومن ذلك ما يأخذون من الرشوة جهرا من غير نكير ولا يكتفون منها باليسير ثم يقدمون على ابطال الحقوق البينة ولا يلتفتون للذي معه الحق وان تمسك بقيام البينة واعلم ان اثم ما يفعلونه يكتب في صحائف من فوض الامر اليهم وان كثيرا من أرباب الدنيا الذين يسعون للناس في الولايات لأغراض دنيوية يكتب في صحائفهم كل السيآت التي يفعلها من يسعون له وما يترتب عليه الى يوم القيامة وقد كتب الشيخ ولي الدين العراقي في وصية الى نوابه كتبا فيها اعلموا معاشر النواب ان من ولي أمرا فعليه بالتقوى في السر والنجوى وليحضر كل منكم قرب أجله ووقوفه بين يدي الله عز وجل مسؤلا عن عمله فيا خجلة المقصر ولو غفر له ويا ندامته اذا وجد أعماله محصاة محصلة واجتنبوا أخذ المال من غير حله فما تساوي لذة الانتفاع غضب الله من أجله فقد بلغنا ان الدانق وهو سدس الدرهم اذا أخذ من غير وجه أخذت فيه يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة واحذروا ظلم اليتيم واسلكوا الطريق المستقيم فقد قمت بما وجب من النصيحة فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد وقد حصل الاكتفاء بما ذكرناه وفقنا الله لجميع الطاعات ووقانا جميع الآفات بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر العادل فانه تصرف سنتين وثلاثة أشهر وخلع في القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة والله سبحانه وتعالى أعلم ثم تولى (الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل) وفي ولايته أرسل له براش الذي يقال له ريدافرنس كتابا يذكر فيه (أما بعد) فانه لا يخفى عليك ان عندنا خزائن الاندلس وما يحملون الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأثر بالبنات والصبيان ونخلي منهم الديار وأنا قد أبديت لك الكفاية وبذلت لك النصيحة الى الغاية والنهاية فلو حلفت لي بكل الايمان ودخلت على بالقسس والرهبان وحملت الشمع قدامي طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك في اعز البقاع عليك فاما ان تكون البلاد لي فيا هدية حصلت في يدي وأما ان تكون البلاد لك والغلبة علي ويدك اليمنى ممتدة الي وقد عرفتك وعرفت ما قلته لك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملا السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسياف القضا فلما قرأ الصالح كتاب افرنس بكى واسترجع وأمر القاضي شهاب الدين محمد بن زهيران يكتب الجواب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه (أما بعد) فقد ورد كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك ونحن أرباب السيوف وما قتل منا قرن الا جددناه ولا بغى علينا باغ

عليه الامراء وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة وأشهد بذلك ثم ذهب الى الكرك ومات بها سنة ثمان وسبعين وستمائة فكانت مدة اقامته سنتين وثمانية أشهر (وتولى من بعده أخوه بدر الدين الملك العادل سلامش) وكان يسمى ابن البدوية فأقام خمسة أشهر ثم جاءت الدولة القلاوونية الصالحية وهي من الدولة التركية المتقدمة فأولهم (الملك المنصور أبو المعالي قلاوون الصالحي النجمي) وقيل له الالفي لأنه اشترى بألف دينار فأقام احد عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفي بالقرب من المطرية سنة تسع وثمانين وستمائة وهو الذي بنى البيمارستان وجعله مباحا للفقير والامير والمدرسة المنصورية التي دفن بها ولده وله الفتوحات بساحل البحر الرومي منها

الادمرناه فلو رأت عينك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريبنا منكم الاواخر والاوائل لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ولابد أن يزل بك القدم من يوم أوله لنا وآخره عليك فهنالك تسىء الظنون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابى هذا فتكون منه على أول سورة النحل أتى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون أيضا على آخر سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين وتعود الى قوله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء الباغى له مصرع وبغيك يصرعك والى البلاء يسلمك وكان الامر كذلك فلما وصل الكتاب الى ريدافرنس بادر فورا بالحضور الى دمياط بعساكره وضربوا خيامهم فاستقبلهم المسلمون وتحاربوا معهم فاستشهد يومئذ الامير نجم الدين والامير حسام الدين أزبك فلما مضى الليل رحل الامير فخر الدين بعساكر الاسلام الى جهة طناح فخاف من كان فى دمياط وخرجوا منها على وجوههم وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعساكر وهم حفاة حيارى ومعهم من النساء والاولاد فشنعوا على الامير فخر الدين وعدوا جميع ما نزل بالمسلمين من البلاء بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد والاسلحة وغيرها ولما اصبح الصباح قصد الافرنج دمياط فاذا أبواب المدينة مفتحة ولا أحد بها فظنوا ان ذلك مكيدة فلما تحققوا خلوها وان خلوها من غير مانع استولوا على ما بها من الاسلحة والاقوات فانزعج الناس فى مصر انزعاجا عظيما وكل ذلك مع شدة مرض السلطان الملك الصالح نجم الدين وعدم حركته وقد اشتد حنقه على الامير فخر الدين فأمر بشنق من كان فى دمياط من الامراء والمقاتلين فشنق منهم فى ساعة واحدة ما يزيد على خمسين أميرا ويقال ان شنقهم كان بفتوى من العلماء فانتقل الملك الصالح الى المنصورة بعد ان سورها وشرع العسكر فى تجديد الابنية هناك وقدمت المراكب تجاه المنصورة وفيها الاسلحة والعدد فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة مات الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل فى تابوت الى القلعة فان شجرة الدر زوجة الملك الصالح لما مات احضرت الامير فخر الدين والطواشى جمال الدين محسن فاعلمتهما بموته فكتما ذلك خوفا من الافرنج فأرسل الامير فخر الدين الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا لاحضاره وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى سائر الممالك الاسلامية المصرية فلما علم الافرنج بموت الملك الصالح خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم ومراكبهم تسار بهم فى البحر حتى نزلوا فارسكور فارسل المسلمون كتابا الى القاهرة فقرأ على منبر الجامع الازهر يوم الجمعة انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذالكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ وحث على الجهاد فارتجت مصر والقاهرة وظواهرهما بالبكاء والعويل وأيقن الناس باستيلاء الافرنج على البلاد لخلو الوقت من ملك يقوم بالامر فخرج الناس من مصر والقاهرة وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم ونزل الافرنج شارمساح والبرمون ووصلوا تجاه المنصورة ونصبوا المجانيق على المسلمين وصارت مراكبهم بازائهم فى البحر والتحم القتال وكان فى البحر بعض مخائض فدل من لا دين له الافرنج عليها فركبوا سحرا فلم يشعر المسلمون الا وقد هجم عليهم الافرنج وكان الامير فخر الدين قد دخل الحمام فأتاه الخبر ان الافرنج قد هجموا على المسلمين فركب دهشا وأخذ يحرض المسلمين على القتال فاستشهد الامير فخر الدين ووصل ريدافرنس الى باب القصر السلطانى ولم يبق الا أن يملكه فاذن الله تعالى ان طائفة من المماليك البحرية الذين استخدمهم الملك الصالح ومن جملتهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى حملوا على الافرنج حملة صدقوا بها اللقاء حتى أزالوهم عن مواقفهم فانهزموا وبلغت عدة من قتل من الفرنج الخيالة فى هذه النوبة ألف وخمسمائة فارس وهذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما انفلت من الفرنج أحد وفى اثناء هذه المدة حضر السلطان المعظم توران شاه واستقر بقصر المنصورة فاحاط بالفرنج وظفر منهم باثنتين وخمسين مركبا وقتل وأسر ألف رجل وانقطعت

طرابلس وكانت بأيدى الافرنج من سنة ثلاث وخمسمائة وعكا وبيروت وصيدا وغير ذلك وبلغت مماليكه اثنى عشر ألفا وفى أيامه وصل عسكر التتار الى الشام وحصل الرجف والخوف فالتقاهم بعساكره وهزمهم شر هزيمة وحصلت مقتلة عظيمة ثم وقع الصلح مع التتار بعد أمور طويلة (وتولى من بعده ابنه الاشراف خليل) فأقام ثلاث سنين وشهرين ومات سنة ثلاث وتسعين وستمائة ودفن بمدرسته التى أنشأها بجوار مشهد السيدة نفيسة وقد خربها الافرنج سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وفى أيامه توجه لحاصرة عكا ففتحها وفتح غالب سواحل الشام وافتتح قلعة الروم بهسنا ومرعش وفتح حصن صور المسمى الآن بحصن منصور وكان من

الميرة عن الفرنج وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتل وأسر منهم كثير والذين نجوا من القتل تركوا خيامهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ومازال السيف يعمل فى ادبارهم وقد حل بهم الخزى والويل حتى قتل منهم ما ينوف على ثلاثين ألفا غير الذى ألقى نفسه فى البحر وأما الاسارى فحدث عن البحر ولا حرج ونهب المسلمون من أموالهم ودوابهم وذخائرهم مالا يحصى والتجأ الفرنسيس الى المنية المجاورة لدمياط بمن بقى معه واستسلموا للقتل وسألوا الامان فأمنهم السلطان المعظم ونزلوا مشاة حفاة وسيقوا الى المنصورة وقيد رذيدا فرنس واعتقل بالدار التى كان بها القاضى فخر الدين بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشى صبيح واعتقل معه أخوه وحشمه ومن بقى معه من أصحابه ولما انهزم الفرنسيس سقطت قلنسوته عن رأسه وهم يسمونها غفارية وكانت من قطيفة حمراء بفرو سنجاب فأخذها الامير جمال الدين بن يغمر فلبسها فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

وغفارية الفرنسيس لما * قد أتتنا السيد الامراء
كبياض القرطاس لونا ولكن * صبغتها سيوفنا بالدماء

وتسلم المسلمون دمياط ورفع العلم السلطانى على سورها واعلن فيها كلمة التوحيد والاسلام وشهادة الحق بعد ان أقامت فى يد الفرنج أحد عشر شهرا وسبعة أيام وافرج عن الفرانسيس وأخيه وزوجته ومن بقى معهم وتوجهوا الى بلادهم وفى ذلك يقول جمال الدين بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق من وزير نصيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها * تحسب ان الزمر والطبل ريح
فساقك الدهر الى أدهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم * بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهمو * الا قتيل أو أسير أو جريح
وفقك الله لامثالها * لعل عيسى منكمو يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا * فرب غش قد أتى من نصيح
قل لهم ان اضمروا عودة * لأخذ ثار أو لعقد صحيح
دار ابن لقمان على عهدها * والقيد باق والطواشى صبيح

فقدر الله تعالى أن الفرانسيس بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس وأخذ يحاصرها فقال له شاب من أهل تونس يقال له أحمد بن اسمعيل الزيات

يا فرنسيس هذه أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

وكان هذا فالا حسنا فهلك الفرانسيس على محاصرة تونس وكفى الله المؤمنين القتال فكانت مدة الصالح بمصر عشرين سنة وعشرة أشهر وتوفى بالمنصورة وحمل الى القاهرة كما تقدم ودفن بقبة بنيت له بجوار المدرستين والملك الصالح هو الذى بنى قلعة الروضة وأقام بها اجنادا وسماهم المماليك البحرية ومقدمهم الفارس قطاى وبنى قنطرة بالسد والمدرسة التى بين القصرين التى هى محكمة الآن والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح) ووصل الى المنصورة فى سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة وقتل بعد شهرين فى محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وكان السبب فى قتله انه أخذ يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطالبها بمال أبيه فخافت وكاتبت مماليك الملك الصالح وأخذت تحرضهم عليه وكان الملك المعظم فيه هوج وخفة وميل على العكوف بملاذه فنفرت منه النفوس واخذ فى ابعاد مماليك أبيه وكان اذا سكر أوقد الشموع وضرب رؤسها بالسيف وقال هكذا أفعل بالمماليك البحرية فاتفقوا على قتله فدخلوا عليه وفى ايديهم السيوف مجردة فهرب الى برج خشب كان فى خيمته

أحسن الاماكن بحيث عجز عنه السلطان صلاح الدين ومن يومئذ قطع دابر الافرنج من سواحل الشام وصار امرهم فى ادبار فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة (وولى بعده أخوه الملك القاهر بيدر) الذى كان نائبا عنه فأقام يوما واحدا وقتل (وولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون) سنة ثلاث وتسعين وستمائة فأقام سنة واحدة ثم خلع لصغره فانه كان ابن تسع سنين (وولى بعده نائبه المنصور حسام الدين لاجين المنصورى) ثم قتل سنة ثمان وتسعين وستمائة فأقام سنتين وعاد السلطان محمد ابن قلاوون الى السلطنة ثانيا سنة سبعمائة فأقام سبع سنين ثم حصل بينه وبين العسكر وحشة فخلع نفسه وذهب الى الكرك وفى مبدا ولايته سنة تسع

التي نصبها على شاطئ بحر النيل فادركوه وضربوه بالسيوف فدخل البرج وأغلق بابه فاطلقوا النار في البرج وهو يقول ما أريد ملككم دعوني أرجع الى الحصن يا مسلمين فلم يجبه أحد فخرج ورمى نفسه في البحر فاخرجوه وقطعوه بالسيوف فمات قتيلا غريقا حريقا وترك على ساحل البحر ثلاثة أيام ثم دفن بعد ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولت شجرة الدر سرية الملك الصالح) باتفاق مع الامراء وحلفوا لها واستحلفوا جميع العساكر المصرية والشامية ورتبوا الامير عز الدين أيبك التركماني على العساكر فاقامت ثلاثة شهور الى ان خلعت في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانت آخر الدولة الايوبية ومدة ولايتهم اثنان وثمانون سنة وأربعة أشهر خارجا عما تخلل في المدة وهو سنة وثمان شهور ولله در القائل

كانوا اليوثا لا يرام حماهم ✽ في كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم ✽ علما بكل ثنية وفجاج
فعليهم ما عشت لا أدع البكا ✽ مع كل ذى نظر وطرف ساج

وما أظرف قول القاضي الفاضل في ذكر الدولة الايوبية ان الذهب الابريز لم تدخل عليه آفة وأنتم يا بني أيوب أيديكم آفة الاموال كما ان سيوفكم آفة الرجال فلو ملكتم الدهر لا منحتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم وأفنيتم شموسه واقماره في الهبات دنانير ودراهم فأيامكم اعراس ومآتم فيها على الاموال مآتم والجود في أيديكم خواتم ونفس حاتم تحت نفش ذلك الخاتم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين

﴿الباب السابع في الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية﴾

كان ابتداؤها في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستمائة أولهم الملك المعز أيبك التركماني الصالحي أقام سنتين وأحد عشر شهرا الى أن قتل في ربيع الاول سنة خمسين وستمائة وكان السبب في قتله انه لما تزوج بشجرة الدر وكان مملوك زوجها الملك الصالح وخلعت نفسها من المملكة وسلمتها اليه خطب عليها بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فبلغ شجرة الدر ذلك فاخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فتغيرت عليه وتغير عليها وكرهها لانها كانت تمن عليه بانها ملكته مصر وسلمت اليه الخزائن والاموال وكانت تتصرف في مملكته وتأمر وتنهى ومنعته من الاجتماع بزوجته التي هي أم ولده نور الدين حتى ألزمته بطلاقها ولما تمكن الغيظ منه نزل الى مناظر اللوق وأقام بها أياما فبعثت اليه من حلف عليه وتلطف به وسكن غيظه فطلع الى القلعة وكانت قد أعدت له من يقتله اذا صعد اليها فلما صعد اليها ودخل الحمام ليلا فدخلت عليه ومعها خمس من الخدم فاخذ بعضهم بانثييه وبعضهم بخناقه فاستغاث بشجرة الدر فقالت لهم اتركوه فاغلظوا في القول عليها فقالت اتركوه فقال واحد متى تركناه لا يبقى علينا ولا عليك ثم قتلوه فتولى بعده ولده نور الدين المنصور فقبض على شجرة الدر ودخل بها على أمه فقتلتها الجواري بالقباقيب ورماها في الخندق وهي عريانة على باب القلعة وبعد أيام دفنت في التربة التي كانت قد أعدتها لنفسها فالدهر قد جازاها من جنس العمل لانها سعت في قتل الملك المعظم فقتل غريقا حريقا كما تقدم وترك ثلاثة أيام على شاطئ البحر فكذلك قتلت ورميت في الخندق وهي عريانة قال الله تعالى من يعمل سوأ يجز به وقال الشاعر

من يحتفر حفرة يوما يصير لها ✽ فان حفرت فوسع حين تحتفر

والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور نور الدين علي ابن الملك المعز) فاقام سنة واحدة وثمان شهور الى ان أمسك وقتل بعين جالوت في رابع عشر ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة والله أعلم (ثم تولى الملك المظفر قطز المعزى) وفي أيامه قطعت التتار الفرات ووصلوا الى حلب وبذلوا السيف فيها ثم وصلوا الى دمشق قال سبط ابن الجوزى أول ظهور التتار سنة خمس وعشرين وستمائة فاخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها وحاصروا خوارزم شاه ثم بعد ذلك عبروا النهر فلم يجدوا أحدا في وجوههم فابادوا البلاد قتلا وسبيا وساقوا الى ان وصلوا الى همدان وقزوين في تلك السنة وقد ملكوا أكثر المعمور من الارض وأحسنه وأعزه في سنة ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطؤها الا وهو خائف يترقب وصولهم ثم انهم لم

وتسعين وستمائة قدم غازان ملك التتار في مائة ألف الى دمشق فخرج الناصر الى قتاله في نحو عشرين ألفا فانهزم عسكر الناصر وقتل جماعة من الأمراء وملك غازان دمشق ما خلا قلعتها وخطب له بها وحصل لاهلها من التتار المشقة العظيمة ثم أخذ الناصر في التجهيز لقتالهم لان ابن تيمية جاءه على البريد وحثه على ذلك فخرج اليهم وهزمهم ومن يومئذ انكسر شرهم وصار أمرهم في ادبار ولما ذهب الى الكرك ولي مكانه السلطان بيبرس الجاشنكير فاقام سنتين ثم عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ثالثا الى مصر من الكرك وهي التولية الثالثة وكان بيبرس قد هرب الى الصعيد ثم هرب منه الى جهة الشام فأحضره الناصر

يحتاجوا الى ميرة لانهم معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها الا غيرا ما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعلف الشعير وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيأ ويأكلون جميع الدواب وبنى آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد ولما دخلت سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد فى مائتى ألف يقدمهم هلاكو فدخلوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم كما ذكرنا ذلك سابقا فى محله ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة والوقت بلا خليفة وقطعوا الفرات ووصلوا الى دمشق كما تقدم أرسل هلاكو كتابا الى الملك المظفر يذكر فيه نحن جنود الله ننتقم ممن عصى وتجبر وطغى وتكبر وبأمر الله ما ائتمر ونحن قد أهلكنا البلاد وآذينا العباد وقتلنا النساء والاولاد فيا أيها الباقون أنتم بمن مضى لاحقون ويا أيها الغافلون أنتم اليهم تساقون ونحن جيوش الهلكة لا جيوش المملكة مقصودنا الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعدلنا فى ملكنا قد اشتهر ومن سيوفنا يا ابن المعز أين المفر وفى المعنى

أين المفر ولا مفر لهارب * ولنا البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيبتنا الاسود وأصبحت * فى قبضتى الامراء والخلفاء

ولما وصل الكتاب الى دمشق أقبل المظفر بالجيوش وشاليشه بيد بيبرس البندقدارى فالتقواهم والتتار عند عين جالوت ووقع بينهم حرب شديد فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد والمنة وقتل من التتار مقتلة عظيمة وولوا الادبار وتبعهم العسكر يقتلون وينهبون وطمع الناس فيهم يتخطفون وساق بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم من البلاد ثم ان الملك المظفر وعد بيبرس بحلب ثم رجع عن ذلك فتأثر بيبرس من ذلك وكان ذلك سببا للوحشة بينه وبين المظفر فاتفق بيبرس وجماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق فى سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن بالقصير بارض الشام فكانت مدته أحد عشر شهرا وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر بيبرس العلائى) البندقدارى الصالحى صاحب الفتوحات والهمم العلية والشيم الزكية والاخلاق المرضية ومن أثر خيراته انه أنشأ المدرسة التى بين القصرين تجاه البيمارستان والجامع الذى بالحسينية وقناطر أبى المنجى بالقرب من قليوب وغير ذلك ومما يحكى عنه انه بلغه ان الشريف محمد بن يحيى بن سعيد حاكم مكة والمدينة المنورة حصل منه ظلم للتجار والحاج والمجاورين والواردين الى الحرمين الشريفين وتجاوز الامور وخرج عن الحد فكتب اليه أما بعد فان الحسنة فى نفسها حسنة وهى من بيت النبوة أحسن والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بيت النبوة أقبح وقد بلغنا عنك أيها السيد انك بدلت حرم الله بعد الامن بالخيفة وفعلت ما يحمر الوجه ويسود الصحيفة فكيف تفعلون القبيح وجدك الحسن وتضيع الفرض ومن بيتكم عرفت الفروض والسنن وتقاتل حيث لا تكون فتنة وأنت من أهل الكرم وساكن الحرم فكيف آويت المجرم واسفكت دم المحرم ومن يهن الله فما له من مكرم فان لم تقف عند حدك اغمد فيك سيف حدك والسلام فكتب اليه الجواب أما بعد فان المملوك معترف بذنبه تائب الحر به فان آخذت فانت الاقوى وان تعفوا أقرب للتقوى حكى ان الملك الظاهر بيبرس لما عرض عليه الامير بدر الدين بيلبك الخازندار ليشتريه قال التاجر يا خوند هو يكتب ويقرأ فاحضر له دواة وقلما وورقة ليكتب شيأ يراه فكتب

لولا الضرورة ما فارقتكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغب فى شرائه وحكى ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين ابن العديم فاعجبه خطها فأمسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها الى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى كان يحمل نعله وكان عنده فى حالة غير مرضية فقال له هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى فى ذا الذى أوقفك عليها قال يا مولاى كنت

وخنقه ودفن بمدرسته البيبرسية بالدرب الاصفر داخل باب النصر واستمر الملك الناصر فى السلطنة وتمكن منها وعمر مساجد ومدارس وفى أيامه انقطعت الخطبة باسم العباسيين والدعاء لهم على المنابر واكتفى باسم السلطان وكانت وفاته يوم الاربعاء تاسع عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن عند والده بالقبة وكانت مدته الاخيرة اثنين وثلاثين عاما وسبعة أشهر ونصفا فصارت جملة ولايته أربعا وأربعين سنة وخمسة عشر يوما لم يبلغ هذه المدة أحد من سلاطين مصر (وولى بعده ولده) الملك المنصور أبو بكر وكان سيئ السيرة فخلع وقتل سنة اثنتين وأربعين وكانت مدة ولايته شهرين وأياما (فولى بعده أخوه

اذا وقعت لاحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب على طريقتها اسطرين أو ثلاثة فأمره أن يكتب بين يديه ايراه فكتب يقول

وما تنفع الآداب والعلم والحجا * وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط فرفع منزلته (تنبيه) لا يخفى ما في هذا البيت الذى تمثل به المملوك من التورية التى هى من أنواع البديع والتمثيل أيضا لما فيه من المعنى ومطابقة اللفظ كانه يقول ان الله من على بحسن الخط بان شابهت سيدى فى كتابته التى صار بها رئيسا فى زمانه وأنا عنده غير محظوظ كانى ميت عند الكمال ويقال الناس فى ذلك على ثلاثة أقسام قسم أعطى حظا لا خطا وقسم أعطى خطا لا حظا وقسم أعطى خطا وحظا

لا تعجبن بان الخط يسعدنى * ولا فصاحة شعر الحاتم الطائى

بل انما أنا محتاج لواحدة * لنقل نقطة حرف الخاء للطاء

(فائدة) قال الفخر الرازى حد البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كان ما يقول فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل وقيل البليغ من يحول الكلام على حسب الامانى ويحفظ الالفاظ على تردد المعانى ويقال الكتابة صناعة شريفة تجلس الحقير مجالس الملوك وهى آلة قانونية تحملها آلة جسمانية تضعف بالترك وتقوى بالادمان قال على كرم الله وجهه عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق وقيل ما حسن خط انسان الا وطلب الرياسة وما حسن صوت انسان الا وطلب الشهادة (فائدة) لا بأس بذكرها عند الاحتياج اليها وهى قال المنصورى فى اعتبار علامات المماليك والجوار عند المشترى تدل على اسقام ظاهرة وباطنة وعلى أحوال فى الجماع من النساء وهو نوع تام من أنواع الفراسة محتاج اليه جدا احذر اللون الاصفر فانه يدل على علة فى الكبد والطحال أو المعدة أو يكون له بواسير تنزف الدم احذر الكرز الرقيق البياض أو الرقيق السواد والمخالف للون البدن كله فانه قد يكون مبادى بهق أو برص لم يستحكم احذر الخشونة الخفيفة التى تراها فى موضع من البدن فانه ربما يكون مبادى قوباء لم تستحكم احذر أيضا الشامة وشبهها أو ما تراه فى البدن كالكى أو الوسم فانه ربما يكون على موضع برص واذا أشكل عليك شئ منه فادخل بالمملوك الحمام وادلك ذلك الوسم أو الشامة بالاشنان والبورق والخل فانه يتبين لك أمره احذر كدرة بياض العين وظلمتها فانها تنذر بالجذام احذر الصفرة فى العين فانها دالة على رداءة الكبد وان كان فى العين عروق ظاهرة دلت على السبل احذر غلظ الاجفان وبطء حركتها فانه ربما كان مبادى جرب فيها احذر عظم الانف واعوجاجه فانه ربما دل على بواسير فى داخله فانظر فيها فى الشمس وربما سال منها رطوبة عند الغمزة تدل على بواسير احذر قلة اشفار العيون وقلة شعر الحاجبين فانه دال على الجذام واعتبر حال الانفاس والنكهة من الفم والانف فانه ربما دل على البخر واعتبر حال الاسنان فان القوى منها طويل البقاء دال على العمر وعلى صحة البدن وقوة الدماغ وبالعكس واعتبر وضعها فى معارسها فان كانت تدمى أو فيها خلل فى اصطفافها وكذلك رائحة النكهة فاحذره واحذر ما ركب بعضها من القلح كاللون الاخضر والاصفر والاسود وشبيه الحرق بالنار فانه يدل على فساد المعدة والنكهة احذر أيضا من قلة صبغ الشفتين أو بياض لون اللسان وشلظه أو تغير لون عقبه أو خضرة أو سواد يسير فانه منذر بمرض قريب أو بان الكبد ضعيف والطحال معتل احذر النتوء فى البطن والمكان الموجع منه والمؤلم عند الغمزة فانه يدل على مرض فى المعدة أو فيها احذر النتوء فى العنق وان كان صغيرا أو أثر قرحة فيه فانه يدل على أن يكون هناك خنازير وغدد أو نتوء يتولد منه بسرعة ولا بأس ان تأمر المملوك أن يجرى شوطا ثم تتفقد المشى منه هل فيه ربو أو سعال ثم تتفقد حال مفاصله فى سلامتها للحركات وتتفقد الساق منه هل فيه عروق ثخان كبار واسعة فانه ربما يدل على داء الفيل أو عرق النسا واعتبر ضعف العصب وقلة الجلد

السلطان) كجك وعمره ست سنين فاقام ثمانية أشهر والامر فى دولته الى قوصون وبشبك فخلعوه وتوفى بقوص بعد أربع سنين (وولى بعده أخوه أحمد) فاقام أربعين يوما ثم خلع وقتل سنة خمس وأربعين وسبعمائة (وولى الملك الصالح عماد الدين اسمعيل أخوه) فاقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما وتوفى سنة ست وأربعين وسبعمائة وعمره نحو العشرين سنة وهو الذى أوقف قريتين لكسوة الكعبة بيسوس وسندبيس (وولى بعده أخوه الاشرف شعبان) فاقام سنة وشهرا وسبعة عشر يوما وقتل (وولى بعده السلطان حاجى أخوه فاقام سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم خلع وقتل وكان سيئ السيرة (وولى بعد أخوه السلطان حسن

والرعشة عند الاعمال القوية والضعف عند الجماع والاسترخاء بعد شرب الماء البارد واعتبر لطافة المفاصل ورقة الاوتار ورقة الجلد والبشرة فانك تنتفع بهذه العلامات فى اقتناء الجمال البيك نفعا جيدا (القول فى اعتبار أحوال الجوار) بعلامات تدل على احوال مستورة (منها) اذا كان فم المرأة واسعا كان فرجها واسعا واذا كان ضيقا كان مثله واذا كان مدورا كان كذلك واذا كانت كبيرة الارنبة من الانف غليظة الشفتين كانت غليظة حافتى الفرج وان كان لسانها شديد الحمرة كان فرجها شديد الرطوبة وان كانت حدباء الانف فهى قليلة الرغبة فى النكاح وان كانت طويلة العنق فهى رابية الفرج قليلة نبات الشعر وان كانت كبيرة الوجه غليظة العنق دل ذلك على صغر العجز وصغر الفرج وضيقه وان كانت صغيرة الحنك كانت غليظة الفرج وان كان لحم ظاهر قدميها صلبا كانت عظيمة الفرج وان كانت نبيلة مكتنزة اللحم لليدين والقدمين تكون كثيرة الشبق لا صبر لها على النكاح وان كانت حارة المجاس فى كل وقت حمراء الشفتين واللثة صلبة العجز فتكون شديدة الطلب للنكاح وان كانت حمراء اللون زرقاء العينين فتكون شديدة الشهوة وان كانت كثيرة الضحك خفيفة الروح سريعة الحركة فتكون قوية الشهوة للنكاح وان كانت كحلاء العينين مع كبرهما فتكون شديدة الغلمة ضيقة الفرج وان كانت كبيرة الاذنين صغيرة العجز فتكون عظيمة الفم وان كانت ناتئة العقبين الى ناحية الظهر دل على سعة الفرج وان كان لحم المرأة عبلا مترهلا ولونها أبيض بصفرة يسيرة والعين منها كالجامدة ليس عليها سرور ظاهر دل على رطوبة الفرج وبرودته واعلم ان النساء على ضروب ورتب سبعة ولكل ضرب ورتبة منزلة فى الشهوة لا يحصل لها كمال اللذة الا بها ولا تنقاد للرجل بالطاعة والمحبة وحفظه فى الغيبة الا بها وهى شحماء وزلفة وجوفاء وقعراء وبجاء وفهواء وسكفاء فاما الشحماء فالعبلة الفرج مع صلابته وامتلائه شحما وهذه لا يكمل لها لذة الجماع الا بالذكر الطويل الذى يصل الى باب الرحم ومحل الولد لا على الفرج (سئل) عمر بن عثمان القاضى عن جارية اشتراها فقيل له كيف وجدتها فقال فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة وذكر الهندى ان مقدار الذكر الطويل اثنا عشر أصبعا فما فوقها والوسط تسع أصابع فما فوقها والصغير ستة أصابع فما فوقها وأما الزلفة فهى مضمومة الفرج الى ما حوت حوانبه وهزل بعد عنه ولا يحصل لها كمال اللذة الا بالذكر القصير الغليظ جدا وأما الجوفاء فهى منضمة أول عنق الفرج ومجوفة الداخل منه وهذه لا يكون لها لذة الجماع الا بالذكر الوسط الرأس بجوانب الفرج وأما القعراء فهى طويلة عنق الفرج بعيدة باب الرحم وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل المفرد دون غيره وأما البجاء فهى التى فرجها معتدل يوافقها كل ما ذكرنا وأما الفهواء فهى واسعة الفرج يوافقها الذكر الطويل الغليظ والوسط كذلك وأما السكفاء فهى الناتى فى فرجها عظمان يكادان يلتقيان فى عنقه ويمنعان من الايلاج وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل الرقيق وقل ان تحمل الا وتموت عند الولادة قبل خروج الولد لضيق الفرج ومن أراد الاستلذاذ بالجماع فعليه بالقصيرة من النساء رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر السلطان بيبرس فانه أقام فى السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين ونصفا ومات بالقصر بدمشق ودفن فى سابع عشرى محرم الحرام سنة ست وسبعين وستمائة ﴿ثم تولى الملك السعيد بركة ناصر الدين محمد ابن الملك الظاهر بيبرس﴾ فتصرف سنتين وثلاثة شهور وكان الافرم نائبه فى الامور ثم خلع وتوجه الى الكرك فى سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة ﴿ثم تولى أخوه الملك العادل بدر الدين شلامش﴾ وعمره سبع سنين وكان يدعى له ولقلاوون وضربت السكة باسمهما فاقام مائة يوم وعزل فى رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة ﴿ثم تولى الملك المنصور أبو المعالى قلاوون الصالحى الالفى﴾ وهو الذى بنى البيمارستان بين القصرين بمصر والقبة التى دفن بها وله الفتوحات بساحل البحر الرومى منها طرابلس وبيروت وصيدا وغير ذلك ومما اتفق له انه بعث سيف الدين عبد الله وكان من خيار جنده وعقلائهم وأفاضلهم

ابن محمد بن قلاوون) وعمره يومئذ احدى عشرة سنة فاقام ثلاث سنين وتسعة وخمسين يوما ثم خلع وحبس بالقلعة (وولى فى محله أخوه صالح) وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الملك الناصر محمد قلاوون وأقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم عاد السلطان حسن سنة خمس وخمسين وسبعمائة فاقام ست سنين وسبعة أشهر وأياما وجملة مدته عشر سنين وأربعة أشهر وأيام وفى أيامه بنى جامع الامير شيخون وخانقاه الامير صرغتمش ومدرسة السلطان حسن بالرميلة بناها فى ثلاث سنين وأرصد لمصروفها كل يوم نحو ألف مثقال ذهبا (ثم تولى من بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد حاجى) فاقام سنتين وثلاثة أشهر وخلع سنة أربع وستين وحبس

جهدية الى ملك الغرب فلما رجع من عند ملك الغرب أخبر الملك المنصور قلاوون أنه لما كان مقيما عند سلطان الغرب جاءته رسالة من بعض ملوك الافرنج الكبار المعادين للمسلمين أن يشفع له فى تزويج بنت بعض ملوك الفرنج لولده وكان والدها مهادنا لملك الغرب ومدعيا صحبته وكان الملك المستشفع قبل ذلك معاديا للمسلمين ومؤذيا لهم ولكن حمله هوى ابنه على أن يبعث الى ملك الغرب فى ذلك فاحتاج الى ارسال رسول الى ملك الفرنج بسبب ذلك فقال لى تذهب فى هذه القضية فقنعت فقال لى هذه مصلحة فيها للمسلمين راحة وأرى أنك تذهب فيها فلم يزل يلح حتى ذهبت فاديت الرسالة الى ملك الفرنج وقضيت أربه واقمت عند ملك الفرنج مدة فأعجبه حالى وأحبنى حبا شديدا وعرض على المقام عنده مبقى على دينى دين الاسلام فقلت لا سبيل الى ذلك فأجازنى وأكرمنى فلما أردت الانصراف من عنده قال أريد أن أتحفك بامر عظيم لم يحصل لاحد من المسلمين مثله فتعجبت من ذلك وقلت من أين ذلك فاخرج لى صندوقا مصفحا بالذهب ففتحه وأخرج منه مقلمة من ذهب ففتحها فاخرج منها كتابا قد زال اكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير وقال أتدرى ما هذا قلت لا قال هذا كتاب نبيكم الى جدى قيصر وما زلنا نتوارثه ملكا بعد ملك وكل ملك كان عنده حفظه وقد أوصانا أجدادنا انه مادام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا وهذه الوصية متلقاة عن جدنا قيصر فنحن نحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ ونعظمه غاية التعظيم ونتبرك به ولا يعرف ذلك أحد من النصارى الاخص ولولا عزتك وكرامتك وثقتى بعقلك ما أطلعتك عليه قال فأخذته وعظمته وتبركت به ولم يقدر على قراءته أحد لتقطع أجزاء حروفه من طول الزمان وبسبب هذه الرسالة كف الله شر هذا الملك المعادى للمسلمين فكانت مدة ولاية الملك المنصور قلاوون احدى عشرة سنة وشهرين ونصفا وتوفى بمنزله مسجد التبن بالقرب من المطرية عند خروجه على نية الجهاد فى سادس شهر ذى القعدة الحرام سنة سبع وثمانين وستمائة (ثم تولى الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون) قال محمد بن غانم فى الملك الاشرف خليل وفى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

مليكان قد لقبا بالصلاح * فهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لا شك فى فضله * ولكن خليل هو الاشرف

ومما يحكى عن الملك الاشرف خليل انه كان جالسا فى بعض الايام والقراء يقرؤن القرآن وكان والده المنصور قلاوون محاصر الطرابلس فقال نصره الله فى هذه الساعة أخذت طرابلس فشاع هذا الخبر وذاع وملا الافواه والاسماع فلم يمض الامسافة الطريق حتى وردت الاخبار بفتح طرابلس فى الساعة المذكورة وذلك الامر قد كشفه الله عن ذهنه وحكى القاضى محب الدين بن عبد الظاهر ان الشيخ شرف الدين البوصيرى رأى فى منامه قبل مسير الاشرف خليل الى حصار عكا قائلا يقول

قد أخذ المسلمون عكا * وأشبعوا الكافرين صكا * وساق سلطاننا اليهم
خيلا تدك الجبال دكا * وأقسم الترك منذ سارت * لا يتركوا للفرنج ملكا

فاخبر بذلك جماعة شهدوا بصحة ذلك فسافر الاشرف فى أثناء ذلك ففتحها وفيه يقول القاضى محب الدين المذكور

يا بنى الاصفر قد حل بكم * نقمة الله التى لا تنفصل
نزل الاشرف فى ساحتكم * فابشروا منه بصفع متصل

فاقام الاشرف خليل ثلاث سنين وشهرين وقتله مملوكه الامير سيف الدين بيدارا بالبحيرة فى ثالث عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائه ونقل الى تربته التى أنشاها بجوار مشهد السيدة نفيسة (ثم تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون) وعمره تسع سنين وخلع فى المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة *(ثم تولى الملك العادل كتبغا المنصورى) واستقر لاجين نائبا فاقام سنتين وهرب الى الشام فى المحرم سنة ست وتسعين وستمائه والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى) الذى كان نائبا

بالقلعة الى أن مات فى سنة احدى وثمانمائة (وولى بعده الاشرف شعبان ابن السلطان حسن) فاقام أربع عشرة سنة ثم قتل وهو الذى أحدث العمامة الخضراء للاشراف ومكث الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة وكان احداث العمامة الخضراء سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفى تلك السنة كان ابتداء خروج الطاغية تيمورلنك الذى خرب البلاد وأباد العباد (ثم تولى من بعده ولده على) فاقام أربع سنين وشهورا وكان محجورا بالصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (وولى بعده أخوه السلطان سقرخان حسين ابن السلطان حسن) فاقام سنة وستة أشهر وكان عمره ست سنين وكان امره لبرقوق كأخيه ثم خلع سنة

فاقام سنتين وسبعة وأربعين يوما وقتل فى القلعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة ودفن بالقرافة ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيا بعد ان تعطلت السلطنة احدى وأربعين يوما الى ان حضر الى القلعة فى سادس جمادى الاولى سنة ثمانى وتسعين وستمائة فاقام عشرين سنة ثم عزم على الحج فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة وعرج على الكرك وأرسل يخبر الامراء أنه أقام بها ورجع عن السلطنة لما قصرت يده فى مملكته بوجود سلار وبيبرس وكان ذلك تدبيرا منه وذلك فى شوال سنة ثمان وسبعمائة والله تعالى أعلم (ثم تولى المظفر بيبرس جاشنكير المنصورى) استدار الناصر محمد بن قلاوون ويعرف بالعثمانى فاقام أحد عشر شهرا وخلع نفسه وهرب الى الصعيد وهو الذى بنى البيبرسية بالدرب الاصفر ودفن بها وجدد جامع الحاكم بعد الزلزلة ومات فى سادس رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة ووجد بعد موته ختمة شريفة مكتوبة بالذهب فى سبعة اجزاء فى قطع البغدادى كتبها له شرف الدين بن الوحيد بقلم الشعر وأخذ طاليته ذهب بالف وسبعمائة دينار وأنفق عليها جملة أموال والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثالثا وجاء من الكرك قال الشاعر

الملك الناصر قد أقبلت * دولته تشرق كالشمس
عاد الى كرسيه مثل ما * عاد سليمان الى الكرسى

وان الملك الناصر عمر فى زمنه الجامع المعروف بالجديد بمصر القديمة بجوار المجراة وعمر جامعا بالقلعة وعمر المدرسة التى بين القصرين وسافر بالحج سنة تسع عشرة وسبعمائة وسافر أيضا بالحج سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وحفر الخليج الناصرى المتصل الى سرياقوس وعمر عليه القناطر وعمر قناطر الجيزة وله عمارات كثيرة من ميادين وقصور وغير ذلك (قيل) انه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم فأمره ببناء خانقاه تجاه سرياقوس وقال له هناك علامة بالرمل تهتدى بها فبادر فورا الى المحل المذكور فوجد العلامة فبنى هناك خانقاه وجعل بها محلات للمتزوجين ومحلات للعزاب وحمامين وبينهما بيمارستان ومدرسة عظيمة ووضع بها أربع عشرة ربعة ومن جملتها ربعة مكتوبة بالذهب المموه كتابة بالقلم المحقق بالتحرير والاتقان وكل حرف مشعر بالسواد الرفيق الذى لا قطع ولا وصل وفاتحة كل سورة من ابقه مجدولة بالذهب وبآخر كل جزء كتبه وجدوله وذهبه وجلده محمد بن محمد الهمدانى وهى من مفردات الدهر واجزاؤها ثلاثون جزأ ذكر ان مصرف كل جزء مائة دينار والناس يأتون من الاقطار ويتفرجون عليها وقد شاهدتها مرارا وان الناس عمروا بجوار الخانقاه المذكور جوامع ومساجد واسواقا وبيوتا وغير ذلك حتى صارت مدينة من مدائن مصر المشهورة وهى عامرة الى الآن ومما اتفق فى أيام الملك الناصر المشار اليه ان مغربيا كان جالسا بباب القلعة عند سلار فحضر بعض كتاب النصارى بعمامة بيضاء فقام له المغربى وتوهم انه مسلم ثم ظهر انه نصرانى فدخل على الملك الناصر وفاوضه فى تغيير زى أهل الذمة ليمتاز المسلمون منهم فامر أن تلبس النصارى الازرق واليهود الاصفر والسامرة الاحمر ليتقل اذاهم ويعرف المجرمون بسيماهم ومات الملك الناصر يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن مع والده بالقبة المنصورية فكانت مدة ولايته فى الثلاث مرات أربعا وأربعين سنة وخمسة عشر يوما خارجا بين ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور أبو بكر) وهو أول أولاد الناصر محمد بن قلاوون فاقام شهرين وأياما وخلع سنة اثنتين وأربعين وستمائة وقتل بقوص والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الاشرف على كوجك بن الناصر محمد) وعمره ست سنوات فاقام ثلاث شهور والامر فى دولته ودولة اخيه لقوصون ويشبك والله أعلم وتوفى بقوص (ثم تولى الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد) وكان مقيما بالكرك فحضر الى مصر فى عاشر شوال سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فاقام ثلاثة شهور وخلع نفسه فى تاسع عشر المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة والله أعلم (ثم تولى الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد) فاقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما الى

اربع وثمانين وسبعمائة وانقرضت بموته دولة الاتراك ومن الغرائب انه قد تولى من ذرية الملك الناصر اثنا عشر سلطانا ولم تبلغ مدتهم مدة الناصر فانه أقام أربعا وأربعين سنة ونصف شهر كامل ومدة هؤلاء ثلاثة وأربعون سنة ومدة ولاية الاتراك مائة سنة وثلاثون سنة وسبعة اشهر ثم جاءت دولة الجراكسة قال بعضهم ولهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم وكانت أهل مصر تتلاعب فيما بايديهم من الارزاق وخدمهم تبيع ما يحصل من طعامهم للناس من لحم ونفائس وغير ذلك وكان لهم سوق تبيع فيه خدمهم ما يفضل من أطعمتهم التى يأخذونها من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت

ان توفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة والله أعلم * (ثم تولى الملك الناصر شعبان ابن الناصر محمد) * فى ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة وفيه يقول جمال ابن نباتة

طلعة سلطاننا تبدت * بطالع السعد فى طلوع
فأعجب لها كيف أبدت * هلال شعبان فى ربيع

فاتفق انه كان للسلطان شعبان أخ يدعى أمير حاج وكان محبوسا فعمل لاخيه طعاما يأكله فى الحبس وعمل للسلطان طعاما يأكله على تخت الملك فقدر الله سبحانه وتعالى أن خلع السلطان شعبان وحبس مكان أخيه أمير حاج وجلس أمير حاج على تخت الملك فالمتولى اكل طعام المعزول والمعزول أكل طعام المتولى فمدة تصرف السلطان شعبان سنة وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان أمير حاج) واقب بالمظفر فاقام سنة واحدة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وأمسك ومات فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الناصر أخو أمير حاج) فأقام ثلاث سنين وتسعة شهور وعشرة أيام وخلع فى ثالث عشرى جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الصالح صلاح الدين) أخو الناصر حسن فاقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأمسك فى شهر شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة والله أعلم ثم عاد السلطان حسن ثانيا وجلس على تخت السلطنة الشريفة وتمكن وتصرف وبنى مدرسته التى بالرميلة بمصر وهى من أحسن المدارس محكمة البناء ليس لها نظير وقد سمعت من بعض الافاضل ان السلطان حسنا لما تم بناء مدرسته المذكورة رتب لها وظائف لاقامة الشعائر الاسلامية ووقع الاتفاق ان السلطان حسنا يجلس بالمدرسة يفرق وظائفها لمستحقيها بحضرته وحصل التنبيه على يوم معلوم لمجىء السلطان حسن صبيحة اليوم المذكور بعد ان فرشت المدرسة بالفرش الفاخرة وجلس السلطان بالمدرسة وجلس من له عادة بالجلوس وكان بازاء السلطان حسن فرجة وبجوارها وسادة متكى عليها السلطان حسن فاتفق ان الشيخ الامام العلامة الهمام قوام الدين الاتقانى العجمى صاحب الاتقان فى فقه الحنفية والنهاية شرح الهداية وغير ذلك من التصانيف وكان فى زمانه أوحد الدهر باتفاق وشيخ الحنفية على العموم والاطلاق وكان حالة قدومه الى مصر صورة قرندلى وعلى رأسه طرطور فبلغه هذه الجمعية فبادر الى المدرسة ودخلها فرأى السلطان فى هذا المحفل العظيم فمازال يتخطى الرقاب الى أن جلس فى تلك الفرجة فنظر اليه السلطان حسن شزرا وقال له ما الفرق بينك وبين الحمار قال هذه الوسادة فهابه السلطان وأمر من حضر من العلماء والافاضل أن يبحثوا معه فى علوم شتى فأجادوا أفادوا وخرست الالسن وفتحت الآذان لما أبداه من العلوم فأعجب به السلطان حسن وأنعم عليه بالمشيخة بمدرسته وتوجه السلطان حسن الى تخت ملكه وأمر أن يركبوا الشيخ قوام الدين المذكور على مركوب السلطان حسن بسرجه وعدته فركب ومشى امامه أكابر الدولة من جملتهم الامير صرغتمش الى أن طلع الديوان فتعجب بعض من حضر من ذلك الموكب فقال الشيخ قوام الدين لا تعجبوا فى ذلك فقد مشى تحت ركابى سبع سلاطين من سلاطين العجم فسبحان المنعم على عبيده ولقد أحسن من قال فى المعنى

العلم يرفع بيتا لا عماد له * والجهل يخفض بيت العز والكرم

وفى أيام السلطان حسن بنى شيخون جامعه وخانقاه وبنى صرغتمش مدرسته وقرر الشيخ قوام الدين فى تدريسها وكان مدة تصرف السلطان حسن فى الولايتين عشر سنين وأربعة أشهر ثم أمسك وقتل عند مملوكه يلبغا فى شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور بن حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون) فاقام سنتين وخمسة أشهر وخلع واقام بالقلعة الى ان مات فى خامس شهر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الاشرف شعبان ابن السلطان حسن) وهو الذى بنى الاشرفية برأس السوق تجاه القلعة وهدم غالبها

الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكان لهم خيرات ومبرات ولهم بشاشة ولطف وشجاعة الى أن فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم ومالوا الى العوانية والمفسدين وأخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ولم يزل ذلك فى مماليكهم الى الآن وأولهم السلطان برقوق وكان اسمه من قبل الطنبغا فسماه أستاذه يلبغا الكبير برقوق وكان أبوه ملكا واقب بالظاهر باشارة السراج البلقينى تولى سنة أربع وثمانين وسبعمائة فاقام ست سنين وثمانية أشهر وستة وعشرين يوما واختفى فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك

بعده فأقام أربع عشرة سنة وشهرين ونصفا ثم خلع وقتل فى خامس ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وفى زمنه فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة كان ابتداء خروج تيمورلنك وكان أصله من ابناء الفلاحين ونشأ يسرق ويقطع الطريق الى ان انضم الى خدمة خيل السلطان ومازال يترقى الى ان وصل ماوصل (ثم تولى الملك المنصور على ابن الملك الاشرف) فأقام خمس سنين وأربعة أشهر وكان محجوبا لصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفى الملك المنصور يوم الاحد ثالث عشرى صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وفى زمنه فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ورد كتاب من حلب يتضمن ان اماما قام يصلى فعبث به شخص فى صلاته فلم يقطع الامام الصلاة حتى فرغ فلما سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب الى الغابة فتعجب الناس من ذلك وكتب بذلك محضر بواقعة الحال والله تعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الملك المنصور حاجى بن الاشرف) فأقام سنة وستة أشهر وكان عمره ست سنين والامر فى ذلك لبرقوق ثم خلع فى ثانى عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقد انقضت دولة الاتراك كما انقضت دولة من قبلهم ولله البقاء فكان مدة ملكهم مائة وثلاثين سنة وسبعة شهور ولله در القائل

وصاروا أحاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم فى ملكهم يضرب المثل

الباب الثامن فى دولة الجراكسة

وهم طوائف سواذج ولهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم فكانت أهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانت خدامهم تبيع جميع مايتحصل من طعامهم للناس من لحم ودجاج ونفائس وغير ذلك وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم التى أخذتها خدامهم من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكان لهم خيرات وقد نظم بعضهم فيهم فقال

قوم اذا أقبلوا كانوا ملائكة * لطفا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

الى أن فشى الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم ومالوا الى العوانية والمفسدين وأخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالمين خراب ولو بعد حين وان الملك لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين (أولهم السلطان الظاهر برقوق) وكان اسمه من قبل الطنبغا فسماه أستاذه يلبغا الكبير برقوق تسلطن يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فأقام ست سنين وعشرة أيام واختفى فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان قد بدأ بعمارة مدرسته التى بين القصرين والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد الملك المنصور حاجى بن الاشرف) فأقام سبعة شهور الى أن خلع نفسه من السلطنة عند مجىء برقوق من الكرك فدخل مصر والملك المنصور عن يمينه والخليفة عن يساره والله سبحانه وتعالى أعلم ثم جلس برقوق على تخت السلطنة الشريفة فاتم بناء مدرسته وهى من محاسن مدارس مصر قال الشاعر

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة * فاقت على ارم مع سرعة العمل

يكفى الخليل بان جاءت لخدمته * صم الجبال بها تمشى على عجل

وبنى أيضا تربة بالصحراء وهى مسكونة معمورة الى الآن وكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وأربعة أشهر وتوفى فى شوال سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة وضبط ماخلفه برقوق فكان من الذهب ألفى ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ومن القماش والخز والاثاث ماقيمته ألف ألف دينار ومن الخيول المسومة والبغال ستة آلاف ومن الجمال البخت خمسة آلاف وكان عليق دوابه فى كل شهر عشرة آلاف أردب والله أعلم (ثم تولى الملك الناصر أبو السعادات) فرج بن برقوق فأقام ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام ثم اختفى بعد ذلك والله أعلم (ثم تولى الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق) فأقام سبعة وأربعين يوما وظهر الملك أبو السعادات وأمسك أخاه وحبس بالاسكندرية وقتل

وكان قد بدأ فى عمارة مدرسته التى بين القصرين ثم عاد من الكرك وأتم بناءها وهى من أحسن مدارس مصر وبنى أيضا تربته بالصحراء وهى مسكونة مشهورة الى الآن فكانت مدة تصرفه فى المرة الثانية تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة (وولى من بعده ولده السلطان الناصر فرج بن برقوق) فأقام ست سنوات واختفى (وولى بعده أخوه عبد العزيز) سنة ثمان وثمانمائة وأقام عاما واحدا ثم عاد الناصر فرج ثانيا وأقام الى أن قتل وامتهن فى قتله سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان أفرس ملوك الترك بعد الاشرف خليل تجهز سبع مرات للخروج الى الشام وتمهيدها وقهر متغلبيها كالمؤيد شيخ وغيره وفى

بها ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد الملك الناصر أبو السعادات فرج) الى السلطنة فأقام ست سنين وتسعة أشهر وجملة ولايته أولا وثانيا ثلاث عشرة سنة وشهران وعشرة أيام وكان ما كان بينه وبين جنده فقتلوه شر قتلة بدمشق وألقى على مزبلة وهو عريان من اللباس يمر به الناس وينظرون الى جسده وذلك من أعظم العبر وأكبر المحن الى ان حن الله عليه بعض الناس بعد عدة أيام فحمله وغسله وأدرجه فى كفن وواراه فى التراب والرجاء من الكريم الوهاب أن يكون قد غفر له انه على كل شئ قدير (ثم تولى الملك العادل أبو الفضل العباس بن المتوكل) فأقام ستة شهور وأياما ثم خلع فى مستهل شعبان وكان استناب المؤيد وشاركه فى الخطبة والامر للمؤيد والله أعلم (ثم تولى الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى) وحبس الخليفة بالقلعة الى ان أرسله الى الاسكندرية فى المحرم سنة تسع عشرة وثمانمائة ومعه أولاد الناصر فرج وهم محمد وفرج وخليل وكان المؤيد شيخ بنى مدرسته الموجودة الآن فبدأ فى عمارتها سنة سبع عشرة وكملت فى سنة عشرين وليس بمصر من مدارس السلاطين أحسن منها ولا أكثر ولا أبهى منظرا قيل ان حالة بنائها أمر المهندسين ان يعملوا بابها مثل باب مدرسة السلطان حسن فبنى كما أمر ولما تم بناؤها أشاروا عليه انه لا يصلح لباب مدرسته الا الباب المركب على مدرسة السلطان حسن فقلعه وركبه على بابها وجعل لوقف السلطان حسن فى نظير الباب قرية بالقليوبية تسمى قها فكان ذلك سببا لنمو وقف السلطان حسن وادر ريعا وأجزل منفعة وهى مستمرة الى الآن ذكر القطبي فى أعلامه انه فى سنة خمس عشرة وثمانمائة فى زمن السلطان المؤيد ان شخصا عجميا من المشرفة يدعى بالقار وفى كان له جمل حمله فوق الطاقة فهرب الجمل من صاحبه ودخل البيت ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولم يقدر أحد أن يمسكه الى ان أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هنالك تجاه الميزاب الشريف فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هنالك ومما يحكى أن السلطان سليما فاتح مصر لما كان بمصر دخل مدرسة السلطان حسن فقال هذا احصار عظيم ودخل مدرسة المؤيد فقال هذه عمارة الملوك ودخل مدرسة الغورى فقال هذه قاعة تاجر وكان مدة السلطان المؤيد ثمان سنين وخمسة شهور وتوفى يوم الثلاثاء ثامن محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك المظفر أبو السعادات بن المؤيد) وعمره ست سنين وتسلطن يوم الخميس تاسع محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فكانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما والامر لططر فأقام سبعة شهور وأياما قلائل ثم خلع بعد ذلك والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر أبو الفتح ططر) فى تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة فأقام ثلاثة وتسعين يوما وتوفى فى خامس عشر ذى الحجة سنة تاريخه والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر محمد بن الظاهر ططر) فأقام أربعة شهور ويومين وخلع تاسع ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وأقام بقلعة مصر مكرما فى أحسن عيش الى أن مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى دولة الاشرف برسباى (ثم تولى الملك الاشرف أبو النصر برسباى) التركمانى يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكان سلطانا ماهرا ذا شهامة وتدبير وفتح قبرس سنة تسع وعشرين وثمانمائة وأحضر ملكها أسيرا ذليلا حقيرا حتى وقف بين يديه بخضوع وانكسار فمن عليه وأعاده الى مملكته بعد اختياره من أتباعه وجعل عليه خزينة فى كل سنة يرسلها حكى عنه انه لما سافر سفرته المشهورة الى آمد سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة نزل بالخانقاه السرياقوسية بمكان خال من البناء فنذر لله تعالى نذر تبرر وقربى ان أحياه الله تعالى وظفره بعدوه ورجع سالما ليعمرن فى هذا المكان سبيلا ومدرسة فلما توجه الى آمد ظفره الله بعدوه فقتل ملكها واستأصل أمواله وأحضر خوذته وعلقها بسلسلة فى دهليز مدرسته التى أنشأها بمصر برأس الوراقين والخوذة باقية مرئية الى الآن مشاهدة وان الاشرف

أيامه وصل تيمورلنك لبلاد الشام فسفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم وأسر أمير الشام وقتله فخرج الناصر لقتاله فوجده قد ترك البلاد وتوجه للروم فرجع الناصر الى مصر وكثرت الفتن (وولى بعده السلطان الملك المؤيد) أبو النصر شيخ المحمودى مملوك الظاهر برقوق فأقام ثمان سنين وخمسة أشهر وتوفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة وخرج الى الشام مرتين ومهدها ثم خرج الى بلاد العثمانى وافتتح قلاعا كثيرة وكان شهما مقداما عارفا بأنواع الفروسية ومكر الحروب معظما الشريعة محبا للفقهاء والعلماء وبنى مدرسته المعروفة بباب زويلة بدأ فيها سنة سبع عشرة وكملت فى سنة عشرين وثمانمائة (وولى بعده ولده

أوفى نذره وعمر بخانقاه سرياقوس بالموضع الذى كان نزل به عند ذهابه الى آمد بجامعها خطبة مفرشة أرضه بالرخام الملون وبجواره سبيل وقيل ان بمحراب الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم وفى معنى ذلك قال الشاعر

الاشرف السلطان عمر جامعا * بالخانقاه ليرتضيم بثوابه
وأتى بآثار النبى محمد * شعراته قد قيل فى محرابه
وامامه بين البرية محسن * وكذا القضاة مع الشهود ببابه

وان الاشرف عمر أيضا تربة خارج باب النصر بجوار تربة الظاهر برقوق (ومما يحكى) عنه أن شخصا مؤذنا كان قاطنا بمدرسته التى برأس الوارقين وكان مولعا بشرب الخمر ويؤذن ويسبح وهو سكران فبينما هو ذات ليلة قبيل الفجر وهو نائم مخمور اذ رأى رجلا جليل المقدار ذا هيبة ووقار وخلفه ثلاثة أنفار غلاظ شداد ومع أحدهم فلكة وكرابيج فقال للمؤذن ما السبب الداعى فى جراءتك على شرب الخمر فى هذه المدرسة فقال له المؤذن من تكون أنت فقال أنا السلطان برسباى منشى هذه المدرسة ثم قال لاتباعه اطرحوه فطرحوه ووضعوا الفلكة فى رجليه وأمر بضربه فضرب ضربا شديدا الى أن غاب عن وجوده فلما أفاق لم ير أحدا ووجد ألم الضرب برجليه وأراد الانتصاب فوجد نفسه مقعدا ثم انه تاب الى الله تعالى عن شرب الخمر واستمر وهو مقعد الى أن مات وتوفى السلطان برسباى فى يوم السبت ثالث عشر الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة فكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وثمانية شهور وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك العزيز يوسف بن برسباى) فأقام ثلاثة شهور وستة أيام وخلع فى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات فى أيام خشقدم والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائى اينال) وعمر فى أيامه عمارات كثيرة من مساجد وجوامع وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مغرما بحب الايتام والاحسان اليهم والفقراء (ومما يحكى) عنه أنه كان مقيدا بخدمة العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين محمد الحنفى عمت بركاته وكانت خدمته عنده ملء مطهرة زاوية الشيخ فخرج الشيخ من خلوته ذات يوم فوجد جقمق بلا عمامة على رأسه وكان الشيخ فى ساعة جمال فقال له اين عمامتك يا جقمق قال سقطت فى البئر ياسيدى فتبسم الشيخ محمد الحنفى وقال له أما يكفيك يا جقمق فى عمامتك سلطنة مصر فقبل اقدام الشيخ على هذه البشارة ولم يزل جقمق يترقى فى المناصب الى أن ولى سلطنة مصر فأقام فى السلطنة أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى ليلة الثلاثاء ثالث صفر الخير سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعد ان فوض أمر السلطنة لولده فى ابتداء توعكه ودفن بتربة الامير قايتباى أمير خور والله أعلم (ثم تولى الملك المنصور أبو السعادات عثمان بن جقمق) فأقام أربعين يوما وخلع يوم الاثنين مستهل ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وجهز الى الاسكندرية والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الاشرف ابو النصر اينال العلائى الناصرى) فى يوم الاثنين تاسع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكان قليل السماع فى الناس فأقام ثمان سنين وشهرين وستة أيام وتوفى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة بعد ان فوض الامر لولده بيوم ودفن بتربته التى أنشاها بالصحراء (ثم تولى أبو الفتح أحمد بن المؤيد) فأقام أربعة أشهر وأربعة أيام الى أن خلع يوم الاحد تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد خشقدم الناصرى) ثم المؤيدى وهو السلطان الاول من الاروام بمصر ان لم يكن المعز ايبك التركمانى ولاجين من الاروام فأقام ست سنين وخمسة شهور واثنين وعشرين يوما وتوفى يوم السبت عاشر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ودفن بالتربة التى انشأها بالصحراء (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد بلباى العلائى) ثم المؤيد يوم وفاة السلطان خشقدم فأقام سبعة وخمسين يوما وخلع يوم السبت عاشر جمادى الاولى وجهز الى

أبو السعادات أحمد) وعمره دون سنتين وكان أمره مفوضا الى ططر ثم خلعه ططر واستقل بالامر تلك السنة وأقام ثلاثة أشهر وتوفى ودفن بجوار الليث ابن سعد فى القرافة (وولى بعده ولده محمد) وعمره نحو عشر سنين فأقام نحو أربعة أشهر وخلع سنة خمس وعشرين وثمانمائة (وولى بعده الملك الاشرف) أبو النصر برسباى الدقاقى وهو ثامن ملوك الجراكسة فأقام ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام وتوفى سنة احدى وأربعين وثمانمائة وفى أيامه بنى المدرسة الاشرفية التى بالعنبرانيين بالقاهرة والشركسية خارج باب النصر والمدرسة بالخانقاه السرياقوسية وأرسل الى قبرس وفتحها وأحضر ملكها أسيرا ومن عليه

الاسكندرية فأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى (ثم تولى الملك الظاهر تمربغا الظاهرى) يوم خلع بلباى فأقام ثمانية وخمسين يوما وخلع يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجهز الى دمياط وخرج لامر لم يبلغه فأعيد الى الاسكندرية ليسكن بها فى أى مكان شاء فسكن بها الى أن مات رحمه الله تعالى (ثم تولى الملك الاشرف قايتباى المحمودى) فى سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة قيل انه حصلت له البشارة بالسلطنة من عدة من أولياء الله الصالحين قبل ان يليها وكان محبا للخير معتقدا للصالحين (حكى) عنه أنه لما جلبه الخواجا محمود الى مصر وكان معه رفيقه أحد المماليك الذى جلب معه فتحدثا مع الجمال الذى هو قائد الجمل الذى هو حاملهما فى ليلة مقمرة من شهر رمضان فقالوا لعل هذه الليلة النيرة ليلة القدر ولعل الدعاء فيها مستجاب فليدع كل منا بما يحبه فأما قايتباى فقال انا أطلب سلطنة مصر من الله تعالى وقال الثانى وأنا أطلب أن أكون أميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له أى شىء تطلب أنت فقال أطلب من الله حسن الخاتمة فصار قايتباى سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا وللسلطان قايتباى محاسن لا تحصى من خيرات وعمارات ومساجد ودور باطات ومدارس وأسبلة وغير ذلك منها انه أمر ببناء مسجد الخيف فبنى بناء محكما بوسطه قبة عظيمة وبالمسجد خوخة صغيرة يتوصل منها الى الجبل الذى فى سفح غار المرسلات وهو الموضع الذى نزل فيه سورة المرسلات على النبى صلى الله عليه وسلم * وفى سنة اثنتين وعشرين وألف حج مؤلف هذا الكتاب ودخل الغار المذكور وشاهد به تجويفا بأعلى رأس الجالس فيه ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وجلس فيه وكان الجالس لا يستطيع أن يرفع رأسه فلما رفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف لان الحجر وارتفع فالناس يضعون رؤسهم فى تلك التجويفة تبركا ومما شاهده المؤلف المرقوم فى الحجة المذكورة من الامر المهول أن الامير قاسم أمير الحاج الشريف دخل بالحجاج المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يوم الاثنين والغالب ان الحجاج يصلون الجمعة عند النبى صلى الله عليه وسلم والعادة أنهم لا يزيدون فى المقام بالمدينة زيادة عن ثلاثة أيام فأراد أمير الحاج الرحيل بالحجاج يوم الخميس فأبرم عليه جماعة من أكابر الدولة بصلاة الجمعة فى الحرم النبوى فوافق على ذلك وكان حصل من عرب العنزة عند قدوم الحاج بجبل مفرح مفاسد وضرر للحجاج فخاف أمير الحاج على الحجاج فى التقدم قبله من غير حرس يقدمهم من العسكر المنصور فنادى أن لا أحد من الحجاج يتقدم بالمسير قبل صلاة الجمعة ولا يتأخر بعدها فلما قضيت الصلاة وأراد الانصراف من صلى الجمعة بالحرم الشريف من الحجاج لاجل التأهب للمسير حصل ازدحام فى بابى السلام والرحمة فقتل فى تلك الساعة بالبابين خلق كثير والذى ضبطه شهود المحمل من القتلى ما يزيد على سبعين نفرا خارجا عن المكسورين ومن هو الى الموت أقرب وتركوا بمحلهم الى أن من الله عليهم من يواريهم التراب وهذه مصيبة عظيمة ومن أثر عمارة السلطان قايتباى مسجد نمرة الذى بجبل عرفات ومن آثاره أيضا أنه أمر تاجره الخواجا شمس الدين بن الزمن أن يبنى مدرسته ملاصقة للحرم المكى فبنى له مدرسة وأحكم بناؤها بالرخام الملون والسقف المذهب وبها شبابيك مطلة على الحرم الشريف وهى على يسار الداخل من باب السلام وقرر بها خدمة وطلبة علم للمذاهب الاربعة وهى باقية عامرة لم يحصل بها خلل فى أوضاعها ولا بنائها وينزل بها أمير الحاج المصرى ومما وقع فى زمن السلطان قايتباى من الامر المهول والحادث العظيم حريق المسجد الشريف النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وذلك فى ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة فأرسل أمير المدينة قاصدا الى مصر لاجل عرض ذلك السلطان قايتباى فتهول لتلك الحادثة العظيمة وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله تعالى عليه بتأهيله لهذا الشرف العظيم فأرسل نحوا من ثلثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من البغال والحمير وسائر مؤنهم ومبلغا نحو مائة ألف دينار أو أكثر

وأعاده الى بلده ابن شاه من جماعته وصار يرسل الجزية فى كل سنة (ثم تولى من بعده ولده عبد العزيز أبو المحاسن يوسف) فأقام ثلاثة أشهر وستة أيام وخلع سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات فى أيام خشقدم ثم تولى بعده الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائى) فأقام أربع عشرة سنة وتوفى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وعمر فى أيامه عمارات كثيرة من مساجد وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مولعا بحب الفقراء والايتام والاحسان اليهم (ثم تولى بعده ولده عثمان) فأقام أربعين يوما وخلع وجهز الى الاسكندرية (وولى بعده الملك الاشرف أبو النصر اينال العلائى) فأقام ثمان سنين وشهرين وستة

وجهز المؤن الكثيرة حتى امتلأت البنادر من الخيرات وأمر بعمارة المسجد الحرام وان تبنى له مدرسة ملاصقة للحرم الشريف ولما تمت العمارة أرسل الى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة وأرسل عدة مصاحف ووقف عدة قرى بمصر تحمل غلالها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدرسة باقية الى الآن فى غاية الانتظام وهى على يسار الداخل الى الحرم الشريف النبوى وينزل بها أمير الحاج الشريف المصرى قال بعض الشعراء

لم يحترق حرم النبى لريبة * تخشى عليه ولا هناك عار
لكنما أيدى الروافض لامست * ذاك الضريح فطهرته النار

وحج السلطان قايتباى حجة عظيمة * وعن الملوك فلا تسل * وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم ميلا الى قلوب الرعية وأكملهم عقلا وعاشت الرعية فى أيامه عيشا رغيدا الى ان غدر به الزمن الجائر واستيقظت له عيون الليالى الغوابر فقدم على ما قدم من عمله وترك ما جمعه من متاع الدنيا وراء ظهره وأدرج فى أكفان عمله بعد ما غسل بدموع فقره وأنزل من سريره الى قبره وكان انتقاله الى رحمة الله تعالى فى آخر يوم الاحد لثلاث بقين من شهر ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه يوم الاثنين ودفن بتربته التى أنشاها بالصحراء فى حال حياته وهى فى غاية الحسن وبها مساكن للفقراء وأرباب الوظائف ولها أوقاف جارية وهى مسكونة معمورة الى الآن ليس بالصحراء أعمر منها وكانت مدة سلطنته تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر ولم يملك أحد من الجراكسة قدر مدته وقيل انه تقطب قبل موته والله أعلم (ثم تولى الملك الناصر أبو السعادات ابن السلطان قايتباى) وكان شابا يغلب عليه السفه والجنون وما كان له التفات الى ملك ولا الى سلطنة بل كان يغلب عليه اللهو وكان والده فى حال حياته يود أن لا يتولى السلطنة * ويأبى الله الا ما أرادا * حكى عنه أمور قبيحة قيل ان والدته كانت من أعقل النساء وأجملهن فهيأت له جارية وجمعتها به فى بيت خال من أحد فلما دخل بها وقفل الباب على نفسه وعليها وربطها من رجليها ويديها وصار يسلخ جلدها كالجلادين وهى حية فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليه فلم يمكنهم لانه قفل الباب وأحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر استاذيته فى السلخ وان الجلادين يعجزون عن صنعته واستمر فى أفعاله الشنيعة الى أن قتل فى بر الجيزة وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه فى تربة أبيه فى سنة أربع وتسعمائة فكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الظاهر أبو النصر قانصوه وهو خال الناصر بن قايتباى) وكان ساذجا أميا لا يعرف الا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لان السلطان قايتباى جلبه من بلاده وهو كبير وصار يرقيه بواسطة زوجته خوند أم الناصر لانه أخوها وهى التى أقامته مقام ولدها وبذلت له الاموال وأرادت أن تقويه * وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر * فخلعوه بعد ان سامهم سنة وسبعة أشهر وأخرجوه من الملك فى أواخر سنة خمس وتسعمائة والله تعالى أعلم (ثم تولى جانبلاط أمير كبير ولقبوه بالملك الاشرف جانبلاط) فى أوائل سنة ست وتسعمائة ولم يتهنا بالملك وما وافقه عليه أحد وخلع نفسه بعد ستة أشهر والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك العادل طومان باى) فلم يستكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه فلما فلم يقدر أحد على السلطنة واتفقوا على أن يولوا قانصوه الغورى لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أى وقت أرادوا واعزاله عزلوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا وأوهنهم قوة فقال لا أقبل الا بشرط أن لا تقتلونى فاذا أردتم خلاعى من السلطنة فخبرونى وأنا أوافقكم وأنزل لكم عن الملك فعاهدوه على ذلك فقبل منهم والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى قانصوه الغورى ولقبوه بالملك الاشرف) وذلك فى سنة سبع وتسعمائة وفرح العسكر بولايته وكان قانصوه كثير الدهاء ذا فطنة ورأى الا أنه كان شديد الطمع كثير الظلم محب للعمارة ولما سكنت الفتنة بهذا التدبير الذى ذكر للجند قبل ولايته فاشتغلوا عنه

أيام وتوفى سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن بتربته التى أنشاها فى الصحراء (وولى بعده ولده أبو الفتح أحمد) فأقام خمسة أشهر وأربعة أيام وخلع ظلما مع كثرة محاسنه (وولى بعده الملك الظاهر خشقدم الناصرى) فأقام ست سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما وتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكان له فحص وطمع ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء (وولى بعده الملك الظاهر أبو سعيد بلباى العلائى) فأقام سبعة وخمسين يوما وخلع وجهز الاسكندرية فأقام بها الى أن مات (وولى بعده الملك الظاهر تمربغا الظاهرى) فأقام ثمانية وخمسين يوما وخلع وذهب الى دمياط ثم أعيد الى الاسكندرية ومات بها (وولى بعده الملك الاشرف

واهملوا أمره فصار يلقى الفتنة بينهم ويأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم فى الطعام ونحوه حتى أفنى كبراءهم ووهاتهم الا القليل منهم ثم اشترى المماليك لنفسه جلبا وأعدهم جندا فصاروا يظلمون الناس وأظهروا الفساد وأهلكوا العباد وهو يتغافل عنهم وصار هو يصادر الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والبأس وكثرت العوانية فى زمنه لكثرة ما يصغى اليهم وصاروا اذا رأوا انسانا كثير المال وشوا به الى السلطان فيرسل اليه الاعوان ويأخذ أمواله ويسلمه الى من يعاقبه حتى يأخذ ما أخفاه من دنياه الى أن يصير فقيرا بعد غناه وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة ذهبت فى آخر الامر سدى وتفرقت بيد العدا وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع على هذا الطريق المنكوب وأما الميراث فبطل فى زمانه ولما اشتد ظلمه وطمعه استغاث الناس فيه الى الواحد القهار وتضرعوا فيه آناء الليل وأطراف النهار فاستجاب الله دعاء المظلومين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (حكى) من شخص مجاب الدعوة من أولياء الله الصالحين انه رأى جنديا من الجند أخذ متاعا من دلال ولم يرضه فى قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه وهو يمتنع فقال الدلال بينى وبينك الشرع الله فضربه بدبوس فتح رأسه وسقط على الارض مغشيا عليه فرفع يده الى السماء ودعا على الجندى المذكور وعلى سلطانه فصادفت ساعة اجابة فنام الرجل فرأى فيما يرى النائم ان ملائكة نزلت من السماء وبأيديهم مكانس وهم يكنسون الجراكسة فاستيقظ واذا بقارئ يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلم ان الله يأخذهم أخذا وبيلا فلم يمض الا القليل حتى برز الغورى بجنوده وأمواله وخزائنه لقتال السلطان سليم خان الى حلب فجاء الخبر ان الغورى كسرت عساكره وفقد هو تحت سنابك الخيل فى مرج دابق وهرب بقية الجراكسة الى مصر وصير واطومان باى الدويدار أخا الغورى سلطانا وما زال السلطان سليم فى أثر الجراكسة يفتح البلاد ويضبطها الى أن وصل الريدانية فخرج طومان باى ومن معه لقتال السلطان سليم فلم يثبت هو ومن معه الا ساعة واحدة وانكسروا وهربوا وهرب طومان باى وامسك وجىء به الى السلطان سليم فأمر بصلبه فى باب زويلة فصلب لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعمائة وكان الناس يزعمون انه اختفى حتى يجد فرصة ويعود فلما صلب سكنت الفتنة * وللسلطان الغورى مآثر من عمارات وخيرات وغير ذلك منها عمارة مدرسته التى برأس ٢ الشوايين وكان الفراغ من بنائها فى ربيع الاول سنة تسع وتسعمائة والمدفن الذى هو مقابلها وسبيل بجوار المدفن يعلوه مكتب للايتام وكان يود أن يدفن فيه وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ومنها عمارة منارة بالجامع الازهر ومنها عمارة جامع المقياس بالروضة وما جاوره من قاعات ومساكن وغير ذلك ومنها عمارة سبيل المؤمنين بالقرافة ومنها عمارة بندر عقبة أيلا وتمهيد جبالها للسالك فيها ومنها صدقة للفقراء بطريق الحاج الشريف فى كل سنة وهى مستمرة الى الآن ومنها السواقى بمصر العتيقة والمجراة المتصلة من السواقى الى القلعة وهى باقية الى الآن ومنها القبة بالقلعة بالقرب من المطرية وما يليها من الكشك والمجالس المطلة على الفسقية ومنها انه عمر بمكة المشرفة باب ابراهيم وبيوتا حوله ومنها بناء فسقية خارج باب ابراهيم على يمين الخارج ومنها ترخيم فى حجر البيت الشريف ومنها بناء سور جدة فانها كانت بلا سور فكانت مدة تصرف الغورى فى السلطنة ست عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبا ومدة تصرف الجراكسة مائة سنة واحدى وعشرون سنة وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باى وقد انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دول من قبلهم ولله البقاء كما قيل

عمروا الارض مده * ثم صاروا الى الحفر * يا بنى جركس كنتم * خبرا فانقضى الخبر

وقد سمعت من بعض الافاضل ان المرحوم السلطان سليم لما ملك مصر أنشأ يقول

يا بنى جركس هينوا * ملك الامير سليم ملككم كان معارا * والعوارى لا تدوم

أبو النصر قايتباى الظاهرى المحمودى) نسبة للخواجا محمود والظاهر جقمق معتقه وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة والحادى والاربعون من ملوك الترك بويع له يوم خلع الظاهر تمربغا سادس رجب عام اثنين وسبعين وثمانمائة فاقام تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوما وتوفى سنة احدى وتسعمائة ودفن بقبته بالصحراء وقبره ظاهر يزار وكان ملكا جليلا له اليد الطولى فى الخيرات وكانت أيامه كالطراز المذهب وهو واسطة عقد ملوك الجراكسة وسار فى المملكة بشهامة ما سارها أحد قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون وله العمارات الكثيرة من مساجد ومدارس ورباطات وغيرها وهى باقية الى الآن) ثم تولى بعده ولده

٢ وفى نسخة الجرابيين

طلمكم أوجب هذا * انه فعل ذميم قد ملكتم فقهرتم * فلهذا لم تقيموا
ولهذا قد ذهبتم * مالكم خل حميم قد حمى الله حمانا * انه البر الرحيم
عليك فاق كسرى * اذ له الملك العظيم اسمه فى الذكر يتلى * فافهمنه يا حكيم

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(الباب التاسع فى ظهور ملوك آل عثمان خلد الله ملكهم الى آخر الزمان)

أول جلوس السلطان عثمان الغازى على تخت السلطنة الشريفة فى سنة تسع وتسعين وستمائة فبدأ بالجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار أهل الفساد وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتك الحسام شجاعا مقداما فعاش حميدا ومات شهيدا فكانت مدة سلطنته ستا وعشرين سنة وتوفى سنة خمس وعشرين وسبعمائة (ثم تولى السلطان أورخان الغازى ابن السلطان عثمان) وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وسنه خمس وثلاثون سنة وهو الذى افتتح برو سيا وجعلها مقر سلطنته وكان فاق والده فى الجهاد وفتح عدة حصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته وله حروب مشهورة مع النصارى فكانت مدة سلطنته خمسا وثلاثين سنة والله أعلم (ثم تولى السلطان مراد الغازى ابن السلطان أورخان) وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى برو سيا سنة احدى وستين وسبعمائة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح عدة قلاع وحصون من جملتها أدرنه وهو الذى اتخذ المماليك وسماهم ينكجرى يعنى العسكر الجديد وألبسهم البركاه وكانت له صولة عظيمة على الكفار فأظهر أحد ملوك النصارى الطاعة وكان اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان فلما قرب منه أخرج خنجرا كان أعده فى كمه فضرب السلطان مرادا فاستشهد الى رحمة الله تعالى فصار القانون العثمانى من يومئذ أن لا يدخل على السلطان أحد بسلاح وان يفتش وان يدخل بين رجلين يكتنفانه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله أعلم (ثم تولى السلطان يلدرم بايزيد بن السلطان مراد) وعمره اثنتان وأربعون سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة وقد استولى على كثير من بلاد النصارى وقلاعهم وأراضيهم وصارت النصارى تنتمى الى بعض ملوك الطوائف فى بلاد الروم فقبض على جماعة منهم ابن قرمان فاخذه وحبسه فهرب من الحبس ومضى الى تيمورلنك وحسن له الوصول الى بلاد الروم وشكاله من السلطان بايزيد فسخر تيمورلنك يفسد فى الأرض الى ان وصل الى اذربيجان فخرج السلطان بايزيد الى لقائه ولما التقى الفريقان هرب من عسكره طائفة التتار وعسكر منتشار وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيد وهربوا الى تيمورلنك ووقع الحرب فشرع عسكر بايزيد فى الانهزام وثبت هو وقليل معه واستمر السلطان بايزيد يقاتل الى أن وصل الى تيمورلنك بسيفه وهو مشهور وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا وأمسكوه وحبسوه فلحقته الحمية الغضبية فتوفى الى رحمة الله تعالى فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة (ثم تخلف من بعده أولاده) وهم عيسى ومحمد وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال اثنتى عشرة سنة وقتل بينهم خلق كثير الى أن استقر بالسلطنة السلطان محمد ابن السلطان يلدرم بايزيد فى سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره تسع وثلاثون سنة وكان شجاعا مقداما مجاهدا فى سبيل الله افتتح عدة بلاد وبذل نفسه فى الغزو والجهاد ومهد البلاد أعظم مهاد ومما افتتحه قلعة اسطمونيه وقلعة أسكب وقلعة أقشهر وغيرها وهو أول من عمل الصرة لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان وفى أيامه ظهر بدر الدين ابن قاضى سماوات وادعى السلطنة وجمع جماعة من مريديه فأرسل له السلطان محمد العسكر فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر وأمسك بدر الدين وقتل وفى أيامه أيضا خرج محمد بن قرمان وولده مصطفى عن الطاعة واحرق برو سيا فجاء السلطان محمد من بلاد روملى ووصل الى قونيه ووقع بينه وبين محمد بن قرمان حروب عظيمة مشهورة وأمسك محمد ابن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسيرين الى السلطان محمد فعاتبهما وأنعم عليهما بمملكتهما فكانت

وفى بعض النسخ نشرى

محمد أبو السعادات) وهو فى سن البلوغ سنة احدى وتسعمائة فأقام ستة أشهر ويومين ثم خلع فى ثامن عشرى جمادى الاولى بعد ثبوت عجزه عن السلطنة بحضرة القضاة والخليفة المتوكل على الله ولو أبدله الملك الأشرف قانصوه مملوك والده قايتباى فأقام أحد عشر يوما ثم وقعت فتنة وهرب ولم يعلم حاله فأعيد السلطان محمد بن قايتباى ثانيا السلطنة بعد ثبوت رشده فأقام سنة وستة أشهر ونصف شهر ثم شرع فى اللهو واللعب ومخالطة الاوباش وارتكاب الفواحش وارتكاب أمور لا تليق منها أن والدته جهزت له جارية وأدخلتها عليه فقفل الباب وربطها من يديها ورجليها وصار يسلخ جلدها كالجلادين وهى حية فلما سمعوا

مدة سلطنته تسع سنين وتوفى بمرض الاسهال فكانت له مرتبة الشهادة وذلك فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة (ثم تولى السلطان مراد الثانى ابن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وعمره ثمان عشرة سنة وكان ملكا عظيما مقداما فاتكا فتح الفتوحات ومهد الممالك وأمن المسالك وأذل الكفار والملحدين وأعز الاسلام والمسلمين الى ان انتشا ولده محمد فرأى نجابته وعرف اقباله وشهامته فاجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ بحسن رضاه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان محمد خان ابن السلطان مراد) فى سنة ست وخمسين وثمانمائة وسنه عشرون سنة وكان من أعظم سلاطين آل عثمان وأقواهم اقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا له غزوات كثيرة من أعظمها فتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن رخاء تجرى برا وبحرا وحاصرها خمسين يوما وفتحها فى اليوم الحادى والخمسين وهو الرابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى أكبر كنائسها صلاة الجمعة وهى أيا صوفية وقد عمل بعض الفضلاء لفتح القسطنطينية تاريخا وهو (بلدة طيبة) سنة ٨٥٧ ذكر علماء التاريخ ان مدينة القسطنطينية كمل بناؤها فى أربعين سنة وكان اسمها قبل ذلك [٣] البرنسية وبانيها قسطنطين فى منتصف سنة ست وعشرين وستمائة من تاريخ الاسكندر وهى مدينة مثلثة الشكل جانبان فى البر وجانب فى البحر ولها سور سمكه احد وعشرون ذراعا والآن صارت القسطنطينية معدن الفخار والعلا ومقر السلطنة الشريفة العثمانية واجتمع فيها أهل الكمالات من كل فن فعلماؤها الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها أدق الفطناء فى الانام وقد ضبطت أماكنها زمن المرحوم زكريا أفندى شيخ الاسلام سنة ٩٩٤ فوجد بها من محلات المسلمين ثلاث آلاف وتسعمائة وثمانون محلا ومن الجوامع أربعمائة وثمانية وثمانون جامعا ومن المساجد أربعة آلاف وخمسمائة وستة وتسعون مسجدا ومن مكاتب الأطفال ألف وستمائة وأربعة وخمسون مكتبا ومن المدارس خمسمائة وخمسة وثمانون مدرسة ومن التكايا مائة تكية ومن الخانات مائة وخمسة وخمسون خانا ومن الزوايا ثمانمائة وستة وثمانون زاوية ومن الششمات تسعمائة وخمسة وسبعون ششمة وهى الصهاريج للشرب بلغة الترك ومن الحنفيات أربعة آلاف وأربعمائة وثمانون حنفية ومن الافران ألفان ومائتان وخمسة وثمانون فرنا ومن أسواق الأسباب تسعمائة وخمسة وثمانون سوقا ومن القبانية اثنا عشر ألف قبانى ومن الحمامات ألف حمام ومن البوظات ثمانمائة وخمسة وثمانون بوظة ومن القهاوى ألفان وثلثمائة واثنان وخمسون قهوة ومن محلات النصارى أربعة آلاف وتسعمائة ومن محلات اليهود أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وثمانون محلا ومن الكنائس مائة وخمسة وأربعون كنيسة ومن الميخانات أربعة آلاف وخمسمائة وثمانية وخمسون ميخانة وذلك خارج عما تجدد بعد ذلك من المحلات والجوامع وحمامات البيوت وغير ذلك * وقد ضبط فى مملكة آل عثمان من قضاة القضيات ما جملتهم خمسة آلاف وتسعمائة وستون قاضيا ماهو بقضاء أناضولى خمسة آلاف وستمائة وماهو بقضاء الروملى ثلثمائة وستون قاضيا وذلك خارج عن الموالى والدشمانية والملازمين وقد سمعت من شخص من العسكر المنصور أن بالقسطنطينية الآن من العسكر المنصو رماهو من الينشرية أربعون ألفا ومن الاسباهية ستون ألفا ومن عجم أوغلان أربعة وعشرون ألفا ومن السراجين ثلاثة عشر ألفا ومن الجبجيات ثلاثة عشر ألفا ومن العربان اثنا عشر ألفا ومن الطوبجية سبعة آلاف وذلك خارج عن الموالى والوزراء والجاويشية والمقيمين والمتفرقة والزعماء والمتقاعدين والصناجق والقابوجية والاغوات والطباخين والبازرجدان والخواتين والنساء والمساحين وأرباب الآلات وما لهؤلاء من الاتباع والخدم وما لكل مملكة من ممالك آل عثمان مثل مصر والشام واليمن والجزر والثغور والبنادر والحصارات والشرق والغرب من العساكر والاجناد مما يعجز عنه الوصف

[٣] فى بعض النسخ البرنيطة

صراخها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لانه قفل الباب وأحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشا جلدها بالثياب ثم خرج يفتخر بحسن صنعته ومعرفته بالسلخ واستمر فى حركاته الشنيعة الى أن قتل فى بحر الجيزة وجاؤا به وهو مقتول الى القاهرة ودفن فى تربة أبيه فى سنة أربع وتسعمائة (وولى بعده الملك الظاهر قانصوه الاشرفى القايتبايى خال محمد بن قايتباى) بذلت له أخته مالا كثيرا وواته وبويع له بالسلطنة بحضرة الخليفة والقضاة سابع عشر ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وكانت سيرته حميدة ورتب لاهل الازهر فى أيام رمضان الخبز والمرمزة وضاعفها الغورى وزادها فأقام فى

وأخبرت أيضا أنه في يوم جلوس المرحوم السلطان عثمان ابن المرحوم السلطان أحمد صرف الترقي للعسكر المنصور فبلغ قدر خزينة مصر سبع مرات فسبحان مالك الملك جل جلاله وقد أطلعنا على بعض تواريخ الدول السابقة والملوك السالفة فيما سمعنا فما رأينا أمثل دولة بني عثمان ولا أحسن نظاما منها ولا أحفظ قانونا منها لاسيما طاعتها الشرع الشريف وتوقيرها أهل العلم وحملة القرآن واسداء الخيرات للفقراء والمساكين وسكان الحرمين الشريفين ومجاوريهما على ما سيأتي بيانه فيه قريبا فنسأل الله الحنان المنان أن يديم دولة بني عثمان الى آخر الزمان فكانت مدة مولانا السلطان محمد احدى وثلاثين سنة وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة والله أعلم (ثم تولى السلطان بايزيد خان وابن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة الشريفة في تاسع عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره اذذاك ثلاثون سنة وهو من أعيان سلاطين آل عثمان تفرع من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت باسمه صدور المنابر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله أعظم الغزوات وظهر في أيامه من بلاد العجم اسمعيل ابن الشيخ حيدر الصفوي في سنة تسعمائة وخمسة وكان له طور عجيب واستيلاء على ملوك العجم يعد من الاعاجيب فقتل في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب أهل الرفض والالحاد وغير اعتقاد أهل العجم الى الفساد وأخرب ممالك العجم وازال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل ما أراد وصارت فتنة في غالب البلاد (حكاية عجيبة) وهي ان السلطان بايزيد حذره منجم حاذق من أهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما يولد له عدة أولاد فكان التحذير قبل أن يولد له السلطان سليم فطلب السلطان بايزيد قابلة كان يعتقد صدقها وكانت من الصالحات الخيرات وقال لها اذا وضعت جارية من الجواري ذكرا فاقتليه ولا تدعيه حيا وان ولدت أنثى فاتركيها وأكد عليها في ذلك غاية التأكيد واستمرت على ذلك الى أن ولد السلطان سليم فتناولته القابلة لتقتله فرأت صورته جميلة فرق قلبها وقالت في نفسها بأي وجه ألقى الله تعالى في قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم على قتله وقالت لابي يزيد جاءتك بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك سماها سليمة واستمر الحال مكتوما لا يعلمه غير القابلة وأمه والله تعالى وكان كلما كبر وانتشى ظهرت عليه سمة الغلبة والقهر فاذا اجتمعت أخواته البنات وجلس بينهن لطم من بجانبه وضرب ونهب ما بأيديهن من المأكل وغيرها وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد الى السرايا في يوم عيد وأمر بالمكان ان يطيب ويزين واستدعى ببناته وأجلسهن بين يديه وأمر ان يوضع بين يدي كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وبينهن السلطان سليم فشرع السلطان سليم في سطوته وعادته وخطف ما بأيديهن من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يديه فصار الكل خائفات منه فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمل في ذلك وصار السلطان سليم يضرب البنات ويؤذيهم فقال السلطان بايزيد للنساء الواقفات هذا لا يكون أنثى اكشفوا لي عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هو ذكر وليس بأنثى فقال لها وكيف خالفت أمري وما قتلتيه فقالت خفت الله وخلصت ذمتك من قتل هذا الولد المعصوم ولا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدره الله فهو كائن لا مفر منه وأمر بالكف عنه وتربيته الى ان كان من أمر الله ما كان ولما استولى على بايزيد مرض النقرس ضعف عن الحركة وترك السفر سنين فبطر العسكر لكثرة راحتهم وطلبوا سلطانا قوي الحركة كثير الاسفار لجهاد في سبيل الله ورأوا السلطان سليما ذا قوة وشهامة أجلد من سائر اخوته وعاين السلطان بايزيد من أركان الدولة والعسكر ميلهم الى السلطان سليم فاشار عليه وزراؤه ان يفرغ عن السلطنة بقلب سليم لسليم ويختار المقام في ادرنه في عز وتعظيم فابرموا عليه في ذلك فاجابهم الى سؤالهم وفرغ له عن السلطنة وتوجه الى أدرنه فلما وصل اليها انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى في سنة ثمان عشر وتسعمائة فكانت مدة سلطنته اثنتين وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد)

السلطنة سنة وثمانية أشهر ثم خلع (وولي بعده الملك الاشرف جانبلاط) فاقام نصف سنة وخلع سنة خمس وتسعمائة وبنى المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر وهدمها الفرنسيس في سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وكان فيها قبتان ليس لهما نظير في مصر (وولي بعده الملك العادل طومان باي) وكان من أعيان مماليك قايتباي وكان بالشام فبويع له هناك ثم جاء الى مصر وبويع له أيضا بقلعة الجبل وكانت مدته أربعة أشهر ونصفا وبنى مدرسته العادلية خارج باب النصر ثم هجم عليه العسكر وقتلوه ودفن بمدرسته وقد خربها الفرنسيس أيضا (وولي بعده الملك الاشرف قانصوه الغوري) يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وتسعمائة بعد اختلاف

كاسر العجم وفاتح ممالك العرب وذلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة وكان سلطانا مهابا قهارا كثير السفك للدماء قوى البطش والتفحص عن أخبار الناس عظيم الكشف عن أخبار الممالك والملوك وكان يغير زيه ولباسه في الليل والنهار ويتجسس ويطلع على الاخبار وكان له عدة مصاحب تحت القلعة وفي الاسواق والجميات والمحافل ومهماته وذكروه له في محل المصاحبة ولما استقر السلطان سليم على سرير الملك بدأ بقتال العجم وتوجه بخيله ورجله وعساكره المشهورة الى أن وصل تبريز وتصادمت عساكره مع عسكر قزل باش ونزل النصر من عند الله والفتح القريب وانهزمت عساكر اسمعيل شاه وساقت العساكر المنصورة خلفه وكادوا يقبضون عليه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون اليه وترك ماحوله من خيمه وأثاث تجملاته فاغتنمها عساكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله أرض تبريز ونهى وأمر وأمر وأعطى الرعية تمام الامان وأراد التمكن من بلاد العجم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط والغلاء بحيث بيعت العليقة بمائة درهم وبيع الرغيف بمائة درهم وسبب ذلك انقطاع القوافل التي كان أعدها السلطان سليم لتتبعه بالمؤن والعليق فتخلفت عنه في محل الاحتياج اليها وما وجد في تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل أمر باحراق اجران الحبوب من شعير وغير ذلك فاضطرب السلطان سليم لذلك فتفحص عن انقطاع القوافل فاخبر ان سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغوري فانه كان بينه وبين اسمعيل شاه محبة ومودة ومراسلات وغير ذلك فلما استقر ركاب السلطنة الشريفة في تخت ملكه الشريف تأهب لاخذ مصر وازالة الجراكسة عنها فتوجه بعسكره الجرار الى حلب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما بلغ السلطان الغوري قدوم السلطان سليم جمع عساكره من الجراكسة وغيرهم وبرز الى قتال السلطان سليم فتلاقى العسكران قرب حلب بمرج دابق وكان الغوري يتوهم ويخاف على نفسه من خير بك والغزالي وكانا يكرهانه في الباطن ويكرههما كذلك فامرهما أن يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما أمامه ووقف الغوري بخواص عسكره الذين يعتمد عليهم من الجلبان وقصد بذلك قتل خير بك والغزالي وعسكرهما بالبنادق في أول مرة ويسلم هو ومن معه فخاب ظنه ورد الله مكره عليه قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقيل في المعنى للامام علي كرم الله وجهه

الحذر ينفع مالم يأتك القدر * فان أتى قدر لم ينفع الحذر

من يحتفر حفرة يوما يصير لها * فان حفرت فوسع حين تحتفر

ان الشباب لهم عذر اذا جهلوا * وليس يقبل من ذي شيبة عذر

فتفطن خير بك والغزالي لذلك وكانا أرسلا للسلطان سليم وطلبا منه الامان وتفاهماه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل السلطان سليم لهما الامان وعهد لهما بأن يطيب خاطرهما وان يعطى خير بك مصر والغزالي الشام فقبلا منه ذلك واتفقا على ذلك فلما تراءى الجمعان واضطربت نيران المدافع والبنادق في مرج دابق فر خير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقي السلطان الغوري بمن معه من خواص اتباعه في القلب وأطلقت البنادق والزربطانات فهلك من هلك وهرب من هرب وانقلب النهار ليلا بالدخان وامتلا وجه الارض بشعل النفط والنيران وغار الغوري تحت سنابك الخيل ومحى نور العدل ظلم الجراكسة كما يمحو النهار الليل وانقلبت رايات السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء فطلب أهلها الامان فاجابهم بالقبول لطفا وكرما وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعاله ولاسلافه وبالغ في المدح والتعريف وعندما سمع السلطان سليم الخطيب يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذي يسرلي ان صرت خادم الحرمين الشريفين وأظهر الفرح والسرور بتلقبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا وأقام بحلب أياما وهو يمهد الممالك ويجري أحكام العدالة والسياسة والاحسان الى الرعايا ثم ارتحل بالجيوش المنصورة الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه

بين العسكر ثم اتفقوا على توليته لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة متى أرادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا فقال أقبل التولية بشرط أن لا تقتلوني فان أردتم خلعي من السلطنة فاخبروني وأنا أنزل لكم عنها فعاهدوه على ذلك وبويع له بقلعة الجبل بحضرة الخليفة المستنصر بايعه هو وأصحاب الحل والعقد فأقام سلطانا خمس عشر سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وكان ذا رأي وفطنة كثير الدهاء والفسق قمع الامراء وآذى المعاندين حتى اشتد ملكه وهيبته فهابته ملوك الروم والمشرق والافرنج وفك الاسرى منهم وكان له المواكب الحافلة ومهد طريق الحج بحيث كان يسافر اليه من مصر النفر القليل وكان فيه خصال

وطلبوا منه الامان والامن فاجابهم الى ماسألوه وبسط لهم ماطلبوه واملوه وخلع على من يستحق خلع الرضا والاكرام ودخل الشام بموكب عظيم وأقام لتمهيد أمور المملكة برأيه الشريف وخطب له الخطباء وخلع عليهم وأكرمهم وأمر بعمارة مقام الاكسير الاعظم مولانا الشيخ محيي الدين بن العربي ورتب له أوقافا كثيرة وهو باق الى الآن واستمر السلطان سليم بارض الشام حتى مهد أمورها وضبط حصونها ثم توجه الى مصر فوصل الى غزة ثم عدل بمفرده الى زيارة القدس والخليل فى نفر يسير بقصد الزيارة فاحسن الى أهل القدس والخليل وعاد الى عسكره فصار كلما مر ببلدة أو قصبة أو قرية فى طريقه أحسن الى أهلها وفر بقية الجراكسة الى مصر وجعلوا الدوادار طومان باى سلطانا ولقبوه بالاشرف واجتمعوا عليه وألقوا مقاليد سلطنتهم اليه وساروا بموكبهم بين يديه وجمعوا الجنود وعقدوا الالوية والبنود وبرزوا الى الريدانية خارج باب النصر ونصبوا المدافع الكبار والاحجار وهيؤها ليطلقوها اذا أقبلت العساكر العثمانية فلما أخبر الجواسيس السلطان سليم بذلك عدل هو وعسكره وجاؤا من خلف الجبل المقطم من وراء عسكر الجراكسة واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتى من امام الريدانية وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من الجراكسة قتالا شديدا وأظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص فى العسكر ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم سنان باشا فأسف عليه وقال أى فائدة فى مصر بلا يوسف ووجه النكتة ان يوسف يلقب بسنان فى عرفهم وبعد ساعة انكسر الجراكسة وانهزموا وهرب طومان باى وامسك وصلب فى باب زويلة كما ذكرنا ذلك سابقا واستمر السلطان سليم يدبر أمور مصر ويضبط خراجها ومتحصلاتها الى ثالث عشرى رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان مقام السلطان سليم بالروضة وبنى له كشكا فوق قاعة المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة والمقياس ولما دخل السلطان سليم منه قفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم (ذكر) القطبى فى اعلامه قال رأيت جماعة من مصاحبى السلطان سليم وسمعت منهم حسن سيرته ولطف معاشرته وشدة تيقظه ودقة فهمه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه فى اللغة الفارسية والرومية بحيث انه فاق الطائفتين ورأيت بخطه الشريف بيتين كتبهما باء على المقياس فى الكشك الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وكان الكشك هذا محترما مقفلا لا يصل اليه أحد لعظم بانيه فدخلت مصر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكشك لباشة مصر خسرو باشا وكنت مصاحبا لعلامة عبد الكريم العجمى فطلع وأطلعنى صحبته فرأيت مكتوبا على الرخام الابيض كتابة خفيفة لا تكاد تظهر الا بالتأمل هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قسرا ويترك بعده الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة * فوق التراب لصار الامر مشتركا

ومرقوم تحتهما كتبه الفقير سليم ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما فى غاية البيان والبراعة ونهاية فى الشعر العربى الفصيح المنسجم وان كان قد تمثل بهما فهما أيضا مرتبة علية فى حسن التمثيل ولطف الاستحضار رحمه الله تعالى وكان أشيع بمصر فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وألف ان السلطان عثمان ابن المرحوم السلطان أحمد يصل ركابه السعيد الى مصر المحروسة بقصد الحج أو غير ذلك على ماقيل فجدد ماانهدم من الكشك المذكور وزخرف وزين بناء على ان السلطان عثمان اذا قدم الى مصر يقيم بالكشك المذكور ويأبى الله الا ماأراد (ومما) أفاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ محمد حجازى الواعظ الشعراوى خادم السنة النبوية بالديار المصرية فى فتوى أفتى بها على سؤال رفع اليه فى سنة احدى وثلاثين وألف فيمن يتعرض للرزق وأوقاف المسلمين فمن جملة جوابه انه قال سمعت من أستاذنا المؤرخ من ألحق الاصاغر بالاكابر شهاب الدين أحمد الجركسى يخاطبنى وكثيرا من مشايخى مشافهة ان مولانا السلطان سليم لما أخذ مصر من الجراكسة ووضع رجله فى الركاب ليتوجه الى الروم

حينئذ توصيل الى الخبز وكان يصرف فى شهر رمضان الى مطبخ الجامع الازهر كل سنة ستمائة وسبعين دينارا ومائة قنطار من العسل وخمسمائة أردب قمح وبنى معامر للخير كثيرة الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف يصادر الناس فى أموالهم واذا مات أحد أخذ جميع ماله واتخذ مماليك فصاروا يظلمون الناس ظلما كثيرا فتوجه الناس فيهم وفى سيدهم الى الله تعالى فأزال الله ملكه بسبب فتنة بينه وبين السلطان سليم خان ملك القسطنطينية فقصد كل منهما الآخر واجتمعا بعسكرين عظيمين فى موضع يقال له مرج دابق شمالى حلب بمرحلة فى شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فانهزم عسكر الغورى ولم يعلم حال الغورى فأقام السلطان سليم بالشام

فتقدم اليه خير بك بمفاتيح البلد فردها عليه وولاه عليها الى أن يموت بها فشاوره على ان ابقاء الجراكسة يدون الدخول فى جملة الاجناد فاجابه الى ذلك وشاوره على ابقاء أوقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قراريط من أراضى مصر فاجازه بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال فى مالنا وعساكرنا وتسلمهم بلادهم وتدخلهم فى عساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بذلك فقال السلطان سليم أين الجلاد فضرب عنق الوزير المذكور ووضع رجله الثانية فى الركاب ولما نزل الخانقاه السرياقوسية لاطفوه فقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذا ادخلنا أبناءهم فى جندنا فهم مسلمون أولاد مسلمين ويغارون على ديارهم وأما أراضيهم فأصلها املاك الماضين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز أن ننازع الملاك فى املاكهم وانما أزلت الوزير كراهة أن يغير على اعتقادى بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهكذا شأن الملوك ولما رحل السلطان سليم بعساكره المنصورة ظهرت فى ظهره جراحة منعته الراحة وعجزت عن علاجه حذاق الاطباء وتحيرت فى دائه عقول الالباء وكانت توضع الدجاجة فى جرحه فتذوب وشوهدت معاليق أكباده من خلف ظهره وأنشبت المنية أظفارها فما نفعته التمائم والرقى وفدى بالاموال فما قبل الفدا كما قيل فى المعنى

ولو قبل الفداء لكان يفدى * وان جل المصاب عن التفادى
ولكن المنون لها عيون * تكد لحاظها فى الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس * بزعم بنيك أثواب الحداد

وكان السلطان سليم قصده العود ثانيا الى العجم فما ساعدته القدرة الربانية ولما وصل الى تخت ملكه الشريف وهو مدلك استمر الى ان لحق بربه فكانت وفاته سنة ست وعشرين وتسعمائة ومدة سلطنته تسع سنين ولم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل سلطنته لانه كان سفاكا للدماء كثير القتل وهذه عادة الله فى السلاطين والامراء اذا أكثروا سفك الدماء ﴿ثم تولى السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان بعد وفاة والده﴾ فى سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على تخت السلطنة الشريفة ولا آدمى أنف أحد ولا أريق محجمة دم وسنه ست وعشرون سنة وكان سلطانا مهابا سعيدا أيده الله لنصرة الاسلام برغم أنوف أعدائه وكان مؤيدا فى حروبه ومغازيه مسعودا فى حركاته ومعانيه أينما توجه فتك وأنى سافر وسفك ﴿ذكر غزواته﴾ أول غزواته انكروس سنة ٩٢٧ ثانى غزواته رودس سنة ٩٢٨ وعمل الناس لذلك تواريخ ألطفها (يفرح المؤمنون بنصر الله) ثالث غزواته انكروس ثانيا سنة ٩٢٩ رابع غزواته غزوة مسيح سنة ٩٣٥ خامس غزواته غزوة العجم سنة ٩٣٩ سادس غزواته غزوة المان سنة ٩٤١ سابع غزواته غزوة الاينة سنة ٩٤٤ ثامن غزواته غزوة بغداد سنة ٩٤٥ تاسع غزواته غزوة اسطبور سنة ٩٤٨ عاشر غزواته غزوة مسيح واسترعون سنة ٩٥٠ حادى عشر غزواته غزوة الغاص سنة ٩٥٤ ثانى عشر غزواته سفره الى المشرق سنة ٩٦٠ ثالث عشر غزواته غزوة سكتوار وهى آخر غزواته وتوفى فيها سنة ٩٧٤ ﴿ذكر وزرائه العظام﴾ أول وزرائه بيرى باشا الصديق صادقه وزير الوالد فابقاه ثم استعفى من الوزارة لكبر سنه فاجيب ثانى وزرائه ابراهيم أودا باشا حرمه الخاص ثالث وزرائه اياس باشا الخادم وكان من الارنؤت رابع وزرائه لطفى باشا وكان من الارنؤت خامس وزرائه سليمان باشا الخادم وكان من الارنؤت سادس وزرائه رستم باشا وكان من الارنؤت سابع وزرائه احمد باشا ثم أعيد رستم باشا ثامن وزرائه على باشا وكان من ٢ اليوسنه تاسع وزرائه محمد باشا وهو آخر وزرائه وكان متصرفا متمكنا فى الوزارة العظمى مع التدبير الحسن والتصرف العام على الخاص والعام وكانت وزارته فى سنة ٩٧٣ واستمر بقية مدة السلطان سليمان وكان مدة السلطان سليم الثانى الى ان استشهد فى زمن المرحوم السلطان مراد

شهرا ثم رحل الى مصر فوجد عسكر مصر ولوا عليهم الملك الاشرف طومان باى ابن أخ الغورى ووقع بينهم حروب كثيرة فرأى طومان باى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا طومان أنت ضيفنا بعد ثلاثة أيام فخلع آلة القتال وذهب الى السلطان سليم طائعا مختارا فقتله وشنقه وأبقاه فى باب زويلة مشنوقا ثلاثة أيام ثم دفن بمدفن الغورى المشهور وبموت طومان باى انقطعت دولة الجراكسة وارتفعت السلطنة من مصر وعادت الى النيابة كما كانت وكانت مدة الغورى ست عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبا ومدة تصرف الجراكسة مائة واحدى وعشرون سنة وجملة ملوكهم اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باى ثم جاءت الدولة العثمانية ذات الصولة الباهرة البهية

٢ فى بعض النسخ من السرايا

وكان السلطان سليمان يحب الخيرات واجراء الصدقات ومن جملة آثاره الحميدة الصحابة الكبرى بطريق الحاج الشريف ولها أوقاف بكثرة يشترى من ريع أوقافها فى كل سنة جمال لحمل الفقراء والمنقطعين والعواجز والماء والزاد وغير ذلك ومقر ربها من المغاربة أربعون نفرا ومن المطاوعة أربعون نفرا اذها بأوايابا وذلك مستمر الى الآن وانضم الى أوقاف الدشيشة الكبرى اوقاف أخر فصارت الآن خمسة أوقاف وقف السلطان قايتباى ووقف السلطان جقمق ووقف السلطان نيم ووقف السلطان سليمان ووقف خوندوا القرى الموقوفة عليها وهى بالقليوبية ناحية سرياقوس وطحانوب وناحية سندوه وناحية نوى والقشيش وناحية امياى وبالمنوفية ناحية البيجور وناحية القاطم وناحية اسدود وناحية الصفراء وناحية معدون وبالغربية ناحية شبرابسيون وناحية القضابة وناحية كفرشبرابسيون وناحية محلة المرحوم وكفرها وناحية منية الليث هشام وناحية بقلولة وناحية قويسنه وناحية دمقنوا وبالدقهلية ناحية بدويه وناحية قبيده وناحية منية شرف وناحية منية القرشى وناحية أبوداود العزب وناحية طوالبس وناحية منشاة عنبر وناحية منية العز مساعد وناحية الجديدة ناحية شبراهنت وناحية بستبودا وبالبحيرا ناحية مطوبس الرمان وناحية منية المرشد وناحية شمشيرة وناحية عزبة عمرو وناحية القنى وبالجيزة ناحية صقيل وناحية منية قادوس وناحية صيده وناحية الكنيسة وناحية وسيم وبالبهنسا ناحية منية بن خصيب والاسيوطية والوجه القبلى وناحية الفيوم وناحية زاوية عباس وناحية طرشوب وناحية شمسطا وناحية براوه وناحية سنجرج وناحية ابوالهدر وناحية طهادات الاعمدة وناحية طوبنى ابراهيم وناحية منشاة التركمانى وناحية أبوالهر وناحية ضبوا وكفورها وسهواج وكفورها وناحية طمية وناحية الاهون وان المتحصل من النواحى فى كل سنة ما هو من المال سبعون كيسا وما هو من الغلال ثلاثة وثلاثون ألف أردب وثمانمائة وثمانون أردبا وذلك خارج عن أجرة الاماكن الكائنة بمصر وغيرها وهو فى كل شهر هلالى أربعة وأربعون كيسا فكانت مدة تصرف السلطان سليمان فى السلطنة تسعا وأربعين سنة والله أعلم

﴿ثم تولى السلطان سليم الثانى ابن السلطان سليمان خان﴾ وجلس على تخت السلطنة الشريفة تاسع ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة وسنه ست وأربعون سنة وعمل بعض الفضلاء تاريخا لتوليته فقال (سليم تولى الملك بعد سليمان) سنة ٩٧٤ وبعد ثلاثة أيام من جلوسه توجه الى سكتوار لحفظ عساكر الاسلام المجاهدين فى سبيل الله فسار سيرا حثيثا الى أن وصل ركابه السعيد الى صرم فتلقاه الوزير محمد باشا المتقدم ذكره وأعلمه بهجوم الشتاء وتيسير قلعة سكتوار والتمس الاذن الشريف بعود العسكر المنصور الى الاوطان واستمرار الركاب بذلك المكان الى أن يصل هو وبقية الوزراء ووجوه الدولة الى اثم الركاب الشريف وبعد ذلك يعودون فى خدمته الى مقر التخت الشريف بالقسطنطينية الكبرى فأجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما أشار واستمر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل الى أن ورد عليه الوزير الاعظم وباقى الوزراء وقبلوا الركاب وهنوه بالملك وعادوا فى خدمته الى القسطنطينية الكبرى بغاية البشر واليمن والقبول وجهزت البشائر الى الممالك الشريفة وأتت اليه الهدايا والتحف من الملوك والاشراف فعم بحسن نظره الشريف البلاد واطمأن فى زمنه العباد ودمر أهل الكفر والالحاد وله غزوات مشهورة دمر بها ديار الكافرين وقطع دابر الظالمين وهو جالس بمكانه الشريف منها فتح قبرس ومنها فتح تونس وحلق الوادى ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة ﴿ومما يحكى عنه﴾ انه كان لوالده المرحوم السلطان سليمان مصاحب يسمى شمسى باشا العجمى ولا يخفى ما بين آل عثمان والعجم من العداوة المحكمة الاساس الراسخة الاوتاد فأقر السلطان سليم شمسى باشا مصاحبا على ما كان عليه زمن والده وكان شمسى باشا له مداخل عجيبة وأمور غريبة يلقيها فى قالب مرضى يسحر بها ذوى العقول فقصد أن يدخل شيأ منكرا فى سلطنة بيت آل عثمان يكون

التى هى فخر رجباء الايام أدامها الله تعالى حلة الدوام فأولهم فى ولاية مصر (السلطان سليم خان فاتح مصر) وقد ملكها مستهل سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وتوفى سنة ست وعشرين وتسعمائة وكان سلطانا ناهما باقهارا كثير السفك للدماء قوى البطش والفحص عن أخبار الناس عظيم الكشف عن أحوال الملوك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار وتوجه لقتال العجم ونصره الله عليهم لكنه لم يتمكن من بلادهم لشدة التمكن الغلاء والقحط الذى وقع هنالك بسبب انقطاع القوافل التى كان أعدها لتتبعه بالمؤن فتفحص عن انقطاع ذلك فأخبر ان سببه سلطان مصر قانصوه الغورى لانه كان بينه وبين

سببا لخللها وهو قبول الرشا من أرباب الولايات والعمال فلما تمكن من مصاحبة السلطان سليم فقال له على سبيل العرض عبدكم فلان المعزول من منصب كذا وليس بيده منصب الآن وقصده من فيض فضلكم انعامكم عليه بالمنصب الفلانى ويعطى كذا وكذا فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسى باشا وعلم انه امكيدة منه فى ادخال السوء ببيت آل عثمان تغير مزاجه الشريف وقال له يا رافضى تريد أن تدخل الرشوة ببيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا لازالتها وأمر بقتله فتلطف به وقال له لا تعجل أيها الملك هذه وصية والدك لى فانه قال لى السلطان سليم صغير السن وربما يكون عنده ميل للدنيا فاعرض عليه هذا الامر فان جنح اليه فامنعه بلطف وان امتنع فقل له هذه وصية والدك فدم عليها وادع له بالثبات فى ترك الرشوة التى هى من الامور المستصعبات فخلص من القتل بهذه الحيلة وكانت مدة سلطنة السلطان سليم تسع سنين وكانت وفاته فى سابع رمضان سنة ثنتين وثمانين وتسعمائة والله أعلم ﴿ثم تولى السلطان مراد ابن السلطان سليم﴾ وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى عاشر شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وسنه ثلاثون سنة وكان يحب الخيرات ووجوه المبرات فمن جملة خيراته أنه أنشا تكية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وراطا بقباء ظاهر المدينة المنورة وقرر بها أرباب وظائف ومجاورين ورتب بالتكية طعاما يطبخ صباحا ومساء ورتب حبا لاهل الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهى بأقليم البحيرة ناحية نكلا وناحية الضاهرية وبالمنوفية ناحية سبك الاحد وناحية شبراز مجى وبالقليوبيه ناحية طنان وناحية كفر زريق وناحية طوخ الملق وناحية سدطنان وناحية سنهرا وبالدقهلية ناحية سندوب وناحية منية معنود وناحية أبو الحسن وبالجيزة ناحية كوم برا وناحية نهيا وبالبهنساوية والوجه القبلى ناحية بلفيا وناحية دنديل وناحية العتامنة وناحية دبشناو ناحية الضوابط وناحية اهناس الخضرا وفى كل سنة يجهز الى بندر السويس من متحصل النواحى المذكورة فى كل عام من الحب قدر ألفى اردب ومائتى أردب تحمل فى مراكب فى وقف الدشائش المداديه الى الينبع برسم التكية المذكورة ومجاورى الحرمين الشريفين وأما ما يجهز من النقد من متحصل النواحى المذكورة فى كل عام صحبة أمير الحاج الشريف المصرى فقدره سبعة عشر كيسا توزع على أربابها من مجاورى الحرمين الشريفين وتوفى السلطان مراد فى سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف فجملة تصرفه فى السلطنة عشرون سنة وتسعة أشهر وستة أيام والله أعلم ﴿ثم تولى السلطان محمد ابن السلطان مراد﴾ وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف وقد نظم بعضهم تاريخا لجلوسه فقال

مراد لفى الفردوس والملك زانه * محمد الآتى بخير معاد
بأثر أبيه قد تولى فأرخوا * محمد تولى عين ملك مراد

وقد نظم أيضا بعضهم تاريخا لجلوس السلطان محمد المومى اليه فقال

بولاية المولى المليك محمد * عم الهنا والكون بالبشر انشرح
ومحا الشقا سقم الوجود فأرخوا * بمحمد قد شرف الملك وصح

ونظم بعضهم أيضا تاريخا لجلوسه فقال

محمد خان سلطان على * أدم يارب دولته وابق
أيا أهل الممالك أرخوه * محمد خان سلطان بحق

وتوجه بذاته الشريفة وصحبه عساكره المنصورة الى غزوة المجر وحصل هناك قتال ونزال يطول شرحه ألف المؤرخون لهذه الغزوة تواريخ بالتركى والعربى وحصلت النصرة لمولانا حضرة السلطان محمد وعاد سالما مؤيدا منصورا ومن آثر خيراته أنه رتب حبوبا تحمل فى مراكب من بندر السويس الى الينبع لفقراء الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهى باقليم المنوفية ناحية

اسمعيل شاه كبير العجم مودة ومراسلات فلما استقر فى تخت السلطنة استعد لاخذ مصر فكان منه ما كان وكان مستقره فى مدة اقامته بمصر الروضة وبنى له كشك عند قاعة المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة ولما أراد التوجه الى الروم تقدم اليه خير بك بمفاتيح البلد فردها عليه وولاه عليها الى أن يموت فشاوره على ان ابناء الجراكسة يريدون الدخول فى جملة الاجناد فأجازه بذلك وشاوره على ابقاء أوقاف الجراكسة وهى خمسة عشر قيراطا من أرض مصر فأجازه بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال فنى مالنا وعساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بها فقال السلطان سليم ابن الجلاد وكانت احدى رجليه فى

البتنون وناحية مليج وناحية شنوان و بالغربية ناحية الهياتم وناحية منية تجيل وناحية بوت و بالقليوبية ناحية صنافين وناحية مجول البيضة وبالشرقية ناحية شلشمون و بالدقهلية ناحية نقيطا وناحية صهرجت البش و بالفيوم ناحية نقليفة وناحية بغتمين و بالبهنسا والوجه القبلي ناحية نويرة وناحية سلاوة وناحية بها وناحية قاى وناحية الرينة وناحية بهدادو ناحية قلوصنه وناحية صفت الحمارة وناحية اهناس المدينة وناحية كفر حيدره وناحية القيس وناحية انسوخ وناحية ريدة والذى يجهز من محصولات القرى المذكورة الى المدينة المنورة وفقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما ماقدره من الحب اثناعشر ألف أردب ومن المال النقد ماجملته اثناعشر كيسا فكانت مدة تصرف السلطان محمد فى السلطنة تسع سنين وخمسة عشر يوما وتوفى فى رجب سنة اثنتى عشر وألف ﴿ثم تولى السلطان أحمد بن السلطان محمد﴾ وسنه ثمان عشرة سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى ثالث رجب سنة اثنتى عشرة وألف وكان ملكا مهابا وله التفات الى السلطنة الشريفة وقتل جماعة من وزرائه من جملتهم نصوح باشا فانه لما آلت اليه الوزارة العظمى وتصرف فيها مع نفوذ الكلمة كثرت اتباعه وعماليكه حتى خرج عن طوره ووقع فى ألسنة العامة والخاصة وأشيع عنه ما يوجب التيقظ لاموره كما قيل * وعند صفو الليالى يحدث الكدر * فقتل ولله عز وجل البقاء ومن جملة محاسن السلطان أحمد انه عمر جامعا بالقسطنطينية لم يعمل مثله فى اتساعه واحكام بنائه ودقة صناعته وغير ذلك مما يعجز عنه الوصف ومنها أنه أرسل حجرا من الماس قيمته اثناعشر ألف دينار أو أكثر الى المدينة المنورة وأمر أن يوضع بالحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهو موجود الى الآن ومنها انه حصل فى بناء الكعبة الشريفة ميلان فى بعض أحجارها فأرسل عمدا من فولاذ مطلية بالفضة مموهة بالذهب فطوقت بها الكعبة الشريفة من جوانبها الاربع وحفظت الاحجار من السقوط * ومن آثار خيراته أيضا انه أرسل ميزابا من فضة موها بالذهب ووضع موضع الميزاب العتيق وتسلم أمير الحاج الشامى الميزاب العتيق ووضعه فى تختروان وأسبل عليه كسوة المحمل الشريف الشامى وخرج أمير الحاج الشامى أمامه وخلق كثير من العسكر المنصور ركبانا ومشاة بالطبل التركى وكان يوم خروجه من مكة يوما مشهودا وذلك فى سنة اثنتين وعشرين وألف وكان مؤلف هذا الكتاب حاجا فى السنة المذكورة وشاهد خروج الميزاب المذكور وأرسل الميزاب العتيق الى القسطنطينية ووضع بالخزائن العامرة تبركا ومن خيراته أيضا انه عمل سحابة بركب الحاج الشريف المصرى يحمل بها الماء للفقراء والمساكين ووقف عليها أوقافا وهى مستمرة الى الآن وبها النفع العام ومن آثاره أيضا انه رتب من ريع أوقافه أيضا لفقراء الحرمين الشريفين وأرباب وظائفهما زيادة فى معلومهم فى كل سنة ماقدره اثنا عشر كيسا يحمل اليهم صحبة أمير الحاج المصرى ولا يخفى على أولى البصائر وذوى العقل الباهر ما لآل عثمان من الخيرات والطول الكامل فى اسداء المبرات وكثرة احسانهم وتواتر انعامهم واسعافهم واكرامهم لاهل الحرمين الشريفين جيران الله وجيران نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى هذين البلدين العظيمين المنيفين والتصدق عليهم والرأفة اليهم بكثرة الانعام فى كل عام فلا غرو أن نطقت بمدحهم أفواه الدفاتر وخطبت بذكرهم الاقلام على انامل الخطباء والانامل لها منابر وشدت بذكرهم الاطيار فى أوكارها وأجابهم عاصى الصوادح طائعا أوكارها فلا زالت الوية تصرفهم منشورة الذوائب مشرقة كالشمس فى المشارق والمغارب ظاهرة السفور محلية عاطل طروس السطور والذى ضبطه جامع هذه الاوراق المرتجى عفو ربه الخلاق فقير رحمة ربه محمد بن اسحق ورقه بطريق القريب فى هذا الكتاب ورسمه حسبما وصل اليه علمه من افواه المباشرين والكتاب ان الذى يجهز الى فقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما فى كل عام من صدقة آل عثمان وخدمتهم وعن يأتى ذكره فيه من الديار المصرية حماها الله تعالى من كل ضر وبلية ماهو من المال النقد المسمى بالصرة مائة كيس وأربعة وستون كيسا بيان ذلك

الركاب فضرب عنق الوزير ووضع رجله الثانية فى الركاب ولما نزل الخانقاه لاطفوه فقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم ابقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذا أدخلنا أبناءهم فى جندنا فهم أولاد مسلمين ويغازون على دارهم وأما أراضيهم فاصلها ملك الغازين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز أن تنازع الملاك فى املاكهم وأنا ازلت الوزير كراهة أن يغير على اعتقادى بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهذا شأن الملوك وكانت مدة ملكه تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى (وولى بعده ولده السلطان سليمان خان) بن السلطان سليم خان سنة ست وعشرين وتسعمائة فأقام تسعا

ماهو من اوقاف الدشيشة الكبرى أربعة وستون كيسا وماهو من أوقاف السلطان مراد سبعة عشر كيسا وماهو من وقف السلطان محمد اثناعشر كيسا وماهو من وقف السلطان أحمد اثناعشر كيسا وماهو من وقف الخاصكية عشرة أكياس وماهو من وقف الحرمين عشرة أكياس وماهو من وقف الاشرف خمسة عشر ألف نصف فضة وماهو من وقف الخدم ثمانون الف نصف فضة وماهو من وقف رستم باشا اثناعشر ألف نصف فضة وماهو من وقف اسكندر باشا عشرة آلاف نصف فضة وماهو من وقف سنان باشا عشرون ألف نصف فضة وماهو من وقف على باشا اثنان وثلاثون ألف نصف فضة وماهو من وقف على باشا اثنان وثلاثون ألف نصف فضة وماهو من الحب فى كل عام ثمانية وأربعون ألف أردب وثمانمائة وثمانون أردبا كما هو مذكور فى محله فى هذا الكتاب وذلك خارج عن صدقات البلاد الرومية والحلبية والشامية وغالب البلاد الاسلامية وذلك ببركة دعوة سيدنا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون فاجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فان أودية مكة حجرية لانبات بها قال البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى فاجعل أفئدة من الناس ومن للتبعيض ولذا قيل لوقال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى (وتوفى السلطان أحمد فى عاشر شهر القعدة سنة سبع وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه أربع عشرة سنة وأربعة شهور وعشرة أيام والله أعلم (ثم تولى السلطان مصطفى ابن السلطان محمد) وهو أخو السلطان أحمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى ثالث عشر ذى القعدة سنة سبع وعشرين وألف وكان فى مدة ولاية أخيه السلطان أحمد فى محل داخل السراية وهو ممنوع التصرف والاجتماع بالناس لايمكن من الخروج من السراية وعنده بعض أطفال يخدمونه وهو موصوف بالصلاح لا التفات له الى سلطنة ولا الى تصرف فى أمر من الامور وكان كلما اجتمع بأخيه السلطان أحمد يقول له لاحاجة لى بالسلطنة مطلقا وكان يشاع أن السلطان أحمد كلما خطر بفكره شئ من قبل أخيه السلطان مصطفى يقول له ارجع عما قصده فكان ذلك سببا للكف عنه ثم خلع مولانا السلطان مصطفى ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف واودع فى جب داخل السراية وسد بابه ماعدا روزنة لطيفة ينزل منها طعامه وشرابه وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وعشرة أيام والله أعلم (ثم تولى السلطان المظلوم الشهيد عثمان ابن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وسنه احدى عشرة سنة وهو مع صغر سنه ملك همام وأسد ضرغام ولما تمكن وتصرف واستقام له الحال توجه بذاته الشريفة وعساكره المنيفة الى غزوة طائفة من النصارى المعروفين بالليه من جنس الروس فانه بلغه عنهم أمور قبيحة وخروج من الطاعة وايذاء للمسلمين فوطئ بلادهم بخيله ورجله وقتل منهم من قتل وأسر من أسر فاذعنوا له ووافقوا على ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وعاد الى تخت ملكه مؤيدا منصورا فمكث مدة يسيرة وبعد ذلك شاع الخبر من الداخل ان السلطان عثمان قصد الحج الى بيت الله الحرام والفوز بزيارة قبر خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد تمام الحج يحل ركابه السعيد بمصر المحروسة لاجل احتياطه بامورها فبلغ ذلك الخبر مولانا محمود افندى الولى العارف وبعض الوزراء وأكابر الدولة فأشاروا على مولانا السلطان عثمان بترك هذا الوارد وبانه ماتقدم لاحد من أكابر سلاطين آل عثمان مثل هذه الحركة وان فيها ضررا عاما للرعايا والبرايا والعساكر المنصورة فلم يقبل لاحد منهم اشارة ولم يلتفت لما قالوه وصمم على هذا الامر أشد تصميم لامر أراده العزيز العليم ثم فى يوم الاربعاء سابع رجب سنة احدى وثلاثين وألف أثيرت فتنة بالقسطنطينية بسبب هذه الحركة المتقدم ذكرها فقتل بها خلق كثير من الاكابر والاماثل وغيرهم من جملتهم سليمان أغا ودلاور أغا الوزير الاعظم واختفى السلطان عثمان ونزل من السراية الى أسطودار

وأربعين سنة وتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة وكان سلطانا سعيدا لم يل مصر من بنى عثمان مثله وسلت سراياه الى أقصى المشرق والمغرب وغزا بنفسه ثلاث عشرة غزوة وبنى مدرسة عظيمة مشهورة بالسليمانية وله بيمارستان للمرضى ومازال منذ ولى قائما بنصر الدين وتأييد الشريعة الى أن توفاه الله تعالى وكانت أيامه من غرر الزمان وجملة وزرائه بمصر خمسة عشر وزيرا (وولى بعده ولده السلطان سليم خان الثانى) فأقام فى السلطنة ثمان سنين وشهرا واحدا وأربعة عشر يوما ومات فى شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان حليما عظيما وسلطانا حكيما شهما مطاعا أحيا سنة الجهاد وجد فى فتح البلاد

لاجل الاجتماع بمحمود أفندى المشار اليه فطرق عليه الباب فلم يمكنه من الاجتماع به بسبب عدم قبول نصيحته أول مرة وكان ذلك قبيل الغروب ثم عاد الى السراية الكبرى فوجدها مقفولة فلم تفتح له فرجع على أثره لمنزل حسين باشا وبات به ثم توجه بكرة النهار هو وحسين باشا الى منزل أغات الينشرية وابرم السلطان عثمان على حسين باشا وأغات الينشرية بالتوجه الى العسكر المنصور وأخذ خواطرهم وان يعطيهم ما يريدون و يدفع ما يتضررون منه و يكرهونه فقالا لا يتيسر ذلك الآن بمقتضى أنهم أخرجوا السلطان مصطفى من الجب وأجلسوه على تخت السلطنة الشريفة فأبرم السلطان عثمان على أغات الينشرية فى ايصال هذا الكلام الى العسكر المنصور فأوسعه مخالفته وسلم الامر الى الله تعالى لا نفاذ القدر المقدور فلما وصل اليهم وذكر لهم ما ذكره له السلطان عثمان فما كان جوابهم الا أن قطعوه بالسيوف اربا اربا وتوجهوا فورا الى بيت أغات الينشرية وأخرجوا السلطان عثمان وجاؤا به للسلطان مصطفى فلما تلاقيا تباكيا بكاء عما حصل لا تسل وأخذوا السلطان عثمان ونزلوا به فى قائق وتوجهوا به الى المكان المعروف بيدى قلة فبات به فلما أصبح الصباح عاد به داود باشا بالقائق وهو ميت لا روح به ولا حركة وأدخل الى السراية الكبرى وأذن للناس اذنا عاما فى الصلاة عليه ثم دفن بتربة والده المرحوم السلطان أحمد التى أنشاها عند جامعه وكان له مشهد مشهود تباكت عليه الرعايا والعساكر المنصورة ونم بعضهم على بعض فى الذى كان سببا لذلك ونشأ بعد ذلك فتن كقطع الليل المظلم من قال وقيل وغير ذلك عما يجب كتمه ولا يستحب اذاعته وبعد ذلك قتل داود باشا أشر قتلة وقتل معه جماعة من الاكابر ولا يعلم ما يحدث بعد ذلك الا الله تعالى وكانت وفاة السلطان عثمان يوم الخميس تاسع رجب سنة احدى وثلاثين وألف ومدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر وأربعة أيام وقد نظم بعضهم تاريخا القتله فقال

قتلتمو عثمانكم * وخنتمو امامكم
أما تخافون فتنة * تاريخه واظلامكم
١٠١٣

وقد نظم بعضهم أيضا تاريخا فقال

مات سلطان البرايا * وهو فى الاخرى سعيد
قال لى الهاتف ارخ * ان عثمانا شهيد
١٠٣١

(ثم أعيد مولانا السلطان مصطفى الى الملك ثانى مرة) وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الخميس ثامن رجب سنة احدى وثلاثين وألف خلد الله تعالى ملكه على الاسلام والمسلمين وجعل ظل سلطانه فو ياهتين وانام الانام فى ظل أمانه وعدله المكين لازالت ان شاء الله تعالى دولته ماشية وآية ملكه تتلو على أتالك حديث الغاشية وأبقاه على سرير السلطنة الباهرة دهرا طويلا وثبته على منهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا وجعل السلطنة باقية فى عقبه الى يوم التناد وأنار بنور عدله ظلم الظلم والفساد بجاه سيدنا محمد أفضل العباد انه كريم جواد لطيف بالعباد

﴿ الباب العاشر فيمن تصرف فى مصر من جانب آل عثمان المعظمين من الوزراء والباشوات المفخمين وايراد أخبارهم ومدة اقامتهم بالديار المصرية وأحكامهم بها ﴾

(أول من تقرر باشا بمصر خير بك أمير الامراء) بوعد سابق له فى ذلك من المرحوم السلطان سليم وذلك فى أوائل رجب سنة أربع وعشرين وتسعمائة وجعلها طعمة له الى أن يموت فتوفى فى عاشر شهر صفر سنة ست وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنتان وتسعة أشهر وثلاثة أيام (ثم تولى مصطفى باشا) وكان دخوله فى أوائل شهر رجب سنة سبع وعشرين وتسعمائة وعزل فى سادس عشر شهر الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ويومان اثنان والله أعلم (ثم تولى قاسم جزل باشا) فكان دخوله سنة تسع وعشرين وتسعمائة وخروجه من مصر فى أوائل سنة ثلاثين وتسعمائة فكانت مدة ولايته سنة واحدة والله تعالى أعلم (ثم تولى أحمد باشا الخائن) فى شهر صفر سنة ثلاثين وتسعمائة والسبب فى توليته ان المرحوم السلطان سليمان لما جلس على تخت الملك صادف وزير والده

منها جزيرة قبرص وكان أول من افتتحها أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ثم بعده الملك الملك الاشرف برسباى ثم صاروا يمكرون ويقطعون الطريق فى البحر على المسلمين فاستفتى السلطان سليم فيهم المفتى أبا السعود فافتاه بأنهم ناقضون للعهد فجهز اليهم وظفره الله بهم وجملة وزرائه بمصر أربعة منهم سنان باشا صاحب الخيرات والعمارات (ثم تولى بعده ولده السلطان مراد خان الاول) ابن السلطان سليم الثانى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فأقام فى السلطنة اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثلاث وألف وكان ملكا مقداما وسلطانا ناصرا ماوله مدرسة عظيمة باسلامبول وفى أيامه تحركت عساكر المجر فارسل لهم جيوشا كثيرة وافتتح منها المدن

المرحوم السلطان سليم وهو محمد باشا الصديق فأبقاه على الوزارة العظمى وكان محمد باشا كبير السن بطىء
الحركة فى قيامه وقعوده وتصرفه والملوك لا يليق بخدمتها الا من يكون له حركة ومبادرة للامور فاستعفى
من الوزارة وولى مكانه أوداباشا وكان أقدم منه فى الخدمة المذكورة أحمد باشا وكان مؤملا ان الوزارة
العظمى لا تتعداه فزاحم ابراهيم باشا وجلس بقوة قربه من السلطان فشكاه ابراهيم باشا للسلطان فدبر
فى ازالته وأعطاه باشوية مصر ليستجلب بذلك خاطره وصار ابراهيم باشا يتعقبه للعداوة السابقة ويرميه
بما يوجب قتله فبرز الامر لجماعة الامراء المحافظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه فى محله بالامر
الشريف ويولوا احدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف باقامة باشا وأرسلت الاحكام الى الامراء
بمصر فوقع الامر فى يد أحمد باشا قبل أن يصل الى الامراء فسولت له نفسه العصيان وانه يقاتل بجيش
يلفقه من مصر فأبدى الطغيان وادعى السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدراهم وعصى بقلعة
الجبل وكان قد حبس عنده بالقلعة أميرين كبيرين وهما جانم الحمزاوى ومحمود بك وأراد قتلهما وقد
أخر الله تعالى أجلهما فسمعا انه دخل الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا ونادنا من
أطاع الله ورسوله والسلطان فليقف تحت الصنجق فوقف تحت الصنجق السلطانى خلق كثير وجم غفير
وسار صردارهم جانم الحمزاوى ومحمود بك وتوجها بالعسكر الى الحمام فكبسا الحمام على أحمد باشا وكان
قد حلق نصف رأسه وأعجله عن حلق النصف الثانى هجوم العسكر فهرب الى سطوح الحمام وتسلق من
مكان الى مكان الى أن وصل الى البر فنهبوا جميع ما عنده من السلاح وغيره ثم انهم اقتفوا أثره فادركوه
بمنية جناح بالغربية فقتلوه فى أواخر سنة ثلاثين وتسعمائة وحزوا رأسه وجىء بها الى مصر وعلقت فى
باب زويلة ثم جهزت الى الاعتاب الشريفة فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة والله تعالى أعلم (ثم تولى
ابراهيم باشا) الذى صار وزيرا أعظم وكان دخوله فى أوائل سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وخروجه من
مصر فى شهر شعبان من السنة المذكورة فمدة تصرفه سبعة أشهر (ثم تولى سليمان باشا الخادم) فى تاسع
شعبان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وفى زمنه حررت الدفاتر الموضوعة بديوان مصر المحروسة وفى سنة
ثلاث وثلاثين وتسعمائة عين الامير كيوان لمساحة قرى مصر وضبط أراضيها كل أقليم على حدته من
الاطيان السلطانية والرزق والاوقاف والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك دفاتر محررة ووضعت بديوان
مصر المحروسة وهى معول عليها الآن ومشار اليها وتسمى دفاتر تربيع سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وعمر
أيضا جامعا بقلعة الجبل وعمر سليمان باشا جامعا ببولاق القاهرة وبجواره وكائل وأسواق وربوع وغير
ذلك ولما تولى المرحوم الامير محرم بك أمير اللواء بالديار المصرية ناظرا على أوقاف سليمان باشا زاد فى
الجامع المذكور زيادة حسنة ورفع سقفه فصار الآن فى غاية الحسن والكمال مقام الشعائر الاسلامية وعمر
أيضا جامع سارية بقلعة الجبل وعمر أيضا وكائل برشيد وغير ذلك ثم ورد عليه أمر شريف بالتوجه الى
اليمن فكانت مدة تصرفه بمصر تسع سنين وأحد عشر شهرا وستة أيام (ثم تولى خسرو باشا) فى عشرى شهر
رمضان سنة احدى وأربعين وتسعمائة وعمر فى ولايته صهريجا بين القصرين بمصر وبه النفع للشاردين
والواردين فتصرف الى سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة
وثمانية شهور وستة أيام والله أعلم (ثم عاد سليمان باشا الخادم الى باشوية مصر) عند عوده من اليمن فى
حادى عشر شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فتصرف الى حادى عشرى محرم سنة خمس وأربعين
وتسعمائة فكانت مدته سنة واحدة وخمسة أشهر واحدا وعشرين يوما (ثم تولى داود باشا) فى سابع
محرم سنة خمس وأربعين وتسعمائة وبنى فى ولايته مدرسة عظيمة محكمة البناء بسويقة صفية اللالة
بمصر المحروسة ووقف لها أوقافا وهى باقية الى الآن مقامة الشعائر الاسلامية فتصرف الى ثالث عشر
ربيع الاول سنة خمس وخمسين وتسعمائة فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهرا واحدا وعشرين يوما
وتوفى بمصر المحروسة ودفن بالقرافة (ثم تولى مصطفى باشا صفغان) فى خامس ربيع الاول سنة ست

وجملة وزرائه بمصر ستة
اولهم مسيح باشا صاحب
المدرسة المسيحية بباب
القرافة (ثم تولى بعده ولده
السلطان محمد خان الاول)
ابن السلطان مراد خان
الاول سنة ثلاث بعد الالف
فاقام فى السلطنة تسع
سنين الا شهرا وتوفى فى
سادس رجب عام اثنى
عشر وألف وجملة وزرائه
بمصر أربعة منهم السيد
محمد باشا الذى جدد عمارة
الجامع الازهر ورتب له
العدس يطبخ كل يوم وعمر
المشهد الحسينى (ثم تولى
بعده ولده السلطان أحمد
خان) ابن السلطان محمد
خان فى رجب سنة موت
والده فاقام فى السلطنة
أربع عشرة سنة وأربعة
أشهر ومات سنة ست
وعشرين وألف وبلغ من
العمر نحو ثمان وعشرين
سنة وخلف أربعة ذكور

وخمسين وتسعمائة ومكث الى رجب من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة شهور ونصف شهر والله أعلم (ثم تولى على باشا) فى خامس شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة وتصرف الى غاية محرم سنة احدى وستين وتسعمائة فكانت مدته أربع سنوات وخمسة أشهر وستة وعشرين يوما ولما انصرف من باشوية مصر توجه الى الاعتاب الشريفة فتنقلت به الاحوال الى ان ولى الوزارة العظمى فاحسن فيها السلوك وساوى بين الغنى والصعلوك وسار محمودا فى جميع تصرفاته مع الثناء عليه (ثم تولى محمد باشا الشهير بدوفتركين زاده) فى أول صفر سنة احدى وستين وتسعمائة وتصرف الى عشرى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وتسعمائة فكانت مدته سنة واحدة وشهرين وتسعة عشر يوما (ثم تولى اسكندر باشا) فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة وتصرف الى غاية رجب سنة ست وستين وتسعمائة فكانت مدته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثمانية أيام وفى ولايته عمر المدرسة التى بباب الخرق المطلة على الخليج وهى مشيدة محكمة البناء وعمر تكية تجاهها وسبيلا بجوار المدرسة وقد عمل له بعض الفضلاء تاريخا وهو رحم الله من دار شرب ٩٦٦ ووقف على ذلك أرقاء ارهم فى غاية الحسن والانتظام ولله الحمد والمنة (ثم تولى على باشا الخادم) فى سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة فتصرف الى سادس صفر سنة ثمان وستين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وستة أشهر (ثم تولى شاهين باشا) فى ثانى ربيع الاول سنة ثمان وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى على باشا الصوفى) فى أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة وتصرف الى غاية رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة شهور (ثم تولى محمود باشا المقتول) وكان دخوله يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فتصرف الى ان قتل يوم الاحد تاسع عشرى شهر جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة شهور وعشرين يوما وقد نظم بعض الفضلاء تاريخا لقتله فقال

موت محمود حياة * فيه للعالم رحمه
قتله بالنار نور * وهو فى التاريخ ظلمه
٩٧٥

(وقال بعضهم)

أتى محمود باشا يوم قنص * فساقته منيته فصيبه
قتله الماصر بتخلف حيط * بقيط جاءه منه مصيبه
بغير قدرماه كرام * فخير رها جائته مصيبه

(ثم تولى سنان باشا) فى ثالث عشرى شهر شعبان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وتصرف الى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه تسعة أشهر وأربعة وعشرين يوما ثم ورد عليه أمر شريف من الملك بان يتوجه الى فتح بلاد اليمن واسترجاعها من الزيدية العصاة فتوجه ومعه جماعة من أكابر صناجق مصر وكان يقال ان استصحابه للصناجق لامر نسبوه اليه وقيل لمحمود باشا ولم يرجع من الصناجق أحد ولله البقاء ففتح سنان باشا اليمن واستنقذه من أيدى العصاة وشتت شملهم وقطع دابرهم وقد ألف القطبى تاريخا لهذا الفتح وسماه البرق اليمانى فى الفتح العثمانى لم ينسج على منواله فى حسن انسجامه وفكاهته فمن أراد ان يتنزه طرفه ويطلع على ما أودعه فيه من الدر المكنون فليطالعه وبه قصيدة لا بأس بايراد أبيات منها أولها

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت * لها الهمم العليا الى أشرف الذكر
جنود زهت من كوكبان نيامها * وآخرها بالـ[illegible] شابالى المصر

(ومنها)

سنان عزيز القدر يوسف عصره * ألم تره فى مصر أسكاه قبرى
تدلى الى أقصى البلاد بجيشه * و[illegible] باشر

عثمان ومحمد ومراد وأبا يزيد وله خيرات وعمارات بالحرمين وغيرهما وله جامع عظيم بالقسطنطينية أنفق عليه مالا كثيرا ومحلة وزرائه بمصر ستة (وتولى بعده أخوه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد خان سنة سبع وعشرين وألف وخلع سنة ثمان وعشرين وألف ولم يخلع قبله أحد من سلاطين آل عثمان (وتولى يوم خلعه ابن أخيه السلطان عثمان خان) ابن أحمد خان وهو مراهق فأمر باكرام عمه السلطان مصطفى المخلوع وخرج السلطان عثمان المذكور الى جهاد الكفار بنفسه وغاب نحو سبعة أشهر ثم عاد منصورا مؤيدا ثم عزم على الحج وأفضى الحال الى مثل فتنة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت

وشتت شمل المفسدين وردهم * مثال قرود فى الجبال من الذعر
وقطع رؤساهم من كبار رؤسهم * له باطن السرحان والطير كالقبر
وكن عصى موسى تلقف كلما * بدا من صنيع المفسدين من السحر
(ومنها)
وما يمن الا ممالك تبع * وناهيك من ملك قديم ومن فخر
وقد ملكتها آل عثمان اذ مضت * بنو طاهر أهل الشآمة والذكر
فهل يطمع الزيدى فى ملك تبع * ويأخذها من آل عثمان بالمكر
ابى الله والاسلام والسيف والقنا * وسر امام المسلمين أبى بكر

(ثم تولى اسكندر باشا الفقيه) الجركسى فى رابع جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة وتصرف الى غاية المحرم سنة تسع وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد سنان باشا من اليمن) وتصرف فى باشوية مصر من أول شهر صفر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وله مآثر جملة وآثار حميدة وخيرات حسنة لا تنقطع على توالى الايام بعدة مساجد وربط وتكايا وجوامع بالديار المصرية والشامية والرومية والثغور والبنادر ولم يكن أحد من خدمة آل عثمان أنشأ خيرات مثله ثم توجه بذاته الى زيارة القطب العلوى سيدى أحمد البدوى فى تاسع شهر ذى القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة فانه بلغه ان الامير منصور بن بعداد أمير ولاية المنوفية صغير السن متلاعب لا يلتفت الى التصرف فى ولايته وهو منهمك على اللذات واتباع الشهوات واستولى على عقله جماعة من السفهاء من المنسوبين اليه وهم متصرفون فى ولايته كيف شاؤا وعنده غرور فى نفسه وهو متمسك بحبل ظهره الوزير الاعظم سياوش باشا فانه مكث عنده بالقسطنطينية مدة وكان عهد له أن لا قدرة لاحد على عزله فخشى سنان باشا من ضياع الاموال الديوانية وخلل يحصل باقليم المنوفية فقبض على الامير منصور وعزله فى رابع عشرى شهر القعدة المذكور وولى مكانه الامير علام بن بغداد واستمر الامير منصور مسجونا فى البرج بقلعة الجبل بمصر المحروسة من سنة تسع وسبعين وتسعمائة الى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة الى أن قدم حسن باشا الخادم وأطلقه وولاه المنوفية على عادته فكانت مدة حبسه نحو عشر سنوات ومدة تصرفه بالمنوفية الى أن عزله أويس باشا عشر سنوات سنتان قبل حبسه وثمان سنوات بعد اطلاقه من الحبس فولايته معادلة لحبسه وهذا اتفاق عجيب فكانت مدة تصرف سنان باشا فى الولاية الثانية سنتين وتوجه الى الاعتاب العالية فولى الوزارة العظمى وفرحت الناس بولايته والله أعلم (ثم تولى حسين باشا) فى سادس عشر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ونصف وفى زمنه حصل غلاء عظيم وقحط حتى أكلت الناس بزر الكتان وأعقب ذلك موت فجأة حتى ان الرجل والمرأة والخادم اذ توجه من منزله لاجل قضاء مصلحة تدركه المنية فيموت من غير ضعف ولا ألم واستمر ذلك مدة والله سبحانه أعلم (ثم تولى مسيح باشا الخادم) فى أوائل سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وكان ذا مهابة متصفا بالعدل والعفة يكره أهل الفساد واللصوص وقطاع الطريق ويتجسس عن أخبارهم ومواطنهم ويرسل لحكام الاقاليم فى احضارهم ويقتل منهم من يظفر به ويشنع فى قتله وبسبب ذلك رجع أهل الفساد عن فسادهم وانسد عليهم باب التهم وانتظم الحال فى زمانه وامنت الرعايا على أنفسها وأموالها وألقى الله الرعب فى قلوب الحكام والكشاف والولاة وانكفت أيديهم عن التجرى فى الامور الخارجة عن الشرع والقانون وعمل شناكلا من حديد لقتل المفسدين بالرميلة وبولاق وبالشون بمصر العتيقة وظفره الله بالمفسدين ووقعت نادرة غريبة لا بأس بايرادها وهو ان شخصا من الواحات أخبرنى شفاها انه كان بوابا عند القاضى محب الدين الظاهرى كاتم أسرار السلطنة الشريفة العثمانية بالديار المصرية ثم ان القاضى محب الدين المشار اليه لما شرع فى بناء قاعة مجاورة لبيته الكائن بمصر المحروسة بباب سر

مدته أربع سنوات وأربعة أشهر وعشرة أيام وجملة وزرائه ستة (ثم تولى بعده عمه السلطان مصطفى خان) الذى كان مخلوعا فأقام فى السلطنة سنة ثم خلع ومات بعد خلعه بأيام وتولى بعده ابن أخيه السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان سنة اثنتين وثلاثين والف فأقام فى السلطنة ست عشرة سنة واحد عشر شهرا وخمسة أيام ثم مات تاسع شوال سنة تسع وأربعين وألف وجملة وزرائه بمصر ستة أيضا (ثم تولى بعده أخوه السلطان ابراهيم خان) ابن السلطان أحمد خان ووافق تاريخ توليته (استعنت بالله) فأقام فى السلطنة ثمان سنين وتسعة أشهر ثم خلع وفى اليوم الثالث قتل (وفى ذلك اليوم تولى ابنه السلطان

الصالحية وابتدأ فى حفر أساسها فوجد تحت الارض قاعة بوسطها قبة لطيفة معقودة بالجبس والمؤن المحكمة فهدمها فوجد بها صندوقا لطيفا فيه زجاجة تقارب أن تكون ظرفا لرطلين زيتا وبازائها ثلاثة أرغفة ففتحها فوجد بها شيأ يشبه الدهن ولم يعلم جنسه فاطلع عليه بعض جلسائه فلم يعرف أحد ما هو فأشاروا عليه أن يطلع عليها المرحوم الشيخ عمرى الدين الصائغ الحكيم رئيس الحكماء بمصر فأحضروه واطلع عليها فعرف ما بها لكن لم يخبره وقال دعنى أراجع كتب الحكماء وتركه وطلع من فوره الى مسيح باشا وأخبره انه وجد كنزا عظيما ولا يأخذ جائزته الا كذا وكذا عثمانيا فى الجوالى فأجابه لذلك فقال ان القاضى محب الدين الظاهرى وجد عنده بقاعة خربة قنينية دهن اكسيرا اذا وضع منه درهم على قنطار من القزدير أو الرصاص صار ذهبا خالصا فأحضر القاضى محب الدين وأمره باحضارها فأحضرها فورا واختبر ما فيها فوجد كما قيل ثم ان مسيح باشا جمع كثيرا من الموالى وأكابر الدولة والصناجق وأطلعهم على ذلك ثم أرسل القنينية بعد الختم عليها الى خزانة المرحوم السلطان مراد والقاضى محب الدين لم يتأسف على ذلك ولم يعاتب الشيخ عمرى الدين بكلمة واحدة وبنى مسيح باشا مدرسة ومدفنا له بالقرافة ووقف على ذلك أوقافا وكان يؤمل ان يدفن بالمدفن المذكور وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت فتصرف الى ثانى عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وكان تصرفه خمس سنوات وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما (ثم تولى حسن باشا الخادم) فى سادس عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وقد نظم بعض الفضلاء لعزل مسيح باشا تاريخا فقال

والله نرجو ان نراه كاسمه ❊ وبه ترى الكربات عنا تنجلى

ولطالب التاريخ زين القول خذ ❊ أرخ مسيح اثره حسن ولى

وفى زمنه لبست اليهود الطراطير الحمر والنصارى البرانيط السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم الصفر والنصارى العمائم الزرق وكان حسن باشا محبا لجميع المال من محله ومن غير محله وحصلت منه مصادرات لبعض أكابر مصر من أولاد العرب وعمر وكالة ببولاق القاهرة تجاه التارمخانة وصهريجا مقابلها يعلوه مكتب أيتام وكان قصده ازالة التارمخانة وبنى مكانها جامعا فلم يتمكن من ذلك فتصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة حصل له مشاق وأهوال وبعد ذلك تنقلت به الاحوال وولى الوزارة العظمى ثم عزل وقتل وهو غير محمود والله تعالى أعلم (ثم تولى الوزير ابراهيم باشا) فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة ودخل مصر فى موكب عظيم لم يعهد لاحد غيره وفرحت الناس بقدومه واستبشروا بالخير وكان بيده أمر شريف بالتفتيش على حسن باشا المذكور وكان مؤملا ان يظفر به ويقبض عليه فسبقه بالتوجه ثم انه أقام عنه وكيلا فى الدعاوى وأثبت عليه غالب ما أخذه ثم ان ابراهيم باشا توجه بنفسه الى بئر الزمرذ فاحاط بها علما وظفر منها بالزمرذ النفيس وتوجه الى الاهرام بعد ذلك وأراد الوقوف على ما بها وأنزل جماعة الى الهرم الكبير بشموع عظيمة ليخبروه بما يعاينوه فلم يظهر لذلك نتيجة ثم توجه الى دمياط ثم الى المحلة الكبرى وهدم كنيسة كانت بها وعمرها مدرسة وسماها الوزيرية ثم عمد بعد ذلك الى زيارة القطب الربانى والولى الصمدانى سيدى أحمد البدوى نفعنا الله ببركاته فزاره وأحسن الى مجاوريه ثم توجه الى محلة المرحوم ثم رجع الى مصر فكانت ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وتوجه الى الاعتاب الشريفة فى شهر شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة (ثم تولى سنان باشا الدفتردار) باقامة ابراهيم باشا الوزير فى ثالث عشرى شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة فتصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرة أيام واستمر مقيما بمصر المحروسة الى ان قدم أويس باشا ونزل بناحية شبرا قريبا من بولاق فارسل هدية الى أويس باشا من جملتها حصان اشهب وهو مسرج بسرج مرصع وعدة

محمد خان) وكان عمره تسع سنين فأقام فى السلطنة احدى وأربعين سنة ثم خلع سنة تسع وتسعين وألف (وتولى ذلك اليوم السلطان سليمان خان) ابن السلطان ابراهيم خان فأقام ثلاث سنوات وشهرا ومات سنة اثنتين ومائة وألف (وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان) فأقام فى السلطنة ثلاث سنين وتسعة أشهر ومات سنة ست ومائة وألف (وفى هذه السنة) لم يطلع النيل بمصر ولم يجر كعادته فارتفعت الاسعار واشتد الكرب على الناس من الغلاء وخصوصا الفقراء حتى أكلوا الميتة ثم كثر الموت من الطاعون حتى صار الناس المشيعون للجنائز يسقط منهم الكثير فيموتون وهم سائرون فكانت لا تخلو طريق من

تليق بالمرسل اليه وكان يؤمل ان أويس باشا حال طلوعه من المركب الى أوطاقه المنصوب له أن يركب الحصان المذكور فعدل عنه وركب اكديشا أشهب كان أحضره معه من الديار الرومية ثم ان سنان باشا قدم الى ناحية شبرا وقابل أويس باشا عند غروب الشمس فشاهد اشتطاطا في وجه أويس باشا فهاله ذلك وداخله أمور تخوف منها فلما رجع من عنده الى مصر اختفى ولم ير بعد ذلك الا بالديار الرومية (ثم تولى أويس باشا المشار اليه) في ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وتسعمائة وفي زمنه حصلت الفتن بمصر المحروسة وتحركت العساكر وقتل من قتل وهرب من هرب ومنعت أولاد العرب من الدخول في العسكر المنصور ومن التشبه بلباسهم وحدثت المطالب وحصلت المناهب من وجوه شتى وقيل ان هذه الحركة كانت باشارة أويس باشا فسبحان عالم الغيب وفي يوم الاحد المبارك رابع شهر صفر سنة تسع وتسعين وتسعمائة حصلت زلزلة بمصر بعد ظهر اليوم المذكور فمكثت درجة وسدسا وسقطت منها منارات وبيوت وربوع وفاض الماء من حيطان الحمامات ومطاهر الجوامع وهدمت عقبة أيلا ونهب العرب جميع ما كان فيها من ذخيرة الحجاج والمحافظين وسقطت صخرات من الجبال بطريق مكة وحال وقوع الزلزلة المذكورة كان مؤلف هذا التاريخ اذ ذاك يبيت نقيب الجيوش بمصر فشاهد جهات حوش البيت المذكور وهي تتمايل والحاقعة وسقط منها بعض أحجار وكان بالحوش المذكور سدرة كبيرة فصارت تتمايل يمينا وشمالا كأنها في فلاة وطرقها ريح عاصف ولم ير مثل تلك الزلزلة وقد نظم بعض الفضلاء تاريخها فقال

اقترب الامر فتب * عن الامر للموعظة * زلزلة قد أرعبت * تاريخها وهي عظه

٩٩٦

وفي يوم الاربعاء عاشر جمادى الاولى من السنة المذكورة حصلت زلزلة عند طلوع الشمس مكثت مدة يسيرة وقد ذكر جماعة أن جانبا من الجبل المقطم بالقرب من البساتين بشرق اطفيح انفرق ثلاث فرق وخرج من كل فرق عين ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد ما يكون في الجريان ذكر الجلال السيوطي في كتابه المسمى بكشف الصلصلة في وصف الزلزلة فقال أخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة وابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم وعروقه الى الصخرة التي عليها الارض فاذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل أن يحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ثم تحرك تلك القرية دون غيرها وان أول زلزلة وقعت في الدنيا حكى المفسرون ان قابيل لما قتل هابيل رجفت الارض سبعة أيام وأخرج الحاكم في صحيحه عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله عذاب أمتي في الدنيا القتل والزلازل والفتن وفي خلافة المأمون وقعت زلزلة عظيمة بخراسان دامت سبعين يوما وفي سنة خمس وأربعين ومائتين في خلافة المتوكل زلزلت الارض شرقا وغربا وسقطت الحصون والاسوار وخربت المنازل بالغرب وبمصر والشام وانطاكية والمدائن حتى خرج أهلها الى الصحارى وانقطع الجبل الاقرع بانطاكية وسقطت منه قطعة عظيمة في البحر وارتفع منها دخان أسود منتن وفي سنة ثمانين في خلافة المعتضد ورد الى مصر شخص من أهل قرية اردبيل أخبر ان في شهر شوال في السنة المذكورة كسف القمر وأصبحت الدنيا مظلمة الى العصر فهبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت غالب بنيان المدينة وكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة وخمسين ألفا وفي خلافة المطيع لله سنة أربع وأربعين وثلثمائة زلزلت مصر زلزلة عظيمة أذهبت غالب عامر المدينة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كانت الزلزلة العظيمة المعروفة بزلزلة حماه هدمت ثلاث عشرة مدينة وهي حلب حماه المعرة شيزر كفرطاب أفاميه حمص حصن الاكراد عرقا اللاذقية طرابلس انطاكية بل حرب ويستحب عند الزلزلة العتق والدعاء والتضرع والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانها تدفع كل بلية

طرق مصر من أموات مطروحين فيها لا يعرف لهم أهل ولا مسكن ويوفق الله تعالى بعض الاغنياء لحمل الاموات الذين في الطرقات والحارات ويرسلونها مع خدمهم الى المغسل السلطاني فيجمعونهم حتى يصيروا مائتين في آخر النهار فيغسلونهم ويكفنونهم ويضعون كل ثلاثة أو أربعة في نعش واحد ويرسلونهم الى المقابر ووفق الله تعالى وزير مصر اسمعيل باشا فكفن ألوفا من الاموات (وبعد موت السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان سنة ست المذكورة (تولى ابن أخيه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد خان فاقام في السلطنة ثمان سنين وشهرا وخلع سنة خمس عشرة ومائة وألف (وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان ابن السلطان

وتزيل كل كرب من كرب الدنيا والآخرة (ذكر الكمال الدميري في حياة الحيوان) قال وهب بن منبه
كانت الارض كالسفينة تذهب وتجيء فخلق الله ملكا في نهاية العظم والقوة وامره أن يدخل تحتها
ويجعلها على منكبيه فدخل تحتها وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض
وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من
كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة فاستقرت تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار
فخلق الله ثورا عظيما له أربعة آلاف عين ومثلها آذان ومثلها أنوف وأفواه وألسنة وقوائم ما بين
كل اثنين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره
وقرونه واسم هذا الثور كيوثا ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر أحد ان ينظر اليه
لعظمه وبريق عينيه وكبره حتى قيل لو وضعت البحار كلها في احدى منخريه لكانت كخردلة في فلاة
فأمر الله ذلك الحوت أن يكون قواما لقوائم الثور واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قراره الماء وتحت
الماء ظلمة ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمة هكذا نقله القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتاب
مسالك الابصار ومما اتفق في زمن أويس باشا ان الامير حسن البرموفي انكسر عليه مال للدولة
الشريفة قدره ثلاثون ألف دينار فطلب منه ذلك فتمال وذكر ان عنده قصب السكر يافي بالقدر المذكور
فاستبعد ذلك اويس باشا فحبسه فشفع فيه بعض أرباب الدولة وطلبوا المهلة ثلاثين يوما فقال اويس
باشا كيف يمكن ذلك وهل يتصور أن يجمع من بيع القصب في كل يوم ألف دينار فقالوا له يرجى ذلك ان
شاء الله تعالى فأطلقه من الحبس وسلمه للحوالة ثم انه أحضر القصب الى ساحل بولاق شيئا فشيئا وأطلق
المبيع فيه فما مضى الشهر حتى أوفى الثلاثين ألف دينار وطلع بها لاويس باشا فتعجب من ذلك وقال
مصر يباع فيها قصب برسم المصاصين كل يوم بألف دينار فقالوا له هذا من موجود شخص واحد وهناك
ما يباع برا وبحرا من القصب ما ينوف عن ذلك فانظر يا أخي الى خيرات مصر وما أودعه الله فيها من
الارزاق والبركات وسماحة أهلها بالمصرف والنفقات وهذا القصب من أعظم نعم الله على أهل مصر
لما فيه من الحلاوة السائغة فسبحان ذي المنة العظمى والحكمة البالغة قال الامام الشافعي رحمه الله
لولا قصب السكر ما أقمت ببلدكم يعني مصر والقصب حار رطب وقيل معتدل وأجوده الحلو الكثير
الماء ويوجد فيه شيء من الصمغ اذا اكتحل به يجلو العين ومصه ينفع الصدر والسعال ويولد دما معتدلا
ويدر البول ولكنه يولد أرياحا فينبغي أن يغسل بماء حار بعد تقشيره لزوال ضرره وقد شاهدت في سنة
ست وتسعين وتسعمائة أعجوبة لا بأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهو ان شخصا يدعى
الامير سليمان بن أحمد بن أزدمر المشهور بالاخرس الجركسي الاصل وهو من أعيان عسكر مصر حضر الى
محكمة منف وأبرز من يده حبة أرز مكتوب عليه ما قرأته وهو بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر بسم الله الرحمن الرحيم انا
أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كتبه محمد سنة ٩٩٤ وشاهد ذلك قضاة المحكمة المذكورة
وشهودها وما من شخص منهم الا وقرأ ذلك مرة أو مرتين وأما مؤلف هذا التاريخ فانه قرأ ما على الارزة
أكثر من ثلاث مرات وتأمل حروفها تأملا شافيا وشاهد جرة كل بسملة والكاف المبسوطة واسم
الكاتب والتاريخ المكتوب بالاحمر وكتب في خصوص ذلك محضر ورقم به شهادة من شاهد ذلك ورآه
فرحم الله كاتبها وعفا عنه بمنه وكرمه فانظر يا أخي كيف يلم التراب مثل هذه الانامل فان من سمع ولم
يشاهد فربما داخله الشك ويجول فكره ويقول كيف يتصور ذلك فسبحان المنعم المتفضل على عبيده
ومن على من يشاء بجودة الخط الذي هو من اعظم موجبات الحظ وأنعم بهذه الصناعة على أهل البراعة
واليراعة وأجرى ذكرهم بالخيرات الى قيام الساعة قال الله تعالى في كتابه العزيز الذي علم بالقلم علم

محمد خان) سابع عشر ربيع
الاول من السنة المذكورة
وله مسجد عظيم باسلامبول
يعمل فيه مولد النبي صلى
الله عليه وسلم وأول وزرائه
الوزير محمد باشا رامي رئيس
الكتاب حضر الى مصر أول
سنة سبعة ومائة وألف ثم
عزل وحضر بعده لوزارة
مصر الوزير حسن باشا
السلحدار سنة تسع عشرة
ومائة وألف ثم عزل سنة
احدى وعشرين ومائة
وألف وحضر بعده لوزارة
مصر ابراهيم باشا القابودان
ثم عزل سنة اثنتين وعشرين
ومائة وألف وحضر بعده
لوزارة مصر الوزير خليل باشا
ووقع في زمنه فتنة عظيمة
سنة ثلاث وعشرين ومائة
وألف بين العسكر وقفلت
حارات مصر وأسواقها اثنين
وسبعين يوما والمدافع تضرب
ليلا ونهارا وتعطلت سائر
الاسباب وآل الامر الى قتل

الانسان مالم يعلم ذكر ابن الخازن فى تفسير سورة اقرأ فقال تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بها انضبطت العلوم ودونت الحكم وبها يعرف أحوال الماضين وأخبارهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه انتهى كلام ابن الخازن *(فائدة)* فى معنى حروف المعجم اذا نطق بها من غير تركيب أ الفرد الذى لا مثل له ب الكثير الجماع ت التراب الذى يتمرغ عليه الحمار ث اللبن الحليب ج الجمل المتعلم ح الدليل الحرس خ عرف الديك د الرجل الاكول ذ القرد الصغير ر الشيخ البخيل ز التفاح الاحمر س الديك المرغ منقاره فى التراب ش رجل لا يشبع من الجماع ص الهدهد ض المرأة الكبيرة الثديين ط سنام البعير ظ الابل المقطورة ع رب الماء غ المقدم على أقرانه ف المتوسط فى الصلح ق الشجرة المخضرة ك الفحل ل جمل ذو سنام م الحوت ن الدواة والسيف هـ الطم على وجه الصغير و شراك النعل ى اللبن الباقى فى الضرع وقد اختلف فى لفظ اللسان وخط البنان فقال بعضهم لفظ اللسان لا يجاوز الاذان ولا يذكر فى كل مكان ولا يترجم بكل لسان وأما خط البنان فيوجد فى كل مكان ويترجم بكل لسان وكان صلى الله عليه وسلم ينطق له الخط ولا يكتب فسمى النبى الامى لعدم الكتابة ونطق الخط معجزة فى حقه صلى الله عليه وسلم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشى وأترب فأسلم وكتب الى كسرى ولم يترب كتابه فلم يسلم فاذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وسمعت وانا بمكة المشرفة سنة ثمان عشرة وألف ان كاتب الارزة المتقدم ذكره توجه الى بلاد الهند واجتمع على سلطانها وكتب له قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فى فرخ ورق هندى بعلم الثلث الوضاح كتابة تحرير على الاوضاع المرضية والطريقة الياقوتية ثم كتب الآية الشريفة وطلاه على حبة أرز واوصل ذلك الى السلطان المذكور فأجله وانعم عليه بنعمة وافرة من أقمشة وعبيد لاثرأ عطاه مصحف الطريقة وثلاثين دينارا زنة كل دينار عشرة مثاقيل ثم عاد الى مكة المشرفة وقد نظم المرحوم الشيخ العارضى فى وصف آلات الدواة قصيدة لا بأس بايرادها فى هذا المحل وهى هذه

حمدا لمولى انزل الكتابا * وشرف القرآن والكتابا * ثم صلاة الله تهدى بالقلم

من مدحه فى آى نون والقلم * والآل والصحب ذوى النجابه * والحافظين العلم بالكتابه

ففى حديث قيدوا العلم بما * اسناده صحيح جاء بها * واختلفوا اهل خط أشراف البشر

أصح قول لا ولكن مر * قد ورد النص بذا وبسطه * فى قول ذى العرش ولا تخطه

لحكمة بيانها ما غابا * يتلى علينا فى اذا لارتابا * وكان من كتابه معاويه

ومن علت صحبة بالساريه * وللدواة أربعون فيما * أثبتها اصطلاحهم قديما

وقد حوتهن دواة باهره * فوق فيها كنجوم زاهره * يخطها يراع كل ناقش

وما سواها ملحق بالهامش * شافية بحسنها وكافيه * ما حكيت وههنا ما فيه

نظمتها فشكل فسرته * وواضح على التوالى سقته * أما الذى لا يختفى فمحبره

مركبة ومنقد ومسطره * ومبرد ومغرز ومكشط * ثم مقص مجمع ومخيط

ومجرد ومحفر ومحتزه * مقلمة وعوه ومقطره * مطوية ومسدية ومرمله

ممسحة ثم محك مصقله * ثم مزم ومسن ومقط * والحقت مفرشة بعاقد انضبط

ثم ملف ثم محسر الذلا * بأمر علقاط وعد المشكلا * فالمبر المخيط شذ فى العرف

لقلم وارتقاء الوصف * ومكبس للضبط والجعف * رمله مزودة تعطف

ومركز الاقلام جئ كذا * لمرصعة مذاق الاذى * ومقسم وهو دكار صادق

أمراء لا يحصون منهم أحمد باش أوطه باشى مستحفظان الشهير بافرنج وبه اشتهرت تلك الوقعة وهرب من مصر أمراء لا يحصون منهم رئيس القوم أيوب بك أمير الحاج الشريف ونهبت أموال كثيرة وسبيت ذرارى كثيرة وعزل خليل باشا صاحب الفتنة وحضر بعده لوزارة مصر الوزير ولى باشا الشريف فمكث الى سنة سبع وعشرين ومائة وألف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر الوزير عابدين باشا وهو الذى قتل أمير اللواء غيطاس بك يوم الاربعاء ثامن شهر رجب الاصب من السنة المذكورة وضعفت بقتله شوكة الفقارية بأرض مصر وقويت شوكة القاسمية ثم عزل عابدين باشا (وتولى بعده وزارة مصر على باشا الازميرى) ومكث واليا بمصر الى سنة ثلاث

والزهو املونة شوف الورق * فهم ملاق حقه مشاق * وفى حديث لفظه مساق
واف بالمنديل ما تقدما * وختمه مسك لما تقدما

رجعنا الى ما نحن بصدده من ذكر اويس باشا فانه تصرف فى باشاوية مصر الى سادس شهر رجب سنة تسع وتسعين وتسعمائة ومات بمرض السكتة فجأة ودفن بالقرافة فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وشهرا واحدا وثمانية أيام وقد نظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

أهلك الله أويسا انه * جار فى الحكم ولم يخش الوعيد
مذ أتى مصر تجبر واعتدى * وبه الظلم تبدى فى مزيد
هلك الحرث وكم من فتنة * أمها بالجهل فيما لا يفيد
مذ دهاه الموت ما أفلته * لا ولا كان له عنه محيد
غاب سعد بالوفاة أرخوا * ها وغاب كل جبار عنيد

٩٩٩

(ثم تولى أحمد باشا حافظ الخادم) فى سابع عشر رمضان سنة تسع وتسعين وتسعمائة وكان محبا للعلماء والفقراء ذا رأى وتدبير فى تصرفه وعمر وكالة كبرى ووكالة صغرى وسوقا وقهوة وبيوتا وربوعا ببولاق القاهرة بجوار شون الحطب وعمل مصلى بالوكالة الكبرى مطلة على بحر النيل وقرر بها أرباب وظائف وهى مقامة الشعائر الاسلامية وعمر أيضا برشيد وكالة وقهوة وربوعا وعمل مصطبة بطريق الحاج الشريف وبها النفع للحجاج ولما صرف من باشوية مصر وتوجه الى الاعتاب الخاقانية ساعدته العناية الربانية فولى الوزارة العظمى وشكره الناس وحمد فى ولايته ثم انه استعفى عن الوزارة واستأذن فى الحج فأذن له وجاء الى مصر بحرا وتلقته الاكابر باحسن ملتقى واهدت اليه الهدايا وحج ورجع وتوجه الى القدس وخليل الرحمن فزار ورجع الى الديار الرومية وتوفى بها الى رحمة الله تعالى فكانت مدة تصرفه فى باشوية مصر الى ان عزل فى تاسع شعبان سنة ثلاث وألف ثلاث سنوات وعشرة شهور واثنان وعشرون يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى قودر باشا) فى ثالث عشرى رمضان سنة ثلاث وألف وكان أميا ساذجا محبا اللهو واللذات لا حيلة له فى جمع المال ولا فى غيره (ومما حكى) عنه انه كان جالسا فى محل عال مشرف على حارة عرب اليسار فرأى شخصا عكان ينكح حمارة فضحك حتى استلقى على قفاه ثم اطلع نفرين كانا عنده من خدمته على ذلك الرجل وأمرهما باحضاره له وأوصاهما أن لا يشوشا عليه ويترفقا به فنزلا من عنده واجتمعا بالرجل وقالا له نحن ضالون عن باب القلعة ودفعا له نصفين وقالا له دلنا على الطريق فأتى بهما الى باب القلعة فقالا له لا بد من اكرامك فادخلاه الى ان أوقفاه بين يدى قودر باشا فقال له من أى القبائل أنت قال انا من عرب اليسار ثم قال له أنت عازب أم متزوج فقال عازب فقال لاى شئ لم تتزوج فقال له من الفقر فقال له لاى شئ تنكح الحمير فخجل الرجل ونكس برأسه الى الارض حياء ثم ان قودر باشا أحضر له جارية بيضاء من جواريه وقال له قد أعتقت هذه بشرط التوبة عن نكاح الحمير فقال تبت الى الله ثم بعد ذلك أمر ان يعطى له ألف نصف وقال له هذه الدراهم تنفقها القيام الاود أنت وعيالك فأخذ الجارية والدراهم ونزل بها وهو مسرور محظوظ فانظر الى مكارم أخلاق هذا الرجل وقل من يفعل مثل ذلك فى هذا الزمن وأن قودر باشا تصرف فى باشوية مصر الى سابع عشر رجب سنة أربع وألف فكانت مدة تصرفه عشرة أشهر وعشرة أيام وفى سنة أربع وألف توفى مولانا شيخ الاسلام محمد الرملى الشافعى ومولانا شيخ الاسلام الشيخ على المقدسى الحنفى فنظم بعض الفضلاء تاريخا لوفاتهما فقال

لما قضى الرملى شيخ الورى * من كان على مذهب الشافعى
ثم تلاه المقدسى الذى * حاز علوم الصحب والتابعى
فقلت فى موتهما أرخا * مات أبو يوسف والرافعى

١٠٠٤

وثلاثين ومائة وألف ثم عزل وجاء بعده لوزارة مصر فى السنة المذكورة رجب باشا فحبس على باشا المعزول ثم خنقه فى قصر يوسف وأظهر محمد بك جركس الذى كان مختفيا ثلاث سنين وبطش باعدائه فقتل اسمعيل كتخدا جاويشان وقتل اسمعيل بك دفتدار حالا وأرسل تجريدة الى أمير الحاج اسمعيل بك بن ايواز بك فهرب من بندر عجرود ودخل مصر مختفيا ثم أعمل الحيلة فاصطلح أمير الحاج اسمعيل بك بن ايواز مع عدوه محمد بك جركس ووقع الاتفاق على عزل رجب باشا فانزل من القلعة محتقرا وكانت مدته بمصر مائة يوم وحضر بعده لوزارة مصر محمد باشا النشنجى فمكث الى سنة احدى وأربعين ومائة وألف

(وعما يحكى) عن أبي يوسف رحمه الله تعالى ان هرون الرشيد أوى ذات يوم الى فراشه وقت الظهر فلما رقا سريره وجد منيا طريا بفراشه فهاله ذلك وانحرف مزاجه انحرافا شديدا فدعى زبيدة فلما حضرت بين يديه قال لها ما هذا الملقى على هذا الفراش فنظرت اليه ثم قالت له هذا منى يا أمير المؤمنين فقال لها اصدقيني عن سبب ذلك والا بطشت بك في هذا الوقت فقالت له يا أمير المؤمنين والله لا أعلم لذلك سببا واني بريئة مما اتهمتني به ثم انه طلب أبا يوسف ونصب له كرسيا ونصب لزبيدة ستارة خلف السرير فلما حضر أبو يوسف ذكر له القضية فنظر أبو يوسف الى المني ثم رفع رأسه الى السقف فرأى فرجة بالسقف ثم قال يا أمير المؤمنين ان للخفاش منيا كمني الرجال وهذا مني خفاش وطلب رمحا فاحضر فأخذه بيده ووضعه بالفرجة التي بالسقف فطار منها خفاش والمني يقطر منه فوق الفراش فاندفع الوهم عن هرون الرشيد وظهرت براءة زبيدة فزغردت فرحا ببراءتها وأمرت لابي يوسف بجائزة وافرة وقالت له يا امام أيما أحب اليك حلاوة الفير وزج أم حلاوة الفيلوذج فقال لها مذهبنا الاصحم على غائب فأحضر له الحلوتان فأكل من هذه ومن هذه ولم يفرق بينهما فقالت له فما الفرق بينهما فقال لها كلما أردت ان أحمل على أحدهما أقام الآخر الى حجته فضحك هرون الرشيد وأمر له بصلة وافرة فأخذ الصلتين وانصرف من عنده فرحا مسرورا والله أعلم (ثم تولى الشريف محمد باشا) في ثالث عشر شوال سنة أربع بعد الالف وكان حاكما مهابا ذا بصيرة وسطوة وعند قدومه شكا توت الشكارى في كوسى حسن الشافرت وأحد المسلماني بسبب خيانة حصلت في الاموال الديوانية والشون السلطاني وثبت ذلك عليهما فأمر بشنقهما فشنقا فنظم الامير باكير الناظر تاريخ الشنقهما فقال

بالعدل رب الخلق أجرى حكمه * في خائنين خالفا أهل التقى
وان ترد في الحال تاريخا يكن * كوسى حسن والمسلمان شنقا

١٠٠٤

وكان نية الشريف محمد باشا أن يبطش ببعض أناس ولما أشيع عنه ذلك حصل التيقظ لخاصره الغرور وقد خاب ظنه كما قال الطغرائي والدهر يعكس آمالي ويقنعني * من الغنيمة بعد الكد بالقفل
(وقال أبو العلاء المعري) مصاحبة المنى خطر وجهل * وكم شرق تولد من زلال
(وقال غيره) قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
(وقال أمية بن أبي الصلت)

تجري الامور على حكم القضاء وفي * طي الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرني ما بت أحذره * وربما ساءني ما بت أرجوه

ثم ان الشريف محمد باشا عزم على التوجه الى الربيع فاشار عليه جماعة من ذوي الآراء بترك التوجه للربيع فنبذ كلامهم للامر المقدور وصمم على التوجه للربيع فتحرك عليه جماعة من العسكر المنصور وتعرضوا له عند انصرافه من الربيع وهو بباب الوزير بموكبه الخاص وعسكره وطائفة من السلمانية وهم معدون بالبنادق الجزائرية فلما عاين من معه كثرة العسكر المنصور تفرقوا في الازقة وتركوا محمد باشا في نفر قليل من أتباعه فدعاه العسكر الى المحاكمة على يد الشرع الشريف بمدرسة السلطان حسن فارجمهم الانقياد لما دعوه اليه فتوجه معهم الى أن وصل الى الرميلة فركض حصانه نحو باب السلسلة ودخل القلعة وأغلق الباب بينه وبين العسكر المنصور واندفعت تلك الشائرة وقتل بعض من كان يكثر التردد على محمد باشا واستمر بالقلعة وهو مكفوف التصرف قاصر الكلمة الى أن صرف في خامس عشر الحجة سنة ست بعد الالف فكانت مدة تصرفه سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما وفي ولايته غير أستار الاروقة بالجامع الازهر التي كانت من حصر قديمة وجعلها من خشب مدهون بالدهان الاخضر ورمم أيضا سقف الجامع الازهر ودهن بالدهان الاخضر ورتب عدسا بطبخ الجامع الازهر للفقراء المجاورين وهو

وحضر بعده لوزارة مصر الوزير بكير باشا فمكث شهرا وعزله العسكر وحضر بعده لوزارة مصر عبد الله باشا التكفورلي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ومدحه شعراء مصر لفضله وميله الى الادب وله ديوان شعر يمدح على حروف المعجم وقال بعض شعراء مصر في بعض قصائده

ولما جاء مصر أرخوه
لقد سعدت بعبد الله مصر

وفي مدته جاء الخبر بخلع السلطان أحمد من السلطنة فكانت مدة سلطنته ثمانية وعشرين سنة ومكث مدة مخلوعا ومات (وتولى بعده ابن أخيه السلطان محمود خان ابن السلطان مصطفى خان) سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف وله مسجد مشهور بالمحمودية ثم عزل عبد الله باشا عن وزارة مصر (وتولى بعده محمد باشا السلحدار) على وزارة مصر قدم من البصرة واقام واليا بها الى سنة ست وأربعين ومائة وألف

مستمرا الى الآن وكان له احسان الى الفقراء والمساكين وخرج من مصر فى موكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء وركب معه خاصة العسكر وعامته وكان يوم خروجه مشهودا ولما توجه الى الاعتاب الشريفة مكث مدة يسيرة وعين لسفر قول باش فأسره الشاه واستمر وهو محصور عنده الى أن مات ببلاد العجم رحمة الله تعالى عليه (ثم تولى خضر باشا) فى عشر ذى الحجة سنة ست بعد الالف فتصرف الى خامس عشر شهر محرم الحرام سنة عشرة وألف فكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى على باشا) فى تاسع صفر الخير سنة عشرة وألف وعند قدومه الى الاسكندرية تكاثرت عليه الشكاوى فى الكشاف وأكثر ذلك من برويز كاشف المنوفية فقتله حالة مقابلته ويقال ان شيخى أفندى لما انصرف عن ولاية قضاء المنوفية اجتمع بعلى باشا على رودس فسأله عن الاحوال فقال له برويز كاشف المنوفية مستحق القتل وعدد له جرائم يقبح ثم وعند وصول على باشا الى كفر الخضر احصلت شكاوى فى محمد بن فجا حاكم الخراوية فقتله بكفر الخضر افوابه الحكام والكشاف ودخل مصر فى هيبة وجلالة ولقبوه بالنمر ولما استقر بالقلعة أرسل قوسا وأمر ان يعلق على باب زويلة بالمرماه والصق به تذكرة ذكر أنه مكتوب فيها ان كل من أوفى هذا القوس يعطى ما هو مقيد بالتذكرة فلم يجسر أحد أن يمسك القوس تأدبا واستمر وهو معلق ثم رفع وكان قصده على باشا بذلك اظهار نتاج واستقامة بعض أمور فما ساعدته القدرة على ذلك

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

وما أحسن قول بن أسيد المحاربى

شقى المؤمل يوم الحيرة لنظر * ليت المؤمل لم يخلق له نظر

ثم ان على باشا قصد زيارة الشريف العلوى سيدى أحمد البدوى عمت بركاته ونزل فى المراكب الى طندتا وزار سيدى أحمد البدوى وأحسن لفقراء المقام الاحمدى وقصد العود فتعرض له طائفة من العسكر المنصور مشاة وركبانا وهم معدون بآلات السلاح وطلبوا منه أشياء كان توقف معهم فى اعطائها فاجابهم الى ماطلبوه وأعطاهم ماسألوه ودخل مصر وهو مغموم مقهور فاعقبه ذلك مرضا شديدا فأرسل الى الاعتاب الخاقانية يستعفى فاذن له فى سادس ربيع الآخر سنة اثنتى عشر وألف وفى زمنه ظهر الدخان المضر بالابدان اليابس الطباع الذى لاشئ فيه من الانتفاع المبطل لحركة الجماع المسود للاسنان المهرب ملائكة الرحمن بل ذكر أكثر من أكثر منه ان عاقبته وخيمة ومداومة شربه ذميمة يورث النتن فى الفم والمعدة ويظلم البصر ويطلع بخاره على الافئدة ومن زعم ان شربه محرق للبلغم فقد أخطأ فيما زعم بل غم وقوله فى ذلك غير صحيح وانما هو من تحسين القبيح والعلامة اللقانى ذمه وتجهه وألف فيه نبذه توجب على من أقبل عليه نبذه ولو لم يكن من دناءته الا ولع السودان به والاجلاف لكان ذلك مما يكف عنه الاشراف فكيف بأصل لا نفع فيه ولا أثر بل شوهد منه القبح والضرر ذكر القاضى ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام عند قوله تعالى أو يأتى بعض آيات ربك يعنى أشراط الساعة عن حذيفة بن أسيد والبراء بن عازب رضى الله عنهما قالا أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم ونارا تخرج من قعر عدن وذكر الكواشى فى تفسيره عند قوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أى وقع القول على الكفار وقيل على جميع الناس والمراد بالقول العذاب قال ويروى ان الدابة لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ولون نمر وصدر أسد وخاصرة هر وقرن أيل وذنب كبش وقوائم بعير بين كل مفصل اثنا عشر ذراعا وقيل ان لها وجها كوجه الانسان وسائر جسدها كالطير وقيل لها زغب وريش وجناحان رأسها يمس السحاب ورجلاها فى الارض وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بينما عيسى عليه الصلاة والسلام يطوف بالبيت

(وتولى بعده وزارة مصر الوزير عثمان باشا الحلبى) قدم من طرابلس وأقام واليا بمصر الى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر الوزير بكر باشا) وهى توليتها الثانية فقدم من جدة الى السويس فى البحر لانه كان واليا بجدة وأقام بمصر واليا الى سنة تسع وأربعين ومائة وألف ثم وقعت فتنة بمصر وقتل فيها محمد بك قيطاس وعلى بك وصالح بك وعثمان كتخدا مستحفظان ويوسف كتخدا عزبان وامراء كثيرون وقامت الجند على بكر باشا فعزلوه وحضر الامير مصطفى أغا أمير اخور كبير بخط شريف من الدولة العلية بضبط تركات المقتولين فمكث بمصر ثم حضر خط شريف بتولية مصطفى أغا أن يكون وزيرا بمصر فأقام واليا بمصر الى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف

فتضطرب به الارض وتنشق الصفاء مما يلى المسعى فتخرج الدابة ملمعة اول ما يخرج رأسها ذات وبر
وريش لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب معها عصى موسى وخاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة
والسلام وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال لو أشاء أن أضع قدمى مكانها اليوم لفعلت وجاء انها تختم
أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل البيت ليجتمعون فيقولون هذا مؤمن وهذا
كافر وعنه صلى الله عليه وسلم انها تسم الكافر بين عينيه كافرا والمؤمن بين عينيه مؤمنا وذكر
الكواشى أيضا فى تفسيره عند قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض أنهم ثلاثة أصناف
صنف كأمثال الارزة وهو شجر بالشام طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف طوله وعرضه سواء مائة
عشرون ذراعا وهذا الصنف لا تثبت له الجبال ولا الحديد وصنف يفترش احدى أذنيه ويلتحف
بالاخرى لا يمرون بشجر ولا فيل ولا وحش الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم
بخرسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يأجوج
ومأجوج عشرة أجزاء وبنو آدم كلهم جزء واحد وعن حذيفة بن اليمان مرفوعا ان يأجوج ومأجوج
أمتان وكل أمة أربعمائة أمة لا يشبه بعضها بعضا لا يموت الرجل حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه قد
حملوا السلاح وهم من ولد يافوث بن يافث بن نوح يشيرون الى خراب الدنيا وخروجهم بعد عيسى عليه
الصلاة والسلام وقتله الدجال وجاء ان الترك سرية منهم خرجت للفساد فسد ذو القرنين دونهم فبقيتهم
الترك منهم وقال قتادة هم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة وترك واحدة
فلذلك سموا تركا وفسادهم فى الارض انهم يفعلون فعل قوم لوط ومما يؤيد ما ذكرناه من أمر الدخان
قال جالينوس لاصحابه اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع ولا حاجة لكم الى طبيب اجتنبوا الغبار
والدخان والنتن وعليكم بالدم والطيب والحلوى والحمام ولا تأكلوا فوق شبعكم وقال الحكيم الرئيس
موسى بن عبد الله الاسرائيلى القرطبى لو دبر الانسان نفسه كما يدبر بهيمته التى يركبها لكان يسلم من
أمراض كثيرة وذلك انه لا يلقى العلف لبهيمته جزافا من غير قدر معلوم بل يتفقدها لكى لا تعطب
والعجب كل العجب ان الانسان لا يفعل ذلك لنفسه ولا يتفكر فى رياضة الجسم التى هى الركن الاكبر
ودوام الصحة ودفع أكثر المفاسد والامراض ولا ينام من به زكمة على قفاه وذكر الفخر الرازى فى كتابه
برء ساعة ان أصعب العلل الزكام قال الحكيم الزكام هو سيلان الرطوبة من باطن مقدم الدماغ الى
المنخرين فان كان معه صداع والتهاب فى الرأس وحمرة الوجه فلا بد من الفصد فى القيفال ويسقى شراب
البنفسج بدهن اللوز وان لم يكن معه دلائل كالحرارة ولم تحدر معه بلغم غليظ فان تحدر معه بلغم أصفر
أو أبيض فيترك حتى ينقطع من ذاته وان كان أبيض رقيقا فيكمد الرأس بالمناديل المسخنة ويستنشق
بالرياحين الحارة وذكر بعض الحكماء ان شم البنفسج والتبخر بها ينفع من الزكام والنزلة وشم اللادن
ينفع من الزكام وكذلك شم التفاح وأكل ثمره ينفع الصداع وينوم ولا يأكل من به غم حموضة واعلم ان آفة
القلب الهم والغم وهو ظهور الحرارة الغريزية الى ظاهر البدن عند الاهتمام بالامور وقال الامام على كرم
الله وجهه أقوى خلق ربى ابن آدم وأقوى منه السكر الذى يزيل العقل وأقوى من السكر النوم وأقوى
من النوم الهم والغم ذكر العارف بالله تعالى فى كتابه المسمى بالانسان الكامل فقال اعلم انه يكون وجه
القلب دائما الى تورق الفؤاد يعنى الهم هو محل نظر القلب ووجهه لوجهه اليه فاذا حاذاه الاسم أو الصفة
من جهة الهم نظره القلب فانطبع بحكمه ثم يزول فيعقبه اسم آخر اما من جنسه أو من جنس غيره فيجرى
معه ما جرى له مع الاول وهكذا مع الدوام وأما ما كان من قفا القلب فلا ينطبع ثم اعلم ان القلب ليس له
قفا ينص عليه بل كله وجه لكن موضع الهم منه يسمى وجها وموضع الفراغ منه يسمى قفا وهذه المدائن
فيها كيفية ماذكر وقال بعض الحكماء ان استعمال اللازورد يصفى دم القلب وينفع من الوحشة والغم
والهم والامراض السوداوية ومن خاصية لسان الثور تفريح القلب وازالة الهم والغم روى ان عائشة

(وتولى بعده وزارة مصر سليمان باشا الشامى الشهير بابن العظم) فاقام واليا على مصر الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر على باشا حكيم أوغلى وهى توليته الاولى بمصر فدخلها فى جمادى سنة أربع وخمسين ومائة وألف وتولى بعده محمد باشا اليدكشى فاقام واليا بمصر الى سنة ثمان وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده الوزير محمد باشا راغب رئيس الكتاب) فاقام واليا بمصر الى سنة احدى وستين ومائة وألف وعزله العسكر لفتنة وقعت قتل فيها خليل بك أمير الحاج وعلى بك الدمياطى وهرب فيها ابراهيم بك قيطاس الى أرض الصعيد مع طائفة من صناجق مصر وهرب أيضا عمر بك ابن على بك مع طائفة من الصناجق الى أرض الحجاز (وتولى بعده) واليا بمصر

رضى الله عنها لما حصل لها من الافك أصابها هم وغم لا يوصف فكانت تدعو وتقول فى دعائها يا سابغ النعم ويا دافع النقم ويا فارج الهم ويا كاشف الغم ويا اعدل من حكم وحسيب من ظلم وولى من ظلم ويا اول بلا بداية وآخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كناية اجعل لى من أمرى هذا فرجا ومخرجا فأنزل الله تعالى براءتها وفرج همها وغمها وذكر البونى فى اللمعة النورانية وأما اسمه الفعال فهو اسم المغلو بين بالخواطر والوساوس واغتنام القلب فى ذكره وأ كثر من ذكره ذهب ذلك عنه وهو من الاسرار البديعة فان من داوم على ذكره فرج الله عنه مانزل به وفرح به حزنه وسر بعد نكده وقد حصل لى هم وغم ووسواس وتزايد ذلك على الى أن كدت ان انتقل من حالة الى حالة وقل نومى فاستعملت له أدوية كثيرة وأورادا شتى فلم يذهب عنى وكلما تقادم تجدد ولازمنى هذا الحال نحو سنة فلما استعملت هذا الاسم الشريف وهو فعال خف عنى هذا الوارد ببركة هذا الاسم الشريف قال الحكيم ولا تسرعوا اذا قصدتم فانه مخاطرة الموت ولا يتقايا من تؤلمه عيناه ولا تأكلوا فى الصيف لحما كبيرا لان الهضم فى الصيف ضعيف لتحلل الحار الغريزى وكلما برد الهواء زاد فى المقدار فان الهضم فى الشتاء كثير لوفور الغريزى فى الاجواف لانسداد المسام وأفضل اللحوم لحول الضان الحولى السمين وأفضل لحمه مقدمه وما كان لاصقا بالعظم وكل ما فى البطن ردىء والشحوم كلها رديئة تشبع وتخم وتسقط شهوة الطعام وتولد اخلاطا بلغمية وكذلك رأس كل حيوان والخرفان الرضيعة كثيرة الفضلات لاخير فيها وأما العناق الرضيع فجيد الغذاء سريع الانهضام * ومن حكمة لقمان ان سيده أعطاه شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها ثم أعطاه فى يوم شاة أخرى وأمره بذبحها وان يأتيه بأخبث ما فيها فأتاه بقلبها ولسانها فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها ان طابا وأخبث ما فيها ان خبثا وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب وذكر الدميرى فى عين الحياة انه يجلب من الهندوع من الضان فى صدره ألية وعلى كتفه أليتان وعلى ذنبه ألية وربما كبر أليته حتى تمنعه من المشى * وفى الامثال كل شاة برجلها معلقة وأول من قال هذا المثل وكيع بن سلمة بن زهير بن اياد وكان ولى البيت بعد جرهم فبنى صرحا بأسفل مكة وجعل فيه سلما وكان يرقاه ويزعم انه يناجى ربه تعالى وكان يفعل الخير وكان علماء العرب يقولون انه من الصديقين فلما حضرته الوفاة جمع اياد فقال لهم اسمعوا وصيتى من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه كل شاة برجلها معلقة فأرسله مثلا أى كل أحد مجزى بعمله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولحوم الطير على العموم أخف من لحوم المواشى وأسرع انهضاما ﴿فائدة﴾ لحم الدجاج معتدل يربى فى الدماغ ويزيد فى المنى ولحم الديك حار يابس يضر بالمعدة مرقه وينفع القولنج ومن أسماء الديك الصارخ روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن مسروق قال سألت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يحب الدائم من العمل قال قلت أى حين كان يصلى قالت كان اذا سمع الصارخ قام يصلى قال النووى الصارخ هنا الديك باتفاق العلماء وسمى بذلك لكثرة صياحه فى الليل قال فى الاحياء وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه وقد ألف العلامة الجلال السيوطى رحمه الله تعالى كتابا وسماه الوريك فى فضائل الديك (لحم الحمام) حار رطب يضر بالامراض الحارة ولحم العصفور حار يابس يقوى الظهر ويزيد المنى ولحم الكركى بارد يابس بطىء الهضم ولحم الماعز بارد يابس سريع الهضم ولحم البقر يابس وقيل بارد يصلح للمعدة القوية ويولد السوداء ولحم الغزال حار يابس ينفع من القولنج والفالج والقوة والامراض الباردة ﴿فائدة﴾ لسان الغزال اذا جفف فى الظل وأطعم للمرأة السلطنة تزول سلاطتها واذا احرق بعر الغزال وجلده وسحقا وجعلا فى طعام صبى أشاذ كيا فصيحا حافظا ذلقا ولحم ابن عرس ينفع من الصرع لحم الجمل حار يابس يولد القولنج والماليخوليا لحم الفرس حار يابس كثرة اكله تولد البواسير ولا ينام صاحب الحمى الباردة فى الشمس ﴿فائدة﴾ قال بعض الحكماء النوم له أربع حالات الحالة الاولى النوم على

الوزير أحمد باشا فدخل مصر أول يوم من شهر محرم افتتاح سنة اثنتين وستين ومائة وألف وأقام واليا بها الى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر الوزير شريف عبد الله باشا) فدخل مصر فى شهر رمضان سنة أربع وستين ومائة وألف ومكث الى سنة ست وستين ومائة وألف ثم عزل (وتولى بعده وزارة مصر محمد باشا أمين) فصار مستمرا على ولاية مصر من خامس شهر شعبان المكرم سنة ست وستين ومائة وألف حتى توفى خامس شهر شوال من السنة المذكورة فكانت مدة توليته شهرين مريضا ودفن بجانب قبة الامام الشافعى رضى الله عنه (وتولى بعده الوزير مصطفى باشا) فطلع القلعة ثالث شهر ربيع أول سنة سبع وستين ومائة وألف وفى مدته توفى السلطان محمود خان بن السلطان مصطفى خان ثامن

الشق الايمن الحالة الثانية النوم على الشق الايسر الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه * فالحالة الاولى وهى الاضطجاع على الشق الايمن فهى السنة ولكن غير محمود طبا وهو ان القلب يتعلق بالجانب الايسر فاذا نام على الجانب الايسر ثقل نومه لانه يكون فى دعة واستراحة واذا نام على الشق الايمن تعلق القلب وخف نومه وطاب مستقره وميله اليه * الحالة الثانية والنوم على الجانب الايسر فانه أهنأ لانه مستقر القلب بسبب ميل الاعضاء فتصيب المراد من الراحة من هضم الطعام وخلافه * الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر فانه محمود اذا كان من غير نوم لان البدن يستريح بذلك ويحصل للظهر راحة بسبب ذلك * الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه فانه مذموم لانه نوم أهل جهنم ومن نام على وجهه نكحه الشيطان وقد ورد فى سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم مر على رجل فى المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال له قم او اقعد فانها نومة جهنمية والى هذا المعنى أشار سيدى على وفا ابن سيدى محمد وفا فى قوله عينى تنام ولكن قلبى والله لا ينام وكيف ينام عاشق ناظر الى وجه الحبيب صبى فى الحب مستهام شاخص على الدوام ومن شرب كل يوم فى الشتاء قدحا من ماء حار أمن من الاعتلال ومن دلك جسمه فى الحمام بقشر الرمان أمن من الجرب والحكة بأنواعها وروى عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال أربعة تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة توهن البدن كثرة شرب الماء على الريق وكثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة أكل الحموضة وأربعة تقوى البصر الجلوس مستقبل القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجالس وأربعة توهن البصر النظر الى المقتول والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والكتابة بالليل والقعود مستدبر القبلة وأربعة تزيد فى الجماع أكل العصافير وأكل الاطريفل وأكل الفستق وأكل الجرجير وأربعة تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة العلماء ومجالسة الصالحين (وعن) عبد الله بن المبارك رضى الله عنه قال مررت فى سياحتى بالشام بطبيب يصف لكل من سأله عن مرضه فقلت له يا طبيب أعندك دواء للذنوب قال نعم فلما تفرق الناس قال لى يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وفار بقون الكتمان وسمونيا الاحزان وخره بماء الاجفان ودعه فى طاجن القلق وقد تحته نار الحدق وصفه بمنخل الارق واشربه على الحرق فانه شفاؤك وأنشد يقول فى وقت الانصراف

يا طبيبا بذكره يتداوى * وصفوه بكل داء غريب
ليس عزنى عليك شيأ عجيبا * انما الصبر عنك شئ عجيب

رجعنا الى ما نحن بصدده وفى زمن على باشا المذكور حصل فناء بالطعن والطاعون عم الامصار والقرى ومكث مدة ورفعه الله وكانت مدة تصرف على باشا بمصر المحروسة سنتين وستة أشهر وعشرين يوما ولما وصل على باشا الى الاعتاب الخاقانية قلد الوزارة العظمى وفرح الناس بولايته فوجه لسفر البحر فنقض عليه المرض السابق فمات ولعله بلغ مرتبة المجاهدين فى سبيل الله تعالى * (ثم تولى بيرى بك أمير الحاج الشريف) باقامة على باشا فانه أحضر له اجازة من الاعتاب الشريفة بالتصرف فى باشوية مصر فتصرف من عاشر ربيع الاول سنة اثنى عشرة وألف وتوفى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان فكانت مدته أربعة شهور ودفن بالقرافة رحمة الله عليه * (ثم أقيم بعده عثمان بك أمير اللواء) بمصر المحروسة فى سابع عشر شعبان المذكور باتفاق من الامراء وأكابر الدولة الى أن يرد من الاعتاب الشريفة من يتصرف وكان الامير عثمان مشهورا بالعفة والاستقامة وله جلالة وهيبة لا يخشى فى الله لومة لائم وله خط مليح فاق به العرب والعجم وحاز فضيلة السيف والقلم فتصرف ثلاثة شهور وثلاثة وعشرين يوما وكانت مدته حسنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى) ابراهيم باشا المقتول فى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة سنة اثنى عشرة وألف وكان مستقلا برأيه لا ينقاد الى نصيح ولا يهتدى لقول مشير سواء كان بالسكاكية أو

عشر صفر الخير سنة ثمان وستين ومائة وألف (وتولى السلطنة بعد موته بيومين أخوه السلطان عثمان خان) ابن السلطان مصطفى خان وله عمارة عظيمة قريبة من آياصوفية واستمر الوزير مصطفى باشا والياً بمصر حتى ورد الخبر فى أول شهر ربيع سنة تسع وستين ومائة وألف بعزله وتولية على باشا حكيم أوغلى وهى التولية الثانية له فحضر وطلع قلعة الجبل يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة المذكورة ونشر لواء الاحسان وعم فضله كل انسان وسار فى مصر بسيرته المعهودة وسلك طريقته المشكورة المحمودة (ثم تولى السلطنة السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان) سنة ألف ومائة واحدى وسبعين وله محل عظيم فى اسلامبول وحضر لوزارة مصر فى تلك السنة الوزير محمد باشا سعيد فأقام سنة ثم حضر بعده الوزير مصطفى

بالتصريح وكان يريد اظهار شئ ويستحسنه وهو فى نفس الامر قبيح كما قيل

كان لا يدرى مداراة الورى * ومداراة الورى أمر مهم

ومن كلام الحكماء من علامات العاقل بره باخوانه وحنينه لاوطانه ومداراته لاهل زمانه قال أبو قتادة البحترى

اذا المرء لم يرض ما أمكنه * ولم يأت من أمره أزينه
وأعجب بالعجب فاقتاده * وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره * سيضحك يوما ويبكى سنه

ومن كلام الحكمة فلم يغن ذلك التدبير عارفة قلم التقدير فى لوح المقادير والله على كل شئ قدير فأخذ يتتبع عثرات العسكر المنصور ويتجسس عن أخبارهم وعن اجتماعهم بالاماكن خصوصا مجالس الانس فأشار عليه أهل العقول بترك هذا الوارد وقالوا له هذا مشرع لا يعقبه الا التعب وربما تولد من ذلك مفاسد ومضرات فلم يلتفت الى قولهم وركب فرس الغرور لانفاذ أمر الله المقدور والمثل المشهور من أحسن السياسة دامت له الرياسة واستمر على ما هو عليه حتى بلغه ان جماعة من العسكر المنصور بالغيط التى بقناطر السباع فبادر فورا بنفسه وغير لباسه ومعه ثلاثة أنفار وهجم عليهم وهم بالغيط المذكور فلما تحققوه فروا هاربين مع انه كان فى قدرتهم البطش به وبمن معه خصوصا من دب الشراب فى رأسه ولحقته حمية الجاهلية ولولا لطف الله لهلك هو ومن معه فى تلك الساعة ومن كلام الحكمة من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكثر الضرر ومن كلام الحكمة أيضا من الحبة تكون الشجرة العظيمة ومن الجمرة تكون النار العميمة * ثم ان ابراهيم باشا بعد ذلك عزم على التوجه لقطع جسر أبى المنجا والقدر يقول له لست اليوم المنجا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ قضاؤه وقدره ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله المقدور كائن والهم فضل والجاهل من سخط على الاقدار ويقلب الله الليل والنهار اذا دار الفلك فعليك أن تتلك لا حذر من قدر ولا ملام على الايام (مفرد)

اذا عقد القضاء عليك أمرا * فليس يحله الا القضاء

ذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الكريم الجيلى رحمه الله فى كتابه المسمى بالانسان الكامل ان القضاء المحكم هو الذى لا تغيير فيه ولا تبديل والقضاء المبرم هو الذى يمكن فيه التغيير ولهذا استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من القضاء المبرم لانه يعلم انه يمكن أنه يحصل فيه التغيير والتبديل قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب بخلاف القضاء المحكم فانه المشار اليه بقوله وكان أمر الله قدرا مقدورا ثم ان بعض أكابر الدولة عرف ابراهيم باشا انه ما سبق لاحد من الباشات التوجه لقطع الجسر المذكور وانما المعتاد ان زعيم مصر يباشر ذلك واذا كان مشغولا يرسل أحدا من أتباعه لقطعه فلم يلتفت الى ذلك الكلام ثم طلع له بعض المنجمين يوم الجمعة قبل صلاتها وذكر له ان فى اليوم الذى يلى يوم الجمعة المذكور قران النحسين ولا بد فيه من اهراق دم والحركة فيه مذمومة منحوسة فلم يكترث بكلامه وكان من جوابه ما قدره الله سيكون كما قيل

خليلى لا تستعجلا وانظرا غدا * على أن يكون المكث فى الامر أرشدا

وما أحسن قول محمد الخفاجى

وكم طالب أمرا وفيه حمامه * وساترة تسعى الى ما يضرها

(وقال آخر)

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الهدهد كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يرى الفخ اذا غطى عليه بقدر أصبع من تراب فقال اذا نزل القضاء عمى البصر ويروى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال قال

باشا الصدر فأقام سنتين ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا كامل سنة أربع وسبعين ومائة وألف ثم عاد الوزير مصطفى باشا سنة ست وسبعين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير حمزه باشا سنة تسع وسبعين ومائة وألف وعزل ثانى شوال سنة ثمانين وحبس بالكسوة فى قصر يوسف ثم حضر بعده الوزير محمد باشا راقم سنة احدى وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير محمد باشا الارفلى أتى من البر سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا أتى من الحجاز وسكن بدرب الجرومات ولم يطلع القلعة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف (ثم تولى السلطنة السلطان عبد الحميد خان) ابن السلطان أحمد خان سنة سبع وثمانين ومائة وألف وله مدرسة باسلامبول تسمى المدرسة الجديدة

رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مولود يولد الا وقد ذر عليه من تراب حفرته ويروى عن ابن مسعود ان الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم ويضعها فى كفه ثم يقول يارب مخلقة أم غير مخلقة فان قال له مخلقة قال يارب ما الرزق ما الاجل ما الاثر فيقول الله انظر فى أم الكتاب فينظر فى اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه وأجله وأثره وعمله ثم يأخذ التراب الذى يدفن فى بقعته ويعجن به نطفته وفى رواية فيقال النطفة من ربك فتقول الله ثم يقال لها من رازقك فتقول الله فتخلق فتعيش فى أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها ماتت فدفنت فى المكان الذى أخذ منه التراب ويجىء به ماؤها وذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وروى عن أبى هريرة انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ليلة فى بعض نواحى المدينة واذا بقبر يحفر فاقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا فقيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن فى الارض التى خلق منها وفى المثل أنشدوا لابن عمران الزاهد رحمة الله عليه فى هذا المعنى فاجابهم عن ذلك بقوله

اذا أراد الله أمرا بامرئ * وكان ذا عقل ورأى وبصر
وحيلة يفعلها فى دفع ما * يأتى به محتوم أسباب القدر
غطى عليه عقله وسمعه * وسله من ذهنه سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد عليه عقله ليعتبر
فلا تقل لما جرى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

ثم ان ابراهيم باشا ركب من وقته فورا وأسرع والمنية تسوقه حتى أدرك صلاة الجمعة ببولاق ولما قضيت الصلاة هيئت له سفينة عظيمة وزينت له بالستائر والبيارق والفرش وغير ذلك مما يليق لمثله ونزل وهو محظوظ وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت وتوجه وصحبته الامير محمد بن خسرو وأمراء الوجاه مصر المحروسة بمركب عظيمة وبعض من أكابر خدمة الديوان وسارت المركب أحسن سير الى أن وصلت الى محل القطع وقطع الجسر المذكور فى يوم السبت مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف وكان ابراهيم باشا قد هيأ طعاما بالغيط الذى أنشأه محمود باشا تجاه قناطر أبى المنجا فدخل الغيط ومن معه وصحبته الامير محمد بن خسرو المرقوم ومصطفى أفندى عزمى زاده قاضى مصر المحروسة اذ ذاك وحصل لهم الصفا والمباسطة قبل الطعام

* وعند صفوا الليالى يحدث الكدر * الى ان قدر الله ما قدره فى الازل ودنا منه وقت حلول الاجل ولكل شئ حد محدود وأمر من المقدور معدود فلما قدم الطعام ونظروا الى الاكل هجم عليهم طائفة من العسكر المنصور وهم معدون بآلات السلاح وأحاطوا بالغيط احاطة الخاتم بالاصبع وطلبوا من ابراهيم باشا فى تلك الساعة شيأ كان يمكن الاجابة به لتخمد هذه الفتنة فامتنع وأغلظ عليهم فلاطفهم الامير محمد بن خسرو واراد دفعهم بلطف فلم يهتدوا وقدموا واقدموا وفتكوا أولا بالامير محمد بن خسرو ثم من بعده بابراهيم باشا وقطعوا رؤسهما وامتلأت جفان الطعام دما وانقلب النهار ليلا ورفعوا رؤسهما على جريدتين من الغيط الى باب زويلة وكان يوما عبوسا قفلت فيه مصر المحروسة وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال ان ابراهيم باشا * قد سعى فى الخير سعيا * قتله قد أرخوه * وأرى التاريخ بغيا
١٠١٣

وكانت مدة تصرفه أربعة أشهر وثمانية أيام والله تعالى أعلم (وفى) سنة ثلاث عشرة وألف كانت وفاة مولانا شيخ الاسلام الشيخ صالح البلقينى الشافعى وقد نظم بعضهم تاريخا فى وفاته فقال

شيخنا صالح اذيق المنايا * ومن الهم والغموم استراحا
قلت مع غاية المصائب أرخ * صالح المؤمنين مات ورابا
١٠١٣

ومسجد فى براسكودار وحضر لوزارة مصر فى تلك السنة الوزير قراخليل باشا خامس عشر ربيع الاول من تلك السنة وعزل فى محرم سنة ثمان وثمانين ومائة وألف وتوجه لجدة ومات بها (ثم تولى الوزير مصطفى باشا) النابلسى من بركة الفيل يوم الاثنين فى آخر جمادى الثانية من تلك السنة وعزل فى آخر جمادى الثانية سنة تسع وثمانين وتوجه الى جدة ومات بالمدينة المنورة (ثم تولى الوزير ابراهيم عرب كيرلى) رابع شعبان سنة تسع وثمانين ومائة وألف ومات قبل طلوع القلعة بانبابة ودفن عند الامام الشافعى رضى الله عنه (ثم تولى الوزير محمد باشا العزتلى الكبير) يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول سنة تسعين ومائة وألف وعزل خامس عشر جمادى الثانية ومات رابع ذى القعدة سنة

﴿ثم أقيم بعده مصطفى أفندى عزمى زاده﴾ فى ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف فتصرف
الى سادس رجب فكانت مدة تصرفه بمصر شهرين وثلاثة عشر يوما والله أعلم ﴿ثم تولى جركس محمد
باشا الخادم﴾ فى سابع رجب المذكور سنة ثلاث عشرة وألف وعند ما ارتاح عند قدومه الى دمياط
ولم يتقدم لاحد من الباشوات أنه قدم من دمياط ولما استقر بمصر أخذ فى طلب من كان سببا الاثارة فتنة
ابراهيم باشا فانه اخبر بما تقدم مفصلا وجلا فالمتصفة وا الطلب تشتتوا فى البلاد فجد فى طلبهم من
الاكناف والاطراف فمنهم من جىء به حيا فقتل ومنهم من تلقته العرب بان فقتل أشر قتلة ولم تطل مدة
محمد باشا بل عزل فى يوم الاحد ثانى عشر شهر ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف فكانت مدة تصرفه
سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وتنقلت به الاحوال الى أن ولى الوزارة العظمى فى مدة السلطان مصطفى
فتصرف مدة يسيرة وصرف عنها ومنع من الاقامة بالقسطنطينية ثم رجع الى مصر وأقام بها وهو
مكفوف البصر ﴿ثم تولى حسن باشا الدفتردار﴾ بعد صرفه من اليمن فانه لما قدم من اليمن صحبة الحاج
الشريف الى مصر المحروسة نزل ببيت المرحوم داود أغا الكائن بجامع قوصون فتردد عليه الناس من
جليل وحقير وأمير وفقير وهم يشاهدون منه الملاطفة والمصاحبة الحسنة والسكون والاخلاق المرضية
فاتفق الاجماع على محبته وحسن أخلاقه وهم يطلبون من الله أن يلى باشوية مصر وأن يصلح الله
الاحوال على يديه والله الفعال لما يريد ومدة اقامة حسن باشا وهو يتجسس عن أخبار مصر من كليات
وجزئيات وذكر لبعض المترددين عليه أنه اذا تولى مصر يرجو من الله أن يكون الصلاح على يديه
فوردت الاخبار الخاقانية الى مصر يوم الاثنين المبارك ثالث ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف
بولاية حسن باشا باشوية مصر وقد نظم الشيخ حسن الشامى تاريخا لولايته فقال

قد جاء وزير العدل لنا * من ساد بمكة بعد يمن
ولسان الحال يؤرخه * كملت مصر بجمال حسن

١٠١٤

ثم ان حسن باشا لما أسند اليه الامر وتصرف فى مصر لم يحصل منه نفع للعباد ولا دفع ضرر عن البلاد
ولم يمنع ولم يدفع وتلاشت أحواله وقصرت كلمته وعمت البلوى وانقفل باب الشكوى والامر يومئذ لله
ثم صرف حسن باشا عن باشوية مصر فى يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست عشرة وألف فكانت مدته
سنة واحدة ونصفا وستة وعشرين يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة بما جمعه من ولاية اليمن من
تحف وأحجار وأموال وأثاث وغير ذلك فانه تصرف فى ولاية اليمن نحو خمس وعشرين سنة ثم مكث
بالقسطنطينية مدة يسيرة ومات هو وولده وعياله ولم يعقب وارثا سوى بيت المال وترك ما خوله خلف
ظهره وقدم على رب رحيم كريم غفور حليم يستر الذنب العظيم ﴿ثم تولى محمد باشا﴾ فى يوم الخميس
خامس شهر صفر الخير سنة ست عشرة وألف وفيها توفى مولانا شيخ الاسلام الشيخ سالم السنهورى المحدث
فنظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

مات شيخ الحديث بل كل علم * سالم ذو الكمال أفضل عصر
قلت من غير غاية لبكاه * أرخوه قد مات عالم مصر ١٠١٦

وعند قدومه تراكمت عليه القصص والشكاوى باسكندرية ورشيد وفى طرقاته الى أن وصل الى مصر
المحروسة وهو ساكن الجنان ثابت الاركان لا يردعوا بالاحد واشتد الحال على الرعايا من كثرة الطلب
ووقعت الناس فى المهالك والعطب الى غاية جمادى الاولى من السنة المذكورة فعند ذلك طلب محمد
باشا سليمان بن درعت كاشف المنوفية وبرويز محمد كاشف الغربية وكوسى على كاشف البحيرة
وأرمى رقابهم وأراح الله منهم البلاد والعباد وولى مكانهم كشافا وأخذ عليهم العهود أن لا يتعدوا
الحدود فى جملة الكشاف الحلوجى عين لكشف الغربية فتوجه لبولاق لقضاء مصالحه فأتاه طائفة

اثنتين وتسعين ومائة وألف
(ثم تولى الوزير اسمعيل
باشا) يوم الاثنين سادس
ذى القعدة وعزل ثانيا يوم
الخميس رابع رجب سنة
أربع وتسعين ومائة وألف
(ثم تولى الوزير الصدر ملك
محمد باشا) يوم الاثنين ثالث
رجب سنة خمس وتسعين
ومائة وألف وعزل عشر
شعبان سنة ست وتسعين
ومائة وألف (ثم تولى الوزير
الشريف على باشا
القصاب) يوم الخميس
حادى عشر شوال من تلك
السنة وعزل يوم الخميس
رابع عشرى شعبان سنة
سبع وتسعين ومائة وألف
(ثم تولى الوزير محمد باشا)
الضحى يوم الاربعاء خامس
عشر المحرم سنة ثمان
وتسعين ومائة وألف وعزل
يوم السبت خامس عشر
ذى الحجة ختام السنة
المذكورة (ثم تولى الوزير
الشريف محمد باشا يكن)
يوم الاثنين رابع المحرم سنة
مائتين وألف وعزل يوم

من العسكر المنصور وتكلموا معه فى أمر من الامور فلم يوافقهم وأغلظ عليهم فدب فى رؤس بعضهم حمية الجاهلية فهجموا عليه بالسلاح فنزل الى مركب فى البحر فألقى الله الرعب فى قلبه فرمى بنفسه فى البحر فأثقلته أثوابه فغرق ومات شهيدا ان شاء الله تعالى وكان ذلك سببا لازالة الطلب فبلغ الخبر محمد باشا فجمع الامراء وأكابر العسكر المنصور بالميدان ونصبوا البيارق السلطانية ونادى مناد من كان مطيعا لله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر العسكر المنصور وهم طائعون ممتثلون داخلون فى طاعة السلطنة العثمانية ومكثوا بالميدان ثلاثة أيام وبعد ذلك حصل الاتفاق بالخروج الى من أثار تلك الفتنة فخرجوا وقبضوا عليهم وقتلوا فقتل منهم طائفة جهارا وخفية وقد نظم بعض الفضلاء لهذه الواقعة تاريخا فقال

ان البغاة المارقين قدرى * رب العباد كيدهم فى نحرهم
برأس ابراهيم باشا سابقا * طافوا جهارا مع مزيد مكرهم
والحلوجى جرعوه كأسهم * وأغرقوه فى بحار شرهم
على الفساد قد بنوا أمورهم * فقوتلوا تاريخهم بظلمهم
١٠١٧

ثم خمدت تلك الثائرة باذن الله تعالى ثم ان جماعة من الاشقياء أيقظوا الفتنة وأثاروها فى أوائل القعدة سنة سبع عشرة وألف واجتمعوا من الاقاليم وصار واحزبا واحدا ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات وقطعوا الطريق وأظهروا المحاربة والجدال فبلغت هذه الجمعية محمد باشا فأرسل لهم جماعة من الاختيارية المتصفين بالعقل والتدبير فوعظوهم وعرفوهم عواقب الامور وقالوا لهم ان الذى يخالف ولى نعمته لا يفلح أبدا فلم ينتهوا ولم يتعظوا لأمر أراده الله تعالى ثم ان محمد باشا أرسل الى الاجناد ومشايخ العربان من الاقاليم وصاروا حزبا واحدا وجيشا عظيما بسلاح ونار ومدافع كبار وعين الامير مصطفى بك سردار العسكر المنصور وبرز والمحاربة الخوارج وسار وابعون الله والنصر أمامهم الى أن وصلوا بركة الحاج فلما تراءى الجمعان فما وجدت الخوارج للحرب طاقة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فطلبوا الامان واختلط الجيشان فقبضوا على أشرارهم ومقدميهم ووضع الحديد فى أعناقهم والذى هرب منهم تلقته العربان وقتل أشرقتلة ومزقهم الله كل ممزق ولم ينج منهم الا القليل ودخل مصطفى بك السردار الى مصر المحروسة بمن معه من الخوارج المقبوض عليهم وهم مشاة حفاة منكسة رؤسهم موضوعون فى الحديد ورؤس القتلى منهم حالة الاختلاط مرفوعة على رماح ودخلوا جميعا من باب النصر والناس ينظرون اليهم ومروا بالقصبة الى أن وصلوا الى القلعة وكان يوما مشهودا ومحفلا معهودا وقد نظم بعض الفضلاء لهذه الواقعات أبياتا فقال

يوم نصر الوزير قد كان عيدا * عيد فطر لفطر قلب الحسود
واذا قلت عيد أضحى فصدق * فضحاياه ضاربات الاسود
ألحدوا فى الانام نهبا وقتلا * فأزيلوا وأسكنوا فى اللحود

ثم ان محمد باشا قتل منهم جماعة حالة طلوعهم جهارا وقتل منهم جماعة ليلا وألقوا فى البحر ومن بقى منهم نفى الى اليمن وقد نظم بعضهم تاريخا لهذه الواقعة فقال

انظروا انظروا الى البغاة ومن هم * لوزير المليك راموا نكالا
وتعدوا طورا وجاؤا بافك * طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج * واستحقوا القيود والاغلالا
وأتوا مصر صاغرين لقتل * لم يروا منه للفرار مجالا
وعلاهم ذل فأرخت زالوا * وكفى الله المؤمنين القتالا
١٠١٧

الاربعاء سادس عشر المحرم سنة احدى ومائتين وألف (ثم تولى الوزير الشريف عبدى باشا) ثانى عشر رجب تلك السنة وعزل ثالث رجب سنة ثلاث ومائتين وألف وفى تلك السنة (تولى السلطنة السلطان سليم الثالث) ابن السلطان مصطفى (وتولى وزارة مصر الوزير اسمعيل باشا) التونسى يوم السبت خامس عشر رجب وعزل يوم الاثنين عشرى شعبان سنة خمس ومائتين وألف (ثم تولى الوزير محمد باشا عزت) فى شوال تلك السنة وعزل فى غرة ذى القعدة سنة ثمان ومائتين وألف (ثم تولى الوزير صالح باشا) القيصرلى فى عشرى ربيع الاول سنة تسع ومائتين وألف وعزل فى ذى الحجة سنة عشر ومائتين وألف (ثم تولى السيد أبو بكر باشا) الطرابلسى يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة احدى

وقد نظم العلامة الشيخ عبد الله الدنوشري تاريخا فقال

بشرى لمولانا الوزير محمد * فهو الذي بذوي المفاسد يفتك

وعلى البغاة له انتصار دائم * تاريخه جمع الخوارج أهلكوا   ١٠١٧

واستمر محمد باشا محفوظا مظفرا منصورا نافذ الكلمة لا يرد له أمر ولا يعارض في قضية الى ان اختار التوجه الى الاعتاب الشريفة فخرج من مصر يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وألف في جلالة وموكب عظيم ما تخلف عنه أحد من العسكر المنصور فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر واثني عشر يوما وعمر في زمنه وكالة برشيد وبجوارها جملة حوانيت وقهوة وسوق صاغة وغير ذلك وأخذ غالب الجزر المقابلة لرشيد وأطيانا بالمنوفية والجيزة وعمل عمارة بطريق الحاج الشريف وتوجه الى الاعتاب الشريفة فقوبل بمزيد الاجلال والاكرام وولي الوزارة العظمى وفرح الناس بذلك وكان مؤملا ان يفعل أفعالا تزيد على ما فعل بمصر فوجه لسفر العجم فما ساعدته الارادة الازلية على ذلك ولا على نتاج فعل يكون فيه اصلاح وصار كلما دبر امرا انعكس الى الفساد فرجع من سفرته غير محمود وما زال الدهر يعقره الى أن أعطوه باشوية حلب فذهب اليها وهو مغموم مقهور وبعد ذلك حلت أوقافه وبددت وتصرف فيها الغير وهكذا حال الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى حاجي باشا) بامر أحضره له محمد باشا قبل سفره وأعطاه له بمدينة بلبيس في يوم السبت ثالث رجب سنة عشرين وألف فتصرف الى يوم الخميس عشرين من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدة تصرفه شهرا واحدا وسبعة عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الخاقانية مكث مدة يسيرة وتوجه الى باشوية اليمن ولما تمكن منها احتكر البهار والبن والبضائع وكان التجار لا يأخذون الا ما فضل منه وحصل من هذا القبيل ومن غيره أموالا لا تحصى غير ما ظفر به من نفائس الاحجار والتحف والاقمشة ولما صرف من ولاية اليمن قدم مكة المشرفة بجميع ما معه وما خوله فورد عليه أمر خاقاني باصلاح العين التي بمكة فادركه الاجل المحتوم فمات بها وكان يؤمل اذا توجه الى الاعتاب أن لما يصل الى مصر تأتيه باشوية مصر * ويأبى الله الا ما أرادا * فكانت وفاته بمكة المشرفة سنة احدى وثلاثين وألف وذهب غالب ماله ولم يظفر ولده الا بما قل وأقيمت فتنة بين الاشراف حكام مكة بسبب متروكات حاجي باشا وهي باقية الى الآن ونسأل الله حسن الخاتمة (ثم تولى محمد باشا) ثاني عشري شعبان سنة عشرين وألف وفي شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وألف ورد على محمد باشا عسكر من البلاد الرومية نحو أربعة آلاف نفر خارج عن الاتباع بقصد الاقامة بمصر فلما وصلوا الى مصر واستقروا بها ورد حكم خاقاني من الملك بان محمد باشا يجهز العسكر الذي ورد عليه الى اليمن فشق عليهم ذلك وعلموا انها حيلة عليهم وكان سبب خروجهم من البلاد الرومية انهم كانوا أحدثوا فتنة بالقسطنطينية ولولا لطف الله لحصل ما حصل فدبر لهم محمد باشا الوزير هذا التدبير وأطمعهم بالاقامة في مصر ولما حضروا أعقبهم الامر بالسفر الى اليمن فلما تحققوا انها مكيدة أظهروا التمرد والعناد وعدم الانقياد فاستعجلهم محمد باشا بالخروج بعد ان صرف لهم جوامك السفر وقدره أحد وثلاثون كيسا وعين لهم سردارا يوصلهم الى السويس وهو فندق بك قيرز وطاقه يوم الاحد ثالث عشري ربيع الآخر من السنة المذكورة فلما مر الوطاق بباب زويلة ثم الى باب النصر على طائفة العسكر المذكورين ارموا الخيام من فوق ظهور الجمال ومنعوهم من الخروج فوصل الخبر الى محمد باشا فجمع من وجد بمصر اذ ذاك من العسكر المنصور وامر فندق بك بالخروج الى الريدانية بالعساكر المنصورة واجهار النداء ان جميع العسكر الذي ورد من الروم يطلع صحبة السردار ومن خالف وتأخر قبض عليه وجازاه فامتنعوا جميعا وقفلوا بابي النصر والفتوح ورموا خلف البابين الاحجار وتحفظوا من كل جانب ومنعوا أكابرهم وأغواتهم الخروج الى الريدانية والطلوع الى الديوان وجعلوا الحواجز بالشوارع الموصلة اليهم نحو قامة ونصف حتى صار كل حاجز مانعا التوصل

عشرة ومائتين وألف وتوجه الى غزة يوم السبت سابع صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وذلك بسبب قدوم طائفة الفرنسيس الى مصر في ذلك الشهر فانهم قدموا الى الاسكندرية في شهر المحرم من تلك السنة ثم قدموا منها الى مصر في شهر صفر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا الى الجيزة فالتقوا بهم عند بشتيل قريبا من وسيم وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله ان المسلمين هزموا ففر مراد بك ومن معه من العسكر الذين يقاتلون في البر الغربي الى جهة الصعيد وفر ابراهيم بك ومن كان معه في البر الشرقي الى الشام وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبائعية يقال لهم نصارى قاتوليقية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الانبياء

الخيول والجمل الحاملة للمدافع وقد صنعوا متاريس ولبسوا الزرد وأوقدوا البنادق وأشهروا السلاح وصعد غالبهم على أعالي الخانات والربوع والبيوت والجوامع والمنارات وهم ينتظرون من يقدم عليهم فلما بلغ محمد باشا هذا التحصن العظيم والتيقظ للاقدام على الموت وان فندق بك ومن معه لا طاقة لهم بحماربتهم جمع الصناجق والكشاف ورأس الخبر والقلاوية وقدم الفقرا وكانت هذه الجمعية بالرميلة ثم سار والى الخوارج فلما رأوا ذلك اذعنوا للطاعة وأجابوا ورفعوا الحواجز والمتاريس والاحجار الموضوعة خلف الابواب وفتحوا الابواب وطلبوا الامان والجمال فأحضر لهم مايزيد على ثمانين جملا فلما وصلت اليهم الجمال ضربوها بسيوفهم فنفرت وتشتت وقفلوا الابواب وقد صنعوا أقوى من المرة الاولى وعاد كل شئ الى محله وأشيع الخبر بأنهم قتلوا أغاواتهم فأمر محمد باشا السردار بالخروج فخرج معه جمع كبير من الامراء وهم الامير قاسم والامير يوسف الغطاس والامير ماماى والامير عبدى كاشف والامير عيسى والامير مصطفى والامير أحمد والامير مراد والامير صالح والامير يوسف زعيم مصر سابقا والامير عبدى كاشف القليوبية والامير على زعيم مصر حالا وطائفة اليمانية وطائفة من القلاوية وطائفة من حارة الزوالة وهم معدون بالسلاح والسيوف والدرق والعمد الحديد والقسى وتقدم الامير يوسف الغطاس وامامه ستة مدافع كبار علوءة بالرصاص جددو مسامير ونودى للرعايا الملاصقين لاماكنهم وبيوتهم بقفل حوانيتهم وبيوتهم فلما وصلوا اليهم وجدوهم متيقظين متحفظين علوا الاسطحة والمواذن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كلما القى العسكر من الرصاص والنشاب والاحجار لا يصل الى الخوارج لعلوهم على العسكر وكلما القاه الخوارج على العسكر نال منهم فقتل من العسكر سبعة أنفار وفرس ثم ان الامير على زعيم مصر توصل الى الخوارج من وكالة البطيخ والامير قاسم والامير عبدى من خلف أماكنهم والامير يوسف الغطاس رفع الحواجز والمتاريس وبقية العسكر نقبوا عليهم أماكنهم ودخلوا عليهم من محلات متعددة فلما اشتد الحال على الخوارج ولم يجد والهم قوة على القتال طلبوا الامان وأجابوا بالامتثال في التوجه الى أى محل يريده محمد باشا وخرجوا جميعا ولم يتخلف منهم أحد وتوجهوا الى السويس واندفعت تلك الفتنة وكفى الله المؤمنين شرهم فاتفق انه عند خروجهم حصلت زلزلة فنظم بعض الفضلاء في ذلك فقال

خرج الخوارج للسويس وهججوا * من أرض مصر لكثرة الافساد
رقصت لهم طربا فقالوا زلزلت * زالوا فزلت جملة الانكاد
سفروا لمولانا الوزير محمد * بشرا ففيها أوقعوا لفساد
والله ساعدهم على اذهابهم * وأمده بنهاية الامداد

وفى زمن محمد باشا حصل رخاء عظيم حتى بيع القمح كل أردب بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول كل أردب بخمسة عشر نصفا والعدس والبسلة كل أردب بثمانية عشر نصفا والارز بستة وتسعين نصفا والجبن الطرى كل قنطار بثلاثين نصفا والسكر كل قنطار بالوزن القوى بثلاثة وستين نصفا وأما اللحوم والاسماك فلكثرتها بيعت بأرخص الاثمان فسبحان المتفضل على عبيده وقدر القنطار القوى بالوزن المصرى مائة رطل وثلثان وخمسون رطلا تصير كل خمسة وعشرين رطلا بالوزن المصرى بستة عشر نصفا فلوسا نحاسا وكل رطل ونصف رطل ونصف ثمن رطل بنصف فلوس جدد ثم في يوم الاربعاء عشرين ربيع الاول سنة سبع وعشرين وألف وردت أحكام سلطانية بصرف محمد باشا عن ولايته فكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى أحمد باشا الدفتدار) في يوم الخميس حادى عشر ربيع الاول سنة أربع وعشرين وألف وكان حاكما سياسيا صاحب تدبير عمل في أموره قريب من الناس ليس عنده تعجب ولا غلاظة ومما اتفق عند قدومه لما استقبله العسكر المنصور على العادة فدخل مصر يوم الاثنين سادس ربيع الآخر من السنة

والمرسلين ويقولون ان الله واحد لكن بطريق التعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها الشرائع ويزعمون أن الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذا جعلوا في مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم وكان في ذلك رحمة باهل مصر فانهم جعلوا من جملة دواوينها جماعة من المشايخ وصار وايراجعونهم في بعض أشياء لا تليق بالشرع والسبب الذى أوجب لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين معهم آلات القتال وانهم عند قدومهم كتبوا كتبا وفرقوها في البلاد وذكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون

المذكورة في موكب عظيم بجلالته وكان بعمامته ريشتان مكللتان بالمعادن قيل ان قيمة كل ريشة ألف
دينار فلما وصل الى الجوخيين وهو بموكبه سقط على عمامته حجر من طاقة بيت بالربع الذي يعلو حوانيت
الجوخيين فالقى احدى الريشتين على الارض ومزق جانبا من الشاش ونسب رمى الحجر لشخص من
أقارب ابراهيم المنصوري الخياط فقبض على رامي الحجر بعد ان اعتبر الحجر بالوزن فوجد زنته خمسة
ارطال فتطير احمد باشا من ذلك وأمر بشنق الرامي وكان يوصف بخبال العقل وان أحمد باشا لم ينله من
ذلك مكروه واستمر نافذ التصرف الى أن صرف عن ولايته يوم الخميس ثالث شهر صفر سنة سبع
وعشرين وألف وكانت مدة تصرفه سنتين وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم
(ثم تولى مصطفى باشا السلحدار) في ثالث عشر صفر سنة سبع وعشرين وألف فتصرف نصف شهر صفر
سنة ثمان وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه سنة وشهرا وثلاثة أيام (ثم تولى جعفر باشا) وكان لما
قدم من اليمن مكث بمصر مدة والناس يترددون عليه وكان ذا علم وفضل وله قوة في طرح المسائل
العلمية ومشاركة في غالب العلوم وأبحاث جيدة وفكرة وقادة ويحب أهل العلم والصالحين ويركن اليهم
ويحب الفقراء والمساكين قليل الطمع لا ينظر الى ما في أيدي الناس مستغنيا بما في يده من الدنيا وكان
أرسل عرضا للابواب الشريفة في خصوص باشوية مصر وهو منتظر ورود الاخبار وقد كثر لغط الناس
من قال وقيل في جعفر باشا وكانت اقامته بمصر في زمن أحمد باشا الدفتدار المتقدم ذكره وكان أحمد
باشا متأالما منه وخشي الفتنة فأرسل اليه من أكابر الدولة من يحثه على الرحيل من مصر فتوجه براولما
وصل الى السلطان أنعم عليه بولاية مصر فقدم برا كما توجه فخرج لاستقباله الامراء والعلماء وأكابر
العسكر المنصور ودخل مصر في موكب عظيم لم يعهد مثله وفرح العامة والخاصة بقدومه فاستبشروا بالخير
وكان قدومه الى مصر في أواسط صفر سنة ثمان وعشرين وألف ولما استقر بمصر المحروسة حصل
الطعن والطاعون بمصر المحروسة وقراها ومكث نحو شهرين فاشتغل الناس بموتاهم وقفلت غالب
أسواق مصر وحوانيتها ما عدا أسواق الاكفان فانها مفتوحة ليلا ونهارا ومنع جعفر باشا عمال
الاموات من التعرض للموتى فصار الناس يدفنون موتاهم بغير اذن وحصل بذلك رحمة للعالمين فياسبحان
الله يموت اليهودي وهو صاحب مائة ألف قرش فلم يتعرض له أحد من الظلمة ولا يسئل عما خلف واذا
مات مسلم لم يدفن حتى يشاوروا عليه وتأتي الظلمة فتخرجه من بيته ويختموا عليه مع ان له أولادا واخوة
وزوجة فالحكم لله العلي الكبير ألم يسمعوا قول العزيز الجبار ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما
انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وهنا حكاية لطيفة لا بأس بايرادها وهي اني لما حججت في
سنة ثمان وعشرين وألف كان ركب من التكرور حاجا فعند العود مررت مع رفقة بغالة امام الركب
المصري فادركت رجلا من التكرور قريبا من بندر المويلح راكبا على ناقة وحوله ثمانية أنفار وهم مشاة
فسألت رجلا منهم عن الرجل الراكب على الناقة فاخبرني انه شيخ الركب وقد وسع الله عليه دنياه وانه
على الكتاب والسنة وله أربع زوجات ومايزيد على ستين جارية كلهن موطوآته فرزقه الله من زوجاته
وجواريه مائة وعشرين ولدا ثمانين ذكورا وأربعين اناثا وتناكحوا وتناسلوا فصار لا يعلم عدة أولاده
وأولاد أولاده وان بلادهم مجاورة لبلاد النصارى وفي كل أوان يذهب هو وأولاده وهم معدون بالسلاح
ركبانا ومشاة ويقاتلون النصارى ويقتلون وينهبون ويأسرون ولما وصل الركب التكروري الى مصر
نزل بقرية من قرى الجيزة تسمى منشية البكاري فادرك شيخ الركب المذكور الاجل المحتوم فمات
فاشيع عنه انه ترك مالا كثيرا وتبرا فارسل وكيل بيت المال من ضبط ماله فمنعوا أولاده وكيل بيت
المال وقالوا والله نقتل دون مالنا فبلغ ذلك جعفر باشا فمنع بيت المال من التعرض لهم وسافر أولاده الى
بلادهم وتركوا أباهم تحت رحمة الله تعالى ولما ارتفع الوباء واطمأنت العباد أراد جعفر باشا أن يظهر بمصر
الآثار الجميلة وينشئ الخيرات الجزيلة وينشر العدل بالديار المصرية ويكف عن الرعايا كل ضرر وبلية

ان الله واحد والنصارى
تقول بالتثليث وانهم
يعظمون محمدا ويحترمون
القرآن وانهم يحبون
العثمانلي ولم يأتوا الا لطرد
المماليك الظلمة لانهم
نهبوا أموالهم وأموال
تجارهم ولا يتعرضون الرعايا
في شيء لكن لما دخلوا لم
يقتصروا على نهب أموال
المماليك بل نهبوا الرعايا
وقتلوا جملة من الناس لما
قامت عليهم أهل مصر بسبب
ظلمهم تفر يد غرامة على
البيوت وقتل منهم ما يقرب
من الالف وعسكروا بعض
الاعراض في مصر وقراها
فان كل قرية حاربتهم نهبوا
أموالها وقتلوا رجالها
وأخذوا نساءها وقتلوا من
علماء مصر نحو ثلاثة عشر
عالما ودخلوا بخيولهم الجامع
الازهر ومكثوا فيه يوما
وبعض الليلة الثانية وقتلوا
فيه بعض علماء ونهبوا منه
أموالا كثيرة وسبب
وجودها فيه ان أهل البلد
ظنوا ان العسكر لا يدخله

فما ساعدته القدرة الازلية كما قال الطغرائى فى لاميته

والدهر يعكس آمالى ويقنعنى * من الغنيمة بعد الكد بالقفل

وفى الواقع ونفس الامر ان الزمان مدبر ماشرع فيه أحد بشىء يكون صلاحا الا انعكس الى الفساد وقد فى هذا مراداتم ان جعفر باشا فى اوائل رمضان سنة ثمان وعشرين وألف صرف عن باشوية مصر وتوجه الى الديار الرومية فى البحر لعدم تأهبه لآلات السفر برا فان عزله جاء بغتة على حين غفلة وما أمكنه الاستعداد لسفر البر والله يفعل ما يشاء فكانت مدة تصرفه بمصر ستة أشهر وأياما ولما وصل الى الديار الرومية مكث مدة يسيرة ومات وذهب ماله ونواله وهكذا حال الدنيا وفى ذلك عبرة لمن اعتبر وعاد ولده الى مصر وأقام بها فقيرا والله أعلم (ثم تولى مصطفى باشا) فى عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف وفى ولايته حصل متاعب لارباب الاموال وكثرت العوانية والوشاة ببابه وصار وا ينقلون اليه أخبار الناس ويزخرفون له أقاويل كاذبة وأمورا باطلة يتوصلون بها الى أغراضهم الفاسدة فتعبت أرباب الاموال واختلت الاحوال فى زمنه فمن رشى به اليه وبذل ماطلبه منه سلم ومن تقاعس ولم يبذل حقر وأخذ منه أكثر مما طلب منه وكان مصطفى باشا ذا شجاعة واقدام فقتل مصطفى بتجلى بيده وظن الناس أن تقام بسببه فتنة فلم يظهر لذلك أثر ولما ازداد طمعه توسلت الرعية بالنبى صلى الله عليه وسلم الى خالق البرية بكف هذه البلية فاستجاب الله دعاءهم وورد الخبر بعزله فى ثالث شهر رمضان سنة تسع وعشرين وألف فكانت مدته سنة الا ثلاثة أيام والله أعلم (ثم تولى حسين باشا) فى ثالث عشرى رمضان سنة تسع وعشرين ألف وقدم مصر فى أقرب وقت وأدرك مصطفى باشا قبل سفره فمنعه من السفر وأنزله من القلعة الى بيت مراد باشا الذى بالسبع قاعات بمصر وجعل على الباب حرسا فافتقده بعد مدة فلم يجده وكان قد تخلص من ذلك بتدبير بعض أكابر الدولة وتوجه مصطفى باشا الى الديار الرومية وتبعه جماعة ممن صادرهم وأخذ أموالهم فادعوا عليه ومزقوا عرضه وأخذوا منه جميع ما اغتصبه منهم وفى زمن حسين باشا فى سنة ثلاثين وألف حصل غلاء عام حتى بيع القمح كل أردب بالكيل المصرى بمائتى نصف فضة والشعير بمائة وعشرين نصفا والفول بمائة وستين نصفا وكذلك البسلة والعدس وأما الارز فبيع بمائتين وأربعين نصفا وارتفعت الاسعار وقت ذلك وأما النيل فمكث فوق الارض الى غاية هاتور القبطى حتى كادت الناس تيأس من الزرع والذى زرع شتويا عاف ولم يحصل منه الا ما قل لكونه زرع بعد الأوان وقد من الله على عباده بنمو زرع الذرة فانه أخصب ونما وحصل به النفع لاهالى مصر وقراها وغيره من الاقاليم وفى زمنه حصلت بلية عمت وطمت على الرعية وهى رمية النطرون على المدن والثغور وتألمت الرعية بسبب ذلك وراجعوا حسين باشا فى رفعها فلم يرفعها ثم رفعت بعد عزله باذن الله تعالى وقد حصل فى زمنه فساد عظيم وفى عشرى ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وألف عزل حسين باشا فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وسبعة أشهر وعشرة أيام ثم توجه الى الديار الرومية فحصلت الفتنة الكبرى بالقسطنطينية وقتل من قتل وأعيد مولانا السلطان مصطفى وجلس على التخت الشريف وتحرك بعد ذلك فتن أخر وقتل فيها جماعة من الاكابر وآل الامر الى أن ولى حسين باشا الوزارة العظمى فى أحد الجمادين سنة اثنتين وثلاثين وألف ولما تمكن من الوزارة ظن ان الدهر قد صفا له من الغم والنحوس فاستبد برأيه المنكوس فتصرف بالجهل والجنون ولم يراع الشرع والقانون ووقر فى قلبه وسوسة الشيطان الخناس ومشى بالجور والشدة والباس وركزت بغضته فى قلوب الناس فمن جملة مخاطراته انه بلغه ان جماعة من العلماء والموالى يجتمعون بجامع السلطان محمد وهم يدعون عليه ويطلبون من الله ازالته عن المسلمين فأرسل لهم جماعة من أتباعه وأعوانه فقتلوا منهم جماعة ونفى جماعة من العلماء وشاع ذلك وذاع فى سائر الامصار والاقطار ومن جملة مخاطراته أيضا انه وضع يده على جملة مال الخزائن العثمانية وصار كلما أخذ مبلغا يرسله خفية الى بعض أكابر الدولة ويأخذ منه تذكرة بوصول المبلغ

دخلوا فيه أمتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التى حول الجامع ونثروا الكتب التى فى الخزائن يعتقدون ان بها أموالا وأخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتبا ومصاحف نفيسة ومكث بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية فى مصر سبعة أشهر ثم فى غرة رمضان من تلك السنة توجه الى الشام لقتال الوزير المعظم أحمد باشا الجزار فحاصره حصارا شديدا فى عكة فلم يقدر الله ظفره به وقتل معظم عسكره ورجع الى مصر وترك جانبا من عسكره فى العريش وكان قد حصن القاهرة ببناء القلاع حولها ثم جاء عسكر من جهة الروم الى ناحية أبى قير معهم مصطفى باشا فتوجه اليهم بونابارته مع عساكره وقهرهم وقتل منهم جملة وأسر مصطفى باشا المذكور مع بعض العساكر الاسلاميين ورجع الى

المذكور وكيفية وضع التذكرة عنده فقدر الله أن السلطان مصطفى خلع نفسه من الملك وفرغ عنه لولد أخيه السلطان مراد جعل الله جلوسه مباركا على البلاد والعباد انه على ما يشاء قدير (فكان جلوس مولانا السلطان مراد) حفظه الله ونصره بجاه محمد وآله على تخت السلطنة الشريفة العثمانية في يوم الاحد المبارك رابع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وألف ختمت بالخير فأمر السلطان مراد بعود من نفي من العلماء وطلب العسكر المنصور حسين باشا فلما أحس بالطلب وتحقق انه انما طلب للهلاك والعطب اختفى وتفرقت أتباعه وتشتتوا وذهبت دولته كأن لم تكن وندم حيث لا ينفعه الندم وصار في الوجود عدم ثم ان مولانا السلطان مراد أعاد مصطفى قزل أغا الى مرتبته فأخذ مصطفى أغا يدبر في تحصيل حسين باشا فبلغه أنه بمكان فأرسل اليه الامان من مولانا السلطان خضر وقبل أقدام السلطان مراد فأظهر له البشر وأعاده الى الوزارة العظمى وخلع عليه خلع الرضى فلما تصرف وزال روعه مكث مدة يسيرة ثم طولب بما وضع يده عليه من مال الخزائن العامرة فاعترف بالاخذ واحضر التذاكر التي أخذها عن وصل اليه شيء من المال فقتله السلطان مراد شر قتلة واخذ جميع ما كان بمنزله مما أخفاه وأظهره وأمر أن يلقى حسين باشا على باب منزله والناس يمرون عليه وأمر أن لا يدفن الا بعد ثلاثة أيام فمر عليه شخص ممن كان ظلمه وآذاه فرفسه بجزمة كانت برجله فدخلت في جوفه وصار باقي في جوفه رملا ودفن بعد مضي ثلاثة أيام ولم يترحم عليه أحد وهكذا حال الظلمة المغرورين ثم ان مصطفى أغا أرسل الى أرباب التذاكر وأحضرهم واحدا بعد واحد واستخلص منهم المال جميعا وكل من أخذ منه ما كان عنده يعاتبه على قبوله من حسين باشا المال ويقول له أما علمت أنه من مال الخزينة وينسب اليه الخيانة بسكوته وعدم اعلامه ثم يقتله ويلقيه في البحر ولم يبق منهم أحد ولله البقاء (ثم تولى محمد باشا البستنجي) في حادي عشر ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وألف فقام عنه حسن أفندي الدفتدار ولم يتهيأ له تولية مصر وصرف عنها فكانت مدة تصرفه حسين أفندي أربعة شهور وسبعة أيام والله أعلم (ثم تولى ابراهيم باشا السلحدار) ودخل الى رشيد يوم الجمعة ثاني عشر شعبان سنة احدى وثلاثين وألف ووصل الى مصر في أوائل رمضان وحصل في زمنه غلاء يزيد على ما تقدم وقد جاءت الناس من الاقطار الشامية والحجازية وغزة وغيرها الى مصر واقليمها بقصد الميرة فمن كان ذا مال امتار ما يحتاج اليه ورجع الى أهله ولا مال معه وله قدرة على الكسب أو الخدمة يقتات من كسبه أو من خدمته ومن لا مال معه ولا قدرة له على الكسب أو الخدمة يستعطي حتى امتلأت مصر وقراها منهم والذي ضبط بيعه من الغلة في ثغر دمياط في مدة ثلاثة أشهر يزيد على ستين ألف أردب وتجدد بعد ذلك ما يقارب به أو أزيد وذلك خارج عما يباع من الحنطة والشعير والفول وبقية الحبوب وأما ما يباع برشيد فضعف ما يباع بدمياط فان رشيدا كثر واردا من دمياط وأما ما يباع ببولاق والمدائن والقرى فلا حصر له وكل ذلك بعد كفاية أهل مصر وقراها وما أدخروه فسبحان المنعم المتفضل على عبيده فنسأل الله أن يعمر مصر وقراها ويكثر زرعها وخيرها ويهلك من أرادها ولاهلها سوءا انه على ما يشاء قدير وفي زمن ابراهيم باشا حصل من أعوانه وأتباعه اجحاف وطمع وخروج عن الحد في الخدم التي يتوجهون اليها وتعبت الرعايا بسبب ذلك وان ابراهيم باشا رمى بضاعة على التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم خسارة فاحشة فشكوا أمرهم اليه فلم يلتفت لشكواهم فتحركت عليه طائفة من أكابر الدولة ومنعوه من ذلك فتلاشى أمره وتصرمت أيامه واستمر الى أن صرف في يوم الاربعاء سابع رمضان سنة اثنتين وثلاثين وألف وكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة عشر يوما وبه انتهى ذكر من ورد من أرباب الخنكاري الى الديار المصرية ووقف عنده القلم طالبا لكمال هذه الخدمة التاريخية شعر

فما لها في الورى مثلا يناظرها • وكم لها ثار بين الناس من مثل
يرتاح سامعها حتى يهزبها • من التعجب عطف الشارب الثمل

مصر ومكث مدة قليلة ثم أخذ أمواله التي جمعها من مصر وتوجه الى ناحية أبي قير وأخذ بعض عسكره ونزل في البحر وذهب الى بلاده مع شدة محافظة مراكب الانجليز على الاسكندرية ومنعهم كل من يسافر من جهتها حتى قيل انه أرشاهم بدراهم ليخلوا له الطريق (وولى بعده جمهور الفرنساوية كليبر صاري عسكر عليهم ثم ان همة مولانا المعظم والخاقان المفخم السلطان سليم توجهت الى مصر فأرسل مولانا الوزير المعظم والصدر المفخم يوسف باشا المعدني الغازي صاري عسكر على جيوش المسلمين فتوجه من اسلامبول بالاوردي الهمايون ومازال يسير ويجمع العساكر من البلدان الى أن وصل الى غزة هاشم في شهر رجب من شهور سنة أربعة عشر ومائتين وألف ثم وجه

فلا تعرشيرها سمعا ولا نظرا * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

ونرجو من الله تعالى بقاء الدولة العثمانية ودوام عزتها الممتدة بالعناية الربانية وانتظام أقطار الارض فى سلكها داخلة تحت سلطنتها وملكها وتحت مصر عندهم بالالتفات محفوفا وكلما اقدم مقدم واقتضت الحكمة توليته أصبح محفوظا بالسعد محفوفا بجاه سيدنا محمد أفضل العباد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما الى يوم المعاد آمين

(خاتمة)

روى الامام أحمد بن حنبل فى مسنده والترمذى عن عمرو بن مرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة الا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته ولهذا كان بعض الحكام لا يغيب عن بيته ولا يسكن الا فى دهليزه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس من ولى منكم عملا فحجب بابه عن ذوى حاجة من المسلمين حجبه الله يوم القيامة ان يلج الجنة فليس شئ أحب الى الله عز وجل من قضاء حوائج المسلمين ومن كانت همته الدنيا حجبه الله عز وجل عن جوارى فانى بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا بد للناس من امارة برة أو فاجرة فاما البرة فيعدل فى القسم ويقسم فيكم بالسوية وأما الفاجرة فيبتلى فيها المؤمن والامارة الفاجرة خير من الهرج قيل يا رسول الله وما الهرج قال القتل والكذب (فائدة) الهرج باسكان الراء الفتنة وكثرة العناد وبفتحها تحير البصر روى انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس بارة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت يا ليتنى قصرت وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيلى أموركم من بعدى رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها (فائدة) تعريف البدعة من ابتدع الشئ أى اخترعه وأحدثه ثم غلب على ما خالف قواعد الشرع وروى الحاكم وصحح اسناده من ولى من أمور رأمتى شيأ فاحتجب عنهم احتجبت عنه يوم القيامة وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أقواما يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم أخرجه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية وغيرهم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها فيها اصلاح أمره كله وثنتان وسبعون درجات له يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبلغ حاجة من لم يستطع ابلاغها ثبت الله قدميه على الصراط وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المؤمن فى حاجة قضيت أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبرانى فى الصغير باسناد حسن ومن رسالة الجاحظ مما أتى فيها بالحكمة قوله كن شفيعا الى اذنك حتى تسمعها وشفيعا اذنك الى قلبك حتى تفهمها وشفيع قلبك الى نفسك حتى تعمل بها وقال ابن زيدون فى رسالته المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة ومن كلام الحكمة بذل الجاه أحد المالين وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين والشفيع جناح الطالب والشفاعة أمر مندوب اليه نطق به القرآن وحثت عليه السنة قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقال جابر بن عبد الله من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها عرض نعمته للزوال نعوذ بالله من ذلك ونسأله التوفيق والعصمة وعن أبى موسى الاشعرى

عسكرا أمامه الى العريش وتوجه بعدهم بنفسه اليها ففتحها الله عليه فى مدة يسيرة نحو خمسة أيام مع ان بونابارته لما ذهب الى الشام حاصرها أربعة عشر يوما فلم يقدر على أخذها مع كون من فيها شرذمة قليلة من عسكر مصر فلما فنيت ذخيرتهم طلبوا الامان وخرجوا منها وأما الفرنساوية الذين كانوا فيها فعندهم ذخيرة كثيرة وجبخانة عظيمة لكن معونة الله ساعدت الوزير المذكور على أخذها ثم لما استقر ركابه هناك ذهب اليه جماعة من الفرنساوية ووسطوا بينهم وبينه جماعة من الانجليز فى اجراء الصلح بينهم فصالحوه على انه يترك لهم ما قبضوه من الاموال وأن يدفع لهم جانبا يستعينون به على السفر وشرطوا شروطا كثيرة منها انهم يمكثون فى مصر والبر الشرقى مدة أربعين أو

رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب متفق عليه وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا اللهم من ولي من أمر أمتي شيأ فشق عليهم فاشقق اللهم عليه ومن ولي شيأ فرفق بهم فارفق اللهم به (فائدة) الرفق هو التوسط واللطافة في الامر مع الناس برفق في تحصيله فمن فعل ذلك ولم يجهد نفسه دام له ما استفاد وأفاد وهدى واهتدى ومن كلف نفسه فوق طاقتها وعامل الناس بصلابة الجانب لم يدم له مجهوله فضل وأضل قال صاحب المنفرجة

والرفق يدوم لصاحبه * والخرق يصير الى الحرج

وقد تقدم الكلام على الحرج وقال عبد الله بن طاهر لا ينبغي للملك أن يظلم وبه يدفع الظلم ولا يبخل ومنه يتوقع الجود من الفردوس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على أمتي زمان يكون السلطان كالسبع ومن قبله كالذئب ومن قبله كالثعلب ويكون المسلم كالشاة تبقى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب قولوا في ذلك الزمان يا سلام سلم يا سلام سلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن قال الشارح ناظما

ان كنت لا ترحم المسكين ان ظلما * ولا الفقير اذا يشكو لك العدما

فكيف ترجو من الرحمن مرحمة * وانما يرحم الرحمن من رحما

ذكر الجلال السيوطي في الاحاديث العشارية الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ناظما

ارحم الناس في الارض يرحمك * من في السماء فابعد عنك وسواسا

وقل أعوذ برب الناس منك اذا * لا يرحم الله من لا يرحم الناسا

ومن كلام الحكمة يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور الاول الاكتفاء بغير أهل الديانة الثاني أن يقصد مودة أبيه وأسلافه بالاذى الثالث أن ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه الرابع أن يكون تقريبه وابعاده لغرض نفسه معرضا عن مراتب الناس الخامس استهانته بنصائح الفضلاء وآراء ذوي التجارب ويقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا وقال بعض أهل الحكمة الملك بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلدان وعمارة البلدان بالعدل في الرعية وقيل في المعنى

عليك بالعدل ان أوليت مملكة * واحذر من الظلم فيها غاية الحذر

فالملك يبقى مع عدل الشيم ولا * يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

وقال الشاعر أيضا خف الله واحذر من عواقب لذة * مسرتها تفنى ويبقى لك الوزر

ولا تحقرن ذنبا صغيرا تخفه * الى غيره فالغيث أوله قطر

واعلم انه لا ذنب أعظم من ظلم الناس وأخذ أموالهم بغير حق لا سيما من كان ضعيفا ومسكينا أو لا عقل له أو كهلا أشرفت نفسه على الهلاك وقال الامام علي كرم الله وجهه ملك بلا عدل كنهر بلا ماء وعالم بلا عمل كغيم بلا مطر وغني بلا جود كشجر بلا ثمر وشاب بلا توبة كقنديل بلا زيت وفقير بلا صبر كبيت بلا سقف وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال طلحة الطلحات لأسد بن عبد الله وهو والي خراسان ان كنت تعطي من ترحم فارحم من تظلم ان السموات لتفرج لدعوة المظلوم فاحذر من ليس له ناصر الا الله ولا جنة له الا الثقة به ولا سلاح له الا الابتهال اليه فان البغي يصرع أهله والبغي مصرعه وخيم فلا تغتر بابطاء الغياث من ناصر متى شاء ان يغيث أغاث وقد أملى لقوم لكي يزدادوا اثما وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد ناصرا غيري نقل الغزي في كتابه حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله ومن الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

خمسة وأربعين يوما يقضون فيها أشغالهم وبعد ذلك يذهبون الى الجيزة يترددون ما بينها وبين الصعيد والاسكندرية بظهر تلك المدة حتى يجمعوا عساكرهم من البلاد فأجابهم الوزير لذلك لسلامة صدره فلما حضر بعسكره ونزل ما بين الخانقاه السرياقوسية والمطرية تعللوا عليه بأن الانجليز لم تمكنهم من السلوك في البحر ومكثوا مدة يعدونه حتى جمعوا عسكرهم وغدروا الوزير المذكور وهجموا عليه بغتة فانكسر أمامهم وسببه انه اعتمد على الصلح المذكور لسلامة صدره ولم يخطر بباله أنهم يغدرون فأرجع بعض العساكر والجبخانة والمدافع العظيمة ولم يقدم الا بمدافع صغيرة لا تقاوم مدافعهم ثم رجع من العسكر الذين كانوا بالمطرية جملة صحبة كتخدا الدولة عثمان كتخدا منهم نصوح باشا الى مصر حالا

مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام ومن الجامع الصغير أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وذكر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى فى الاربعين حديثا التى جمعها ﴿الحديث التاسع﴾ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاصم فى باطل وهو يعلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع رواه أبو داود وصححه الحاكم وفى لفظ آخر من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله تعالى ﴿الحديث الحادى عشر﴾ من الاربعين حديثا المتقدم ذكرها من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولفظه من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من الله ورسوله وقد أجمع المسلمون على تحريم الظلم قليله وكثيره ومن استحله فهو كافر والظلمة من المكاسين وغيرهم غافلون عن هذا كله ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة صاحب مكس حديث حسن رواه الامام أحمد فى مسنده وهذا الحديث مع قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة الغامدية فو الذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له من املاء الشيخ جلال الدين السيوطى على الدرة الفاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر عن عبد الله بن سلمة عن أبى لهيعة الى الامام أحمد عن الطبرى وعن منصور بن مجاهد فى قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال نزلت فى المكاسين وأنشد

أقتل أولى المكث ولا تكترث * ان حرموا ذاك أو حللوه

فان خير الخلق أوصى به * اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه

﴿وقال بعضهم﴾

مصر السعيد اصبحت * دار تطيب بها النفوس

فالظلم فيها قد فشا * وأصله قبض المكوس

وذكر بعض الافاضل أن الشيخ محمد الحيثى بالشاء المثلثة ذكر فى كتابه البركة فى فضل السعى والحركة قال صلى الله عليه وسلم خلق الله ولد الزنا وأخفاه بين خلقه فاذا أراد أن يظهره جعله مكاسا أو عوانيا وقد أحدث الظلمة أشياء تقشعر من سماعها الجلود فضلا عن مشاهدتها لاشتهارها عند الخاص والعام لما أركزه الله فى قلوبهم من حب الدنيا الدنيئة والغفلة عن الآخرة وقد ورد ان الظلمة كلما أحدثوا ظلما جدد الله لهم نعمة وأنساهم الاستغفار والرجوع اليه قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقال تعالى وقد خاب من حمل ظلما وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصية فاعلموا انه استدراج ثم قرأ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (فائدة) تعريف الظلم هو مجاوزة الحد والتعدى على خلق الله وقال الراغب هو لغة وضع الشئ بغير موضعه بنقص أو زيادة أو عدول عن وقته أو مكانه قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال الشارح الظلم على أصحابه فى الدنيا يعنى انه يورث ظلمة القلب فاذا أظلم القلب تاه وتحير فذهبت الهداية والبصيرة فصار صاحبه فى ظلمة ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة النبا عند قوله تعالى يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا أى جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه أفضل الصلاة والسلام سئل عنهم فقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم وبعضهم ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون ثيابا من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وآكل السحت وآكل الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين بأعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم

وابراهيم بك شيخ البلد خالا وبعض صناجق وقدم أيضا من جهة الصعيد بعض عساكر صحبة حسن بك الجداوى ومن جهة دمياط بعض أرنؤط وعهد بك الالفى وعاليك والحاز الجميع فى مصر ويسر الله لهم بعض الجبخانة والمدافع بهمة خواجا السيد أحمد المحروقى لطف الله به ومنعوا الفرنسيس من دخول البلد وأحاطوا بجميع جوانبها ومنعوا من يدخل اليها ومن يخرج منها وحصل للفقراء ضنك بسبب قلة القمح لكن حصل لطف بسبب كثرة الارز والعدس والفول وكان ثمن ربع الارز ثمانية وأربعين نصفا فضة والعدس اثنين وعشرين نصفا فضة والفول قريبا من ذلك وصار الفرنسيس يضربون البلد بالمدافع والقنابر حتى أتلفوا منها بعض أماكن ولم يمت من ذلك الا القليل من الناس وذلك بفضل الله تعالى

والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات والمانعين حق الله تعالى والمتكبرين وأهل الخيلاء
وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما تكلم بعض الملوك بكلمة بغى وهو جالس على سريره فمسخه الله
فلم ير أثره وفى المعنى

أيها المستطيل بالبغى قصر * طالما طاطا الزمان رؤسا
وتذكر قول الاله تعالى * ان قارون كان من قوم موسى

(وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه)

اذا ما ظالم استعمل الظلم مذهبا * ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها * ستبدى له ما لم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متجبرا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
طغى وبغى حتى اذا غره البقا * أناخت جميع النائبات ببابه

وقد ورد فى البغى آثار منها أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا فقال له أنهاك عن ثلاث لا تنقض عهدا واياك والبغى فانه من بغى عليه لينصرنه الله واياك والمكر السيء فانه لا يحيق الا باهله وقال صلى الله عليه وسلم اذا جار الحاكم قل المطر واذا نقض العهد جار العدو واذا ظهرت الفواحش كانت الزلزلة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رضى الله على قوم أمطرهم المطر فى وقته وجعل المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال فى بخلائهم وأمطرهم المطر فى غير وقته ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة المطففين ويل للمطففين التطفيف البخس فى الكيل والوزن روى ان أهل المدينة كانوا أبخس الناس كيلا فنزلت وفى الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت وما طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر حدث واصل بن عبد الله السلمى عمن حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يذهب من هذا الدين الامانة وآخر ما يبقى منه الصلاة وسيصلى من لا خير فيه وما فشا الزنا بين قوم الا استوجبوا حرب الله ورسوله ولا ظهرت فيهم المعازف والغنا الا عميت قلوبهم ولا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا نكست قلوبهم حتى لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قيل ان سيدنا عيسى عليه أفضل الصلاة والسلام رأى ابليس وهو يسوق أربعة حمير فقال ما هذا قال أسوق تجارة لمشتريها الجور للسلاطين والحسد للعلماء والخيانة للتجار والكيد للنساء ومن كلام الحكمة الاسباب التى تجر الملك الى الهلكة ثلاثة أحدها أن تتأمر شهواته على عقله فيستهويه نشوان الشهوات فلا تسنح له لذة الا اقتصها ولا راحة الا اقتنصها الثانى من جهة الوزراء وهو التحاسد المقتضى تعارض الآراء فلا يسبق أحدهم الى حق الا عورض وفند الثالث من جهة الجند وهم صنفان صنف وسع الملك عليهم أرزاقهم فابطرهم الاسراف وصبوا بنفوسهم للاتلاف وصنف قتر الملك عليهم أرزاقهم فركنوا الى الاحقاد ولزموا النفاق واعلم أن آفة الملوك سوء السيرة وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة العادة وآفة الرعية مخالفة السادة وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة وآفة القضاة شدة الطمع وآفة العدل قلة الورع وآفة القوى استضعاف الخصم وآفة المنعم منع النعم والخلافة لا يصلح لها الا التقوى والرعية لا يصلحها الا العدل فمن جار فى قضيته ضاعت رعيته ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته ومن كلام الحكمة خير الملوك من أشرب قلوب رعيته محبة لا تزول ولن ينال ذلك الا بخمسة أشياء اكرام شريفها واغاثة لهيفها ورحمة ضعيفها وكف عدوان عاديها وتأمين سبل رائحها وغاديها روى عن الامام على رضى الله عنه انه قال فساد العامة من فساد الخاصة والخاصة تنقسم على أربعة أقسام العلماء وهم الدالون على الله والزهاد وهم الطريق الى الله والتجار وهم أمناء الله والملوك وهم رعاة دين الله فاذا كان العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدى اذا كان الزاهد راغبا فبمن يهتدى واذا كان التاجر خائنا فبمن يؤتمن واذا كان الملك جائرا

وهجموا عليها مرات كثيرة من كل طرف ولم يمكنهم الله تعالى منها ثم بعد مضى ثلاث وثلاثين يوما هجموا على باب الشعرية وحرقوا أطراف الحارات التى بجوار سيدى عبد القادر الدشطوطى وقتلوا جماعة من الرجال ونهبوا الاموال وسبوا رجالا ونساء وهجموا قبل ذلك على بولاق وقتلوا جماعة كثيرة ونهبوها وسبوا منها رجالا ونساء فلما رأى المسلمون ذلك وانهم كلما تمكنوا من محل أحرقوه بالنار مالوا الى الصلح بعد طلب الفرنسيس له شفقة على الرعية وخرجت العساكر من البلد وتوجهوا الى الشام صحبة كتخدا الدولة وابراهيم بك وأمام مراد بك فاصطلح معهم على أن يمكث فى الصعيد فى بلاد معلومة ويدفع لهم خراجها ثم بعد خروج العساكر وتوجههم الى الشام جمع كبير الفرنسيس كبير أهل البلد وطلب منهم مالا عظيما

فبمن يلتجأ فوالله ما أهلك الرعية الا العلماء الطامعون والزهاد الراغبون والتجار الخائنون والملوك الجائرون فانا لله وانا اليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال صاحب النفحات المسكية وأما أصناف العدل من الخلائق فخمسة رفع الله بعضهم فوق بعض درجات كما قال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴿فالصنف الاول﴾ الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أدلاء الامة وعمد الدين والاسلام ومعادن حكم الكتاب وأمناء الله على خليقته وهم الهداة والقدوة والسرج المنيرة الى سبيل الهدى وحملة الامانة عن الله الى خلقه بالهداية وأنزل معهم الكتاب والميزان وأن لا يتعدد واحدود ما أنزل الله من الاوامر والزواجر ارشادا وهداية لهم حتى تقوم الناس بالقسط والحق ويخرجونهم من ظلمات الكفر والطغيان الى نور اليقظة والايمان وهو سبب نجاتهم من دركات جهنم الى درجات الجنان ﴿الصنف الثانى﴾ العلماء وهم ورثة الانبياء فهموا مقامات الاقتداء من الانبياء فاقتدوا بهداهم واقتفوا آثارهم فصدقوا بما أتوا به وشيدوا كلمهم وأيدوا دعوتهم ونشروا حكمتهم كشفا وذوقا وتحقيقا وايمانا بكمال المبالغة لهم ظاهرا وباطنا أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وما ظهر فى هذا الزمان من الاختلال فى حال البعض من حب الرياسة والمال والجاه والحسد لا يقدح فى حق الجميع غفر الله لنا ولهم ﴿تنبيه فى هذا المحل﴾ وهو ان مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصارى رحمه الله أفاد فى شرحه على المنفرجة حيث قال قال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر أجرى منه واد ومن الوادى نهر ثم من النهر جدول ثم من الجدول ساقية فلو جرى البحر فى النهر أو الوادى الى الجدول لغرق وهو المراد بقوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فبحور العلم عند الله ان الله أعطى الرسل منها أودية ثم أعطت الرسل من أوديتها العلماء أنهارا ثم أعطت العلماء من أنهارها العامة جداول بقدر طاقتهم والمناسب أن يقيد العلماء بالمتفقهة فى الدين ﴿الصنف الثالث﴾ الملوك الذين هم يراعون العدل والانصاف بين الناس والرعايا توصلا الى نظام المملكة وتوسلا الى قوام السلطنة فى أموالهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم بالعدل ومنع القوى عن الضعيف والدنى عن الشريف فرأس المملكة وأركانها وثبات أحوال الامة وبنيانها العدل والانصاف فان الله تعالى أمر بالعدل ولم يكتف به حتى أضاف اليه الاحسان فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان لان العدل ثبات المملكة ودوامها والجور والظلم خرابها وزوالها قال سفيان الثورى صنفان اذا صلحا صلحت الامة واذا فسدا فسدت الامة الملوك والعلماء ﴿الصنف الرابع﴾ أوساط الناس يراعون العدل فى معاملاتهم وأرش جناياتهم فيكافؤن بالحسنة الحسنة والسيئة السيئة ﴿الصنف الخامس﴾ القائمون بسياسات نفوسهم وتعديل قواهم وحفظ جوارحهم وانخراطهم فى سلك العدل لان كل فرد من افراد الانسان مسؤل عن رعاية رعيته التى هى جوارحه وقواه كما ورد كل راع مسؤل عن رعيته قال صاحب الدر ومسؤل عن أهل بيته وحاشيته ولا يؤثر وعظ الشخص فى غيره ما لم يؤثر فى نفسه والتأثير فى القريب قبل البعيد كما قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

انتهى كلام النفحات المسكية وعلى ذكر الصنف الثانى من النفحات المسكية المتقدم ذكرها قال الشاعر

اجعل العلم يا فتى لك قيدا * واتق الله لا تخنه رويدا
لا تكن مثل معشر فقهاء * جعلوا العلم للدراهم صيدا
طلبوه فصيروه معاشا * ثم كادوا به البرية كيدا
فلهذا صب البلاء علينا * مستحقا ومادت الارض ميدا

وقال الغزالى رحمه الله تعالى فى بداية الهداية أيها الحريص ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الاقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فأنت ساع فى هدم دينك واهلاك

نحو عشر خزن ووكل بجمع ذلك رجلا من القبط يقال له يعقوب ففرد ذلك على طوائف الناس والحرف وصار يجمع ذلك منهم بمشقة عظيمة من ضرب وغيره حتى صار بعض الناس يموت من شدة الضيق والحبس وطلبوا من شيخ السادات سيدى محمد أبى الانوار مال عظيم انحو خزنة وحبسوه وباعوا جميع متاعه فلم يف بثلث ما طلب منه فاخذوا منه فى نظير الباقى التزامه وتعلقاته ما عدا العقار والرزق والتزام الحريم ثم فى يوم السبت الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين وألف خرج رجل على سارى العسكر المذكور فقتله فى بستان خلف البيت الذى فى الازبكية وقبض على ذلك الرجل فادعى انه جاء من الشام منذ ثلاثين يوما واختبأ فى رواق الشوام بالجامع الازهر ومعه جماعة منه كان

نفسك و بيسع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة وعملك معين لك على عصيانك وشريكك فى خسرانك وهو كالمشم سيف لقاطع الطريق قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه ومما يعزى لمولانا الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطوّل الكم ثم عمم
واجعل على الرأس طيلسانا * واجلس على الركبتين واحم
وباحث القوم فى عياط * لامن بخارى ولا بمسلم
الا زعيق ونفض كم * وقول لم لا ولا مسلم
ثيابهم بيضوا رياء * وقلبهم بالسواد مظلم
وان رأوا الوقف يأكلوه * ويتركوا العلم والمعلم
احذر ترى فى الورى فقيها * اهرب وقل يا سلام سلم

وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزده هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه ويضئ على الناس وقال صلى الله عليه وسلم العالم الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه رواه الطبرانى والبيهقى وخبر لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم أنا من غير الدجال أخوف عليكم فقيل من هم يا رسول الله قال علماء السوء ❊(واعلم) ان الناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال رجل طلبه ليتخذه زاده ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال العز والمال وهو عالم بذلك مستشعر فى قلبه ركاكة حاله فهذا من المخاطرين يخاف عليه سوء الخاتمة ويبقى أمره للمشيئة ان وفق للتوبة قبل حلول الاجل ورجل استحوذ عليه الشيطان فيتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضى وطره من الدنيا وهو مع ذلك يضمر فى نفسه انه عند الله بمكان فلا تسمه بسيما العلماء فما أفسد هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله انتهى كلام الغزالى وقيل

انى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لأصحابهم * وعدة للظلم والغشم

ومن الجامع الصغير من أكل بالعلم طمس الله على وجهه ورده على عقبيه وكانت النار أولى به ❊ ومن الفردوس عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يكون عامتهم يقرؤن القرآن ويجتهدون فى الصلاة يستعملون عمل أهل البدع يشركون من حيث لا يعلمون يأخذون على قراءتهم وعلمهم الورق ويأكلون الدنيا بالدين هم أتباع الدجال الأعور (ومما) أفاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا رحمه الله فى شرحه على المنفرجة حيث قال ان كتاب الله تعالى خص بالذكر لانه مرجع الادوية الكبرى والنعمة العظمى فى بيان ما لا تهتدى اليه العقول فى الاعتصام من الفتن لخبر سيكون فتن كقطع الليل قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو كلام الله لا تزيغ به الاهواء ولا تتشعب منه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا تمله الاتقياء من عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم (وهنا حكاية) لطيفة لا بأس بايرادها فى هذا المحل وهى ان الشيخ زكريا المشار اليه آنفا كان قاضى القضاة بالديار المصرية وكان معاصرا له رجل من العلماء فأخذ

عندهم فأحضروهم وقتلوهم وهم ثلاثة علماء صلحاء وصلبوا القاتل وقفل الجامع الازهر بعد اخراج غالب الكتب منه وشرعوا فى بناء قلاع وسور فعمروا السور من باب النصر الى باب الحديد وجعلوا جامع الحاكم قلعة وهدموا قواصره وجعلوا منارته برجا وهدموا أكثر بيوت الحسينية وهدموا أيضا معظم بولاق وبعض مساجدها وتبدلت أحوال مصر تبدلا زائدا وخرج أهلها منها ولم يبق منهم الا القليل لما سمعوا بوصول بعض العساكر الاسلامية الى العريش ثم لما طال عليهم الحال وضاق عليهم المعاش فى الارياف رجعوا الى مصر وضربت الجزية عليهم كبقية طوائف النصارى واليهود والفرنج القاطنين بمصر ❊ ثم فى يوم الخميس سادس عشر شوال سافر عبد الله جاك منوا لكونه بلغه ان جماعة من الانجليز والمسلمين وصلوا الى

ذلك الرجل يعيب الشيخ زكريا بولاية القضاء ويشنع عليه في المجالس ثم ان ذلك الرجل رأى في منامه رب العزة جل جلاله فقال له مالك ولعبدنا زكريا ان اغضبتنا انهار امنا الحنبلي ثم ان ذلك الرجل تاب الى الله تعالى ورجع عما هو فيه وجاء الى الشيخ زكريا معتذرا فانظر الى هذا المقام الذي للشيخ زكريا رحمه الله تعالى (ومما يقع) لكثير من الناس ممن ابتلى بالتردد على أرباب الولايات ومجالستهم ممن ينتمي الى علم أو صلاح فانه يرى منهم مالا يحل فعله فلا ينكر عليهم فيقع بسبب ذلك في الهلاك وربما يظن صاحب المجلس ان سكوته عن النهي عن المنكر تقرير له واستحسان فيتمادى على ذلك فما ظنك بأناس يحضرون مجالس الظلمة ويشاهدون من ظلمهم مالا يحل من اكراه وضرب ومصادرات وغير ذلك ولا ينكرون عليهم والعجب من اطباق من يتظاهر بالدين والصلاح على ذلك فانا لله وانا اليه راجعون لم يبق من الاسلام الا رسمه ولا من الدين الا اسمه ومن تذكر فيما ذكر وعمل بما أوردناه فقد أحسن الى نفسه ويرى نور عمله في ظلمات رمسه ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور * من الجامع الصغير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لص قال الشارح أي سارق محتال على اقتناص الدنيا بالدين ويجذبها اليه من حرام أو غيره فاحذره أما لو خالطه أحيانا لمصلحة كشفاعة ونصرة مظلوم فلا بأس والله يعلم المفسد من المصلح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولو بسطنا القول في هذا لاتسع الخرق على الراقع ولكن نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة والتوفيق للعمل الصالح بمنه وكرمه (ومن) كلام الحكمة أحسن الملوك من تكفل الكاف من رعيته فانه سائس في اقبالها وادبارها والقائم على ثغورها بسدادها والرادع لمراوغها عن افسادها والحافظ لدينها والمعد لنوازل المهمات قبل حينها والجابي لفيئها وخراجها والمنفق في مصالحها وحاجاتها والمجاهد لعدوها والكالئ لضعيفها من قويها والرشيد لها من غويها مع شدة حال الملك الى رعيته في سورة أمره وتنفيل نفسه ونهيه ومنع عدوها وعدوه والى ذلك أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ولي أمر المسلمين فهو عبدهم ويقال أربعة من استقبلها بالعنف في أربعة أحوال هلك الملك في حال غضبه والسيل في حال صدمته والفيل في حال غلمته والرعية في حال هيجانها ويقال ان الرعية لا تخلو من عاقل ذي حزم بأن يخرج السوقة والتجار وأرباب الصنائع من طبقات الجند الى طبقاتهم فانه ليس في قواهم ما في قوى الجند من بذل النفوس في تشييد عز الملك ولم تزل قدماء الملوك يلزمون كل طبقة ترك التعرض للترقي منها

﴿فصل في ادارة الرأي والاحتراز من العدو﴾ قال بعضهم الرأي مرآة العقل فن أردت استحسان صورة عقله فاستشره ﴿وفي نذة﴾ سبعة لا ينبغي لذي لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك ويتمنى زوال النعمة والمرائي واقف على رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره وذا الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته واحترز من تدبيرك على عدوك كاحتراسه من تدبيره عليك فرب هالك بما دبر وساقط في البئر الذي حفر وجريح بالسلاح الذي شهر ويقال اذا أمكنت عدوك من أذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والخوض في وحل مكره والعجب لمن يبغي لعدوه ويأتي له سمعا وهو لا يرجو له نفعا ويقال من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المكر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الكمد والامم على اختلاف أزمانها وبلدانها وأديانها اتفاق على مدح أربعة أخلاق العلم والزهد والاحسان والامانة (حدث) عباد بن كثير عن أبي ادريس عن وهب بن منبه قال من أخلاق العاقل عشرة الحلم والعلم والرشد والعفاف

ساحل أبي قير والاسكندرية ولما وصل هناك وقع بينه وبينهم حروب وهزم الفرنسيس وقتل منهم خلق كثير وانحازوا الى الاسكندرية فاحتاط بها المسلمون والانجليز وقطعوا البحر الملح حتى أحاطوا بها وانحاز جملة منهم الى الرحمانية وتحصنوا بقلعة بنوها هناك فتوجه المسلمون والانجليز الى رشيد وأخذوها ثم توجهوا منها الى الرحمانية وأخذوها أيضا فتوجه الفرنسيس الذين كانوا فيها وانحازوا الى مصر وخرجوا مع من فيها الى ملاقاة المسلمين الذين قدموا في البر من الشام مع حضرة الوزير الاعظم يوسف باشا وحصل بينهم مقتلة عظيمة فنصر الله المسلمين وهرب الفرنسيس الى مصر وذلك في أوائل المحرم سنة ألف ومائتين وستة عشر وقد حبسونا في القلعة مع اخواننا من العلماء خوفا من قيام أهل البلد عليهم

والصيانة والحياء والرزانة ولزوم الخير والمداومة عليه وقصر الشر عنه ومن أهله وطواعية الناصح وقبوله منه وحدث حسان بن عبد الله البصري عن السري بن يحيى قال وجدت كتابا فيه قول قاله وهب ابن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يكره الشر يأثم ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن لا يكون بالله يخذل ومن يستعن بالله يظفر ويقال صفاء النفس الناطقة بمواظبة الفكرة الصادقة ومن لا فكرة له فيما خلق لاجله فهو مسلوب معنى الانسانية وحقيقة الروحانية ويقال الامانى فى الشدة ارتياح وفى الرخاء جماح فلا يصلح للعاقل أن يريح نفسه فى الامانى الا بمقدار ما يؤنس الوحشة وينفس الكربة ويقال استيلاء الامانى على النفوس كتأمر السفلة الذين يجعلون الرؤس اذنابا والاذناب رؤساء ويسعون فى تغيير صور الصواب روى الطبري باسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت قالوا يارسول الله ما الوعول وما التحوت قال الوعول وجوه الناس واشرافهم والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم (فائدة) الفحش هو السوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد فى القبح من الكبائر وقيل الاول ما فيه حد والثانى ما شرع فيه الحد ﴿ولنجعل﴾ ختام هذه الخاتمة فى التفويض والصبر (أما) التفويض فهو اعتقاد العجز عن مغالبة القدر وأنه لا يكون من الخير والشر الا ما أراد الله كونه ولا يصح التفويض عمن لا يعتقد ذلك ويعلمه علم اليقين قال صلى الله عليه وسلم لابى هريرة من كلام له وان أصابك شئ فلا تقل لو فعلت كذا وكذا كان كذا ولكن قل قدر الله تعالى ومن كلام الحكمة اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن أعوانه تكون الحيلة الكيس الماهر من استسلم لامر القادر (وأما الصبر) فقد تقدم الكلام على نبذة منه فى خلافة المقتدى لكن لا بأس بايراد نبذة منه فى هذا المحل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والرفق والده والبر أخوه والصبر أمير جنده وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطى المؤمن عطاء أوسع من الصبر وان الصبر من الانسان بمنزلة الرأس من الجسد (فائدة) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها فاب فى حوادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك ما لا تقدر بحولك ولا بحيلتك ولو لم يكن فى الصبر الا ما جاء فى القرآن العظيم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد بالعقبى وما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضي الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال على ابن أبي طالب رضي الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وأفضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام على رضي الله عنه أى شئ أقرب الى الكفر قال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث بن أسد المحاسبي لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر قال الشاعر

لا تجزعن لعسرة من بعدها ❊ يسران وعد ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها ❊ ولله فى أعطافها ألطاف

(مفرد) ما أحسن الصبر ولكنه ❊ فى ضمنه يذهب عمر الفتى

(وقال القاضى الفاضل)

يقولون ان الصبر يعقب راحة ❊ وما فهموا تبليغ عاقبة الصبر
وفى الصبر ربح أو طريق مبلغ ❊ الى الربح لكن الخسارة فى العمر

(وللسراج الوراق)

كما وقع منهم سابقا فمكثوا فى القلعة ما ثة يوم من تسعة من ذى القعدة الى أواخر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف وسبب خروجهم من الحبس وقوع الصلح بين المسلمين وبين الفرنساوية على ان يخرجوا من البلاد ويسافروا وعلى رشيد وأبى قير ووقع بينهم شروط كثيرة منها ان يرسلوا الى عبد الله منوفى الاسكندرية اما أن يدخل فى الصلح المذكور واما ان يحاربوه وخرجوا من مصر يوم الجمعة للتاسع بقين من شهر صفر المذكور ذهبوا الى الجيزة ثم توجهوا منها يوم الاربعاء رابع شهر ربيع الاول من السنة المذكورة الى رشيد وأبى قير صحبة حسين باشا القابودان وعساكر كثيرة من المسلمين والانجليز وأنزلوهم فى المراكب وامتلأت مصر بعساكر المسلمين وبعض عساكر الانجليز ودخل الوزير الاعظم مصر يوم الخميس فى موكب عظيم

وقائل قال لى لما رأى قلقى * لطول وعد وآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت نخشى ان تفنينا

والصبر أنواع كثيرة والالائق بهذا المقام صبر الملوك وهو عبارة عن ثلاث قوى الاولى قوة الحكم وثمرتها العفو الثانية قوة الحفظ وثمرتها عمارة المملكة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها الثبات قال الشاعر

لاتقف للخطوب فى كل وقت * ولاتخشها اذا هى حلت
فحقيق دوام ماليس يبقى * كثرت فى الزمان أو هى قلت
وادرع للهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا توالت تولت

﴿وليكن هذا آخر ما يسر الله تعالى جمعه﴾ على يد مؤلفه محمد بن اسحق فى هذه الاوراق عارق معناه وراق لاسيما مع تشتت البال والاشتغال بهم العيال والخاطر بالافكار مشغول والعزم للالتواء بالامور وتعسرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن المقطوب كليل والقلب لتوالى المحن وتواتر الغم عليل كما قيل فى المعنى

يعاندنى دهرى كأنى عدوه * وفى كل يوم بالكريهة يلقانى
فان رمت خيرا جاءنى منه ضده * وان راق لى يوما تكدر فى الثانى

وأرجو ممن رشف من راح براعة هذه العبارة وراح يدير فى حدائق البراعة نظره ويغضى انظاره أن يغض نظر الافكار عند العثور على العثار فانى فى خجل واضطراب من هفوات هذا الكتاب لانه أدرج فيه بقدر ما وسع مع اهابى من غث وسمين ورخيص وثمين واذا عثر على غير صواب فليصلح واذا وقف على ماليس بحسن فلايقبح فانى ناقل عمن مضى وأحسن الناس ما كان لطرف الانتقاد مغمضا فان الكريم غفار والحليم ستار فانى لاأدعى رتب الكمال وفوق كل ذى علم عليم ولاأزعم النزاهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الملك القدوس العزيز العليم قال الشاعر

ما كان من خطا فى النقل أو خطل * فى اللفظ أو هفوة فى الرقم أو خلل
وشامه ذو ذكاه ناقد فطن * فليسترن عوارا منه بالحلل
فليس يعصم من عيب ومنقصة * سوى الملائك والانبياء والرسل

﴿ذكر أثر متصل السند فى النيل﴾

(حدثنا) أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث بن سعد قال بلغنى أنه كان رجل من بنى العيص يقال له حائد بن ابى شالوم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام خرج هاربا الى مصر من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر فاقام بها سنين فلما رأى أعاجيب نيلها وما يأتى به جعل الله عليه أن لايفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت قبل ذلك فسار عليه قال بعضهم ثلاثين سنة فى الناس وثلاثين سنة فى غير الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا حتى انتهى الى بحر أخضر فنظر الى النيل ينشق مقبلا فصعد على البحر فاذا رجل قائم يصلى تحت شجرة من تفاح فلما رآه استأنس به وسلم عليه فسأله الرجل صاحب الشجرة فقال له من أنت فقال له أنا حائد بن أبى شالوم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فمن أنت قال أنا عمران بن العيص بن اسحق بن ابراهيم قال فما الذى جاء بك يا حائد قال جئت من أجل هذا النيل فما الذى جاء بك أنت يا عمران قال جاءبى الذى جاء بك حتى انتهيت الى هذا الموضع فأوحى الله الى ان أقف فى هذا الموضع حتى يأتينى أمره فقال له حائد أخبرنى يا عمران ما انتهى اليك من أمر هذا النيل وهل بلغك فى الكتب أن أحدا من بنى آدم يبلغه قال له عمران نعم بلغنى أن رجلا من بنى العيص يبلغه ولا أظنه غيرك يا حائد فقال له حائد يا عمران أخبرنى كيف الطريق اليه قال له عمران لست أخبرك بشئ الا أن تجعل لى ما أسألك قال وماذاك يا عمران قال اذا رجعت الى وأنا حى تقيم عندى حتى يوحى الله الى بامره أو يتوفانى فتدفننى فان وجدتنى ميتا فتدفننى

عليه أبهة الجمال وهيبة الكمال وامتلأت قلوب أهل مصر فرحا وسرورا لم يحصل لهم فرح مثله لكثرة ماوقع لهم من طائفة الفرنسيس من أخذ أموالهم وقتل رجالهم وهدم بيوتهم حتى صاروا فقراء ثم فى يوم الاحد السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر جاء الخبر أن المسلمين ملكوا الاسكندرية بعد قتال شديد ومات خلق كثير من الانجليز والمسلمين وحصروهم فى البرج ثم طلبوا الامان وكان ذلك فى يوم الجمعة لثمانية عشر من الشهر المذكور ثم طلبوا المدة فاعطوهم ذلك وبعدها أنزلوهم فى المراكب شيأ فشيأ وخلت منهم البلاد وأراح الله منهم العباد وكانت مدة تصرفهم فى مصر ثلاث سنين وشهرا وكان خروجهم بهمة مولانا سلطان سلاطين أهل الارض الذى صرفه الله فى طولها والعرض مالك رقاب الامم سيد سلاطين العرب

وتذهب قال ذلك على قال له سر كما أنت على هذا البحر فانك تاتى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها اركبها فانها دابة معادية للشمس اذا طلعت أهوت اليها لتلتقمها حتى يحول بينها وبينها حجبها واذا غربت أهوت اليها لتلتقمها فتذهب بك الى جانب البحر فسر عليها راجعا حتى تنتهى الى النيل فسر عليها فانك ستبلغ أرضا من حديد جبالها وأشجارها وسهولها من حديد فان أنت جزتها وقعت فى أرض من نحاس جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس فان أنت جزتها وقعت فى أرض من فضة جبالها وأشجارها وسهولها من فضة فان أنت جزتها وقعت فى أرض من ذهب جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب فيها ينتهى اليك علم النيل فسار حتى انتهى الى أرض الذهب فسار فيها حتى انتهى الى سور من ذهب وشرفه من ذهب وقبة من ذهب فيها أربعة أبواب فنظر الى ماء ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر فى القبة ثم ينصرف فى الابواب الاربعة فاما الثلاثة فتغيض فى الارض وأما الواحد فيسير على وجه الارض وهو النيل فشرب منه واستراح وأهوى الى السور ليصعد فأتاه ملك فقال له يا حائد قف مكانك فقد انتهى اليك علم هذا النيل وهذه الجنة وانما الماء ينزل من الجنة فقال أريد أن أنظر الى الجنة فقال انك لا تستطيع دخولها اليوم يا حائد قال فأى شئ هذا الذى أرى قال هذا الفلك الذى يدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحا قال انى أريد أركبه فادور فيه قال بعض العلماء انه ركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبه فقال له يا حائد انه سيأتيك من الجنة رزق فلا يؤثر فيه شئ من الدنيا يبقى ما بقيت قال فبينما هو واقف كذلك اذ نزل عليه عنقود من الجنة فيه ثلاثة من الاصناف لون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر ولون كاللؤلؤ الابيض ثم قال يا حائد ان هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها فارجع يا حائد فقد انتهى اليك أمر النيل قال فهذه الثلاثة التى تغيض فى الارض ماهى قال أحدها الفرات والآخر دجلة والآخر جيحان فارجع فرجع حتى انتهى الى الدابة التى ركبها فركبها فلما أهوت الشمس لتغرب اهوت اليها فقذفت به من جانب البحر فأقبل حتى انتهى الى عمران فوجده ميتا حين مات فدفنه وأقام على قبره ثلاثا فأقبل شيخ متشبه بالناس أغر من السجود ثم أقبل الى حائد فسلم عليه ثم قال يا حائد ما انتهى اليك من علم هذا النيل فأخبره فلما أخبره قال هكذا نجده فى الكتب ثم أظهر له شجرة تفاح فى عينه فقال ألا تأكل منى قال معى رزق قد أعطيته من الجنة ونهيت ان أوثر عليه شيأ من الدنيا قال له صدقت يا حائد أو ينبغى لشئ من الجنة أن يؤثر عليه شئ من الدنيا وهل رأيت فى الدنيا مثل هذا التفاح انما أنزل الى الارض وليس من الدنيا وانما هذه الشجرة من الجنة أخرجها الله تعالى لعمران يأكل منها وما تركها الا لك وان وليت عنها رفعت فلم يزل يطريها له حتى حسنت فى عينه حتى أخذ منها تفاحة فعضها فلما عضها عض يده ثم قال أتعرفه هو الذى أخرج أباك من الجنة اما انك لو سلمت لهذا الذى كان معك لا كل منه أهل الدنيا قبل أن ينفد وهو مجهودك ان يبلغ فكان مجهوده ان بلغه وأقبل حائد حتى دخل أرض مصر وأخبرهم بهذا ومات حائد بارض مصر وبهذا الاسناد الى عبد الله بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن وهب بن عبد الغافر عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال كانت الجنان بحافتى هذا النيل من أوله الى آخره من الشقين جميعا من اسوان الى رشيد وكان له سبعة أخلج خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ ويزرع ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخر ما يبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا وبهذا الاسناد الى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب انه كان على نيل مصر فرضة لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرون ألف فاعل معهم الطوريات والمساحى والاداة يعتقبون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا وذكر فى بعض الاخبار أن حائدا هذا لم يتنبأ وانما أوتى الحكمة وانه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطى قوة على ذلك فوصل الى جبل القمر وقصد أن

والعجم مولانا السلطان سليم خان لازال محفوفا برعاية الحنان المنان وبتدبير وزيره الاعظم ومشيره الافخم صاحب الاوصاف السنية والاخلاق المرضية من هو حقيق بقول الشاعر

خلق كما الماء زن طيب مذاقه
والروضة الغناء طيب نسيم
كالغيث الا أن جوديمينه
أبدا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر لكن فيه حلم واسع
عن جنى والدهر غير حليم
كالسيف الا أنه ذو رحمة
والسيف قاسى القلب غير رحيم

بطالع على أهلا فلم يقدر فسأل الله تعالى فيسره عليه فصعد فرأى خلفه البحر الزفتى وهو بحر أسود منتن الريح مظلم فرأى النيل يجرى فى وسطه كأنه السبيكة الفضة * وقال صاحب مباهج الفكر ذكر أبو الفرج قدامة ان مجموع ما فى المعمور من الانهار مائتان وثمانية وعشرون نهرا منها ما يجرى من المشرق الى المغرب ومنها ما يجرى من الشمال الى الجنوب ومنها ما جريانه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون فاما النيل فذكر قدامة ان ابتداءه من جهة القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار وكل خمسة تصب منها الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج ماء النيل * وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان بين كانم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها الى المغرب وانحدر الى الاقليم الثانى فيكون على شفتيه عمارة النوبة وفيه هنالك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرف الى الجنادل واليها تنتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الاعلى صعودا وهنالك أحجار مضرسة لا مرور للمراكب عليها الا فى أيام زيادة النيل ثم يأخذ الى الشمال فيكون على شرقيه مدينة اسوان من الصعيد الاعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين لاعمال مصر شرقى وغربى الى الفسطاط فاذا تجاوزها مسافة يوم انقسم قسمين أحدهما يمر حتى يصب فى بحر الروم عند رشيد ويسمى بحر الغرب ومسافته من منبعه الى أن يصب فى رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا وقيل انه يجرى فى الخراب أربعة اشهر وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام شهرا وليس فى الارض نهر يزيد حين تنقص الانهار غيره وذلك ان زيادته تكون فى القيظ الشديد فى شمس السرطان والاسد والسنبلة وروى ان الانهار تمده بمائها وقال قوم ان زيادته من ثلوج يذيبها الصيف على حسب مددها تكون كثرتها وقلته وذهب آخرون ان زيادتها بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة وذهب آخرون الى ان زيادته من اختلاف الريح وذلك ان الريح الشمال اذا هبت عاصفة للبحر الرومى فيدفع اليه ما فيه منه فيفيض على وجه الارض فاذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر فيسترجع منه ما دفعه اليه فينقص وقال آخرون مجراه من جبال الثلج وهو بجبل قاف وانه يخترق البحر ويجرى على معادن الذهب والياقوت والزمرذ والمرجان فيسير ما شاء الله الى أن يأتى بحيرة الزنج قالوا ولولا دخوله فى البحر المالح وما يختلط به منه لم يستطع أحد شربه لشدة حلاوته *(وقد تم)* هذا الكتاب البديع المستطاب

وأوصافه الجميلة لا تعد
وأخلاقه الحسنى لا تحصر
ولا تعد أسألك اللهم ان
تكسوا الايام ملابس العز
بطول حياته وان تشرح
صدر الزمان بدوام مسرته
وان تحفظ من كل مكروه
مهجته وان تديم على
مدى الزمان بهجته بجاه
سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم

الحمد لله مدبر الكائنات والصلاة والسلام على أفضل المخلوقات سيدنا محمد القائل وقوله لا سبيل الى رده مصر كنانة الله فى أرضه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ما تليت أخبار فى سائر الليالى والأيام *(وبعد)* فقد آذن طبع الكتاب المسمى بلطائف أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول بالتمام وفوحت بشائره بحسن الختام محلى الهوامش والطرر بكتاب أبهى من النفائس والغرر مسمى تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين واجرى انهما الكتابان عزيزا المثال بديعا المنوال فبتعاطى كؤسهما تزول الأحزان ويطرب براح سلسبيلهما جنان الجبان

وكان طبعهما الفائق وتحسين وضعهما الرائق بالمطبعة العامرة العثمانيه التى فى

مصر بحارة الفراخة بخط باب الشعريه ادارة مديرها ومنشيها الهمام الفائق

الفاضل الشيخ عثمان عبد الرازق وفاح مسك الختام ولاح بدر التمام

فى أواسط شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٣٠٤ من

هجرة النبى عليه الصلاة والسلام

آمين